

منشورات اتحاد



القاهرة

# مجلة المؤرخ العربى

يصدرها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

## المحتويات

٧	كلمة الافتتاح. للأستاذ الدكتور حسين محمد ربيع رئيس الاتحاد
٨	كلمة التحرير. للأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا رئيس تحرير المجلة
١١	د. محمود أبو الحسن أحمد وظيفة الكومارخوس (العدة) في مصر في العصر الروماني.
٢٥	أ. د. أحمد بن عمر الزينعي الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرى الجاهلي والإسلامي
٤١	د. أماني خليفة محمد علي البحر علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلى الثالث الميلادي
٩٧	د. مديحة محمد عبد العزيز الشرقاوي أمرام البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية وثورهم في النشاط البحري.
١٢٥	د. إبراهيم علي القلا وسائل الدعاية عند الفاطميين ٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م
١٦٩	د. حنان عبد الفتاح مطاوع الخنجر نموذج لتطوير صناعة السلاح في الأنثوس.
٢٠٩	د. عائشة بنت مرشود حميد معركة الصنيرة أحداث ونتائج ٥٠٧هـ/١١١٣م.
٢٢٥	د. محمد أحمد محمد الكردوسي مدارس أسبوط في العصر المملوكي.
٢٦٣	د. محمد أحمد علي بهنساوي الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية.
٢٨٧	د. محمد سيد كامل محمد التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإنجليز.

٣١٧	د. حسام محمود المحلاوي التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر.
٣٣٩	د. محمد أسامة زكي زيد موقف ابن إياس من العثمانيين.
٣٧٨	د. حصة جمعان الهلالي الزهراني نتائج الاستعمار البريطاني على جنوب الجزيرة العربية.

## وظيفة الكومارخوس (العمدة) في مصر في العصر الروماني (دراسة في النظام الإداري للقرية المصرية)

د. محمود أبو الحسن أحمد (\*)

يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت بمصر في النقوش والوثائق البردية اليونانية منذ القرن الثالث ق.م وحتى القرن السادس الميلادي، وإن لم يكن بشكل متواصل خلال تلك الفترة الزمنية الطويلة. فكانت أول إشارة لهذه الوظيفة في العصر الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي وبالتحديد في عام ٢٤٧/٢٤٨ م في وثيقة من إقليم أوكسيرنخوس<sup>(١)</sup>، ثم كانت الإشارة الثانية في وثيقة من قرية ثيادلفيا بالفيوم في عام ٢٥٠ م - ٢٥٣ م<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن ظهور وظيفة الكومارخوس مرة أخرى خلال القرن الثالث الميلادي بعد أن كانت موجودة خلال حكم البطالمة، يتمشى مع الإصلاحات الإدارية التي حدثت في عهد الإمبراطور فيليب العربي، حيث اختفت وظيفة كاتب القرية التي كانت معروفة من قبل ثم حلت وظيفة الكومارخوس بدلاً منها، فكانت آخر إشارة إليها في وثيقة من أوكسيرنخوس في عام ٢٤٥ م (P.Oxy.xLii,3047)، وفي إقليم أرسنوي اختفى موظف الأمفودرخ كوموجراماتوس (amphodarch komgrammateus) فكانت آخر إشارة إلى هذا الموظف في عام ٢٢٩/٢٣٠ م (B.G.U , vii, 1634)<sup>(٣)</sup>.

### تعين الكومارخوس :

كان تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) في منتصف القرن الثالث الميلادي، يعد من اختصاص الإستراتيجوس (حاكم الإقليم) ، حيث كان كومارخوس القرية الذي شارفت مدة خدمته على نهايتها، يرفع تقريراً إلى الإستراتيجوس يوضح فيه أسماء الأشخاص المرشحين لتولي هذه الوظيفة بعد انتهاء فترة خدمته ، وكان لابد أن يتوافر فيهم عدة شروط أهمها: الصدق والأمانة وتحمل المسؤولية، وكان من أول الوثائق التي أشارت إلى تعيين أحد الأفراد في وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني، وثيقة من هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م نقرأ منها ' إلى بروكليوس procles إستراتيجوس إقليم هيراكليوبوليس من اوريليوس هارميسيس Aurelius Harmasis من .....كومارخوس هذا المكان، على مسئوليتي و وفقاً لما هو متعارف عليه اخترت من يقوم بهذه المهمة للعام القادم ألا وهو: باكوس بن فيليب Pakoueis philippi وهو مؤهل لتولي أعباء هذه الوظيفة'<sup>(٤)</sup>.

(\*) مدرس بقسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر.

وفي بداية القرن الرابع الميلادي وبالتحديد عام ٣٠٧ م، ومع التغير الذي حدث في النظام الإداري في مصر، وهو ظهور الباجوس واختفاء التويرخية من التقسيمات الإدارية داخل الإقليم، وما صاحب ذلك من ظهور وظيفة جديدة هي وظيفة حاكم الباجوس (المركز) *Praepositus pagus* والذي تمثلت مهمته في إدارة شئون المركز، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تعيين الكومارخوس (عمدة القرية) من اختصاص هذا الموظف، وذلك من خلال تقرير يرفع إليه من كومارخوس القرية بالأسماء التي تم ترشيحها للوظيفة. فنقرأ في وثيقة من قرية كراتيس بالغيوم، ترجع إلى عام ٣٠٨ م " إلى أوريليوس هيراكليدس حاكم الباجوس الخامس من أوريليوس إزيدوريس سربايون وأيون سيرون كومارخوي قرية كراتيس نعلمك ونقدم لك تقريراً عن تم ترشيحهم لتولي منصب الكومارخوس للعام القادم وهم إزيدوريس بن بطلميوس ويطلميوس بن باتيستيس (").

ونقرأ في وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٣٢٦ م: من أوكسيرانخوس " إلى أوريليوس خابريموس حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي قرية ثيادلفيا فإنه نظراً لإستكمال مدتنا القانونية لهذا العام في وظيفة الكومارخوس نعلمك ونقدم إليك تقريراً على مسئوليتنا بخصوص اختيار من نرشحهم لشغل وظيفة الكومارخوس للعام الخامس عشر، وسوف ندرج أسمائهم أسفل وهم من ذوي الأسلاك ويتمتعون بالصدق والأمانة وقد قبلوا بالقيام بأعباء هذه الوظيفة ("). وتفيد إشارة أخرى إلى تعيين الكومارخوس من قبل حاكم الباجوس ترجع إلى عام ٣٥٠ م، في وثيقة من هرموبوليس نقرأ منها " إلى أوريليوس ديوكليس حاكم الباجوس الثاني عشر بالإقليم من أوريليوس بيسيس *Aurelius Pusios* وأوريليوس باسوتيس *Aurelius pasotes* والإثنان كومارخوي قرية أبيون *Apion* في الجزء الأعلى من الباجوس الذي هو تحت سلطتك، نخبرك ونعلمك بأسماء الأفراد الذين سوف يتولوا الوظائف الإلزامية للعام القادم ومنهم ديمتريوس بن بينوتينوس *Demetrius pinoutions* لوظيفة الكومارخوس (").

وهكذا يتضح لنا من خلال العرض السابق: أن الامستراتيجوس (حاكم الإقليم) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس وذلك بعد ترشيح من قبل كومارخوس القرية القائم بالعمل، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدث التغييرات الإدارية التي شهدها مصر، وجدنا أن حاكم الباجوس (المركز) هو الذي كان يقوم بتعيين الكومارخوس، ويدل ذلك على أن الهدف من هذه التغييرات الإدارية، هو تقليص المركزية في النظام الإداري واعطاء حاكم الباجوس سلطات أكبر مما كانت عليه من قبل .

وفي الغالب الأعم كان منصب الكومارخوس يتولاه إثنان من الموظفين داخل كل قرية<sup>(٨)</sup>، أما في بعض الحالات النادرة فكان يتم تعيين موظف واحد لهذه الوظيفة، حيث أشارت إحدى الوثائق من إقليم هيراكليوبوليس ترجع إلى عام ٢٤٨ م (P.Oxy.xvii, No.3178.) إلى تعيين موظف واحد لوظيفة الكومارخوس، بينما أكدت وثيقة من أوكسيرانخوس ترجع إلى نفس

الفترة تقريباً وبالتحديد في عام ٢٤٧م وجود إثنتين من الكومارخوس يحكمان قرية نيمسيمس Nesmimis بأوكسيرنخوس وهما : أوريليوس ديونيسيوس Aurelius Dionsios وديونيسيوس بن ديونيسيوس Dionysios Dionysio، ومن ثم فمن المحتمل أن يكون زميله في الوظيفة لم يكن أنهى مدة خدمته<sup>(١٠)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن هناك بردية أشارت إلى تعيين ثلاثة أفراد في وظيفة الكومارخوس بقرية ميرميرثا بأوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٣٤٦م نقرأ منها " أنه في السابع والعشرين من شهر توت تم إرسال رسالة إلى أوريليوس ساريامون بن أبولوجيوس Aurelius Sarapmon Aulogios حاكم الهاجوس الأول بإقليم أوكسيرنخوس كل من أوريليوس حورس بن هوريون Aurelius Horos Hrion وباتيخوتيس بن حورس وبظميوس بن هرمياس، والثلاثة من قرية ميرميرثا وكومارخوي القرية<sup>(١١)</sup>."

بل يمكن القول أيضاً بأن هناك أربعة أفراد قد تولوا منصب الكومارخوس لقرية فيلاتنغا نعام ٣٤٧م وهم : أوريليوس أمونيوس بن أوكسيس Aurelii Amonianos Ekysis واللونيوس بن ثيوس Allonios thios وتيماجينيس أسيون Timaggenes Asion وأموس بن هاتريس mous Hatres<sup>(١٢)</sup>.

ولعل السبب وراء تولي أكثر من فرد لهذا المنصب، هو كثرة المهام والأعباء المتعلقة بهذه الوظيفة، فكل الأمور المرتبطة بالدولة داخل القرية كانت تسند إلى من يقوم بهذه الوظيفة، ولعل من يعنى النظر في فلسفة النظام الإداري للدولة الرومانية والحكم الروماني في مصر يجد أن هناك سبباً آخر في غاية الأهمية وهو أن الدولة الرومانية كانت تخشى أن يتفرد شخص واحد بإدارة هذه الحلقة الهامة والرئيسية داخل النظام الإداري، ويؤكد ذلك أن كل قرارات موظفي الكومارخوي كانت يجب أن تتم بالإجماع ولا يحق لفرد واحد من بين المعيّنين بهذه الوظيفة أن يقوم بإصدار القرارات منفرداً.

وكان تعيين الكومارخوس يتم في معظم الأقاليم في شهر مسرى Mesori (أغسطس) قبل بداية شهر توت thoth (سبتمبر) بداية العام الجديد وفيما يلي عرض لبعض الوثائق التي توضح ذلك .

الوثيقة	التاريخ	اسم الموظف	المكان
p.Oxy. 2714	٢٩ أغسطس ٢٥٦م	أوريليوس اجونيس أوريليوس ياتاوريس	أوكسيرنخوس
P.Oxy. 3178.	أغسطس ٢٤٨م	باكوس بن فيليب	هيراكليوبوليس
p.cairo-Isid, 125	١٦ أغسطس ٣٠٨م	إزيدورس بن بظميوس	كراتيس (أرسنوي)
P.Got. 5	١٩ أغسطس ٣١٨م		
p.S.B.vi, 9544	٢٤ أغسطس ٣٢١م		بانوبوليس
P.sakon52	١٩ أغسطس ٣٢٦م	بينيس بن ساكون	ثيادلغا

### مدة حكم الكومارخوس :

فيما يتعلق بمدة شغل الكومارخوس للوظيفة، في المعتاد كانت تستمر لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد شغلوا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة وفيما يلي عرض لبعض الوثائق :-

### \*\* كومارخية قرية نبادلفيا:

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
اخو ساكون	بايسيس ساتابوس	يوليو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
ابن عم ساكون	أورينيوس ميلاس	يوليو ٢٩٩	P. Sakon, 58.
	ساكون ساتابوس	٣٠٧/٣٠٦ م	P. Sakon, 13.
	ساكون	٣٠١٢/٣٠١١ م	P. Sakon, 18.
	ساكون	٣٢٢٤/٣٢٣ م	P. Sakon, 51.
ميلاس بن عم ساكون	أوج بن ميلاس	٣٢٢٤/٣٢٣ م	P. Sakon, 51.
	ساكون	٣٢٥/٣٢٤	P. Sakon, 23, 24.
بن ساكون	بينيس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
ميلاس بن عم ساكون	زيئوس بن ميلاس	٣٢٦/٣٢٥	P. Sakon, 52.
بن ساكون	الطونيوس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ميلاس	كونياس	٣٢٧/٣٢٦	P. Sakon, 52.
بن ساكون	بنياس	٣٢٨/٣٢٧	P. Sakon, 25.
بن ساكون	بنياس	نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع	P. Sakon, 29.

### \*\* كومارخية قرية فيلادلفيا:

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
بن بكوسيس pekysis	أوريليوس أمونيوس	٣٧٢ م	P. Gen, 70.
بن بكوسيس	أوريليوس أمونيوس	مايو ٣٧٤ م	P. Gen, 66.
بن بكوسيس	أوريليوس أمونيوس	٣٨٢ م	P. Gen, 67.
بن بكوسيس	أوريليوس أنيانوس	٣٨٦ م	P. Gen, 69.

## \*\* كومارخية قرية كرانيس :

العلاقة	الاسم	التاريخ	المصدر
	اوريليوس ازيدورس سرابيون وايونيوس سبريوس	٣٠٧م / ٣٠٨م	p.Cairo-isid.125
	اوريليوس ازيدورس بن بالتوريوس واوريليوس دولوس	٣١٤م	p.Cairo-isid.54.
	أوريليوس أرسكون وأوريليوس جبرماتوس	٣١٥م	p.Cairo-isid.57.

## \*\* إشارات متفرقة :

المكان	الاسم	التاريخ	المصدر
قرية نيسيميس باوكسبرنخوس	اوريليوس ديونيسيوس ويونيوس بين ديونيوسيوس	٢٤٧م	p.oxy,2123
قرية بوتو بمفيس	اوريليوس سزابيون وأوريليوس ارتيميدوس	٣١٤م	p.Cairo-isid.128
قرية سيفو بالاجوس السابع باوكسبرنخوس	ايدامون بن هيراكس وحسيتوسين بطلميوس	٣٤١م	p.oxy,3774.
قرية ميرمرته بالاجوس الاول باوكسبرنخوس	اوريليوس حورس باتيختوتيس بن حورس بطلميوس بن هرمياس	٣٤٦م	p.oxy,4128.
قرية كيسموخيس بالاجوس الثامن باوكسبرنخوس	اوريليوس باوسيريس اوريليوس هوريون	٣٥٠م	p.oxy,2232.
قرية ابيون بالاجوس الثاني عشر بهرموبوليس	اوريليوس بيسيس اوريليوس باسوتيس	٣٥٠م	p. Amh, 139.

ومن خلال النظر في هذه الإشارات يتضح لنا أن الكومارخوس كان يشغل هذا المنصب في الغالب لمدة عام واحد، وإن كان هناك بعض الأفراد قد شغلوا هذا المنصب لأكثر من عام وأكثر من مرة ، ففي قرية فيلادلفيا في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي، نجد أن أوريليوس أمونيوس كان كومارخوس في عام ٣٧٢م، و٣٧٤م، و٣٨٢م فضلاً عن أن أخاه أوريليوس أنباتوس قد تولى ذات المنصب في عام ٣٨٦م.

و في قرية ثيادلفيا نجد أن أفراد عائلة أوريليوس ساكون قد شغلوا منصب الكومارخية في القرية في الفترات ٢٩٨/٢٩٩م، ٣٠٦/٣٠٧م، ٣١١/٣١٢م، ٣٢٤م، ٣٢٦م/٣٢٧م، ٣٢٨/٣٢٧م. فضلاً على أن ساكون شغل المنصب لفترتين متتاليتين ٣٢٣/٣٢٤م، ٣٢٥/٣٢٤م، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل ربما على اكتساب بعض موظفي الكومارخوس ثقة حاكم الباجوس مما يؤهله للاستمرار في أداء مهام وظيفة الكومارخية لأكثر من عام.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هناك أشارت إلى أن بعض موظفي الكومارخوس قد عقدوا اتفاقيات فيما بينهم، وذلك لتحديد الأفراد الذين سوف يخلفوهم في القيام بمهام هذه الوظيفة، فهناك وثيقة من قرية فيلادلفيا ترجع إلى عام ٣٨٧م أتفق فيها كل من أوريليوس هول Aureli Hol كومارخوس القرية للعام الثالث من حكم ثيودوسيوس والثاني من حكم ماكسيميانوس مع كورنوليوس Corenelius الكومارخوس لنفس القرية، على أن يتم تعيين الأخير في وظيفة الكومارخوس للعام القادم ومع انتهاء مدة خدمته، يقوم كورنوليوس بتعيين ديوسكوروس Dioscorus أخو هول في نفس الوظيفة للعام الذي يليه، وفي حالة نقض أي من الطرفين للاتفاق سوف يقوم بنقض غرامة قدرها ٢٠٠٠ دراهمة فضية للعام الثالث من حكم ثيوداتيوس والثاني من حكم ماكسيميانوس (٢). وتكررت نفس الحالة في وثيقة من قرية ثيادلفيا، حيث أتفق كل من بينيس بن ساكون وزيلوس بن ميلاس كومارخوي القرية لعام ٣٢٥/٣٢٦م على أن يتولى الوظيفة للعام القادم كل من أنطونيوس بن ساكون وكونياس بن ميلاس (٣). وفي وثيقة ثالثة من أوكسيرنخوس ترجع إلى عام ٢٥٦م قام باتاوريوس بن سارس كومارخوس قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، بترشيح أخوه تاليميهوس Talemaeheus بن سارس عن العام الرابع لوظيفة الكومارخوس (٤).

ولعل السبب وراء ذلك كان يتمثل في أن الأفراد الذين كانوا يشغلون منصب الكومارخوس، كانوا يمثلون إلى إسناد الوظيفة للمقررين منهم حيث إن ذلك المنصب كان يعطي شعوراً بالمروعة والفخر، فكل الأعمال داخل القرية كانت تدور من حول هذا الموظف، فهو المسئول عن جمع الضرائب والديون وتأجير أراضي الدولة للأفراد والتعاون مع الشرطة في القبض على الخارجين عن القانون، ويؤكد ذلك أنه على الرغم من أن كثيراً من البرديات أشارت إلى تساؤل شعبية الوظائف الإلزامية في مصر في القرن الرابع الميلادي ورغبة الكثير من الموظفين في التخلي عنها بالهروب أو الإبدال، إلا أننا لا نجد مثلاً واحداً لكومارخوس يحاول الهروب من تقلد مهام وظيفته، بل على العكس نجدها مصدراً لكسب المال وإن كانت بطرق غير مشروعة (٥).

### مهام ومسئوليات الكومارخوس (عمدة القرية)

تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس، حيث اشتملت على تسخير كل الأعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأشخاص الذين سوف تسند إليهم الوظائف والأعمال الإلزامية وجمع الضرائب عن القرية بالإضافة إلى سلطات شرطية. وخلال الصفحات التالية سوف نتناول تلك المهام والمسئوليات بشئ من التفصيل وذلك على النحو التالي:

#### ١- المهام المتعلقة بترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الإلزامية:

كان الكومارخوس يرفع قائمة بأسماء الأفراد والمرشحين للقيام بالوظائف والأعمال الإلزامية إلى الأستراتيجوس وذلك منذ بداية ظهور وظيفة الكومارخوس في العصر الروماني وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي، ومع بداية القرن الرابع الميلادي وحدثت تغييرات إدارية أصبح الكومارخوس يرفع تلك القائمة إلى حاكم الباجوس من أجل التصديق عليها واعتمادها. ونقرأ أولى الوثائق الدالة على ذلك، وثيقة من أوغستينخوس ترجع إلى عام ٢٤٨/٢٤٧م بخصوص تعيين إثنين من المساعدين لم يتم تحديد المهام التي سوف يقومون بها " إلى أوريليوس فيلوكسميتيس استراتيجوس مدينة أوغستينخوس من أوريليوس ديونيسيوس الأصغر بن خيراس ديونيسيوس بن ديونيسيوس والإثنان كومارخوي قرية نيميسس وكتبا هذه الوثيقة حيث يطلبان تعيين هذين المساعدين خلال العام القادم وهو العام الخامس من حكم فيليب وهذان المساعدان هما: أوريليوس فيولياس بن هاتريس و..... " (١٦).

كما توجد وثيقة أخرى ترجع إلى عام ٢٥٦م بخصوص ترشيح أفراد في وظائف مختلفة داخل القرية بواسطة الكومارخوس نقرأ منها: " إلى أوريليوس سابينوس Aurelius Sabinos استراتيجوس إقليم أوغستينخوس من أوريليوس باجونيس بن Aurelius Pagonis .... وأوريليوس باتاويريس بن سارس Aurelius Patauris Saras والإثنان كومارخوي قرية باتيوي paneui عن العام الثالث، نقدم قائمة بأسماء المرشحين لتولي المهام الإلزامية عن العام الرابع من سكان القرية وهم تالميهوس Talemaeheus بن سارس Saras وإمه تسمى هيليني Helene و باتوس Patos بن هيراكليوس Hracleus لوظيفة الكومارخوي وباتارخس Patarchs بن بيكسيس Pekysis لوظيفة الأمن وكاستور castor بن تليماخوس Telemachus لوظيفة حراسة الحقول وبلوتيون بن ديوجلس وأمونيوس بن بيكسيس Ammonios Pekysis وياونوتوس بن فالون Papontos phalon لوظيفة حراسة الحنطة المدروسة (١٧).

وهناك وثيقة من أوغستينخوس ترجع إلى عام ٣١٦م، نقرأ منها: " إلى أوريليوس هيراس بن ديونيسيوس حاكم الباجوس الثامن من أوريليوس باتيرون بن منخيس التيسراريوس وأوريليوس باوسيريس بن فلافيوس وأوريليوس هوريون والإثنان كومارخوي قرية كيسموخوس بالباجوس، ترشح للقيام بوظيفة جامعي اللحوم والقش أشخاصاً مناسبين للقيام بهذه المهمة وهما: أوريليوس ثوتيس لجمع اللحوم وأوريليوس باتيرونسب أمونيوس لجمع القش (١٨).

وكان الكومارخوس مسئولاً عن ترشيح موظف التيسرارايوس حيث يتضح ذلك من وثيقة ترجع إلى عام ٣٢٢م، وهي عبارة عن خطاب موجه إلى حاكم الهاجوس الثاني بالكليم... من أوريليوس بنوينثيريس Aurelius Pneponteris وأوريليوس بسمينوثيس Aurelius Pserpnouthes الكومارخوي، حيث نرشح لمنصب التيسرارايوس بسمينوثيس بن سربايون Pserpnouthes Sarapion في الفترة ما بين شهر قامينوث phamenoth إلى شهر ثوت thot من العام الجاري (١٩).

وكان ترشيح المسئولوي والابيتاي داخل القرية من اختصاص الكومارخوس، حيث يتضح ذلك في وثيقة من قرية ثيانلفيا ترجع إلى عام ٣٤٢م، نقرأ منها: إلى فيلاتاس Philatos حاكم الهاجوس الثامن من ساكون بن ساتابوس Sakaon Satabus ورفيقي أوج بن ميلاس Aoug melas والإثنان كومارخوي قرية ثيانلفيا، نرفع إليك تقريراً على مسئوليتنا المشتركة بالأفراد المرشحين لتولي منصب المسئولوي والابيتاي بالقرية للعام الثاني عشر واختيارهم على مسئوليتنا المشتركة. وأسماؤهم مدرجة أسفل و قد قبلوا القيام بمهام هاتين الوظيفتين بكل صدق وأمانة وفقاً لما هو متعارف عليه (٢٠).

ويتضح لنا من خلال العرض السابق أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كانت ضمن اختصاصات موظف الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها وذلك من خلال اختيار الأفراد ورفع أسمائهم كمرشحين إلى رؤسائه.

## ٢- المهام المتعلقة بجمع الضرائب عن القرية.

كان من بين المهام والمسئوليات المنوط بها الكومارخوس الالتزام بجمع الضرائب المقررة على القرية، وهذا ما بدا واضحاً في بعض الوثائق البردية، فهناك وثيقة ترجع إلى عام ٣١٥م، هي عبارة عن إيصال يفيد استلام أوريليوس كلوثوس قائد المركب واحد وعشرين ونصف أريب من الشعير من أوريليوس أرسطون و أوريليوس جبرماتوس كومارخوي قرية كرائيس (١). كما توجد وثيقة أخرى من نفس القرية ترجع إلى عام ٣١٥م تفيد بأن أرسطون وجبرماتوس الكومارخوي قد قاما بتسليم كميات من الخشب للجنود من أجل إيقاد النار وطهي الطعام وهي الحصة المقررة على القرية (٢).

كما كان الكومارخوس مسئولاً عن توفير الاحتياجات الضرورية للأفراد العاملين بالجهاز الإداري للدولة، وهو ما بدا واضحاً في وثيقة من أوكسيرنخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، هي عبارة عن خطاب موجه من الاستراتيجوس إلى كومارخوس قرية ثيرسيس يأمره فيه بتجهيز حمارين وحارس للشخص الذي سوف يسلمه الخطاب (٣).

من خلال العرض السابق يتبين للباحث أن كافة المهام والوظائف الإلزامية داخل القرية كلفت من بين مهام ومسئوليات الكومارخوس، فهو المسئول الأول عنها، وذلك من خلال إعداده لقائمة بالأسماء المرشحة لكل وظيفة ومهمة إلزامية، ثم رفع تلك القائمة إلى رؤسائه.

### ٣- المهام والمسئوليات الشرطية للكومارخوس:

تعددت المهام والمسئوليات الشرطية التي كانت تعمد إلى الكومارخوس في العصر الروماني في مصر، وكان من أبرز تلك المهام ضبط الأفراد الخارجين عن القانون، وهو ما ظهر واضحاً وجلياً في وثيقة من أوكتاينريخوس ترجع إلى نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الميلادي، وهي عبارة عن أمر ضبط موجه من رئيس المجلس التشريعي إلى الكومارخوس بحق رجل يعمل في وظيفة *nomophlaxi* (وظيفة شرطية) (٤١).

ولقد اتسعت سلطات الكومارخوس لتشمل بالإضافة إلى القبض على الأفراد الخارجين عن القانون داخل القرية القبض على الأفراد الخارجين من القرية إلى قرى أخرى هرباً من الأعباء الإلزامية، ففي وثيقة من منف ترجع إلى عام ٣١٤ م هي عبارة عن تقرير مرفوع من موظفي إحدى القرى إلى موظفي قرية أخرى جاء فيه: "من أوريليوس باكينينيوس *Pacimnenous* التيسراريوس وأوريليوس سرابيون وأوريليوس أرتميدوس *Artemidous* بن باموثيس *Pamuthis*. وإثنان كومارخوي وأوريليوس ناراوس *Naraous* مدير مكتب الشرطة والجميع من قرية بوتو *Buto* في إقليم ممفيس إلى أوريليوس إزيدوريس التيسراريوس لقرية كراتيس نرسل إليك قائمة بأسماء الأشخاص الذين فروا من قريتنا إلى قريتك، حيث نعلمك بهم لكي تسلمونا إياهم، علماً بأننا لا يمكننا أن نوجه أية اتهامات ضدكم أو ضد قريتك (٥١)".

### بعض التجاوزات القانونية للكومارخوس

اتسم سلوك و أداء معظم من شغل منصب الكومارخوس في العصر الروماني بالاستقامة، غير أن الصورة لم تكن دائماً ناصعة البياض، حيث ظهر بعض الانتهاكات والتجاوزات في سلوك بعض هؤلاء الكومارخوي ويتضح ذلك من خلال ثلاث وثائق وردت في أرشيف أوريليوس إزيدوريس رقم 71، 72، 73. والوثيقة الأولى والثانية كانتا عبارة مفكرة للوثيقة الثالثة التي تضمنت الإلتماساً تم رفعه إلى والي مصر ضد كل من كومارخوس قرية كراتيس لعام ٣١٤ م وحاكم الياجوس التابعة له القرية ولقد ورد في هذا الإلتماس الأول تقدير الضرائب المفروضة على قرية كراتيس في كومارخية إزيدوريس بن بيلنيوس *Isidorus Pelineus* وبياتها كالآتي:

- التقدير الأول ١٠٥ تالنتا.

- التقدير الثاني ٤٠ تالنتا.

- التقدير الثالث ٢٣ تالنتا.

- التقدير الرابع ٧ إرباً من القمح.

- التقدير الخامس ٤٦ تالنتا و ٤٠٠ دراخمة

- التقدير السادس ٣ إرباً *chick peas* و ٢ إرباً فاصوليا و ٢ إرباً من الثوم.

وأشار مقدما الإلتماس أن الكومارخوس قام بفرض هذه الضرائب كما يحلو له ووفقاً لهواه، وذلك دون الرجوع إلى التيسراريوس والكودراي أو الإستفسار منها، وذلك بالتواطؤ مع

حاكم الباجوس، ولم يبد كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس أي اهتمام بحدود سلطاتهم الشرعية والقاتونية (١٦).

كما تضمنت الوثيقة الثانية بعض تجاوزات الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث نقرأ فيها: "لقد قامت القرية بشراء حمارين بمبلغ ٤٠ تالنتا فضية، وتم إرسال هذين الحمارين إلى الإسكندرية للقيام ببعض المهام، وعند عودتهما من الإسكندرية قام حاكم الباجوس ببيع أحدهما لحسابه الخاص بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم استخدم الحمار الآخر في حمل الفاصوليا إلى مسكنه الخاص وذلك بالتواطؤ مع الكومارخوس، وكان ممتلكات القرية وحيواناتها ملكاً خالصاً له دون منازع (١٧)".

أما الوثيقة الثالثة فنقرأ فيها التماساً تم رفعه إلى والي مصر جولياتوس جولياتوس من كل من: إزيديوس التيمسارايوس لقرية كراتيس ويثيمون الكودراي لنفس القرية، يوضحان فيه أن الفلاحين الضعفاء يعانون الكثير على يد كل من: حاكم الباجوس ثيوبورس والكومارخوس، فهما يلعبان دور الطاغية، فالكومارخوس بالتواطؤ مع حاكم الباجوس يفعل في القرية مايلحق له فهناك مبالغ كبيرة تم تقديرها بشكل غير قانوني كضرائب تجاوزت ٣٠٠ تالنتا، ولا نطمع أبين ذهبت هذه المبالغ، والآنكى من ذلك انه امتولى على جانب من اموال القرية والتي تتمثل في: ثمن جنود بعض الحيوانات ومبلغ ست وخمسون تالنتا هي حصيلة بيع جمل وحصان وفانض عشرة إرباب من الأرض المنتجة قد اخذها لحسابه الخاص، ثم قام بتخصيص إثنين (الإتان هي أثنى الحمار) لصالح منزله كان قد استراهما باريجن تالنتا فضية ثم قام ببيع واحدة منهما دون إبداء الأسباب بمبلغ ٢٧ تالنتا، ثم قام بسرقة ثلاثين خروفاً أبيضاً و ٤٧ تالنتا فضية والأكثر من ذلك أنه استخدم الحمير المملوكة لقرية بشكل غير قانوني في نقل الفاصوليا إلى منزله، ونحن نأمل بأن تأتي إلى المقاطعة من أجل مواجهة طغيان كل من حاكم الباجوس والكومارخوس (١٨). ونرى هنا أن التيمسارايوس والكودراي قد قاما برفع الإلتماس إلى والي مصر مباشرة وتجاوزا حاكم الإقليم، مما يوضح حجم التجاوزات التي تمت من قبل كل من الكومارخوس وحاكم الباجوس، حيث أنهما يطلبان في هذا التقرير من والي مصر الحضور إلى المنطقة لمواجهة هذين الموظفين الفاسدين.

وفي وثيقة رابعة من قرية منديس ترجع إلى الفترة من ٢٤٥ : ٣٠٢ م، هي عبارة عن التماس موجه إلى أورينوس سربايون وأبولونيوس أكسجيتيس Exegetes المدينة حيث تضمن هذا الإلتماس شكوى ضد كومارخوس القرية وذلك لطلبه رشوة من أجل تسهيل نقل ميراث إلى أصحابه (١٩).

وهناك وثيقة أخرى ترجع إلى القرن الرابع الميلادي هي عبارة عن أمر ضبط من الاستراتيجوس إلى مسئول الأمن و الموظف العام Demosios يطلب فيه منهما أنه عندما يصلهما هذا الخطاب فعليهما أن يقوموا على الفور بإرسال جامع ضريبة الأتونا عن العام الرابع ومعه الإيصالات الخاصة بجمع ضريبة القش وحسابات الإيصالات الخاصة بالشعير كما أن عليهما أن يرسلأ معه أيضاً خازيمون الكومارخوس السابق (٢٠).

وليس بالضرورة أن نفهم من هذه الإشارات أن هناك تجاوزات وإحترافات متعددة لموظفي الكومارخية، وخاصة أن كل الأمور داخل القرية كانت تتم أمام عينيه وبمعرفة، وربما يرجع السبب وراء قلّة إحترافات وتجاوزات الكومارخوس إلى قصر مدة حكمه، وهذا ما كانت تنشده الدولة الرومانية في مصر، وبالتالي لم تكن لديه فرصة للقيام بأية الاعيب، كما أن قضية استقامة الحكم وشفافيته في القرى المصرية إنما هي مسئولية مشتركة بين كافة الموظفين مما دفعهم إلى مراقبة بعضهم البعض .

وفي نفس الوقت كان يتعرض موظف الكومارخوس للعنف والأهانة من بعض الأفراد المتعلّصين من تادية الأعمال الأنزامية، وهذا يبدو واضحاً في وثيقة من قرية كلليس ترجع إلى عام ٣٠٣م عبارة عن التماس موجه إلى فلافيوس فاوستيانوس حاكم إقليم طيبة من أوريليوس جونا بن أونسيوس كومارخوس قرية كلليس التابعة لإقليم موط، يشكو فيها من تعرضه للأساءة و الأهانة علي يد أحد الأفراد الذين تم ترشيحهم للقيام بالأعمال الأنزامية ، وذلك بمعاونة عدد من الأفراد داخل القرية (٣١)

ومن خلال العرض السابق يمكن القول بأن وظيفة الكومارخوس ظهرت في مصر خلال العصر الروماني وبالتحديد في منتصف القرن الثالث الميلادي ، وذلك بعد أن كانت موجودة خلال فترة حكم الملوك البطالمة . وكان الأستراتيجوس هو القائم على تعيين موظف الكومارخوس، ولكن مع بداية القرن الرابع وحدث التغييرات الإدارية التي شهدتها مصر وجدنا أن حاكم البلاجوس هو القائم على تعيينه . وفي الغالب الأعم كان يتولى منصب الكومارخوس إثنان من الموظفين داخل كل قرية لمدة عام واحد . وقد تعددت مهام ومسئوليات الكومارخوس داخل القرية ، حيث اشتملت على تسيير كل الاعمال المتعلقة بالدولة داخل القرية ، ويأتي في مقدمتها ترشيح الأفراد للوظائف والأعمال الأنزامية وجمع الضرائب بالإضافة إلى بعض المهام الشرطية .

## الهوامش

- (1) P. Oxy , xvii , No.2123.

Αυρηλιω Φιλοξενω στρατηγος Οξιυρυγχιτου  
 παρα Αυρηλιων Διονσιου νεωτερου χαιρα  
 τος μητρος ταφιλωνος και Διονυσιος  
 Διονυσιου μητρος Θασσιος αμφοτεροι κωμαρχων κωμης  
 Νεσμειμεως

- (2) P. S.B , vi , No.9408,9 .

ترجع أول إشارة إلى وظيفة الكومارخوس في العصر البطلمي إلى عام ٢١٢ ق.م.  
 (P.petrie, iii, 89.399) واستمرت الإشارة إليه حتى عام ١١٢ ق.م ( P.Tebt , 159 )  
 ومن الإشارات التي وردت في القرن السادس انظر : ( P.Oxy.no.1835 نهاية القرن الخامس  
 م وبداية القرن السادس. م ) ، ( P.Oxy .no. 1930 القرن السادس م).

- (3) Thomas , the introduction of the dekaprotoi and comarchos,  
 Z.P.E.,19 1975. pp, 114- 115.

للمزيد عن موظف كاتب القرية في مصر في العصر الروماني انظر . رجب سلامة: كاتب القرية في  
 مصر في العصر الروماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٩٧، كلية الاداب، جامعة عين شمس.

- (4) P. Oxy , xvii , No.3178.

Κορηνηλι.....καιΠροληςστρατηγος Ηρακλεσπολειτου Αυρηλιου.....νου  
 Αρμυσιος απο επικιου ερημου. .. κωμαρχου του αυτου εποικιου

- ( P.Flor,1,2,265 A D (هرموبوليس) : للمزيد عن الوثائق التي اشارت إلى تعين الكومارخوس :  
 ( P.S.B.9544.322A.D باتوبوليس) - (P.Goth,5 , 318 A.D) -

- (5) P.cairo- Isid , 125 .

Αυρηλιω Ηρακλεδη πραισισιτω ε παγου παρα Αυρηλιων Ισιδωρου  
 Σαραπιωνος και Αιωνεως Συριωνος αμφοτερων κωμαρχων κωμης  
 καρανιδος διδωμεν και εισαγγελωμεν τω ιδιω ημων κινδυνω τους  
 εξης ενεγγραμμενους κωμαρχας του εισιοντος ις ετους

كان موظف الديوقتييم هو المعمول الأول عن تعين العمدة في العصر البطلمي .  
 حنان محمد اسماعيل : النظام الإداري في القرية المصرية في عصر البطالمة ، رسالة ماجستير  
 غير منشورة ، ٢٠٠٥ ، كلية الاداب ، جامعة عين شمس، ص ١٢٧ .

- (6) P.Sakon , No.52.

- (7) P. Amh, No. 139.

(8) P. Amh, 139 & P. Oxy, 2232.

(9) P. Oxy, xvii, No.2123.

(10) P. Oxy , xvii , No. 4128.

Αύρηλιος Σαραπίων Εὐλογίου πραιποσίτω α πάγου >  
νομοῦ Ὁξυρυγχίτου παρα Αύρηλιων Ὁροῦ Ὁρίωνος  
καὶ Πανεχώτου Ὁροῦ καὶ Πτολεμαίου Ερμού των τριων απο  
κωμης Μερμέρθων α παγου του αυτου νομου γενογομενων  
κωμάρχων

(11) P. Gen, 66.

Αυρηλίοις Αμωνιανος Εκυσίς και Αλωνίου Τ...η θίου και  
Τιμαγενοῦς Ασιωνος και Αμουν Ατρη αμφοτεροι κωμαρχαι της  
κωμης Φιλαδελφίας

(12) D.Delia- E.Haley , op cit, p 44-45.

(13) P. Sakon.52.

(14) P. Oxy, 2714 .

(15) P.Cairo- Isid, 71 , 72, 73

D.Delia- E.Haley , op.cit, p. 43.

(16) P. Oxy, No. 2123.

تمثلت مهام الكومارخوس في العصر البطلمي في أربعة أمور وهي العناية بأمور الزراعة والعناية  
بالمسود والقنوات وقيامه بتوزيع البذور ومهام تتصل بالأمن العام .  
حنان اسماعيل: المرجع السابق ص ١٣٨ .

(17) P. Oxy, 2714 .

(18) P. Oxy, 2232.

παρα Αυρηλιων Πατερειως Μενχητος θεσελαριου και Ὁριων  
Μενχητος αμφοτερων κωμαρχων της αυτης κωμης κεσμουχεως του  
υπο σε παγου διδομεν τω ιδιω ημων κινδυνω προς απειτησιν κρεως  
και αχυρου

(19) P.göthenurg , 6.

Πραιποσίτου β παγου παρα και Ψηρπνοθου κωμαρχων Νησου απο  
.....Αυρηλιου Πνεποντηριος  
ηνεσαγγελλομεν και  
ο αναδιδ.μενεις τε σλριον Αυρηγιον ψενπνουθου Σαραπιωνος του νομ..α

μήνος φαμενωθ εως θωθ

(20)P. .Sakon , No.52.

Αυρηλιος χαιρημον πραιποσιτου θ παγου παρα Αυρηλιων πεννιτος  
Σακαωνος και Ζωιλου Μελανος αμφοτερων κωμαρχων και  
Θεδελφιας

(21)P.Cairo- Isid. , No.57.

(22)P.Cairo- Isid. , No.56.

(23)P. Oxy. 2577 .

(24)P. Oxy.3190.

(25)P.Cairo- Isid. , No.128.

تمتع الكومارخو س في العصر البطلمي بسلطات قضائية وأمنية واسعة ، فكان لديه السلطة  
الكافية للقبض والحبس وأجراء تحريات وتحقيقات رسمية تحت اشراف الأيمنتارس وكانت تقدم  
للكومارخوس تقارير مفصلة عن حوادث المارقة وأسعاء المشتبه فيهم  
حنان اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(26)P.Cairo- Isid. , No.71

Πυνθανοται διοτι συνδυαζοσιον μετα του πραιποσιτου

(27)P.Cairo- Isid. , No.72.

(28)P.Cairo- Isid. , No.73.

Ιουλιω ουλιανω διασημοτατω Επαρχων Αεγυπτου παρα Αυρηλιων  
σιδωρου πτολεμαιου θεσσαλαριου και παλημονος τβερινου  
κουαδραριου αμφοτερων απο κωμης καρανιδος του Αρσιωιτου  
νομου ημεις ελαττωναις αγοροικοι τα δινα παρσχομεν υπο τε του  
πραιποσιτου του παγου θεδωρου και των κωμαρχων

(29)P. p.s.i. 4, No.303.

(30)P.Turner, 46.

(31)P. kellis , I , No. 23.

## الأسواق العربية الموسمية بمنطقة مكة المكرمة في عصرها الجاهلي والإسلامي

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي (\*)

### مقدمة

السوق معروف، وهو بحسب تعريف ابن منظور: موضع البياعات، وفيه يتعامل، والجمع أسواق<sup>(١)</sup>، ويعرفه جواد علي بأنه: "المحل الذي يتسوق منه. وهي إما ثابتة مع أيام السنة، يبيع فيها الباعة، ويقصدها المشترون للشراء، وإما موسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا انتهى الموسم رفعت"<sup>(٢)</sup>. وفي التنزيل: ﴿إلا إنهم ليناكئون الطعام ويمشون في الأسواق﴾<sup>(٣)</sup>، وفيه: ﴿وقالوا مآل هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾<sup>(٤)</sup>.

والسوق يذكر ويؤنث، يقول الشاعر في تذكير السوق:  
ألم يعظ الفتران ماصار لمتني  
بسوق كثير ريخة وأغصيره<sup>(٥)</sup>

ويقول آخر في التثنيث:

إني إذا لم نكد حلقاً ريخة  
تركب السب فقامت سوفة<sup>(٦)</sup>

والمسوفة لغة فيه، وتسوق القوم: إذا باعوا واشتروا. وفي حديث الجمعة إذا جاءت سوقة أي تجارة، وهي تصغير السوق، سميت بها، لأن التجارة تجلب إليها وتساقي تحوها<sup>(٧)</sup>. وللأسواق أوجه أخرى غير التجارة والبيع والشراء؛ سنأتي إلى ذكرها بعد بقدر ما هو متاح من المعلومات التي وصلت إلى أيدينا. والأسواق معروفة، ومنشرة في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام، وحتى عصر الناس هذا، وهي على ثلاثة أنواع:

**النوع الأول:** أسواق وغبئة أي أسبوعية؛ وهي التي تقام في يوم محدد من أيام الأسبوع تسمى باسمه، فيقال: سوق السبت، وسوق الأحد، وسوق الاثنين، وهكذا إلى آخر أيام الأسبوع، وهذه منتشرة في مختلف القرى والأرياف، وبعض المدن، وقد أن يخلو قطر من أقطار الجزيرة العربية منها قديماً وحديثاً.

**النوع الثاني:** الأسواق اليومية؛ وهذه معروفة ومرتبطة بالمدن خاصة، ومن أشهرها سوق أو أسواق مكة المكرمة، وسوق المدينة المنورة التي اختار النبي صلى الله عليه وسلم موضعها بنفسه، بجوار المسجد النبوي الشريف، ثم قال: "هذا سوقكم لا يضرب عليه خراج"<sup>(٨)</sup>.

(\*) عضو مجلس الشورى السعودي.

**النوع الثالث: الأسواق الموسمية:** وهذه كانت تعقد مرة في السنة، ولها مواسم محددة لانتعاشها، أو تقصر دونها، ولا تقتصر نشاطها على يوم واحد أو يومين، وإنما تقام في عدد متصل من الأيام، تصل مدد بعضها إلى ٢٠ يوماً، وهي معروفة ومشهورة في تاريخ العرب وأدبهم باسم أسواق العرب، وتعود في نشاطها إلى العصر الجاهلي، ثم استمرت في الازدهار في العصور الإسلامية المبكرة، وبعضها ظل عامراً إلى العصر العباسي كما سيأتي. وهي كثيرة ومنتشرة في طول الجزيرة العربية وعرضها، إلا أن الذي يعيننا منها، في هذه الورقة المتواضعة، هي تلك التي كانت تقع في البقعة المشمولة اليوم بمسمى منطقة مكة المكرمة. وهي: سوق عكاظ، وسوق مجنّة، وسوق ذي المجاز، وسوق خباشة: فالأول وهو سوق عكاظ، غني عن الذكر، فهو من الشهرة والاهتمام به بحيث لم تعد هناك حاجة إلى التعريف به زماناً ومكاناً، في وقتنا الحاضر، فموقع السوق معروف ولم يعد مجهولاً، وعليه منشآت ومعالم وبنية تحتية واضحة وشالصة للعيان، ومهرجانه السنوي الذي يكبر ويتسع كل عام، ومايصاحبه من فعاليات ومناشط: ثقافية وتراثية واقتصادية ليست بخافية على القارئ الكريم. وهو - دون شك - مقبل على مرحلة تطويرية وتوسعية ستجعله إن شاء الله. واحداً من أهم الوجهات السياحية في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن أهميته بوصفه مكاناً تقام على أرضه أهم المناسبات الثقافية والتراثية والمناشط الاقتصادية الأخرى، في محافظة الطائف. وفي ذلك كله مايقضي عن التعريف بمكان السوق وزمانه، وإن كان من المفيد أن تشير إلى أن الآراء تجمع على: أن زمن انعقاد السوق كان في المدة الواقعة من الأول من شهر ذي القعدة إلى العشرين منه، وأنه استمر في البقاء والازدهار حوالي قرنين ونصف القرن<sup>(١)</sup>.

أما الأسواق الثلاثة الباقية فلا بأس من التعريف بها وبموقعها، ويلتزم الذي ينعقد فيها كل منها، وغير ذلك من المعلومات المتاحة في المصادر والمراجع التي وصلت إلى أيدينا، وذلك على النحو الآتي:

### **سوق مجنّة**

لعل أول هذه الأسواق بعد عكاظ، من حيث التمسك التاريخي أو الزماني لأيام انعقادها، هو سوق مجنّة، وهو أحد الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، ويقع على بعد عدة أميال إلى الشمال من مكة المكرمة في مر الظهران المعروف اليوم بوادي فاطمة، وهو مشتق من الفعل جنن الذي من معانيه: كثرة المياه واليساقين ذات الأشجار المثمرة من نخيل وأغاب ونحوها، ومنه الجنة<sup>(٢)</sup>، أي أن تسمية السوق بهذا الاسم (سوق مجنّة) له نصيب من طبيعة الموضع الذي كان يقام فيه، وهو أخصب بقعة في وادي فاطمة المعروف بخصبه، وكثرة مياهه، وأشجاره المثمرة، ويساقينه النضرة، وهو الذي داعبت ذكره الجميلة مغيلة الصحابي الجنيل بلال بن رباح، رضي الله عنه، بعد هجرته إلى المدينة، حيث نمب إليه هذان البيتان<sup>(٣)</sup>:

ألا لست شغري هل أبيتُ نيلةً      فغُخ وحسولي إنْخُرَ وجنّيلُ

وهل أربن يوماً مياه منجاة  
وهل يننون نسي شناعة وظفيل

ومع شهرة المكان المنسوب إليه هذا السوق، وهو منجاة بمر الظهران، أو وادي قاطمة سابق الذكر، إلا أن المؤرخين والجغرافيين المسلمين اختلفوا في المسافة بينه وبين مكة المكرمة، فالأزرقي (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) يشير إلى أن منجاة سوق بأسفل مكة على بريد منها<sup>(١٦)</sup>.

وعلى نهج الأزرقي، في تحديد المسافة بين مكة ومنجاة، يذهب كل من البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)<sup>(١٧)</sup>، وياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)<sup>(١٨)</sup>.

ولم يشذ عن هؤلاء سوى الفاسي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) الذي يناقش موضع منجاة والسوق المنسوب إليها، في كلام منقول عن القاضي عياض يطول إيراده، ويقدّر المسافة بينها وبين مكة المكرمة بنحو ثلاثين ميلاً<sup>(١٩)</sup>، ثم يستدرك على الأزرقي في تقريره بأن منجاة على بريد من مكة، ويقول في استدراكه: "ولعل الأزرقي أراد أن يكتب أن منجاة على بريد من مكة، فسمها عن الماء والتون، فكتب بريد والله أعلم"<sup>(٢٠)</sup>.

ولم تحدد المصادر المتاحة مكاناً بعينه، لموقع انعقاد السوق، على سبيل الدقة واليقين، وإن كانت قد أشارت إلى مسمى المكان، وهو **مر الظهران** سابق الذكر، وإلى جهته وهي إلى الأسفل من مكة، أي إلى الشمال منها على حد تفسير أحد الباحثين المحدثين<sup>(٢١)</sup>، وبعضها يربط موقعه بمعلم ثابت هو: الجبل الأصفر الذي يشار إلى أن موقع انعقاد السوق كان بالقرب منه<sup>(٢٢)</sup>.

وتبعاً للمسافة والجهة، وبعض العوامل الطبيعية، أجرى أحد الباحثين المحدثين (وهو من أهل مكة أو من أحوالها القريبة منها) دراسة ميدانية لتحديد موقع السوق، وتوصل في دراسته لمكان السوق، وهو الجهة الغربية للجبل الأصفر، وتعين للماء التي اشتهرت بها منجاة، على حد رأيه<sup>(٢٣)</sup>، ويعلّل ترشيحه لهذه الجهة بسبب انبساط أرضها وسعتها، ووضوح رؤيتها من جميع الاتجاهات، بالإضافة لوقوعها مباشرة على خط التجارة الرابط بين مكة والشام وكلها [على حد قوله] تساهم في جدية الموقع<sup>(٢٤)</sup>. وقدم وصفاً لطبيعة المكان الجغرافية بقوله: "من الضروري هنا التعرف على الطبيعة الجغرافية للمكان؛ فموقع السوق الذي حددناه مكسو اليوم برمال متجمدة، مع وجود أشجار صحراوية، وكثبان رملية، ويبدو لي أنها من صنع الإنسان.. وعموم المنطقة تظهر بها مبان حجرية لازالت واضحة المعالم، ويحاط الموقع اليوم بمناطق حاضرة السكان من أغلب الجهات، بل لاحظت منازل محاذاة موقع السوق مباشرة، وأخشى أن تطمر تحت الامتداد السكاني المتسارع، وبامتناع أي فرد أن يرى موقع السوق دون غطاء، فالصاعد إلى مدينة الطائف - طريق جدة - الجموم - يستطيع أن يشاهد الجبل الأصفر بعد الجموم مباشرة نحو الشرق، حيث السوق المجاورة له. والخريطة توضح المكان بسهولة"<sup>(٢٥)</sup>.

أما زمن انعقاد سوق منجاة فهو في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، وتقوم بعد انقضاء الناس من سوق عكاظ في العشرين من الشهر نفسه، حيث يقصدها العرب من عكاظ،

بقضهم وقضيضهم، لئتموا فيها جميع مقاصدهم من ارتياد تلك الأسواق الموسمية، بما في ذلك ممارسة التجارة والمفازرات والغداء، وغير ذلك من المناسط التجارية والأهلية التي كانت تمارس في عكاظ<sup>(٢١)</sup>، وليس الخمر أكلها شائناً، فقد وجد من الأئمة الشرعية ما يفيد بأن الخمر كانت تجلب إلى سوق مجنة، وربما إلى غيره من الأسواق الموسمية من أمكنة صنعها الأصلية من بلاد الشام، وخصوصاً بصرى وعزة، حتى أشاد شعراء ذلك العصر بذكرها، فهاهو شاعر هذيل المعروف أبو ذؤيب الهذلي، يقول<sup>(٢٢)</sup>:

سـلاطـة راح ضـمـمتها إداوة	مـقـررة رنـت لـمـؤخرة الرخـيل
تـرؤـدها مـن أهـل بـصـرى وعـزة	عـلى جـسـنة مـرفوعة النـيـل والتـكـفـيل
فـؤاقي بها غـسـتان ثم أتى بها	جـنـة تصـفـو في القـلال ولا تـثـبـل

وهذه السوق مثل سابقتها عكاظ، ولاحتقتها ذي المجاز وخباشة، تعقد في الأشهر الحرم التي يأمن الناس فيها، في الغالب، على أنفسهم وأموالهم من مغبة الحروب والاحتتال<sup>(٢٣)</sup>. ونقدر أن عدد الأيام التي يعقد فيها هذا السوق هي تسعة أيام إلى عشرة من انقضاء سوق عكاظ، حتى هلال شهر ذي الحجة، حينها ينتقل الناس، بقضهم وقضيضهم، إلى سوق ذي المجاز الآتي ذكره.

### ذو المجاز

هذا السوق من الأسواق الموسمية المعروفة بالقرب من مكة المكرمة، قيل إنه لقبيلة هذيل المشهورة في الجاهلية والإسلام. ربما نوقعه قريباً من ديارهم، ووروده في شعر بعض شعرائهم ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

وراح بها من ذي المجاز عشيرة

بيادر أوى الصابقات إلى الخيل<sup>(٢٤)</sup>

وقد ورد في تحديد موضعه قولان: الأول، أنه على مسافة فرسخ واحد من عرفة على يمين الموقف، بالقرب من جبل يسمى كيكب<sup>(٢٥)</sup> قيل إنه خلف الإمام إذا وقف<sup>(٢٦)</sup>. والقول الثاني أنها موضع بمنى في منتصف الطريق بين مكة وعرفات<sup>(٢٧)</sup>. وعلى الرغم من شيوع القول الأول في المصادر المتاحة، وكثرة من قال به من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، فإن الألفغاني يرجح القول الثاني، ويعدّه أنسب إلى القبول<sup>(٢٨)</sup>. أما تسمية ذي المجاز بهذا الاسم، فذلك لأن إجازة الحاج إلى عرفة كانت منه<sup>(٢٩)</sup>. وهذا ما يفسر أخذ الألفغاني بالقول الثاني، المشار إليه آنفاً، في تحديد موضع ذي المجاز بمنى وليس بعرفة، ومنه جاء اشتقاق اسمه.

وسوق ذي المجاز يعقد في ذي الحجة من كل عام. يقول الألفغاني: «إذا انقشع الناس عن مجنة حين يهل ذو الحجة ساروا يلجمعهم إلى هذه السوق، وأقاموا بها حتى اليوم الثامن من ذي الحجة، وهو يوم التروية، سمي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء، ويملاؤن أوعيتهم لما بعده إذ لا ماء بعرفة. وإلى هذا السوق تتقاطر وفود الحجاج من سائر العرب ممن

شهد الأسواق قبلها، أو لم يشهدها وأتى للحج خاصة، إذ إن ذا الحِجَّة من مواسم الحج عندهم<sup>(٣١)</sup>.

وهي سوق عظيمة، تحفل أيام الحج بجموع العرب وسواهم من الحجاج والتجار وأصحاب المنافع عامة، وهي تلي سوق عكاظ من حيث الأهمية، ويجري فيها ما يجري في سوق عكاظ: من بيع وشراء، وتناشد وتفاخر، وفداء أسرى وطلب ثار. فقد ذكر أن صاحب الثار يقصدها ليتعرف على واتره في ذي قرابته، فيترى به انقضاء الشهر الحرام إن كان من المحرمين، وإلا عاجله فأخذ بثأره<sup>(٣٢)</sup>. ويورد اللغاتي بعض الأمثلة لحوادث تتعلق بالأخذ بالثار؛ يطول ذكرها في هذه المقالة<sup>(٣٣)</sup>.

أما زمن انعقاد هذا السوق فهو - كما أوضحنا سابقاً - من الأول من ذي الحجة حتى الثامن منه، وهو يوم التروية، وعدد أيام انعقاده ثمانية أيام، بما في ذلك يوم التروية المذكور<sup>(٣٤)</sup>. وقد ظلت هذه السوق قائمة ومستمرة بعد ظهور الإسلام مدة طويلة؛ لا نعلم لها نهاية محددة على وجه الدقة واليقين، وإن كان هناك من الإشارات ما يفيد أنها استمرت علماً إلى ما بعد انتهاء سوق عكاظ، أي بعد عام ١٢٩ هـ/٧٤٧ م<sup>(٣٥)</sup>، وهذا العام هو الذي شهد نهاية سوق عكاظ على أيدي الخوارج.

### سوق حَبَاشَة

توصف سوق حَبَاشَة بأنها من أسواق العرب المشهورة القديمة، في الجاهلية والإسلام... وهي سوق بتهامة، يتاجر فيها أهل الحجاز وأهل اليمن، وكان من جملة من حضرها وتاجر فيها: الرسول [صلى الله عليه وسلم] وكانت تقام في شهر رجب<sup>(٣٦)</sup>. وحَبَاشَة (بضم الحاء المهملة وفتح الباء المعجمة، والشين المثناة) مشتقة من الفعل حَبَشَ أي جمع، والتَحْبُوش: التجميع، وحَبَش الشيء يحبشه حبشاً أي جمعه، والحَبَاشَة: الجماعة من الناس لموسم من قبيلة واحدة<sup>(٣٧)</sup>. وعلى نسق الناصيل اللغوي لسوق عكاظ، وأنه من التعكُّظ أو المعاكظة، وماتدل عليه هذه الكلمة من اجتماع العرب فيه للمفاخرة والمحااجة والبيع والشراء، والفداء، وسائر أمورهم التي تقوم السوق من أجلها وبسببها في كل موسم. من المحتمل - على هذا النسق المذكور - أن لفظ حَبَاشَة جاء من التجمع القبلي لمحيطة الممتد إلى أعالي السراة شرقاً، وإلى أغوار تهامة الساحلية غرباً ومابينهما من الأودية والقطاعات الجبلية شمالاً وجنوباً، فيما يعرف بالأصندار والغرضيات التي يتوسطها ذلك السوق المشهور في الجاهلية والإسلام. ويغلب على الظن أنه كان في زمانه موسماً يلتقي فيه التهامي مع السروي، والخبتي مع الجبني، وأهل يارق وما وراؤه إلى اليمن، مع أهل الغرضيات، وما يشاكلهم من الديار والقبائل، إلى الطائف ومكة المكرمة وما وراءهما. فلا بد أنها كانت سوقاً عظيمة، ومتجرراً رابحاً، يهبط إليه أخلاط شتى من مختلف القبائل التي ترتاده للمتاجرة وفداء الأسرى، ومباينتهم بأمنالهم، والتقاضى في المنازعات، ومختلف المنافع التجارية، وغير التجارية، التي كانت سبباً في قيام كثير من الأسواق العربية الموسمية في مختلف أرجاء الجزيرة العربية<sup>(٣٨)</sup>.

هذا الإطار الجغرافي لموقع السوق، ولمرتاديه من القبائل والديار المحيطة به؛ يُستشف من الإشارات البسيطة التي وردت عنه في المصادر العربية، ومنها الأزرقى الذي يقول: «وحياشة سوق الأزد، وهي في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلى من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال»<sup>(١٩)</sup>. وعن حياشة يقول البكري أيضا هي: «سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة. قال حكيم بن حزام: وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضرها، واشترت منها بَزًّا من بَزِّ تهامة. وهي من صدر قنونا، أرضها لبارق»<sup>(٢٠)</sup>. أما ياقوت فيوصل الاسم وملولته اللغوي على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً، ثم يقول: «وحياشة: سوق من أسواق العرب في الجاهلية»، ثم يورد حديث عبدالرزاق عن مصر عن الزهري: المتضمن قصة متاجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها<sup>(٢١)</sup>، وهو حديث يطول ذكره ويخرجنا عن سياق هذا البحث.

من هذه الأقوال وغيرها يتضح: أن حياشة من الأسواق العربية الموسمية المشهورة في الجاهلية والإسلام، وأنها تقع في ديار الأزد، القبيلة العربية المشهورة، قبل الإسلام وبعده، حتى عصر الناس هذا، وهي (أي سوق حياشة) ناحية، أو عمل من أعمال مكة المكرمة عليها وال بعينة أمير مكة في زمان ازدهارها، ولا يزال موضعها، وما يحيط به من قرى وبلدات تتبع إمارة منطقة مكة المكرمة في وقتنا الحاضر، وهي جزء من محافظة القفزة، بمركز العرضية الذي يشكل أهم قطاع من قطاعات المحافظة كما سيأتي.

ويتضح كذلك أنها تقوم في شهر رجب من السنة. وأن مدتها ثمانية أيام على رأي البكري، وكان يرتادها إلى جانب من حولها أساس من اليمن، ومن مكة المكرمة، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، تاجر إليها، مع رجل آخر من قريش، في بضاعة للسيدة خديجة رضي الله عنها، ونقدر أن هذين الرجلين - رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرافقه - ما هما إلا دليل على وجود منات من المكين، والحجازيين عامة، الذين كانوا يهبطون إلى سوق حياشة في كل موسم من مواسمها السنوية.

وعلى الرغم من أهمية هذا السوق، وكثرة مرتاديه ممن حوله من القبائل الساكنة في ديار الأزد، بما فيها بارق، وكذا مرتاديه من اليمن والحجاز؛ فإن المصادر التي تحدثت عنه لم تحدد له مكاناً بعينه على وجه الدقة واليقين، وأن الإطار الجغرافي الذي أورثته تلك المصادر طويل وعريض وعالم، فهي سوق للأزد، وموقعها في ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا<sup>(٢٢)</sup>، وهذا القول يزيد الأمر صعوبة للمتأمل فيه، ومشقة على من يحاول التوفيق بين عباراته؛ بغية الوصول إلى مكان محدد لموقع السوق أو قريب منه؛ فكونه سوقاً للأزد، وفي صدر قنونا فذلك قول أقرب إلى القبول، إلا أن عبارة: تيمار الأوصام من بارق تدعونا إلى التوثق قليلاً، إذا أخذنا هذه العبارة لمعغير معرفتنا، في الوقت الحاضر، لحدود بارق الواقعة على مسافة (٢٠) كم تقريباً إلى الجنوب، مما يعتقد أنه موقع السوق كما سيأتي، ويفصل بين تلك الحدود والموضع المقترح: امتداد قبيلة بني شهر وديارها، وكذا امتداد بعض ديار قبيلة بَلْقَرَن التي يقع السوق في ديارها، إلا إذا افترضنا أن حدود قبيلة بارق في الماضي غير حدودها

اليوم، وأنها كانت فيما مضى تمتد إلى هذا المكان المقترح للسوق في زمن ازدهاره، خصوصاً وأن حدود القبائل لا تنظر على حالها مدداً طويلة كهذه المدة، فبعضها ينداح ويتسع، وبعضها يتراجع ويتكسح مع الزمن نتيجة لظهور قبيلة على أخرى، أو هجرة أحدهما إلى خارج حدودها، مفسحة المكان للقبيلة أو القبائل المجاورة. أما كون هذا السوق للأزد فهو لا يغير شيئاً من وجه الحقيقة، لأن بارق أزدية، والقبيلة التي يقع موضع السوق الحالي في حدودها بعد تحقيقه (وهي قبيلة بنخارث من بنقرن المعروفة) أزدية كذلك<sup>(١٧)</sup>.

### تحقيق موضع السوق:

سبقت هذا البحث محاولتان لتحديد موضع سوق حباشة على الطبيعة: الأولى أجراها حسن بن إبراهيم الفقيه الذي ناقش موضع السوق، ومختلف العوامل المؤدية إلى قيامه في المكان الذي حدده<sup>(١٨)</sup>، والثانية أجراها عبدالله أبو داهش، وفيها اتفق مع سابقه، ونقل نصوصاً أكثر دقة وتحديداً، عن الباحث عبدالله بن حمن الرزقي، وهو من أبناء المنطقة العارفين بها، والقريبين منها، وله دراسات واجتهادات وتفسيرات على جانب كبير من الأهمية، فهو - كما ينقل عنه أبو داهش - يحدد موضع السوق بأنه: يقع على الضفة الجنوبية لوادي فتونا بالقرب من الفاجنة (الفاجة - القرية التاريخية المعروفة) التي يبعد عنها للموق بمسافة تقدر بخمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي في موقع يعرف باسم الحواري في حداب القزشة المعروفة اليوم<sup>(١٩)</sup>. ويقول: "هنا في موضع الموق: آثار وردوم وحجارة مركومة، وبعض القبور، وبنائر ظاهرة في الأرض تختلف في سمعتها، وقلة مساحتها لعلها حظائر لبيع الأغنام، أو مواضع للخفاصة، وغير ذلك، وفي تلك الأرض الواسعة التي تقدر مساحتها بنحو كيل في نصف الكيل توجد أحجار بركانية سوداء فيها: قطع فخار، وأخرى قطع من الحجارة ذات اللون الأخضر التي يظن بأنها تكوين الأرض نفسها ذات العروق الملونة والغريب السود"<sup>(٢٠)</sup>. وهذا المكان الذي جرى تحقيقه يعرف بين الأهالي حتى اليوم باسم السوق، ولكن لا أحد منهم يعرف أي سوق هو مما يعزز الاحتمالات عند الباحثين بأنه موضع سوق حباشة<sup>(٢١)</sup>، وأنه على الرغم من الدلائل ظل الأهالي يتوارثون الوظيفة التي كان يقوم بها هذا الموضع، وهو انعقاد سوق حباشة على نوابه.

### زمن انعقاد السوق ومدة انعقاده وخرابه:

من الثابت أن سوق حباشة كان يعقد في شهر رجب من كل عام، وأنه يبدأ في الأول منه، ولكن مدة انعقاده محل خلاف في المصادر التي غثبت به؛ فمن قال إنها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، وهذا القول للأزرقي وتابعه نقي الدين الفاسي<sup>(٢٢)</sup>، ومن قال إنها ثمانية أيام على حد ما يورده البكري<sup>(٢٣)</sup>. ويقلب على الظن أن قول البكري هو الراجح، لأن جميع الأسواق الموسمية التي مررت بنا لا تقل مدد انعقادها عن ثمانية أيام؛ ولأن ثلاثة أيام ليست كافية لسوق موسمي يعقد مرتين في السنة، ويقد إليه البائعون والمشترون من مسافات طويلة، وهذه المدة لا تكفي لراحتهم وراحة مطاياهم التي يقدون عليها، فضلاً عن بيع مامعهم وشراء ما يحتاجون

إليه، وفضلهم لجميع حوالمهم التي قدموا من أجلها، هذا إلى أن من الأسواق الوعوية القريبة من موضع سوق حباشة مايمكت ثلاثة أيام، ومنها على سبيل المثال: سوق المخواة الحالي بمحافظة المخواة، منطقة الباحة المجاورة. ومما يرجح قول البكري أيضاً، أن المتأمل في نص الأزرقي يدرك أن الأيام الثلاثة الواردة فيه هي مدة إقامة الرجل الذي يبعثه وإلى مكة إليها على رأس جند من قبله، فهو يقول: "وكان وإلى مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند، فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية"<sup>(٥٠)</sup>. وهكذا نلاحظ أن هذه الأيام الثلاثة تخص إقامة هذا الوفد، وليس مدة انعقاد السوق التي يشير إليها البكري صراحة بقوله: "سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"<sup>(٥١)</sup> فالنصريح هنا واضح بقوله: كانت تقوم ثمانية أيام في السنة"<sup>(٥٢)</sup>.

أما عن تاريخ خرابها فهو محل اتفاق وإجماع، عند سائر من كتب عن هذه السوق، في القديم والحديث، ولذلك قصة متواترة في المصادر التي أوردتها، وهي أن إحدى قبائل الأزد صاحبة السوق: قتلت والياً عليها من قبيلة غني كان قد ولاه عليها أمير مكة داود بن عيسى بن موسى في سنة ١٩٧هـ/٨١٣م، فلما وصله الخبر استشار فقهاء أهل مكة، فأمسروا عليه بتخريبها فخر بها منذئذ "وتركت إلى اليوم"<sup>(٥٣)</sup> على حد قول الأزرقي، أي في زمانه من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، نتيجة لتلك المشورة الظالمة التي لم تكن موفقة بحال من الأحوال، وكان من المفروض أن يأخذ الفاعلين بجريرتهم لا أن يخرب سوقاً عُمر لأكثر من قرنين من الزمان، ويقطع مورداً اقتصادياً لا بد أنه كان يعيش عليه قطاع كبير من الناس، وأنه كان من الممكن أن يتطور مع المدين ويتسع ويكبر، ويستمر إلى عصر الناس هذا، خصوصاً وأن المنطقة التي كان يقوم فيها منطقة خصب وزراعة، وكثافة سكانية ملحوظة إلى اليوم. ويجزنا خراب هذا السوق إلى تقدير عمرها، الذي لا تعرف عنه شيئاً في المصادر المتاحة على وجه التحديد، ولتحقيق تلك الغاية: لا بد من البحث عن بدايتها الأولى التي لا تعرف عنها شيئاً في المصادر المتاحة كذلك، وإما هناك حادثة بتيمة ارتبطت بالسوق في عصر ما قبل الإسلام، تلك هي حادثة مقتل الشاعر والغذاء المشهور الشنفرى الأزدي، وهو عائد من سوق حباشة في رواية طويلة يوردها صاحب الأغاني"<sup>(٥٤)</sup>. وحيث إن هناك من الدارسين من يجعل مقتل الشنفرى الأزدي في سنة ٧٠ق. هـ/ ٥٢٥م، وهو عائد من سوق حباشة، التي ربما قدم إليها من ديار قبيلة فهم القاطنة في تهامة بالقرب من مكة المكرمة"<sup>(٥٥)</sup>، مما يعني أن هذا السوق كان عامراً قبل هذا التاريخ بزمان، بل ربما كان - حينذاك - في أوج عمارته، وقصة ازدهاره. أي أن هذا التاريخ المذكور ليس تاريخ بدله، وإنما هو دليل على أنه كان موجوداً وعامراً قبله، ربما بزمان ليس بالقصير. أما بعد هذا التاريخ فإن المدة التي عاشها السوق حتى خرابه أو تخريبه في عام ١٩٧هـ/٨١٣م فتقدر بأكثر من ٢٦٧ عاماً، وبذلك فإن سوق حباشة يعد من أقدم الأسواق الموسمية العربية في منطقة مكة المكرمة، ومن أطولها عمراً، ومن أجدها بالطاقة، ويعودته إلى الحياة كما سياتي.

### سوق حَبَاشَة والعُمرة الرَّجبية:

من الثابت أن سوق حَبَاشَة كانت تعقد في شهر رجب من كل عام، وأن هذا الشهر من الأشهر الحرم التي كانت العرب تحرم فيها الاحتفال، وأن شأته في ذلك شأن أشهر الحج التي كانت تتعقد فيها الأسواق الثلاثة السابقة، وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز. فما علاقة موعد انعقاد سوق حَبَاشَة، في هذا الشهر، بالعمره الرجبية التي كانت موسماً من مواسم أهل مكة في جاهليتهم وإسلامهم؟ وقيل الإجابة على هذا السؤال: تجدر الإشارة إلى أن العرب في الجاهلية كانت تحرم العمره في أشهر الحج، وهي شوال والقعدة والحجة، وربما في شهر المحرم الذي يتوفاها كذلك، وكانت تقول: إذا برا الذير، وعلى الوير، ونخل صفر، حلت الغزرة لمن أعتمر<sup>(٢١)</sup>.

أي أن العمره كانت تحل عند العرب في الجاهلية بدءاً من شهر صفر، وربما كان شهر رجب من أكثر الشهور تفضيلاً للعمره عندهم. أما عند أهل مكة والجهات المتصلة بها، فهو موسم عظيم لهم في جاهليتهم وإسلامهم، يقول ابن جبير: «وهذا الشهر المبارك (شهر رجب) عند أهل مكة موسم من المواسم العظيمة، وهو أكبر أعيادهم، ولم يزالوا على ذلك قديماً وحديثاً يتوارثونه خلفاً عن سلف متصلاً ميراث ذلك إلى الجاهلية؛ لأنهم كانوا يسمونه منضم الأُسنة. وهو أحد الأشهر الحرم<sup>(٢٢)</sup>. ثم استمر الاعتمر في رجب متصلاً في الإسلام، وكانوا يسمون العمره فيه باسم العمره الرجبية. وكانت عند أهل مكة موسماً عظيماً يضاهي موسم الحج. يقول ابن جبير: والعمره الرجبية عندهم أخت الوقفة العرفية، لأنهم يحتفلون لها الاحتفال الذي لم يسمع بمثله، ويبدل إليها أهل الجهات المتصلة بها، فيجتمع لها خلق عظيم لا يحصيهم إلا الله عز وجل<sup>(٢٣)</sup>. ويقول عنها ابن بطوطة: «وأهل مكة يحتفلون لعمره رجب الاحتفال الذي لا يهد منه، وهي متصلة ليلاً نهاراً، وأوقات الشهر كله مصورة بالعبادة، وخصوصاً أول يوم منه، ويوم خمسة عشر والسابع والعشرين، فإنهم يستعدون قبل ذلك بأيام<sup>(٢٤)</sup>».

ويقلب على الظن أن هذه العمره الرجبية، المهمة في الجاهلية والإسلام، التي كان يحرص عليها أهل مكة، وأهل الجهات المتصلة بها، حتى إنهم - على ما يذكر ابن جبير - كانوا يعدونها موسماً يضاهي الوقفة بعرفة على<sup>(٢٥)</sup>. فمن المحتمل، والحالة هذه، أن لموسم سوق حَبَاشَة صلة بها، وأنه كان محطة من محطاتها، كما هو الحال بالنسبة للأسواق الثلاثة الموسمية الأخرى، من أسواق منطقة مكة المكرمة، التي كانت في واقع الأمر محطات ثلاث متتالية، من المحطات التي تمضي الحج إلى مكة المكرمة، وتتصل به، وتفضي إليه. فسوق حَبَاشَة يعقد في الأول من رجب، ويستمر ثلاثة أيام أو ثمانية منه، ويقدم إليه المعتمرين خلالها من السراة وتهامة واليمن، فيرتاحون فيه من عناء السفر، ويرتاح مطاياهم، ويزودون منه بمؤونة الطريق، ويجلب إليه الجالبون بضائعهم، ويشتري منه الشارون ما يجلبونه إلى مكة من بضائع نبيها في موسم العمره الرجبية، ذلك الموسم الذي يشهد فيه سوق مكة رواجاً لا يقل عن رواجه في موسم الحج. فإذا صح هذا التقدير فإنه يجب على السؤال الذي سبق طرحه من قبل، وهو: ما صلة موعد انعقاد سوق حَبَاشَة في هذا الشهر بالعمره الرجبية التي كانت كانت موسماً من مواسم أهل مكة.... الخ؟ فالعمره الرجبية في مكة تتعقد في كل أيام رجب، ولكن

أكدما في ثلاثة أيام منه، هي اليوم الأول، واليوم الخامس عشر، واليوم السابع والعشرين، على حد قول ابن بطوطة<sup>(١١)</sup>. وهذا اليوم الأخير يضاف نكراً ليلة الإسراء والمعراج، بحسب العرف السائد في بعض الأقاليم الجنوبية، وغالباً ما تكون عمرة أهالي جنوب مكة في اليومين الأخيرين المشار إليهما، وهما ١٥، ٢٧ من رجب، بل إن شهر رجب عندهم موسم مهم لزيارة المدينة المنورة، والصلاة في مسجد النبي، صلى الله عليه وسلم. وقد أدركت هذا التقليد في صفري، ولأزلت أذكر أن العمرة في رجب، ثم زيارة المدينة المنورة في هذا الشهر؛ تعد من أهم القرابات، ولا يقدر عليهما إلا من كان ذا حظ عظيم وعزيمة قوية.

ويفسر هذا القول ما تتحدث عنه بعض المصادر عن يسمونهم: "السرو المالرين" أي الذين يجلبون الميرة إلى مكة من أهل المراة وما حولها، فهم يوصفون بأنهم قوم أشداء فصحاء، يجلبون إلى مكة أصنافاً شتى من منتوجات ديارهم، التي يعتمد عليها المكبون والمجاورون والمعتمرون في غذائهم : يقول ابن جبير : "ومن لطيف صنع الله عز وجل، .... أن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة باليمن تعرف بالمراة .... يستطيعون للوصول إلى هذه البئدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجمعون بين النية في العمرة، وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب إلى اللوبيا التي ما دونها، ويجلبون السمن والنسل والزبيب واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والإمام وثفاكهة ، ويصنون في آلاف من العدد رجلاً وجماًلاً مؤقراً بجميع ما ذكر. فيرغدون معاش أهل البلد والمجاورين فيه، يتقوتون ويشترون، وترخص الأسعار ، وتعم المرافق . فيعد الناس منها ما يكفيهم لعامهم إلى ميرة أخرى. وأولاً هذه الميرة لكان أهل مكة في شظف من العيش"<sup>(١٢)</sup>. ويقول عنهم ابن الجاور : "لإذا دخلوا مكة ملأوها خبزاً من الحنطة والشعير، والسويق والسمن والعسل والذرة والدخن واللوز والزبيب وما يشابه ذلك"<sup>(١٣)</sup>. وأخيراً نختم بقول ابن بطوطة: "وأهل البلاد الموالية لمكة مثل بجيلة وزهران وغامد يهابرون لحضور عمرة رجب، ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة، ويرغد عيش أهلها"<sup>(١٤)</sup>.

وعلى الرغم من أن بلاد بجيلة وغامد وزهران، هي دون موقع سوق حباشة، مما يلي مكة المكرمة، وأن بعض منتوجاتها ربما كانت تجلب مباشرة منها إلى مكة، فبقنا لا ينبغي أن نغفل دور باقي أقاليم السراة، ولا دور أهلها الواقعة ديارهم إلى الجنوب من السوق، وهي ديار أوسع من ديار بجيلة وغامد وزهران، وخيراتها أكثر، وصلتها بالسوق قوية، لأنها تقع في تهامتهم، وفي طريقهم إلى مكة المكرمة، فضلاً عن مجلوبات أهل اليمن إلى سوق حباشة، ثم منها إلى مكة المكرمة، ومن أمثلتها البز، المشار إليه سابقاً. والبز كلمة جامعة شاملة لمختلف أنواع الثياب التي كانت تسمج وتصبغ في اليمن، وخصوصاً في تهامتها، لأن تهامة، المنسوب إليه هذا البز، ليست ما يعرف بتهامة الشام أو تهامة عمير، وإنما هي تهامة اليمن التي اشتهرت بهذه الصناعة حتى عهد ليس بالبعيد، ويصورة خاصة مدينتي زيد وبيت الفقيه<sup>(١٥)</sup>. ومن هنا ينبغي ألا نغفل دور سوق حباشة في إمداد سوق مكة بكثير مما يجلب إليه ويشتري

منه، من منتوجات السراة واليمن، وخصوصاً في مواسم العصرة ومنها موسم العصرة الرجبية؛ التي نعتقد أن هذه السوق محطة من المحطات المفضية إليها في مكة المكرمة.

يتضح مما سبق: أن مكة المكرمة كانت منطقة أسواق موسمية قديمة، وأن منها ما ارتبط بالحج، وهي سوق عكاظ ومجنة وذو المجاز، ومنها ما ارتبط بالعصرة الرجبية، وهو سوق حباشة، وأن هذه الأسواق متقاربة في وظائفها من حيث: المجلويات وحركات البيع والشراء، ومن حيث: الأغراض الأخرى المتمثلة في المعاجزات والتفاضل وفداء الأسرى، وتبادلهم، وطلب الثار وغيره. كما يتضح أن هذه الأسواق الأربعة؛ كلها عمرت مدداً طويلة منذ ما قبل الإسلام، فبعد الخلافة الراشدة، فالعصر الأموي، ثم إلى الشطر الأعظم من العصر العباسي الأول. ولأهمية إعادة إحياء هذه الأسواق، بوصفها موروثاً حضارياً وتاريخياً وثقافياً - أجد لزماً علي في نهاية هذه الورقة المتواضعة: طرح التوصيات الآتية:

#### التوصيات:

- ١- تحديد أمكنة هذه الأسواق، وإحاطتها بأسوار من قبل الهيئة العامة للمساحة والآثار، بوصفها أمكنة تاريخية وتراثية، وقد تكون بها معطيات أثرية مدفونة وبخاصة، وخصوصاً موقعي سوق مجنة وسوق حباشة، لأن سوق عكاظ أصبح مظلوم المكان، وسوق ذي المجاز في منى التي يصعب إجراء أي نشاط فيها، في الوقت الحاضر، غير ما تختص به من المبيت بها في أيام الحج، فضلاً عما جرى فيها من شق الطرق، وبناء الجسور والأنفاق، وبعض المرافق والقيام بما يكون قد غطي، عبر التاريخ، على أي أثر لسوق قديم فيها، غير سوقها التي تنشط في يوم التروية، وفي أيام التشريق الثلاثة التي تعقب الوقفة بعرفة.
- ٢- تشجيع الدراسات والبحوث حول نشاط هذه الأسواق، باستخدام مختلف المناهج والأساليب والأنواع المؤدية إلى زيادة معلوماتنا عن هذه الأسواق، وإلى تقدم المعرفة الإنسانية بها.
- ٣- توثيق التراث التقليدي في البيئة المحيطة بهذه الأسواق، وخصوصاً سوق حباشة على أن يشمل التوثيق: الأسواق الوعدي المنتشرة في محيط السوق، ومعرفة جميع المجلويات إليها، وما يباع فيها ويشتري قديماً وحديثاً، وإجراء مقابلات، مع كبار السن، لمعرفة الصورة التي كانت عليها تلك الأسواق قبل الطفرة الحديثة، وكذلك معرفة القوانين والأعراف القبلية التي كانت سائدة بخصوصها.
- ٤- إعادة إحياء هذه الأسواق، وتفعيل نشاطها التجاري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وتجربتها في سوق عكاظ تجريباً ناجحة، وهي في سبيلها إلى التطور والتقدم والارتقاء كل عام. ومن منطلق هذه التجربة الناجحة في سوق عكاظ؛ يتعين علينا النظر في تطبيقها على الأسواق الثلاثة الباقية، وهي مجنة وذو المجاز وحباشة، وإنما بدرجات متفاوتة، خصوصاً إذا أخذنا في الحسبان: تشابه طبيعة هذه الأسواق بسوق عكاظ، وقرب أزمان انعقادها، وطبيعة مرتاديها، وبواقعهم من ارتيادها وهكذا، فإذا نظرنا إلى كل هذه العوامل مجتمعة؛ فإننا نلاحظ أن سوق مجنة وذو المجاز هما نسخة من سوق عكاظ، مع فارق الشهرة التي تميز سوق عكاظ

عن الموقنين الباقين، فهما يعقدان على التوالي بعد سوق عكاظ، وفي موسم واحد هو موسم الحج، ودائرة واحدة مسافتها غير متباعدة ، ومعظم مرتاديها من الحجاج الذين في سبيلهم إلى تلبية شعائر حجهم إلى مكة المكرمة . في ظل هذا التشابه، والتقارب في الزمان والمكان والأهداف والغايات فإن مهرجان سوق عكاظ يقى عن الموقنين الباقيتين، وخصوصاً ذي المجاز، لأنه في منى، وفي شهر ذي الحجة، ومنى كلها سوق، والكل مُنتظر في خدمة الحجيج والسهر على راحتهم.

أما سوق حباشة، فأولى بأن تعود إليه الحياة، وأن يقام على أرضه مهرجان سنوي ذو أغراض متعددة، تأتي الثقافة على رأسها، وذلك لعدة اعتبارات منها.

(أ) أنه كان يعقد في الأسبوع الأول من شهر رجب، متزامناً مع موسم الصرة الرجبية التي سبق ذكرها.

(ب) أن سوق حباشة بعيد زماً ومكاناً عن سوق عكاظ والموقنين التاليين له (مجنة وذو المجاز) من حيث موضعه وزمن انعقاده، فالفارق بينهما في الزمان حوالي ٥ أشهر، وفي المكان أكثر من ٣٠٠ كيلومتراً إلى الجنوب الغربي. واختيار شهر رجب تاريخاً لانعقاده كل عام سيكون اختياراً موفقاً -دون شك- لأن شهر رجب يقع في منتصف السنة تقريباً، والفارق الزمني بينه وبين تاريخ انعقاد مهرجان سوق عكاظ، حوالي أربعة أشهر، إذا أخذنا في الحسبان أن مهرجان سوق عكاظ يعقد في شهر شوال من كل عام، وهو ما استقر عليه الرأي حتى الآن.

(ج) يمثل موقع سوق حباشة الكفة الثانية لميزان إشارة المنطقة، في مقابل الكفة الأولى التي يمثلها موقع سوق عكاظ، فضلاً عما لمحيط السوق وبيئته من تراث معيّن؛ يجمع بين ثقافة تهامة والسرّة، وبين جنوب الحجاز، ومنطقتي عسير والباحة.

(د) ارتبط السوق بحدثين تاريخيين مهمين: أحدهما ديني، ويتمثل في ما سبقت الإشارة إليه من حضور النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى سوق حباشة في تجارة للسيدة خديجة رضي الله عنها. والثاني ثقافي، وهو ما كان سبباً في تأليف واحد من أهم المعاليم الجغرافية؛ الذي لا يمتنقى عنه أي باحث أو دارس على مدى تاريخه، وحتى عصر الناس هذا، ذلك هو: معجم البلدان لياقوت، الذي يسرد قصه تأليفه بقوله: "وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتاب، أنني سئلت بمرؤ الشاهجان في سنة خمس عشرة وستمئة في مجلس شيخنا الإمام المسعود الشهدى فخر الدين أبي المظفر عبدالرحيم ابن الإمام الحافظ تاج الإسلام أبي سعد عبدالكريم المسعدي تفقدتهما الله برحمته ورضوانه... عن حباشة بضم الحاء، قرياساً على أصل هذه اللفظة في اللغة، لأن الحباشة: الجماعة من الناس من قبلت شئ، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً . فاتبرئ لي رجل من المحذنين ، وقال : إنما هو حباشة بالفتح. وصمّم على ذلك وكابر، وجاهر بالبعد من غير حجة وناظر، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا مغول في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل، فاستعصى كشفه في كتب غرائب الأحاديث وداووين اللغات مع سعة الكتب التي كانت يمرّ يومئذ، وكثرة وجودها في الوقوف، وسهولة تناولها، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء تلك الشعب والمراء، وباسم من وجوده يبحث واقتراء، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته، ومكيداً بالصاع

الذي كلته، فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً، وبالاتفاق وتصحيح الألفاظ مخطوطاً، ليكون في مثل هذه القنمة هادياً، وإلى ضوء الصواب داعياً، ونُبّهت على هذه القضية النبيلة، وشرح صدرى لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون، ولم يهتد لها الغابرون<sup>(١٦)</sup>.

كل هذه الأسباب والعوامل التاريخية والجغرافية، والموروث الحضاري والتراثي والثقافي، وظروف الزمان والمكان، تجعلني أتقدم من على هذا المنبر باقتراح: إحياء سوق حباشة ببلاد بالحارث القرنية بمحافظة القنفذة، وإقامة مهرجان ثقافي تراثي يحمل اسمه في شهر رجب من كل عام.



## الإحالات والمصادر والمراجع

- (١) ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (بيروت: دار لسان العرب، د. ت)، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط (١)، (بيروت: دار الملايين، ١٩٧١م)، ج ٧، ص ٣٦٥.
- (٣) الآية ٢٠ من سورة الفرقان.
- (٤) الآية ٧ من سورة الفرقان.
- (٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٤٢.
- (٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٨) السهوي، نور الدين علي بن أحمد المصري، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط ٣، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ج ٢، ص ٧٤٨.
- (٩) الألفهاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط ٢، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، ص ٢٨٩، ٣٤٣.
- (١٠) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج ١، ص ٥٩٨.
- (١١) ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، ج ٥، ص ٥٩.
- (١٢) الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحم، ط ٢، (مكة المكرمة: مطابع مكة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، ج ١، ص ١٩٠.
- (١٣) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، د. ت)، ج ٢، ص ١١٨٧.
- (١٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٩.
- (١٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغوام بأخبار البلاد الحرام، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ج ٢، ص ٤٥٣.
- (١٦) الفاسي، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (١٧) اللحياني، البدر بن منير، سوق مجنة في عصره الجاهلي والإسلامي، في ندوة الآثار في المملكة العربية السعودية، (الرياض: وزارة المعارف، ١٤٢٢هـ)، ج ٢، ص ٤٢٣.
- (١٨) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢، ص ١١٨٧.
- (١٩) اللحياني، سوق مجنة، ص ٤٢٣.
- (٢٠) اللحياني، المرجع نفسه، ص ٤٢٤.
- (٢١) اللحياني، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (٢٢) الألفهاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥.

- (٢٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٩.
- (٢٤) الألفاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥.
- (٢٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٥٥؛ الألفاني، أسواق العرب، ص ٣٤٧.
- (٢٦) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ١١٨٥.
- (٢٧) الألفاني، أسواق العرب، ص ٣٤٧.
- (٢٨) الألفاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٢٩) الألفاني، المرجع نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٠) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٥٠.
- (٣١) الألفاني، أسواق العرب، ص ٣٤٨.
- (٣٢) الألفاني، المرجع نفسه، ص ٣٤٩.
- (٣٣) الألفاني، المرجع نفسه، ص ٣٤٩-٣٥٢.
- (٣٤) ابن حبيب، أبو جعفر محمد الهاشمي البغدادي، كتاب المحبر، تحقيق ايلزه ليختن شتير، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.) ص ٢٦٧؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٥٠.
- (٣٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٩٠؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص ٤٥١.
- (٣٦) جواد علي، المفصل في تاريخ الإسلام، ج٧، ص ٣٧٥-٣٧٦.
- (٣٧) ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص ٥٠٢.
- (٣٨) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "حباشة"، في حوليات سوق حباشة، (إيها النادي الأدبي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٣٩.
- (٣٩) أخبار مكة، ج١، ص ٢٩١.
- (٤٠) معجم ما استعجم، ج١، ص ٤١٨.
- (٤١) معجم البلدان، ج٢، ص ٢١٠-٢١١.
- (٤٢) الأوصام: لا تعرف قبيلة بهذا الاسم في سائر الامتداد الجغرافي المذكور في النص، لا قديماً ولا حديثاً، في حدود علمي، وقد ظننته تصحيفاً تنبته في ألفاظ كثيرة قريبة لرسم الكلمة. فلم أجد أي دلالة له على قبيلة، أو على وصف جغرافي لطبيعة المكان. إلا أن هناك من الباحثين من يعدّه تحريفاً لاسم (الأواس) القبيلة الأزدية التي تقع هذه السوق في ديارها. انظر: الفقيه، "حباشة"، ص ٣٩.
- (٤٣) الفقيه، حسن بن إبراهيم، "ابن يقع سوق حباشة؟"، في حوليات سوق حباشة، ط١، (الناشر ومكان النشر لم يذكرن، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، العدد ١٥، السنة ١٥، ص ٢٢.
- (٤٤) الفقيه، المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٣.
- (٤٥) أبوداهش، حوليات سوق حباشة، ص ٣٨-٣٩. في مهاتفة بيني وبين الأستاذ عبدالله الرزقي أكد لي مكان السوق، وحدد المسافة بينه وبين قرية الفانجة التي ويسمى إليها سوق ربوع الفانجة المشهور، بحوالي خمسة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي عن الفانجة في المكان المذكور في النص، ولجدي مديناً للأستاذ الرزقي في كثير من المعلومات، وتفسير بعض الظواهر الجغرافية والآثارية للمحيط بالسوق، ف شكرته من الأعماق مع صادق الدعوات له بالأجر والثواب، والتوفيق والسداد.

- (٤٦) أبو داهش، حوليات سوق حياشة، ع ١٥٠، ص ٤٠.
- (٤٧) الفقيه، أين يقع سوق حياشة؟، ص ٢٢.
- (٤٨) أخبار مكة، ج ١/ ص ١٩٢ شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٤٩) معجم ما استمعهم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٠) الأزرقى، أخبار مكة، ص ١٩٢.
- (٥١) معجم ما استمعهم، ج ١، ص ٤١٨.
- (٥٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٣) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤٥٢.
- (٥٤) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج ٢١، ص ١٩٠-١٩١.
- (٥٥) الزركني، خير الدين، الأعلام، ط ٣، ج ٥، ص ٢٥٨ أبو داهش، حوليات سوق حياشة، ع ١٥٠، ٩١.
- (٥٦) الأزرقى، أخبار مكة، ج ١، ص ١٩٢. ومعنى النص: أنه إذا برأ دير الإبل التي كانوا شهدوا الموسم وحجوا عليها، وعلا ويرف. أما في الإسلام فإن الرسول صلى عليه وسلم أبطل هذا التقليد الجاهلي، وغزواته التي أذاها في حينه كانت كلها في ذي القعدة وهي: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وبعثته من الجعرانة، وأرسل زوجته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مع أخيها عبدالرحمن ليلة الحصبة فاعتمرت من التعميم وهكذا انظر الأزرقى، المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٥٧) أبو الحسين محمد، أحمد الكشاني، رحلة ابن جبير، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٠٦.
- (٥٨) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- (٥٩) أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي، رحلة ابن بطوطة، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص ١٦٣.
- (٦٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٠٦.
- (٦١) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ١٦٣.
- (٦٢) رحلة ابن جبير، ص ١١٠.
- (٦٣) جمال الدين، أبو الفتوح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن المسماة: تاريخ المستنصر، تحقيق أو سكر لوفجرين، (لندن: مطبعة بريل، ١٩٥١م)، ص ٢٧.
- (٦٤) رحلة ابن بطوطة، ١٦٤.
- (٦٥) المقلفي، إبراهيم أحمد؛ معجم البلدان والقبائل اليمنية، (صنعاء: دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج ١، ص ٧٣٤، ج ٢، ص ١٢٢١.
- (٦٦) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٠.

## علاقة الهند بجنوب الجزيرة العربية من القرن الأول إلي الثالث الميلادي

د. أماني خليفة محمد البحر (\*)

### فائمة الاختصارات

#### أولاً المختصرات العربية

أ- مختصرات الكلمات

ت تحقيق

ج جزء

دث دون تاريخ

دن دون دار نشر

دم دون مكان نشر

دط دون سنة طبع

ق.م قبل الميلاد

م ميلادي

#### ثانياً المختصرات غير العربية

أ- مختصرات الكلمات

Book BK

Introduction Intr.

Translated Trans

Volume Vol

ب- مختصرات الدوريات

Bulletin of the American Schools of Oriental Research BASOR

The Cambridge Ancient History CAH

The Cambridge History of Islam CHI

(\*) أستاذ مساعد بكلية الآداب للينبات - جامعة الدمام.

ظهرت المناطق الحضارية في جنوب شبه الجزيرة العربية مع نهاية النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، واكتسبت صفات خاصة بها، وأخرى ورثت إليها من غيرها من المناطق التي كانت ترتبط معها بعلاقات تجارية، وثقافية، أو حدثت تبادل فيما بينهم. وفي هذا البحث سوف نسلط الضوء على علاقة اليمن بإحدى أهم هذه المناطق الحضارية وهي الهند التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية نشطة منذ أقدم العصور لما تمتعت به الهند من موقع متميز بين الشرق الأقصى والشرق الأوسط لذلك تاجر معها أهل جنوب الجزيرة العربية بعد أن اكتشفوا سر الرياح الموسمية التي شجعهم على تنظيم رحلات تجارية بحرية عديدة بين اليمن والهند<sup>(١)</sup>.

تقع شبه جزيرة العرب في القسم الجنوبي من القارة الآسيوية وهي أقصى منطقة من هذه القارة في هذا الاتجاه، وتحدها مياه البحار من الشرق والجنوب والغرب، ليضم الجزيرة العربية قلب المشرق العربي لما كانت له من اتصالات قوية بالأقاليم المجاورة له منذ القدم<sup>(٢)</sup>. مما جعلها تتمتع بموقع استراتيجي، جغرافي، تمر به أقصر الطرق التجارية، من أغنى أقاليم العالم القديم، بفضل عمليات التبادل التجاري، البرية والبحرية التي برع عرب الجنوب في مزاولتها، وذلك يحكم موقع بلادهم على البحر الأحمر من الجهة الغربية، والمحيط الهندي، والخليج الفارسي من الشرق<sup>(٣)</sup>.

وبصورة أكثر تفصيلاً فقد هيئ لها موقعها الجغرافي الفرصة الكبرى لتطور الملاحة على شواطئ شبه الجزيرة العربية، فهي تمر بقط ساحلي بالغ الطول من ثلاث جهات، يدور من خليج السويس إلى رأس الخليج العربي.

وتمر بالقرب من هذه الموانئ، أخصب بقاع الجزيرة العربية، وهي اليمن وحضرموت وعمان، ولم يكن الاتصال بينهما بحراً منذ هولا من عبور الصحراء والجبال التي تتصل بها برأ. وكانت التجارة مع البلاد المجاورة تجد حافزاً إلى الغرب في الشواطئ الطويلة التي تبحر بها شمال افريقية الشرقي، وحافزاً إلى الشمال الشرقي في شواطئ فارس. وهذه الشواطئ وتلك تمتد محاذيه للشواطئ الغربي وهي غير بعيدة عنه مما هيئ للعرب اليمنيين سهولة الاتصال عبر المياه المطلقة في البحر الأحمر، والخليج العربي بأهم مراكز التجارة العالمية آنذاك كشمال أفريقيا ومصر وفارس والهند<sup>(٤)</sup>.

وأخيراً وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي، أصبحت الملاحة في المحيط الهندي في قبضة اليمنيين، والهند على حد سواء دون منازع في تلك القرون الثلاثة الأولى للميلاد<sup>(٥)</sup>.

ولكي نكون أكثر تحديداً في حديثنا عن العلاقات التجارية لجنوب الجزيرة العربية بالهند فلا بد أن نشير إلى اليمن<sup>(٦)</sup> والتي تقع في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ويتخللها العديد من المناطق السهلية أو الساحلية المطلّة على عدن. أطلق عليها اسم العربية السعيدة Arabia Felix، وذلك لشدة ثرائها وخصوبة تربتها وأرضها<sup>(٧)</sup>.

فهي تقريباً الجزء الوحيد من شبه الجزيرة العربية الذي يتوفر فيه الأمطار مما أدى إلى الزراعة المنظمة أو المطردة بها، فضلاً عما كان لموقعها الجغرافي المؤدي إلى الهند وبفضل منتجاتها التي تستهوي الأسواق في البلدان في العالم القديم كالتيخور والأفاويه والبهارات، وأصبح

العرب اليمينيون الجنوبيون من أبرع وأغنى التجار<sup>(٨)</sup>.

ويفضل هذا الموقع الاستراتيجي لليمن أصبحت أكبر سوقاً تجاري لتبادل السلع والبضائع الهامة، كما أصبح حلقة وصل تجارية هامة بين كلاً من الهند والحبشة، وشرق وشمال أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا<sup>(٩)</sup>.

وبناءً على ذلك ظهرت في اليمن العديد من المراكز التجارية، واهتمت بشكل كبير بالطرق البرية والبحرية على حد سواء، وكانوا ينقلون البضائع إلى الأمم المجاورة لهم<sup>(١٠)</sup>. فازدهرت التجارة اليمنية وزادت ثروات الشعب اليمني الذي تمتع بقدر كبير من الرخاء المادي، والنموذ السياسي الذي أعطى للمنطقة وضعاً مسطوراً داخل شبه الجزيرة العربية على نطاق واسع وهذا ما يؤكد لنا سفر الملوك<sup>(١١)</sup>.

استقرت الدول اليمنية التجارية الجديدة في جنوب الجزيرة العربية وألفت حياة التوطن وعملت في التجارة والزراعة مثل زراعة البخور والتوابل والذي أخذوا يتاجرون به مع العديد من دول العالم القديم مثل الهند - كما سيرد بالتفصيل -<sup>(١٢)</sup>.

وأصبح لأهل اليمن صيت ذائع في الشؤون التجارية لأن قوافلهم التجارية سواء البرية أو البحرية أخذت تتردد وبكثرة في أسواق التجارة الدولية<sup>(١٣)</sup> نستخلص هذا من النصوص الواردة في سفر أشعيا وحزقيال الذين قالوا بأن أهل سبا كانوا من أعظم تجار الشرق الأدنى القديم وأغناهم<sup>(١٤)</sup>.

لمن البديهي أن عرب اليمن الجنوبيين قد كسبوا مكاسب هائلة من هذه السلع التي كانوا يتاجرون بها ويشير بليني Pliny<sup>(١٥)</sup> إلى الحجم الهائل التي كانت تستورده الإمبراطورية الرومانية من شبه الجزيرة العربية فقال (إن الهند والصين وشبه الجزيرة العربية تأخذ منا كل عام مليون شركة) ثم ينتقل للحديث عن ثروات العرب الجنوبيين فيقول عنهم «في عمومهم أغنى أجناس العالم لأن ثروات واسعة تجتمع في أيديهم من روما لقاء ما يبيعونه لنا سواء من نجاج البحر (يقصد اللاكث) أو من غاباتهم (يقصد الطيوب) دون أن يشتروا منا شيئاً مقابل ذلك»<sup>(١٦)</sup>.

غني عن البيان أن نقطة الوساطة في طريق التجارة بين الإمبراطورية الرومانية والهند كانت تشغلها السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يدل على أن روما لم تكن قد وضعت المنطقة بعد تحت نفوذها، ولم تكن قد حصلت على تسهيلات تجارية كبيرة في موانئها<sup>(١٧)</sup>.

وفي هذه الفترة كانت الدولة الحميرية<sup>(١٨)</sup> قد ظهرت في اليمن جنوب شبه الجزيرة العربية (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م) وكانت هي المسيطرة على التجارة البحرية مع الهند، وكان التجار العرب يقومون بدور الوسيط التجاري بين التجار المصريين وزملائهم في الهند<sup>(١٩)</sup>.

إن توسط بلاد اليمن بين أمم العالم القديم جعلها واسطة التجارة بينهم فكان بينها وبين الهند علاقات تجارية وكان للهنود محصولات ومصنوعات يحتاج إليها كلاً من المصريين<sup>(٢٠)</sup> والآشوريين<sup>(٢١)</sup>.

والغنيين<sup>(٢٢)</sup> وغيرهم فكان اليمنيون ينقلون هذه المواد إلى تلك الأمم في سفن البحر أو في قوافل البر، وكان على شواطئ اليمن فرض وموانئ ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو

وادي اللوات (٢٣).

ومن ثم نشط العرب اليمنيون في التجارة والوساطة بين الأمم المعاصرة لهم وأخذت سواحلهم تلعب دوراً تجارياً هاماً آنذاك (٢٤) هذه الوساطة التي لغت نظر بعض المؤرخين الكلاسيكيين أمثال بليني ومؤلف كتاب الطواف بريبنس. فتحدثوا باستفاضة عن الثراء اليمني وبالتحديد السبئي والحميري من جراء تملك الوساطة التجارية (٢٥).

إذا فجميع الشواهد تؤكد أن دول جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن السعيدة) كانت في هذه الفترة مركزاً للتجارة الدولية بين الهند وغيرها من دول العالم القديم (٢٦). وإن العرب استمروا في لعب دور الوسيط التجاري بين الأمم واستمروا في نقل السلع الهندية التي كانوا يتاجرون فيها مع سلع بلادهم التي ينتجونها مثل اللبان والمر (٢٧). الذين أخذوا يتاجرون بها على طول الطرق البرية على ساحل البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال واستمر هذا الدور المزدهر الذي كانت بلاد اليمن السعيدة تلعب رداً طويلاً من الدهر (٢٨).

ومما يجب الإشارة إليه هنا مدى حاجة شعب الإمبراطورية الرومانية لتلك السلع التي أطلق عليها بليني مصطلح (سلع الرفاهية الشرقية) والتي كانت عادةً تكلف الخزائنة الرومانية مبالغ طائلة من المال لدرجة أن الإمبراطور تيريوس ١٤ - ٣٧ م Tiberius أبدى ثغره من ثروات الرومان التي كانت تنقل إلى اسم عربية من خلال الملابس والمجوهرات النصفالية والرجالية الباهظة الثمن (٢٩).

وبالإضافة إلى سلع الرفاهية الشرقية تلك كان هناك الطيب والبخور وهو أحد صادرات اليمن للإمبراطورية الرومانية والعالم القديم. وبطعم مدى أهمية البخور والذي كان يزونه بميزان الذهب، ويشعلونه في جميع المناسبات الدينية أو الجنائزية أو الأفراح لذا فهو يعتبر على رأس هرم الواردات الرومانية من اليمن والتي كانت تدفع لأجله الأموال الطائلة (٣٠).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل وقفت الأمم الأخرى والتي كانت تستورد المنتجات العطرية والتوابل مكتوفة الأيدي أمام هذا الاحتكار اليمني لإحدى أهم صادرات العالم القديم ؟ والإجابة بالتأكيد لا لم تقف في مكان المتفرج وتترك مسرح التجارة العالمية في يد العرب اليمنيين ولكنها كانت لها محاولات عديدة كان الغرض منها فرض الحماية أو السيطرة الأجنبية على تلك التجارة والبضائع النفيسة (٣١).

وتأتي محاولة الإسكندر الأكبر (٣٢) على رأس تلك المحاولات فمع بزوغ فجر العصر الهلنستي شهد الخليج العربي تقدم ملحوظ لأسطول الإسكندر الأكبر على موانئه التجارية (٣٣) فلقد عني الإسكندر عبادة قلقة بتنشيط الملاحة في الخليج العربي فستاجر الفينيقيين للملاحة فيه ودخل شواطئه، كما نقل كثيراً من السفن إلى بلاد ما بين النهرين وبين بعض السفن مستعيناً بأشجار السرو وأرسل ثلاث سفن أبحرت جنوباً للاستكشاف، وصلت إحداهن إلى البحرين حيث شاهد رجالها مصائد التونة هناك (٣٤).

وأخيراً قرر الإسكندر إرسال حملة بحرية بقيادة نيرخوس انطلقت من مصب نهر المسند مارة بسواحل ماكران، إلا أن هذا المشروع انتهى ب وفاة الإسكندر عام (٣٢٣ ق.م) وتعطل تدخل الإغريق في تجارة التوابل والعطور لمدة قرنين من الزمن (٣٥).

وعندما تقاسم قادة الإسكندر الأكبر الشرق الأدنى بعد وفاته استقر البطلمية في مصر في أواخر القرن الرابع ق.م واستقر السملوقيين في سوريا، إلا أن البطلمية أرادوا أن يحققوا حلم الإسكندر في السيطرة على هذه التجارة اليمنية وكسر الاحتكار اليمني لها<sup>(٣٧)</sup>. فعملوا على استغلال السواحل الطويلة المطلة على البحر الأحمر إلى أقصى الجنوب وكانت تلك المحاولة البطلمية بهدف السيطرة على تجارة اليمن في عدة مراحل<sup>(٣٨)</sup>. أسفرت هذه المراحل الاستعمارية عن بدء رحلة منظمة للسفن البطلمية منذ عام ١٢٠ - ١١٠ ق.م إلا أن ويسيب الغوضى والتدهور السياسي الذي حل بأركان الدولة البطلمية أواخر عصر ملوكها توقفت إلى حد ما تلك التجارة<sup>(٣٩)</sup>.

وبدأت الإمبراطورية الرومانية تخرج على مسرح الأحداث السياسية والتي تعتبر منافس أشد خطراً منهم، يمثل هذا النفوذ الروماني واضحاً في عصر الإمبراطور أغسطس Augustus (٢٧ ق.م - ١٤ م) الذي أصبح يسيطر على أغلب مناطق العالم القديم لكون منازع منذ أواخر القرن الأول ق.م، ولم يكتفي أغسطس بالنشاط العادي الذي يقوم به أعوانه من الإغريق في تجارة الهند والبحر الأحمر، إنما أراد أن يقضي على العرب اليمنيين ويكسر احتكارهم وسيطرتهم على تجارة التوابل والعطور تماماً، ويحولهم للعمل في خدمة الإمبراطورية الرومانية<sup>(٤٠)</sup>.

فعمل على حث المصريين على تنظيف القوات النيلية في زمنه وبذلت الجهود لإتاحة التجارة في البحر الأحمر، ووضعت حاميات مسلحة على السفن التي تمر في ذلك البحر، واستمر هذا الوضع فترة من الزمن، استخدم في سبيل تحقيقه كل الأساليب العسكرية المتطورة آنذاك وظهرت سلسلة من التحصينات الرومانية في جميع أنحاء البحر الأحمر من الشمال إلى شمال الحجاز كل ذلك بغرض فرض السيطرة على طرف التوابل والعطور الثمينة<sup>(٤١)</sup>.

ومما ساعد على زيادة حركة القرصنة تلك الشعب المرجانية التي كانت منتشرة على طول سواحل البحر الأحمر، ناهيك عن خلو البحر آنذاك من الموانئ الصالحة أو بالكاد يتوفر المنجأ الآمن للبحارة من أخطار العواصف أو من هجوم القراصنة الجياع<sup>(٤٢)</sup>.

وكانت الصورة البراقة المشرقة التي أشاعها الرحالة والمؤرخون الإغريق والرومان في عالمهم الغربي عن ثراء بلاد العرب هي الحافز فيما بعد لحكام الرومان على محاولة التدخل في بلاد اليمن ومما قاله استرابون<sup>(٤٣)</sup> «أن السبيليين كانوا من أكثر القبائل ثراء نتيجة لتجاريتهم في المواد العطرية ولهذا توفرت لديهم كميات من مصوغات الذهب والفضة كالأسرة والموائد الصغيرة والأواني والكؤوس فضلاً عن قصورهم الرائعة التي كانت أبوابها، وجدرانها، وسقوفها بمختلف الألوان».

وليس من الضروري بطبيعة الحال تصديق هذا التصوير المبالغ فيه ومن المحتمل أنه كان كاذباً لأثره أطماع الرومان الطموحين إلى السيطرة والاستغلال، وهكذا أصدر الإمبراطور أغسطس إلى نائبه الروماني في مصر اليوس جاليوس (Aelius Gallus) بأن كلفه بمهمة إرهاب العرب واحتلال أرضهم<sup>(٤٤)</sup>.

وبناءً عليه جهز جيشاً كثيفاً وانضم إليه عدد من اليهود المخالفين له واتطلعت الحملة الأولى هذه في عام ٢٤ ق.م على متن أسطول كبير ولكنها باءت بالفشل، وفقدت كثيراً من

سفنها ورجالها ولم تحقق الغرض الأساسي الذي خرجت من أجله وهو السيطرة على تجارة الطيوب في اليمن<sup>(٤٥)</sup>.

ولم تكن تلك الحملة الأولى والأخيرة التي أرسلتها الإمبراطورية الرومانية إلى اليمن، ولكن تلتها حملة أخرى أرسلها الإمبراطور أغسطس أيضاً عن طريق البحر في وقت لاحق (ربما بعد عشرين عاماً) إلى هذه المنطقة تحت قيادة ابنه بالتبني جايوس قيصر Gaius Caesar ولكن يبدو أن هذه الحملة لم تستغرق وقتاً أو جهداً كبيراً إذ يذكر لنا بليني أن القائد لم يفعل أكثر من إلقاء نظرة سريعة على بلاد العرب ثم رحل عنها<sup>(٤٦)</sup>.

ولما عجز الرومان عن تحقيق ما يصبون إليه من الإشراف على الموانئ العربية بالقوة، بدلوا في استعمال الطرق الدبلوماسية فأخذت تحالف ملوك اليمن، فحالفت ملك ظفار الحميري على شرط أن يكون ذلك التحالف مقرون بوجود حامية عسكرية رومانية في ميناء عدن<sup>(٤٧)</sup> بعد أن يمر بواسطة القوات الرومانية لأنه كان يشكل تهديداً كبيراً وخطراً واضحاً على مصالح الإمبراطورية الرومانية في البحر الأحمر والخليج العربي على حد سواء<sup>(٤٨)</sup>.

وأخيراً فلقد كان للنشاط التجاري اليمني دوراً خطيراً في إسالة لعاب كل القوى الطامعة فيه مثل الفرس الذين أخذوا بفرض الضرائب الهائلة على البضائع الصادرة إلى الإمبراطورية الرومانية<sup>(٤٩)</sup> فأصبحت الإمبراطورية بين فكي اسد من الجهة الأولى التجار اليمنيين ومن الجهة الأخرى التجار الفرس مما دفعها إلى عقد تحالف مع الحبشة لمهاجمة اليمن والاستيلاء على تجارتها البحرية مع الهند<sup>(٥٠)</sup>.

ارتبطت الهند واليمن بصلات تجارية وحضارية قوية فلقد كانت البضائع الهندية تنقل إلى اليمن بحراً وكذا الحال بالنسبة للبضائع اليمنية، التي كانت تصل إلى الهند، وتباع هناك في الأسواق الهندية الدائمة الطئب لبضائع اليمن<sup>(٥١)</sup>.

لذا حرص التجار اليمن على إنشاء أسطولاً بحري يقدو ويروح بين الهند وجنوب بلاد العرب بأصناف المتاجر، ومختلف أنواع البضائع وكونوا هناك - أي اليمنيين - سلطة ونفوذ دونه كل نفوذ، وقبضوا على زمام التجارة في الهند واحتكروا غلات البلاد - وسوف يرد تفصيل ذلك لاحقاً -<sup>(٥٢)</sup>.

من هنا نستطيع القول بأنه كان للتجار اليمنيين الزعامة والمسلطة في الهند مكنتهم من الاستيلاء على عصب التجارة الهندية<sup>(٥٣)</sup> فاستقروا بها واستوطنوا أرضها وعمرها<sup>(٥٤)</sup>.

وبناءً على ما سبق زادت ثروات الشعبين لدرجة دفعت المؤرخين الكلاسيكيين للحديث عنها ويتوسع مما نفت لها أنظار الدول الاستعمارية الطامعة في الثراء والرفاهية<sup>(٥٥)</sup>. وخصوصاً وإن كلاً من البلدين فرضت ضرائب جمركية على تجارة الترانزيت القادمة من الهند واليمن وإلى غيرها من مناطق العالم المختلفة<sup>(٥٦)</sup>.

والآن نتنقل للحديث عن السبب في ازدهار هذه التجارة الهندية اليمنية، والممر في نجاحها وتطورها هو اكتشاف الرياح الموسمية، فلقد شهدت تلك القرون الثلاثة الأولى نموذجاً للنشاط التجاري العربي اليمني فلقد كانت موانئ اليمن قبله للسلطان القادمة مصر والحبوب من أفريقيا ومن المشرق الهند، وكان اليمنيون والهنود معاً هما أول من تعرف على نظام حركة الرياح الموسمية،

واستفادوا منها في تسيير السفن في الاتجاهين، ونتيجة لذلك زادت أنواع وكميات السلع والبضائع التي كانوا يتاجرون بها<sup>(٩٧)</sup>.

هذا وقد سجل لنا التاريخ حركة بحرية نشطة للتجار اليمنيين احتكروا بها تجارة المحيط الهندي - كما أسلفنا - وذلك لأنهم فهموا وعرفوا كيفية الاستفادة من دورة الرياح الموسمية وحركتها في المحيط الهندي، ففي الصيف تكون اتجاهاتها جنوبية غربية تصل يفتنهم إلى ساحل ملبار الهندي ومع الشتاء تكون فيه اتجاهات الرياح شمالية شرقية وتعود سفنهم وقد تزودت بحمولة كبيرة من سلع متنوعة إلى ساحل شرق أفريقيا وخليج عدن<sup>(٩٨)</sup>.

ويفضل معرفة العرب لتلك الأيام التي تهب فيها الرياح الموسمية وتحديد لهم لأوقات هبوبها فقد عرفوا الأوقات الملائمة لتسيير السفن في المحيط الهندي. ويذكر المسعودي أن الفلاحين العرب كانوا يستعنون في أسفارهم بدليل بحري سموه (رهماني)، حتى أن المسعودي ارتحل به بحراً مع جماعة من التجار إلى المحيط الهندي<sup>(٩٩)</sup>.

وقد حافظ التجار العرب اليمانيين والهنود على سر هذه الرياح الموسمية بفرض الحفاظ على احتكارهم للتجارة الدولية في المحيط الهندي آنذاك حتى القرن الأول الميلادي إلى أن اهتدى البحار اليوناني هيبالوس Hippalus إلى سر هذه الرياح ومواعيد هبوبها فوصلت السفن اليونانية والرومانية إلى شبه الجزيرة الهندية مباشرة عبر المحيط الهندي فزاد إقبال سكان الإمبراطورية الرومانية على طلب السلع الشرقية وليس معنى ذلك هو ضياع النفوذ اليمني الهندي بل على العكس فقد استمر هذا النشاط اليمني التجاري إلى القرون الثلاثة السابقة لظهور الإسلام<sup>(١٠٠)</sup>.

وبهذا الاكتشاف من قبل هيبالوس شارك اليمانيين أقوام أخرى في تجارتهم البحرية ولعل السبب أيضاً في ذلك هو أن العرب لم يطوروا أسطولهم التجاري البحري، ولذلك فإن سيطرتهم على البحر والتجارة البحرية الهندية خفت قوتها إلى حد ما<sup>(١٠١)</sup>.

ولكي تكون أكثر دقة في تحديد مكتشف الرياح الموسمية Monsoon للغرب فلا بد أن نذكر هنا أنه سبق هيبالوس بحار يوناني آخر رائد في هذا المجال وتعتبر رحلته من ضمن الرحلات القديمة التي نجحت في الوصول إلى الهند مباشرة وهو رجل يدعى يودوكسوس الكينريكي Eudoxus of Cyzicus ووصل بالسفن اليونانية إلى الهند حوالي عام (١١٤ ق.م - ١١٧ ق.م) وتعددت بعدها رحلات بحارة الإغريق والبطالمة وساعد على نجاحها اعتداء هيبالوس إلى إمكانية استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الصيف<sup>(١٠٢)</sup>.

ومن هنا بدء الاستغلال المنظم للطرق الجديدة إلى الهند وبدء البطالمة بالتهوض بتجارة البحر الأحمر فوضعو عليها موظف مسئول عن متابعة سير السفن في البحر ثم في عام ١٢٠ أو ١١٠ ق.م بدنا نسمع عن رحلات بحرية مباشرة بين مصر والهند<sup>(١٠٣)</sup>.

ويفضل هيبالوس بدء التجار الغربيون في الوصول إلى شبه الجزيرة الهندية في وقت أقل مما كانوا عليه في السابق وبطريقة أقل خطورة مما كان الحال عليه<sup>(١٠٤)</sup>. وهكذا حقق هيبالوس في القرن الأول ق.م شهرة عالمية وتاريخية بسبب اكتشافه هذا وأطلق اسمه على الرياح الموسمية الجنوبية الغربية<sup>(١٠٥)</sup>.

والآن نود أن نستعرض مواقف هبوب الرياح الموسمية الهامة للتجارة وفقاً لما ورد عند هيا آل ثاثي<sup>(١٦٦)</sup> - فالأحوال المناخية التي تعرض لها مناطق الخليج العربي والمحيط الهندي منذ القدم فلقد أوردت لنا العديد من المسميات لأنواع مجتمعه من الرياح التي تهب على شواطئه الغربية تناولت بشيء من التفصيل مسمياتها، والمواقيت التي تهب فيها واتجاهاتها، ومن أصناف هذه الرياح توجد الشمالية الشرقية ونسيم البحر والبر وغيرها ولكن تبقى «الرياح الموسمية» من أهمها جميعاً وذلك نظراً لاستفادة سكان جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي منها أكبر استفادة حتى الوقت الحاضر.

والرياح الموسمية الجنوبية الغربية هذه ذات اتجاهين، فهناك الشمالية الشرقية التي تهب في شهر نوفمبر حتى شهر مارس وتعمل على تسهيل الملاحة البحرية حتى شواطئ الهند للسفن الخارجية من الخليج العربي على طول بحر العرب والمحيط الهندي<sup>(١٦٧)</sup>.

أما فيما بين شهري مايو وسبتمبر فتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الاتجاه المعاكس، فتصل على تسير وصول السفن إلى شواطئ الخليج العربي بسهولة وأمان<sup>(١٦٨)</sup>. وكما أدرك العرب في جنوب الجزيرة العربية أهمية هذه الرياح الموسمية في التجارة أدرك الهند أيضاً هذه الأهمية، فلقد كان الهواء البارد ينفع باتجاه الشمال فوق المحيط الهندي في الصيف ثم إلى الجنوب باتجاه حيال «الهيمالايا» والسهول الهندية في الشتاء فتملاً أشرعهم للانطلاق في البحر، كما أنها تجلب للمزارعين الهنود المطر لزراعهم<sup>(١٦٩)</sup>.

ولكن على الرغم من أهمية اكتشاف هيباتوس للرياح الموسمية الجنوبية الغربية فلقد ظلت محفوفة بالمخاطر على حد قولي «صاحب كتاب الطواف حول البحر الإريتري»<sup>(١٧٠)</sup> لذلك احتفظ العرب بسلطانهم على تجارة المحيط الهندي وإن كان هذا السلطان بدأت قوى أخرى تنازعهم فيه فأخذ البحارة المصريين، والفينيقيين واليونانيين براجمونهم في طريق جمع ثرواتهم من مياه المحيط الهندي<sup>(١٧١)</sup>.

وفيما بعد نشطت التجارة الملاحية بين الإمبراطورية الرومانية والهند فكانت السفن تبحر مباشرة من بومباي أو سواحل الهند الجنوبية إلى الموانئ الرومانية فيذكر بليني Pliny أن سفنه أبحرت إلى الهند في فترة قصيرة جداً بلغت خمسة عشر يوماً<sup>(١٧٢)</sup>.

اعتمد البحارة الرومان على رياح هيباتوس وركبوا البحر في مواقيتها المنظمة حتى أنه في أيام الإمبراطور فسباسيان (٧٠-٩٦م) Flavius Vespasianus كان البحارة التجار يخرجون إلى عرض المحيط الهندي بكل جراءة وقوة<sup>(١٧٣)</sup>.

وأصبح مشهد السفن الرومانية ملوفاً في مياه المحيط الهندي ذهاباً وإياباً مما أثر إلى حد ما على تجارة الهند اليمنية آنذاك ولكن الغريب في الأمر أن تتأثر بعض دول الجنوب اليمني إذ سطع نجم حضرموت وقتئذ بعد أن تخلصنا من وساطة المغيرين والمسنين، وأخذوا يشحنوا منتجاتهم من الطيوب والعمور والتوابل والبخور على متن السفن اليونانية في الموانئ المخصصة لذلك. وهذا يعني الانهيار التام للونتين اليمنية - اليمنية والمغيرة - من ناحية تجارة البحر ولكنهم حاولوا تجارتهم بمنتهى النكاء إلى البر<sup>(١٧٤)</sup>.

وهذا يعني أن عرب اليمن لم يتأثروا كثيراً بسبب كشف سمر الرياح الموسمية، لأنه في

حالة ضمنت تجارة البحر إلى حد ما في بعض دويلات اليمن، ترتفع أسهم دول أخرى مثل حضرموت ويمنان في التجارة البحرية والبرية وهذا يؤكد استمرار التجارة اليمنية الهندية على الرغم من كل الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة في تلك الفترة<sup>(٧٠)</sup>.

اشتهر سكان جنوب الجزيرة العربية منذ القدم - كما أسلفنا - بالنشاط التجاري إذ كانت تسير قوافلهم براً في شبه جزيرة العرب، وسفنهم بحراً في المحيط الهندي والبحر الأحمر نافذة على منتها السلع من الأقاليم الآسيوية وغلات شرق وشمال أفريقيا إلى دول البحر المتوسط<sup>(٧١)</sup>.

ولقد أفضى هذا التقدم الاقتصادي الهندي العربي إلى نشاط التجارة وازدهار المدن وتوطيد حياة الاستقرار والتحضّر إلى نشوء الملكية الخاصة، وقيام الدول المتطورة التي جمعت بين صفات الموانئ البحرية والمحطات التجارية على طرق القوافل البرية والبحرية، والمراكز التجارية التي تجتمع فيها السلع ومنها توزع إلى مختلف الجهات<sup>(٧٢)</sup>.

ويعود ثراء اليمن إلى مزاولتها للتجارة البرية والبحرية، والاتجار بالمواد الناتجة من الزراعة في جنوب الجزيرة العربية وبالسلع المستوردة من الخارج ولاسيما من الهند والسواحل الأفريقية<sup>(٧٣)</sup>.

هذا ولقد حرص، عرب جنوب الجزيرة العربية على التجارة البحرية تماماً مثل حرصهم على تجارة القوافل البرية، فعملوا على بناء السفن التجارية لحوضر أعماق البحار ومما شجعهم على ذلك الموقع الاستراتيجي للجزيرة العربية، فهو موقعاً **أتاح** لها إمكانيات واسعة في مجال ازدهار التجارة البحرية فهي تشغل - كما سبق أن رأينا - موقع متوسطاً بين ثلاث بحار البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي من الشرق ومنها يمتد المحيط الهندي ليستمر شرقاً، والبحر المتوسط من الشمال الغربي<sup>(٧٤)</sup>.

لذلك لعبت طرق المواصلات البرية والبحرية في جنوب الجزيرة العربية دوراً حيوياً، في حياة شعوب الجزيرة، ونستطيع أن نقيس فهم ذلك الدور من خلال كثافة شبكة خطوط المواصلات التجارية بنوعها - البري والبحري - إذ كلما زادت هذه الشبكة كثافة كان هذا دليلاً على تقدم دول المنطقة، ولهذا تعتبر الطرق التجارية هي شرايين الحياة في دول جنوب الجزيرة العربية<sup>(٧٥)</sup>. ونتيجة لتوسع شبكة المواصلات البرية والبحرية هذه تطورت حركة الملاحة على شواطئها فحرصوا على دراسة طرق الملاحة البحرية وبنيت تلك الدراسات إلى اكتشاف سر الرياح التجارية الموسمية في المحيط الهندي<sup>(٧٦)</sup>.

ومن المؤسف أنه يوجد البعض<sup>(٧٧)</sup> من الذين حاولوا التشكيك في قدرات العرب على استخدام البحر وإمكانية قيامهم برحلات بحرية فيه وخاصة الرحلات الطويلة المتجه إلى الهند والصين وسيلان معتمدين على قلة القرائن الأثرية الدالة على ممارسة عرب الجنوب للملاحة سواء كان في النقوش أو غيرها، كما أن قلة الأخشاب الصالحة لصناعة السفن كان أحد الحجج التي استند عليها أصحاب الرأي السابق، ويرى هؤلاء أن القوارب المخيطة أو الجلدية هي غير قادرة على القيام بهذه الرحلات البحرية الطويلة<sup>(٧٨)</sup>.

ولقد أثبتت الدراسات أن القوارب المخيطة صنعت بأحجام كبيرة، وهي قادرة على حمل كمية من البضائع كما أن لديها القدرة على الإبحار لمسافات طويلة، ولا يستبعد أن يكون العرب قد

استوردوا الأخشاب لصناعة السفن الكبيرة من أماكن توفرها<sup>(٨٦)</sup>.

وأخيراً نجح العرب في ارتداد البحر بكفاءة عالية وجراءة ومهارة ففقت، حتى ملكوا في أيديهم زمام التجارة بين الشرق والغرب وكان لهم السيادة على الخليج العربي وعلى البحار التي تصل به مثل البحر العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي<sup>(٨٧)</sup>.

فأصبحتوا ملّمين بمواقع وأوصاف الجزر والخلجان والروؤس بها وأحكموا تقدير المسافات التي تقطعها السفن بين الموانئ العربية، وموانئ الهند والصين، كما أنهم حددوا الأوقات الصالحة للإبحار والقيام بالرحلات التجارية والملاحية البحرية<sup>(٨٨)</sup>.

ونود أن نشير إلى تلك السفن التي كان العرب الجنوبيين يستخدمونها في ركبهم أعالي البحار فلقد شحنوا بضائعهم على متن القوارب الكبيرة والمخصصة لتصدير سلعهم والتي من بينها المواد العطرية، والتوابل، كما استخدموا القوارب الجلدية لجلب المواد العطرية من الساحل الإفريقي والهند<sup>(٨٩)</sup>.

هذا ونقد اعتمدوا على أطواف من الغاب - نوع من القوارب الصغيرة - ولكنهم كانوا عادة مايسبرون بها بمحاذاة ساحل شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر الذي تكثر به الشعب المرجانية التي تؤدي إلى تحطيم السفن الكبيرة<sup>(٩٠)</sup>.

وبالإضافة إلى قوارب الغاب كانت توجد سفنهم الشراعية، والقوارب الخشبية الصغيرة المشدودة بالأنثاف أو المصنوعة من مادة مشابهة لها<sup>(٩١)</sup>.

ولقد أشار استرابون أن من أوائل السفن التي رسمت في المحيط الهندي هي سفن خشبية كانت لأهالي مالابار وأخرى لأهالي القسم الجنوبي من مقاطعة حضرموت، وهم الذين بنوا أسطولاً تجارياً من ميناء عدن وبعض الموانئ العربية الساحلية الجنوبية<sup>(٩٢)</sup>. وكانت لهم تجارة واسعة مع الهند وأنهم أيضاً اتقنوا فنون الملاحة البحرية كما أنهم استخدموا السفن التجارية الكبيرة التي صنعوا بها أسطولاً بحرياً تجارياً ضخماً ووصل بهم إلى الهند.

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الطرق البرية والبحرية التي تربط مابين الهند وجنوب الجزيرة العربية أو تلك التي كانت جنوب الجزيرة العربية هي حلقة الوصل بينها وبين الهند، ولكي نكون منصفين ولعمرياً من الدقة فلا بد أن نذكر هنا أن الطرق البرية كانت في واقع الأمر أقل في العدد من نظيرتها البحرية والمتجهة من وإلى الهند وجنوب الجزيرة العربية ولكننا سوف نذكرها حتى لا نكون قد أغفلنا أي طريق مواصلات بين الهند وجنوب الجزيرة العربية، كما نود أن نشير هنا إلى أن هذه الطرق في أغلبها تبدأ بحرية وتنتهي برية.

الخطوط التجارية البحرية - البرية الهندية اليمنية:

١- طريق البخور (عدن - باريجازا):

ويقف على رأس هذه الطرق التجارية العربية الهندية أهمية طريق البخور والذي يعتبر فرعاً من الطريق التجاري الجنوبي الذي كان يصل بين الهند والموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة العربية ثم عدن، لأن المراكب الهندية كانت تفرغ حمولتها لدى الأعراب الذين حرصوا على التجارة إلى حد أنهم لم يسمحوا لهذه المراكب بدخول مضيق باب المندب إلا بعد دفع الضرائب<sup>(٩٣)</sup>.

## ٢- الهند - البحر المتوسط:

وهذا الطريق يمتد من الهند إلى البحر المتوسط بإتباع الطريق البري منطلقاً من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى الهند فلقد كانت القوافل تصل إلى مأرب<sup>(١٢)</sup> فبعد وصول السفن التجارية المحملة بالبضائع النفيسة من الهند تحط رحالها في جنوب الجزيرة العربية في ميناء عدن ثم مكة ومنها إلى غزة<sup>(١٣)</sup> وبأقي مدن البحر الأبيض المتوسط<sup>(١٤)</sup>.

## ٣- الهند - نجد:

وهذا الطريق يرفد البحر العربي والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية، وخاصة حضرموت Chatnatital ويبدأ من ميناء باريجازا ويسير في المحيط الهندي حتى يصل إلى حضرموت وعاصمتها شبوه، ومنها إلى الحدود الشرقية لنجد ومن نجد تتفرع في خط بري آخر ينطلق إلى بلاد الرافدين وخط ثالث يسير إلى بلاد الشام<sup>(١٥)</sup>.

## ٤- الهند - حضرموت:

وينطلق هذا الطريق بحراً من الهند ميناء باريجازا الهندي حتى تصل السفن إلى ميناء عدن ومنها برّاً إلى حضرموت متجهاً إلى منطقة اليمامة عبر الحافة الشرقية أو الغربية للربع الخالي متجهاً إلى بلاد الرافدين لتلتقي في خط آخر متجهاً إلى سوريا<sup>(١٦)</sup>.

## ٥- الهند - عُمان Oman

وهذا الطريق ينطلق من ميناء باريجازا وصولاً إلى عدن ومنها برّاً إلى عمان محملاً بكل بضائع شرق آسيا المنقولة على الأبل كما يتكرر منه عدة خطوط أخرى أولها يتجه إلى مأرب وآخر إلى معين وثالث إلى ظفار متقاربة المرور بالربع الخالي<sup>(١٧)</sup>.

## ٦- سوريا - الهند:

وهذا الطريق يبدأ رحلته من سوريا ثم إلى مكة ومنها إلى اليمن جنوب الجزيرة العربية إلى ميناء عدن ثم إلى المحيط الهندي حتى يصل إلى الهند<sup>(١٨)</sup>.

## ٧- الهند - مصر:

وتأتي بضائع الهند عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن أو ميناء موزا ليكتمل طريقه برّاً عبر شبه الجزيرة العربية إلى الشمال ومنه إلى مصر<sup>(١٩)</sup> وهناك مسار آخر لهذا الطريق الذي يربط الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية ويبدأ من الهند وصولاً إلى ميناء قاتا أو عدن عبر مضيق باب المندب متجهاً السواحل العمالية عبر البحر الأحمر إلى بيرنيكي Beranike ومن هناك عبر البر يسير في اتجاه الشمال الغربي حتى يلتقي بالطريق القادم من المراكز التجارية الشمالية العربية للجزيرة العربية والذي يمتد من Dedan دادان (العلا حالياً) غرباً إلى البحر الأحمر حتى يصل إلى ميناء القصير ومنه إلى وادي الحمامات وأخيراً فقط الواقعة على مسافة ٤٠ كم شمال غرب الأقصر ومن هذه الطرق كانت كل بضائع الهند تصل إلى شمال الجزيرة العربية ومصر<sup>(٢٠)</sup>.

## ٨- ليونكي كومي - الهند:

يبدأ هذا الطريق من ليونكي كومي<sup>(٢١)</sup> متجهاً جنوباً نحو سواحل جنوب الجزيرة العربية ماراً بعدد من الموانئ الكورية على البحر الأحمر والتي من أهمها: موزا، أوكليس، قسا، عدن، وسوف

يرد نكر كلاً من هذه الموانئ بالتفصيل لاحقاً - ثم يحاذي الساحل في خليج عمان على رأس الحد، ثم يتجه نحو الساحل المقابل من الخليج ويستمر في السير بمحاذاة الساحل الآسيوي المقابل لساحل كرمينا إلى نهر السند والموانئ الواقعة جنوبيه وتستخدم السفن بنفس الطريق في عودتها<sup>(١٠٦)</sup>.

وبصورة أكثر وضوحاً يجب أن نعلم أن هذه الخطوط لم تكن هي الخطوط البرية البحرية الوحيدة التي ربطت الهند بمصر عن طريق الجزيرة العربية، بل كانت هناك العديد من الخطوط التي جعلت من شبه الجزيرة العربية واسطة بينها فكانت هذه الخطوط تأتي من المحيط الهندي إلى البحر الأحمر مارة بمدخله عند عدن لتكمل طريقها إما براً عبر شبه الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال أو بحراً بطول البحر الأحمر حتى موانئه البحرية الشمالية أو متصلة بين الطريق البري والطريق البحري<sup>(١٠٧)</sup>.

هذه كانت أهم الطرق البرية البحرية التي ربطت بين الهند وغيرها من مناطق العالم مروراً بحلقة الوصل بينها وهي شبه الجزيرة العربية على اعتبار أنه لا يستطيع الوصول إلى أيأ منها إلا بمرور بجنوب الجزيرة العربية.

(١) الطرق التجارية البحرية الهندية اليمنية (الغير مباشرة):

وهذه الطرق تنطلق من عدة أماكن وتمر بجنوب شبه الجزيرة العربية وصولاً للهند أو من شبه الجزيرة العربية مباشرة إلى الهند المهم أن منطقة جنوب الجزيرة هي المحور الأساسي للربط بين الهند ومناطق التجارة العالمية - كما أسلفت - والآن نستعرض أهم الطرق البحرية العربية للهندية، وسوف نقوم بترتيب عرضها على حسب أهمها التجارية - ابتداءً من الطرق الغير مباشرة ثم الطرق المباشرة<sup>(١٠٨)</sup>.

١- جنوب شبه الجزيرة العربية ساحل شبه الجزيرة الهندية:

ينطلق هذا الطريق من عدن إلى خراكس Charex<sup>(١٠٩)</sup> ماراً بعدد من المراكز والموانئ العربية، والجزر مثل فيلكا Fayilake<sup>(١١٠)</sup> والبحرين وكذلك بعدد من الموانئ العربية مثل Gerraها الجرهام<sup>(١١١)</sup> ثم تحاذي الساحل ماراً بعدد من الموانئ على الخليج العربي ثم ينطلق في مياه الخليج ومنها إلى المحيط الهندي، حتى يصل إلى ساحل كرمينا ويمسك بنفس الطريق الذي تسلكه السفن القادمة من البحر الأحمر، وكانت السفن العربية تقف عند عدد من الموانئ الهندية على الساحل الغربي مثل بريجازا أو قد يصل إلى الموانئ العربية والحديثة للهند مثل موزي Muziri<sup>(١١٢)</sup>.

٢- الهند - مصر:

وفي هذا الطريق الذي سبق الإشارة - إلى نظيراً بري له في أهم الخطوط البرية البحرية التي تربط الهند بجنوب الجزيرة العربية، يوجد طريق بحري آخر يتفرع إلى ثلاثة فروع الأول ينطلق من الهند من موزي عبر المحيط الهندي إلى مينائي موزا أو عدن ثم إلى البحر الأحمر ومنه إلى خليج العقبة ثم فقط<sup>(١١٣)</sup> أما الفرع الثاني فيسير في نفس سير الخط إلا أنه بدلاً من التوقف عند البحر الأحمر فإنه يكمل مسيرته إلى البحر الأبيض المتوسط، وفي كلا الفرعين كانت جنوب شبه الجزيرة العربية هي القنطرة الموصلة بين القطرين الهندي والمصري بحراً<sup>(١١٤)</sup>.

أما الفرع الثالث للطريق ينطلق من مصر مباشرة إلى الهند<sup>(١١١)</sup> وله خط سير آخر تماماً فهو ينطلق من موانئ مصر برينكي على البحر الأحمر متجهاً إلى الحبشة ومنها إلى عدن في جنوب الجزيرة العربية ثم المحيط الهندي حتى تصل إلى موزري في الهند<sup>(١١٢)</sup> وقد ذكر هذا الطريق عند بليني<sup>(١١٣)</sup>.

٣- الهند - سوريا:

من باريجازا إلى عدن ومنها إلى خليج العقبة ثم إلى الموانئ المصرية الواقعة على البحر الأحمر ويدها إلى الموانئ السورية على البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا<sup>(١١٤)</sup> وهناك خط آخر يبدأ من سوريا إلى مصر ثم إلى موانئ البحر الأحمر حتى يصل إلى عدن إحدى موانئ جنوب الجزيرة العربية ومنها إلى المحيط الهندي ميناء باتيلا الهندي ومن الهند يتفرع هذا الخط إلى أربعة خطوط فرعية هي سيلان - تانلد - الملايو - الصين ومن خلالها تصل جميع بضائع جنوب الجزيرة العربية وسوريا إلى الهند وشرق آسيا<sup>(١١٥)</sup> هذا ولقد ذكرها المؤرخ أبيان Appian<sup>(١١٦)</sup> في مجلد حديثه عن التجارة الكبيرة بين الهند والجزيرة العربية.

٤- برينكي - باريجازا

من برينكي حول البحر الأحمر بدور هذا الطريق حتى يصل إلى موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية حتى تصل إلى رأس الخليج العربي ومنه إلى باريجازا إحدى أهم الموانئ الهندية ولقد استخدمه التجار الصينيون لنقل بضائعهم إلى المنطقة ويفضل هذا الطريق أيضاً وصلت كل بضائع الهند وشرق آسيا إلى جميع أنحاء الجزيرة وبالأخص شمالها وتحديداً مكة والمدينة<sup>(١١٧)</sup>.  
(٢) الخطوط التجارية البحرية الهندية اليمنية (المباشرة):

١- عدن - بريجازا Bariguz:

وهو طريق مباشر تماماً يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية والهند ينطلق من عدن Eduaemamn ثم قانا ويسير بمحاذاة الساحل مدة ثلاثة أيام ثم يتجه عبر المحيط الهندي، نحو بريريك وبريجازا ويستخدم هذا الخط نفس الطريق في العودة محملاً بأغلى بضائع الهند التي ما إن تصل إلى موانئ اليمن حتى تحمل بإشراف التجار العاملين في ميناء قانا Qana براً إلى شيوخ القبائل العربية في أنحاء الجزيرة العربية إلى جرها والبراء وغيرها من المحطات البرية الهامة<sup>(١١٨)</sup> ومن هذا الخط يتفرع خط آخر ينطلق من موزا إلى الهند مباشرة بغرض التزود بأنواع البضائع الآسيوية أو العربية المطلوبة عند الطرفين.

٢- قانا - موزري Mouzir:

وهذا الخط ينطلق إلى السواحل الغربية والجنوبية عبر المحيط الهندي إلى الهند لترسو سفنه في ميناء موزي Mouzir الهندي<sup>(١١٩)</sup>. ولقد استخدموا هذين الطريقين السالطين الذكر بعد اكتشاف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الفترة بين يوليوس وأغسطس أما رحلة العودة فكانت تسير مع هبوب الرياح الشمالية الشرقية في الفترة من ديسمبر إلى يناير<sup>(١٢٠)</sup>.

٣- شمال غرب الهند - أوكليس Ocelis:

وهذا الطريق يبدأ من موانئ شمال غرب الهند من باريجازا ويسير في مياه المحيط الهندي

حتى يصل إلى ميناء أوكلوس اليمني في جنوب الجزيرة العربية مباشرة ومنها إلى جزيرة سوفطرة والساحل الصومالي. وهذا الطريق يستخدم مع هبوب الرياح الموسمية المناسبة له<sup>(١١١)</sup>.

#### ٤ - باريجاز - موشا Moscha:

وموشا هو ميناء ظفار على ساحل جنوب شبه الجزيرة العربية كانت السفن الهندية تبحر حتى تصل إلى هذا الميناء الحضرمي وتقضي فصل الشتاء فيه حتى يتم التبادل التجاري والحضاري<sup>(١١٢)</sup>.

#### ٥ - موزا - بتالا غير مباشر:

وهو طريق فرعي ويمر بمحاذاة الساحل الغربي إلى مخا ميناء بلاد البخور ومنها إلى المحيط الهندي إلى بتالا مباشرة<sup>(١١٣)</sup>.

وفي ختام حديثنا عن هذه الطرق البحرية والطرق البرية البحرية يجب أن نعرف أن هذه الطرق لم تكن متروكة مدى دون أي حماية تذكر من قبل الدول المملوكة لها أو التي تمر بأرضها أو مياهها الإقليمية (إن جاز التعبير). ولقد كانت هناك نقاط حراسة بحرية (تشبه إلى حد كبيراً خفر السواحل لدينا حالياً - ترافق السفن التجارية في أثناء سيرها في البحر).

كما حرصت عرب جنوب شبه الجزيرة العربية على حماية هذه الطرق البحرية والبرية على السواء فسمت القوات التي تسير السفن على هديها في رحلتها عبر الخليج العربي والمحيط الهندي من جهة وياتصالها بين الهند شرقاً وشرق أفريقيا غرباً<sup>(١١٤)</sup>.

وبما أننا تحدثنا عن أهم الخطوط التجارية البحرية فلنذكر هنا أن تذكر أهم الموانئ العربية التي كانت تمر بها تلك الخطوط فقد نشأت على طول السواحل العربية عدداً من الموانئ والمرافئ ازدهر عدد منها لازدهار التجارة البحرية وأصبحت أسواقاً عالمية تستقبل أنواعاً من السلع الأجنبية ويصدر عبرها منتجات الجزيرة العربية.

وفي هذه الفترة كانت الرحلات البحرية مباشرة بين أحد الموانئ الواقعة في جنوب الجزيرة إلى السواحل الهندية عبر المحيط دون الحاجة إلى الإبحار بجانب الساحل وأصبحت السفن التي تريد الموانئ العربية الشمالية تبحر من عدن أوقاتاً وتسير بمحاذاة الساحل ومنه إلى المحيط حتى تصل إلى موانئ الهند<sup>(١١٥)</sup> (وسوف يرد ذكرها بالتفصيل لاحقاً).

ومما ساعد على ازدهار هذه الموانئ العربية أن بيئة الخليج العربية وبحر العرب يوجد بها الحديد من المناطق الصالحة لقيام الموانئ والريوس المحمية، وتوفير مياه الشرب من العيون والآبار في مراكز متقاربة نسبياً مما ساعد على إنعاش وازدهار التجارة البحرية آنذاك بشكل ملحوظ<sup>(١١٦)</sup>. وأفضل دليل على ازدهار تلك الموانئ هو مقدار البضائع والسفن التي كانت تفرغ وتحمل في الموانئ العربية والهندية<sup>(١١٧)</sup>. ويأتي على رأس هذه الموانئ أهمية موانئ البحر العربي:

#### ١ - ميناء عدن Eudaenan:

وهو ميناء هام على الساحل العربي الجنوبي للجزيرة العربية وهو أول ميناء في طريق السفن القادمة من البحر الأحمر بعد عبورها مضيق باب المندب، وتمتاز بمرقا جيد، كما تتوفر فيه المياه العذبة، لقد كان أصحاب السفن يفضلون الرسو فيه عن أوكلوس<sup>(١١٨)</sup>.

بتميز موقع عدن بحصانة طبيعية وذلك لوقوعها على مرتفع صخري يتكون من الصخور البركانية التي كانت تحيط بالمدينة والميناء، كما أن موقعها ملائم لرسو السفن المارة بها فهي تتمتع بمرفأ طبيعي ومما ساعد على ازدهارها شهرتها الكبيرة بخزانات الماء في الصخور<sup>(١٣٤)</sup>. كما تعتبر من أهم الموانئ العربية المطلة على المحيط الهندي فأصبح مرسى للسفن الآتية من أنحاء آسيا بالتحديد الهند وسواحل أفريقيا الشرقية، كما كانت ترسو عليها السفن المحملة بمنتجات الدول الآسيوية<sup>(١٣٥)</sup>.

وهي إلى جانب ذلك يعتبر نقطة ارتكاز للتجارة بين الهند والصين ومصر، لذلك اهتم العرب المقيمون فيها بالتبادل التجاري على نطاق دولي واسع، حتى أنها عرفت فيما بعد باسم دهليز الصين<sup>(١٣٦)</sup>.

ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني ق.م وأصبح يضاهي الإسكندرية من حيث الأهمية التجارية والاستراتيجية<sup>(١٣٧)</sup> ووفقاً لما ذكره صاحب كتاب الطواف The Periplus قال «كانت تسمى يودايمون Eudaemon وكانت مدينة هامة جداً عندما كانت الرحلة من الهند إلى مصر أمراً لم يتحقق بعد لصعوبة الإبحار في هذه المياه، وبالتالي استحالة وصول السفن المصرية إلى الموانئ الهندية مباشرة، لذلك كانوا يأتون جميعاً إلى عدن التي كانت تتلقى السلع من جميع البلدان كما تتلقى الإسكندرية الآن (البضائع) التي تجلب من الخارج» وفي هذه الرواية دليل واضح على منافسة عدن آنذاك للإسكندرية<sup>(١٣٨)</sup>.

هذا ولقد سيطر على هذا الميناء عددٌ من القوى السياسية التي تنابعت على المنطقة مثل أوسان<sup>(١٣٩)</sup> وسبأ وقتبان وأخيراً حمير<sup>(١٤٠)</sup> الذي تزدهر في عهدها إذ تعرض للهجوم عليه من قبل الإمبراطورية الرومانية التي اتخذت إجراءات فعلية في سبيل السيطرة عليه. بل وعلى المنطقة الساحلية بأكملها في الجنوب بفرض الاستيلاء على تجارة البخور واللبان والتوابل ولذلك قام الأسطول البحري الروماني بعمليات عسكرية من البر والبحر ضد عدن وفق ماورد لنا عند بليني<sup>(١٤١)</sup>.

أما صاحب كتاب الطواف فيشير إلى أن الرومان سيطروا على عدن فترة من الزمن واعتبر أن حملة اليوس جالوس (السالف الذكر) هي ذروة تلك المحاولات<sup>(١٤٢)</sup>.

ولكن دوام الحال من المحال، فلقد تحول ميناء عدن فيما بعد من مدينة مزدهرة إلى قرية متواضعة بفعل مجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة<sup>(١٤٣)</sup> ولكن هذا الميناء عاد نشاطه التجاري في القرن الرابع الميلادي وظل مزدهراً حتى العصور الحديثة<sup>(١٤٤)</sup>.

٢- ميناء قانا Qana (بئر علي حالياً)<sup>(١٤٥)</sup>: وهو ميناء تجاري على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وإلى الشرق من عدن وعند بظلمبوس يقع على خط طول ٨٤ (على الساحل الحضرمي) وهذا الميناء هو ميناء حضرموت الرئيسي (أرض اللبان)، وهو أيضاً سوق تجاري على ساحل البحر العربي، والمنفذ الرئيسي للدولة الحضرمية<sup>(١٤٦)</sup>.

يطلق عليه سفر حزقيال (سوق كنية)<sup>(١٤٧)</sup> فهو الميناء الرئيسي لتجارة اللبان والمر والأحجار الكريمة والأذهب كما أنه يعتبر أيضاً محطة هامة تنطلق منه القوافل البرية إلى جميع

أنحاء الجزيرة العربية فهو بذلك ميناء بحري وسوق بري هام في آن واحد<sup>(١١٣)</sup>.

وبما أنه سوقاً هامة على طريق القوافل البرية وخطوط الملاحة البحرية استقبل هذا الميناء جميع السلع التي تأتي من مصر وأفريقيا والهند بمينائيهما وصدر لهما اللبان وكثيراً من البضائع الموجودة فيه من جراء تبادله التجاري مع الكثير من مناطق التجارة العالمية<sup>(١١٤)</sup>. واستنداداً مع رواية صاحب كتاب الطواف<sup>(١١٥)</sup> كان اللبان والمر ينقل من شرق حضرموت إلى قنا على متن أطواف صغيرة مشدودة بالقرب الجديّة الممنوعة بالماء أو على متن القوارب الخشبية الصغيرة ومنها بعد ذلك تنقل لتخزن في السفن الكبيرة استعداداً لتصديرها إلى الهند بحدراً أو تحمل على ظهر الجمل لتتصدر إلى جميع أنحاء الجزيرة العربية.

وقد سقط هذا الميناء على يد الدولة الحميرية، إلى أصبحت تسيطر على المنطقة الساحلية الممتدة من مضيق باب المندب حتى قنا شرقاً، وقد اضطرت الدولة الحميرية إلى إقامة سور القلعة للفصل بين حدود الدولتين، ولكن يبدو أن حضرموت استعادت السيطرة على الميناء الذي ظل مستخدماً حتى القرن الرابع الميلادي حتى بعد تدهور تجارة المواد العطرية<sup>(١١٦)</sup>.

### ٣- ميناء موشا Moscha:

يقع هذا الميناء على خليج عمان (خليج القمر حالياً) وهو ميناء ظفار الرئيسي متخصص في تصدير اللبان الظفاري وكانت السفن القادمة من الهند ترسو فيه حتى تقوم بعملية تحميل أو إتزال البضائع ولكن على شرط الحصول على إذن مسبق من الملك شخصياً من أجل التجارة في هذا الميناء الهام<sup>(١١٧)</sup>.

استمر نشاط هذا الميناء التجاري مع الهند حتى القرن السابع الميلادي<sup>(١١٨)</sup> وكان تابع للدولة الحضرمية، في عهد الملك العزيز وهو الملك الذي ذكره استرابون في أثناء حديثه عن حضرموت<sup>(١١٩)</sup>.

كما ذكره The Periplus عندما تحدث عن أنه يعتبر من الموانئ الهامة الصالحة للاستخدام ويعتبر من أهم الموانئ الملتزمة بقوانين الملاحة في أعالي البحار فهو ميناء على - حد وصفه - من الدرجة الأولى وذلك لأنه يضمن جميع حقوق العاملين فيه.

أما عن موانئ البحر الأحمر: فليذكر كتاب الطواف في وصفه للساحل الشرقي للبحر الأحمر خلوة تقريباً من الموانئ المرافئ الصالحة لرسو السفن، خاصة في الجزء الممتد من ميناء لبوكي كومي جنوباً وهي جزيرة بريم، كما ذكر أن الملاحة فيه خطيرة لكثرة الصخور المرجانية، ويعيش على هذا الساحل أقوام غير متحضرين يهاجمون السفن ويخطفون ركابها - يقصد القراصنة -<sup>(١٢٠)</sup>. وهو محق في كون هذا الساحل غير صالح للملاحة لأنه ملئ بالشعب المرجانية التي تجعل الملاحة فيه أمراً غير يسير، ولكن مع هذا وجد عليه عدد من المرافئ والموانئ والتي من أهمها:

١- ميناء موزا Musa: وهو من الموانئ الهامة في جنوب غرب الجزيرة العربية على ساحل البحر الأحمر وتعرف في بعض الأحيان بموزع، وتقع حوالي ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مكا الحالي<sup>(١٢١)</sup> ويعتبر موزا من أقدم موانئ اليمن التي أشار لها صاحب كتاب الطواف على أنه من الموانئ الهامة

الملتزمة أيضاً بالقوانين الملاحية ولكنه ليس في الخط الملاحي الدائم<sup>(١٠٧)</sup>.

تخصص ميناء موزا في بيع وتصدير أفخر أنواع المر المحلى (الفتياتي والمعيني، والأفريقي)، وكانت سوقاً رائجة يعج بالحركة وكان له اتصالات ومشاركة قوية في الأنشطة التجارية مع الساحل الإفريقي المقابل<sup>(١٠٨)</sup>. وهذا الميناء كانت تحكمه مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم حركة التجارة الداخلية فيه وتهدف إلى تركيز التجارة الخارجية منه للدولة والتابع لها هذا الميناء<sup>(١٠٩)</sup>.

ونتيجة لهذه النظم راجت التجارة فيه وازدهرت حتى أنها وصلت بضائع موزا إلى ميناء برباجزا الهندي وريباتا في أفريقيا<sup>(١١٠)</sup>. وكتاب الطواف يصف لنا بتفاصيل أكثر دقة الرحلة بطول الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ويتحدث عن موزا بقوله (أنها سوقاً شاطئية لها قوانين تجارية، وتجد في موزا كثيراً من العرب سواء من أصحاب السفن أو التجار)<sup>(١١١)</sup>.

أما عن واردات هذا السوق فكانت مؤلفة من الملابس الأرجوانية الناعمة والخشن المطرزة وفق الفن العربي كما يوجد بها الثياب الموشاة والمزخرفة بخيوط الذهب<sup>(١١٢)</sup> بالإضافة إلى البن اليمني الشهير وأجود أنواع المر والتوابل<sup>(١١٣)</sup>.

٢ - أولكليس Ocelis:

وهو ميناء على البحر الأحمر في أقصى الجنوب منه بالقرب من مضيق باب المندب ومدينة بريم، وهو من أقدم موانئ البحر الأحمر تعاقبت السلطات السياسية عليه إلى أن استقر أخيراً تحت سلطان الدولة الحميرية<sup>(١١٤)</sup>. تمتع هذا الميناء بمزايا مثالية نرسو السفن عليه مثل مياهه العذبة والتي كانت تزود منها السفن قبل إبحارها في عرض المحيط في طريقها إلى الهند<sup>(١١٥)</sup>. مما جعل اسمه يتردد على أنه محطة تجارية هامة في المصادر الإغريقية والرومانية، ولكنه والحق يقال فقد هذا الميناء أهمية التجارية بعد ازدهار ميناء موزا وأصبح فقط محطة للتسوين والتزود بالماء في طريق السفن المتجهة للهند. ولكنه ظل ميناء مخصص للتعامل التجاري مع شرق أفريقيا<sup>(١١٦)</sup>.

ويعتبر هو آخر محطة كانت تقف عندها السفن الهندية التي لم يكن يسمح لها بالاتجاه شمالاً نحو البحر الأحمر<sup>(١١٧)</sup> خاصة في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند ومصر أي قبل اكتشاف رياح هبالوس - فكانت السلع الهندية تفرغ في أولكليس ثم تنقل براً إلى موزا حيث تباع هناك<sup>(١١٨)</sup>.

كانت هذه أهم الموانئ التجارية التي تعامل عرب جنوب شبه الجزيرة العربية من خلالها مع الهند وباقي أنحاء العالم القديم ولابد أن نذكر أنها لم تكن هذه الموانئ فقط هي محطات التعامل البحري فقط مع الهند بل كانت هناك عدة موانئ أخرى أهمها جزيرة سوقطرة، وميناء مدينة الشمر<sup>(١١٩)</sup>.

والآن نود أن نسلط الضوء على أهم الموانئ الهندية والتي كانت تأتي منها وإليها السفن التجارية اليمنية: لقد كان التجار اليمنيون والهنود معتادين على الإبحار في مياه المحيط الهندي منذ العصور القديمة - وذلك لإتسامهم بنظام الرياح الموسمية - فكانوا يقومون برحلات طويلة بين الموانئ الهندية واليمنية - كما أسلفنا - فقد كانت سفن التجار اليمنيون تبحر من موانئ

الخليج العربي وم ساحل اليمن إلى الموانئ الهندية وإلى ساحل جنوب الهند<sup>(١٦٥)</sup>. وتعتبر الموانئ الهندية التالية من أهم الموانئ التجارية التي تعامل معها التجار اليمنيون آنذاك:

#### ١- ميناء بريريكم Barbaricum:

يقع في حوض نهر السند وهو ميناء سوق تجاري من أهم وارداته اللبان والمر من الجزيرة العربية<sup>(١٦٦)</sup> وكان ملتقى طرق للعديد من السفن الهندية والعربية والصينية، وجميع سلع هذه المناطق يمكن الحصول عليها منه<sup>(١٦٧)</sup>.

#### ٢- ميناء براجازا Baragaza:

وهو ميناء هام على الساحل الهندي الشمالي الغربي<sup>(١٦٨)</sup> ويقع على خليج كمباتي Cambay في منطقة أريك Ariake وحتى بعد أن غزا الهند شعب السكاس Sakas ووقع هذا الميناء تحت السيطرة اليونانية منذ زمن الإسكندر الأكبر إلا أنه تخلص منها، ولكن بقي الطابع اليوناني مسيطراً عليه بفضل التجار اليونانيين الذين كانوا يتاجرون بصورة منظمة مع اليمن وغيرها<sup>(١٦٩)</sup>.

وفي القرن الأول الميلادي استخدمت باريجازا كميناء تجاري هام وكبير لنقل البضائع من داخل الهند إلى خارجها، فكانت تأتي إليها البضائع من مختلف المدن الهندية مثل الأقمشة القطنية والحريرية الموسلين والمنسوجات العادية والعاج والنجاس<sup>(١٧٠)</sup>. وأخيراً يعتبر باريجازا مركزاً تجارياً هاماً تجتمع فيه كل السفن التجارية الآتية من أنحاء العالم آنذاك، وقد تلجأ معها العرب الذين صدروا لها التمور والتمر<sup>(١٧١)</sup>.

#### ٣- ميناء موزي:

وهو ميناء هام يقع على الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الهند وهو تابع لمملكة شارو Cheru التي تسيطر على ساحل كلكتا<sup>(١٧٢)</sup> ذكرها بليني في أثناء حديثه عن الطرق التجارية البحرية وذكر أن المسافة بينها وبين أوكليس أربعين يوماً<sup>(١٧٣)</sup>. قصده التجار اليمنيون والعرب طوال قرون عديدة للحصول على الخشب الذي كانت تبني منه سفنهم<sup>(١٧٤)</sup> ويعتبر من أهم الموانئ الهندية الرئيسية التي تصدر القلقل<sup>(١٧٥)</sup>.

كانت تلك أهم الموانئ الهندية التي تصدر وتمسود من وإلى اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية البضائع التجارية.

## جدول بأهم البضائع المصدرة من اليمن إلى الهند

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
البخور	حضرموت ظفار	الهند	الشيبة، المرجع السابق، ص ٣٩ The Periplus, Ch. 32 عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص ٨٣.	اشتهرت اليمن المسعدة بزراعة أجود أنواع البخور ومشقاته: Sayyid, M., op. cit., p. 4 وكانت القوافل تنقله إلى مختلف جهات العالم القديم وعلى رأسها الهند. انظر: عبدالعزیز صالح، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٥، العدد ١، ص ٣١٣ وتعتبر حضرموت ومعين أشهر مناطق إنتاج البخور في اليمن حتى أن الكتاب الكلاسيكيين أطلقوا على ملك حضرموت اسم (ملك بلاد البخور) انظر، تاشرف الحسن، المرجع السابق، ص ٢٧ الشبيبة، المرجع السابق، ص ٤٥ ويما أن البخور أهم مأكولات العربية المسعدة فرضت عليه من القوانين المماثلة لزراعته وتصديره: مهيب كليب، المتسائل السابق، جامعة دمشق، ص ٣٣٤ واعتبرت العاصمة شبوة مركز لتجميع البخور ثم تصديره.
المطبوخ والطوب	اليمن (حضرموت)	الهند	برهان الدين، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٧، نقلاً زيادة، عريقات.	Cf. Pliny, NH, BK. 6. 31. 136-139. أما عن طريقة التصدير فكان يوضع في قرب من الجلد ثم يحمل على متن السفن الكبيرة إلى الهند: كليب، المقال السابق، جامعة دمشق، ص ٣٥١ وأخيراً طلب البخور في العالم القديم ويكثره وذلك لاستخدامه في دور العبادة وللقيام بالطقوس الجنائزية. الحداد، المرجع السابق، ص ٢٥ وللمزيد من المعلومات عن طريقة استخراج البخور انظر: The Periplus, Ch. 29
عربت اليمن المسعدة بطوبوها وعطورها الزكية العطرية: أبو عريشة، المرجع السابق، ص ١٧ جصير شهاب، المرجع السابق، ص ١١ حتى أن				

الملاحظات	المراجع	المصنوعة	الجهة المنتجة	السلعة
<p>المؤرخين القدماء أمثال هيرودت وصفها (بأنها البلد الوحيدة التي تنتج الطور والمعان) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٥ ؛ مصد عبدالقوي، شبه الجزيرة العربية، ص ١٤٩ وأخيراً كان يستخدم في بلاد العرب القديم في الطورس الدينية والأعواد الجنائزية: Cf: Gold Schmidt, A concise History of the Middle East Egypt. (1983). p 24</p> <p>سفر الملوك، الإصحاح ١٠ - آية ١١-٢٢.</p>	ص ١٣			
<p>تميزت حضرموت بإنتاج أجود أنواع اللبان: عبدالحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٨٢ لذلك فرضت على الاتجار بها مجموعة من القوانين الصارمة التي تنظم تجارتها تحدث عنها المؤرخين أمثال بليني فقال (إن ملوك حضرموت هموا بعتريون أي التجار عن خط سير قلعة اللبان المعروف في الدولة جريمة كبيرة يعاقب عليها القاتلون) انظر محمد عبدالقوي، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٢-١١٣ ؛ وانظر أيضاً محمد السيد عبدالقوي، شبه الجزيرة العربية، ص ١٥٦ كانت مادة اللبان تستخرج بعمل شاق في سيقان نباته حتى تخرج منه عصارة بيضاء قابلة للتصاغر: Cf: The Periplus, Ch 29.</p> <p>تبلغ طول شجرته ٦ أمتار تقريباً ولورائها مظلمة مركبة على بعض تخرج منها زهرة صغيرة تنمو على سفوح الجبال: انظر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧ ومن الطريق ان استقرت على نقل محصول اللبان وكيف يتم فكان يوضع في قرب جلدية تصل في القوارب والسفن إلى الهند وغيرها. محمد السيد عبدالقوي، مصادر القرنين ١-٢، ص ١١٩.</p>	<p>حوراني، المرجع السابق، ص ١٦٥ وانظر أيضاً ص ٧٦ ؛ بالقوي: مختبرات، ص ٢٣</p>	الهند	اليمن المسعدة (سبأ وقفار)	اللبان

الملاحظات	المراجع	المستوردة	الجهة المانحة	السلعة
وأخيراً استخدم الثبان في دور الصبادة والهيكل الدينية كما استخدم أيضاً لأغراض طبية في التحضير وعلاج الحلق والالتهابات للأغشية المخاطية والقرح التي تصيب البلعوم: للمزيد انظر: نقولا زيادة، عربيات، ص ١٤٣ The Periplus, Ch 29.				
صدرت اليمن إلى الهند التوابل والبخور والتمر: Cf: Perry, G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New Jersey, (1992), p. 16.	The Periplus, CH. 29 : صلاح البكري، المرجع السابق، ص ١٤٣.	الهند	تمنع - قنجان حضرموت	المر
لقد اشتهرت اليمن في كتابات المؤرخين القدماء بأنها المنطقة ذات الرائحة الطيبة من كثرة إنتاجها للتمر وغيره من النباتات العطرية: Cf: Irfan Shahid, Loc. Cit., CHJ, p 10. والتمر عبارة عن مادة صمغية تحتوي على مادة حمراء تميل إلى اللون البني ذات طعم شديد المرارة وله رائحة عطرية تخرج من سيقان هذه النباتات الطيبة مثل نبات كومفير أطول والمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١١٧.				
صدرت اليمن إلى مختلف العالم القديم توابلها وبهاراتها: توافق برو، المرجع السابق، ص ٢٣٩ مما جعلها محط أطماع وأنظار الدول الأجنبية التي اعتمدت على استخدام هذه التوابل والبهارات في طعمها لذلك حاولوا السيطرة على اليمن من أجل تأمين حصولهم على هذه التوابل والبهارات : انظر محمد حرب فريزات، المقال السابق، دراسة تاريخية، ص ١٠١.	دي لاس أوليري، المرجع السابق، ص ٨٩ ؛ نورمان بنز، المرجع السابق، ص ٢٨١.	الهند	اليمن	التوابل
استوردت اليمن العود من أفريقيا- سود الناصري، المقال السابق، سيمعناز الدرايسات	حوراني، المرجع السابق، ص ١٥٤.	الهند	اليمن -	العود

السلعة	الجهة المنتجة	المصدر	المراجع	الملاحظات
				الطين، ص ٣٤. وكان العبيد في اليمن يصلون في الزراعة أو في الخدمة لدى قصور تجار اليمن مما يدل على رقابية الشعب اليمني؛ نيفالكتور فيها، العرب على حدود بيوضة وإبرن، ص ٢٠٢. وقد ذكر العبيد في الكثير من النقوش اليمنية. الشوبه، المرجع السابق، ص ٢٤٥، لقد اهتم اليمنيون وبالتحديد أهل سبا بتجارة العبيد ولذلك وضعوا لها العديد من القوانين التي تنظم وتحدد الاتجار لهم وعسلة البيع والشراء ووضعوا لهم الضرائب المناسبة لذلك للمزيد انظر بالقتنود، اسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥
الكندر واللائن	شعار	الهند	تشبيه، المرجع السابق، ص ٥٢	واستلذا إلى إشارة صاحب كتاب الطواف حول البحر الأبيض للقد كان اللان يجمع على يد عبيد الحكومة أو الذين كانت لهم أحكام قضائية، انظر: The Periplus, Ch. 29
الولول	اليمن	الهند	The Periplus, Ch 36 : إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.	كان الولول يحمل من مينائي قانا وعصا على متن القوارب المخططة المصنعة محطياً تعرف باسم "موراتا" ومن هاتين المدينتين يرسل الولول وغيره من البضائع إلى الهند وبالق الأسواق العلمية القديمة للمزيد انظر: Ibid, Ch 36
الذهب والفضة	اليمن المسعدة	الهند	حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٠-١٤١ : حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٢٢ و آية ٢٣.	اشتهرت اليمن بالذهب والفضة حتى أن النبي سليمان عليه السلام كان يأخذ منها احتياجاته من هاتين المدينتين بناءً على نص التوراة : انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ آية ١١-١٢ وانظر أيضاً أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٩ آية ٢ ولست التوراة فقط هي الوحيدة التي تحدثت عن ذهب بلاد اليمن بل تحدث كلا من المقامي والهمداني في مجمل حديثهم عن

السلعة	الجهة المنتجة	المستوردة	المراجع	الملاحظات
				ثروات جنوب الجزيرة العربية (اليمن) : انظر تيناكفور فلنا، المرجع السابق، ص ٢٠٦ كما يتحدث عن ثرائها بالذهب الملك اليمني سيف بني ذي وزن عندما قال (ماأصنع بالمال وثراب أرضي ذهب وفضة) وفي هذه الصخرة دلالة كبيرة على كثرة الذهب والفضة في اليمن كما تدل أيضاً على شراء الشعب اليمني: لتقرر إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٩ ناهيك عن حملة اليوس جالوس التي أرسلوا بها الاستيلاء على تلك الثروات وخصوصاً بعدما سمع من أهل سبأ أنه كان لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة والأسرة والموائد الصغيرة والأبنية المصنوعة من الذهب والفضة: Cf Pliny. NH. BK. 6. 160 161
الأحجار الكريمة	اليمن	الهند	سفر الملوك ١٠ الاصحاح ١٠ آية ١٠ - ١١ سعاد الأتعاتي، المرجع السابق، ص ٢٠.	سجرت جنوب الجزيرة العربية بمختلف أنواع الأحجار الكريمة التي اشتهرت بها مثل اللازورد النظر، علي أبو عصفار، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٢٩-٤٠، ص ٨٢-٩٥، ص ٧٤ والتي لفتت أنظار الرومان فحاولوا الاستيلاء عليها: Cf: ibid. NH. BK. 6. 16-161 ; محمد السيد عبدالطفي، شبه الجزيرة العربية، ص ١٥

وأخيراً وفي ختام عرضنا لأهم البضائع التجارية المصدرة من اليمن إلى الهند فلا بد لنا ان نسلط مزيداً من الضوء على أثر هذه التجارة على ارتفاع مستوى المعيشة والأوضاع في اليمن السعيدة التي أصبح أهلها من أشهر الشعوب العربية ثراءً إذ ارتكزت ثروتها على التجارة والزراعة مما أتاح لهم عيشاً هنياً وازدهاراً اقتصادياً فترة طويلة من الزمن<sup>(١٧٧)</sup>.

فلقد نعم الشعب اليمني آنذاك برغد في العرش فكان القصر اليمني مملوء بالعبيد والجواري من الأحباش وكانت أوليهم من الذهب والفضة، ويطيب بالطور والبخور ويستنون في أجمل المباني الفخمة<sup>(١٧٨)</sup> كل هذا بفضل التجارة مع الهند وغيرها التي كانت تصلها الشعب ذهاباً وإياباً محملة بأنفس البضائع الثمينة<sup>(١٧٩)</sup>. والآن وكما استعرضنا أهم البضائع اليمنية المصدرة للهند فلا بد لنا ان نستعرض الآن أهم البضائع الهندية المنقولة إلى اليمن وهي كالآتي:

### جدول بأهم البضائع المصدرة من الهند إلى اليمن

المصلحة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
الكافور الهندي	الهند	اليمن	هابد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م)، ص ٤٨-٤٩ : أنسور عبد الطوم، المرجع السابق، ص ٦٤.	نقد احمر الكافور الهندي من الهند كأشجار وغرس في أرض اليمن في مبيعات شاسعة غير معروفة وأخذ يمدد فيها. Cf: Teixidor J., Loc. cit., Snssemítica, p. 41 والكافور هي كلمة هندية أصلاً بلغة أهل ملقا ولفظه عندهم كابلور : انظر الحواشي، المرجع السابق، ص ١٠٣.
القرقة	الهند	اليمن	محمود عرفة، المرجع السابق، ص ٢٦١، محمد المسود عبد القتي، مصادر القرنين، مجلة المذبح العربي، ص ١٠٧.	استورد العرب القرقة من الهند ثم قاموا بتصديرها إلى دول الجوار ودول العالم التي تتطلب هذا النوع من النباتات العطرية الباهظة الثمن لذلك حرص العرب على أن ينكثوا على امر الخاص بمصدر هذه المصلحة لكي تستمر تتحكم بالتجارة العربية . مصطفى عبد الطوم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصورين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، للكتاب الأول، الجزء الثاني، ص ٢٠١-٢١٣.
اللبان	الهند	اليمن	محمد المسود عبد القتي، شبه	كان اللبان يصدر من الهند إلى الجزيرة العربية

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
			الجزيرة العربية، ص ١٨٢ الناصرى، الرومان والبحر الأحمر، بيومئار للدراسات العليا، ص ٥٤.	على الرغم من أنها كانت تزرع وتنتج إلا أن هذا النوع المستورد كان متميز وله أوزان عريضة. انظر: عبد الحليم نور الدين، معرفة الآثار، ص ٨٥. وكان ميناء ظفار هو الذي يستقبل الثياب الهندي ثم يقوم بتوزيعه إلى جميع المناطق التي تطلبه. انظر محمود عرفه، المرجع السابق، ص ٢٥٥.
الأخشاب	الهند	اليمن	حوراني، المرجع السابق، ص ١١٩ The Periplus, Ch 36.	كانت السفن الكبيرة سواء الهندية أو اليمنية تفرج في ميناء المصب الهندي وتعود محملة بمختلف أنواع الأخشاب التي استخدمتها اليمن في مختلف الصناعات مثل خشب الأبنوس والصنل والمعروف بأصله الهندي : انظر سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ - آية ١١ : صلاح البكري، المرجع السابق، ص ١٢ ومن المعروف أن هذه الأخشاب المجلوبة من الهند كانت تتميز بالتلون الأحمر. انظر فضل السالحي، المرجع السابق، ص ١٣٨ The Periplus, Ch. 36.
المسك	الهند	اليمن	الحوئي، المرجع السابق، ص ١٠٣.	وهو من ضمن أهم صادرات الهند إلى اليمن : أنور عبد العظيم، المرجع السابق، ص ٦٤ وقد ورد ذكر المسك في الشعر الجاهلي فقال عنترة : توبييت لفتات المسك تحسب لقيامها لهزاد من أناسها أرح التذ للمزيد انظر بالتفصيل: الحوئي، المرجع السابق، ص ١٠٢.
الأحجار الكريمة	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢ جورجي زيدان، المرجع السابق، ص ١٩٠.	أحضرت اليمن من الهند مختلف الأحجار الكريمة مثل الياقوت والدر والزرهد . انظر الحوئي، المرجع السابق، ص ٩٢ وانظر أيضاً مساطع سحلي، طريق الحرير ومسألة نقل حضارية. دراسات تاريخية، السنة ١٢، العدد ٢٩-٤٠،

السلعة	البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
أصداف السلحفاة	الهند	اليمن	نفسولا زينة، المرجع السابق، ص ٢٧ شمارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ص ١٥٣.	(١٩٩١م)، ص ١٩-٧١، ص ٥٨. ان سكان اليمن أحضروا الأصداف من خلال تجارتهم مع أفريقيا ثم أعادوا اليمنيين تصديرها، كما استخدموا علب المجوهرات وبعض قطع الأثاث، للمزيد من المعلومات انظر: The Periplus. Ch. 30
التوابل	الهند	اليمن	السيد عبدالعزير مسالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م)، ص ٨٨.	استقبلت اليمن واردات الهند من التوابل الهندية والظبوب وغيرها من السلع الهندية . محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨٢ وانظر أيضاً أنور عبدالطيم، الملاح، ص ٦٤.
العاج	الهند	اليمن	مسد زغلول عبدالصمد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٩م)، ص ١٨٨ : منظر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٢.	هناك وثيقة أرخت في منتصف القرن الثاني الميلادي عبارة عن عقد حول سلع ورضائع غنمية استوردتها تاجر مقیم بمصر عن طريق الجزيرة العربية كان من أصلها العاج - انظر محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥ : سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠، آية ١١-٢٢.
الظبوب	الهند	اليمن	صلاح البكري، المرجع السابق، ص ٤٢ : Strabo, GE, 4: 25, The Periplus, Ch. 36.	لم تقتصر اليمن على نقل منتجاتهم بل صنعت متاجرتهم السلع التي كانوا يجلبونها من الهند مثل العنبر والحناس وغيرها من المنتجات : الحواشي، المرجع السابق، ص ٩٢ وللمزيد انظر أيضاً محمد السيد عبدالقني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٨١.
الصيوف الهندية	الهند	اليمن	لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٢٠٩	وصلت الصيوف الهندية ذات الصناعة العالية الجودة إلى الموانئ اليمنية فكانوا يجلبونها أيضاً لقوائم الخاصة لصناعة الصيوف من الهند أيضاً. انظر بالتفصيل محمود عرفة، المرجع السابق، ص ٢٦١ : السيد مسالم، المرجع السابق، ص ٨٨.

البلد المصدرة	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
اليمن	اليمن	شمالاً وزوياً، المرجع السماقي، ص ١٥٤، التنصير، المقال السماقي، <u>ميسمات الدراسات العليا</u> ، ص ٥١.	ويعتبر اللؤلؤ الهندي من أجود أنواع اللؤلؤ الأموي: انظر زيدان، المرجع السماقي، ص ١٦٠، وانظر أيضاً مسعد زطول، المرجع السماقي، ص ١٨٨.
اليمن	اليمن	نحولاً زيادة، عربيات، ص ٣٧.	لقد حمل التجار العرب اليمن ريش النعام من الهند وسيلان والصومال ثم نقلوها عبر البحر إلى مصر وجميع موانئ البحر الأبيض المتوسط؛ انظر جورجي زيدان، المرجع السماقي، ص ١٦٠.
اليمن	اليمن	نفسه، ص ٣٧.	لقد استخدم الهنود الحفر الصقبة لصيد الفيلة ثم مصديرها شمس التي كانت تصدرها هي الأخرى إلى مختلف الأسكن' الغز في المدوري، حفارات، ص ١٤٧.
اليمن	اليمن	حمد بن سراي، تاريخ شبه الجزيرة العربية لتقديم، مركز الخليج للكتاب، دبي، (١٩٩٧م)، ص ٢٢٣.	وتعتبر من أهم صادرات الهند لليمن وهو من أجود الأنواع جورجي زيدان، المرجع السماقي، ص ١٦١، The Periplus, Ch. 24.
اليمن	اليمن	م روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٤٦.	يعتبر الفطن من أهم السلع الهندية الواردة لجنوب الجزيرة العربية للمزيد انظر زيدان، المرجع السماقي، ص ١٦٠، وليس الفطن وحسب ولكن ورد للجزيرة من الهند مختلف أنواع الأقمشة من الصوف والكتان الملون، للمزيد انظر روستوفتزف، المرجع السماقي، ص ٢٣١.
اليمن	اليمن	The Periplus, Ch. 28، روستوفتزف، المرجع السماقي، ص ١٤٦.	صدرت الهند لليمن أجود أنواع الحرير الهندي على شكل لفائف حريرية: انظر محمد حبيب خرايات، المقال السماقي، دراسات تاريخية، ص ١٠٩، وكانت هذه اللفائف تصل إلى اليمن من طريق الهند أو الصين على خط الحرير الصيني انظر روستوفتزف، المرجع السماقي، ص ١٠٧ ومن المعلوم لدينا أهمية الحرير حتى

المعلنة	المصدر	البلد المستوردة	المراجع	الملاحظات
				<p>أنه اعتبر كوسيلة للتبادل التجاري الفندي إلى أن ظهر لنا ورق الكاغذ الحريري كسلة نقدية: انظر محمد فرزات، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ٩٨ لذلك استورد العرب المسلمون على شكل نقائل ومنسوجات حريرية زائفة ونقائفة الصناعة يتحدث عنها صاحب كتاب الصوائف الطر:</p> <p>Cf: The Periplus, Ch. 31 and Cf also: 32. وانظر أيضاً أنور عبد العظيم، المرجع السابق، ص ٦٤ وأخيراً فقد عرفت نساء الرومان بتجميع الأقمشة الحريرية الهندية والشامية والتي كانت تصل لها من الهند عن طريق العرب المسلمين في الجنوب: حول، المرجع السابق، ص ١٧. وللمزيد من المعلومات عن الحرير الهندي انظر بالتفصيل الحوفي، المرجع السابق، ص ١٠٦ وانظر أيضاً محمد السيد عبد القوي، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٥.</p>
الفرنقل	الهند	اليمن	مساطع محشي، طريق الحرير، دراسات تاريخية، ص ٥٨.	<p>ارسلت الهند لليمن الفريقل الهندي الطوب الرائحة والذي استعمله اليمن وصدره إلى معظم دول العالم القديم: هاريد، المرجع السابق، ص ٤٩.</p>
الرفيق	الهند	اليمن	محمد بن سري، المرجع السابق، ص ٢٢٣.	<p>صدرت الهند لليمن الرفيق مواداً كانوا يحدوا أو يحدوا وفي هذا إشارة واضحة إلى رفاهية الشعب اليمني وارتفاع مستوى المعيشة لديه للمزيد انظر: نقولا زيادة، عربيات، ص ٣٧ وكان من شدة اهتمام أهل مينا تعهده التجارة لهم وضعوا لها القوات المنظمة للتجارة بها. انظر عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ٢٦٥.</p>
النحاس	الهند	اليمن	حورتي، المرجع السابق، ص ٤٩. The Periplus, Ch. 36	<p>تاجر سكان اليمن مع الهند في الأواني النحاسية التي كانت تصلهم من الهند عن طريق البحر. الشويه، المرجع السابق، ص ٢٣٨. Cf: The Periplus, Ch. 36.</p>

الملاحظة	المراجع	البلد المستوردة	البلد المصدرة	المنتجة
وجد معن الذهب وكثرة في الهند من دفعها إلى تصديره للجزيرة العربية على شكل حلي ولواتي منزلة: Cf: The Periplus, Ch. 24 والنظر: مابلز، الفلوج بدائه وقبائله، ترجمة محمد أمين عباد الله، التراث القومي، عمان، (١٩٨٣م)، ص ٣٠ وللمزيد من المطويات انظر الثورة: حرقيا، الإصحاح ١٦ آية ١٣.	منذر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٢ ؛ سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ دي لامي اوليري، المرجع السابق، ص ٩٥.	اليمن	الهند	الذهب
استخدم اليمن آية الفضة في منازلهم من شدة ثرائهم وزفاهيتهم انظر سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ ؛ حمد بن سري، المرجع السابق، ص ٢٢٢.	زيدان، المرجع السابق، ص ١٦١ ؛ حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٤.	اليمن	الهند	الفضة
لقد استمر اللؤلؤ الهندي بجودته فكانت تصدره للجزيرة العربية التي كانت تأخذ ماتزيمها منه وتصدر الباقى بعدها من مناطق العالم القديم. انظر فلدن البكري، المرجع السابق، ص ٣٨٢ ؛ شارلز ورت، المرجع السابق، ص ١٥٤.	The Periplus, Ch. 36.	اليمن	الهند	اللؤلؤ
صدرت الهند لليمن القرد والطواويس والرايت القرد منتشرة في مرتفعات اليمن، حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩.	سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و١٢ ؛ حوراني، المرجع السابق، ص ١٤٩.	اليمن	الهند	القردة و الطواويس

وأخيراً بعد عرض تلك البضائع النفيسة التي تصدرها الهند لليمن لا بد ان نعلم أنه بفضل تلك التجارة ارتفع دخل الشعب الهندي واليمني وأصبحتا كلتا الدولتين الهندية واليمن محط أطماع وأنظار الدول العظمى آنذاك<sup>(١٧٧)</sup>.

حتى ان بليني<sup>(١٨٠)</sup> أشار إلى الحجم الضخم من البضائع التي تستوردها الإمبراطورية الرومانية من الهند وشبه الجزيرة العربية والتي تأخذ مقابلها مليون ستركة Steraca وهو مبلغ يعتبر ضخماً جداً آنذاك لتغطية ترف النساء الرومانيات.

١- أثر ازدهار التجارة على المجتمع اليمني:

وبعد أن تعرفنا على أهم صادرات وواردات كلاً من الهند واليمن جاء الآن دور الحديث عن صادرات وواردات من نوع آخر ألا وهي تلك المؤثرات الحضارية التي اكتسبها كلاً المنطقتين من جراء احتكاكها بالأخرى.

استفادت اليمن من موقعها الجغرافي في جنوب الجزيرة العربية فأصبحت على طريق الهند التجاري وأصبحت سفن كلاً من الهند واليمن ذهاباً وإياباً في مياه المحيط الهندي<sup>(١٨١)</sup>. وهو ما تحدثت عنه المصادر الكلاسيكية وأظهرته لنا النقوش وهو أن التجار العرب من اليمن وبالأخص حضرموت كانوا يركبون سفنهم من بلادهم إلى الهند مستفيدين بذلك من اكتشاف الرياح الموسمية على يد هيبولوس كما سلقنا -<sup>(١٨٢)</sup>.

ويفضل تلك التجارة المشتركة اختلطت اليمن والهند معاً وتبادلاً الثقافة والحضارة على جميع الأصعدة فبالي جانب الازدهار التجاري الذي تولى أمر الإسهام المناسب في دعم البناء الاقتصادي، كانت العسرة الحضارية التي حققها الانفتاح الاقتصادي وتبني أهدافها التجارية هي الحافز الرئيس لقطاع كبير من أهل هذه الدولة فلقد استفادوا كثيراً بالانفتاح الحضاري وطوعوه لحساب الانفتاح الاقتصادي، وترسيخ العلاقات التجارية المتبادلة بينهم وبين الأنظار والأمصار من حولهم بغرض الحصول على أكبر قدر ممكن من الرفاهية والرغد في العيش<sup>(١٨٣)</sup>. فمن خلال النشاط التجاري، عاد ازدهار اليمن القديم وقاعدة ثمنه دخلت كل المؤثرات الحضارية بين اليمن والهند بالعذر المطلوب ليجدد تلك الحضارات وتساعد على نموها وتطويرها<sup>(١٨٤)</sup>.

ومما سبق عرضه يمكن القول ان التجارة تعتبر هي همزة الوصل بين الشعوب ورمز انتقال الحضارة الودي السلمي بينها. وأكبر دليل على مدى قوة البناء الاقتصادي اليمني أنه اعتمد على مجموعة من القوانين التجارية التي تنظم الضرائب وعملية البيع والشراء في كلاً من تمنع وفيان اللتان حرصتا على دقة تنفيذها. من أجل الحفاظ على الأرباح المتأتبة من التجارة<sup>(١٨٥)</sup>.

ولمنا نشك في ان اليمنيين أثروا من مركزهم التجاري فعاش المجتمع اليمني في سعة من العيش، لم ينعم بها غيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية ولا سيما كبارهم الذين كان لهم حظاً وافراً من رفاهية العيش والتنعم في مختلف أنواع الطعام والشراب، إذ كان يطبخ في بيت

الرجل منهم عدة ألوان وأصناف من الطعام ويعمل في منازلها السكر، وتطيب أدانيهم بالبخر والبخور<sup>(١٨٦)</sup>.

وكان لكلاً منهم الحشاية الخاصة به، وفي منزله الأثيق والتكبير الكثير من الإماء والجواري، وعلى بابه حملة من الخدم والعبيد والمحضيات سواءً من الهنود أو الجيوش حتى إن المؤرخ بليني يبدى حسده لليمين من ثرواتهم هذه ورفاهتهم الواضحة في وفائهم حين يحرقون في جنازات الموتى بخوراً بكميات هائلة يفترض إحراقه في معابد الآلهة في روما<sup>(١٨٧)</sup>.

## ٢- الوكالات التجارية اليمنية في الهند:

وإتماماً لعملية التبادل التجاري الناجح بين القطرين كان لابد للتجار اليمنيين من اتخاذ بعض التدابير والإجراءات التي من شأنها إيصال البضائع سالمة إلى الجهتين.

ونحن في عصر السرعة الذي نعيش فيه الآن غفلنا ماكان يلاقيه الأقباط من مخاطر عندما كانوا يرسلون البضائع بواسطة سفن صغيرة تقطع رحلات بحرية طويلة ومعرضة للعواصف والحروب والقرصنة، ولعلاج ذلك كانوا يقيمون بعض العلاقات الشخصية مع أناس من أهل هذه المناطق البعيدة، أو يرسلون مندوباً معتمداً على الشحنة المصدرة، وكان هذا المندوب عادةً ابناً لأحد كبار التجار أو صديقاً أو عبداً<sup>(١٨٨)</sup>.

وإتماماً لهذه العملية استقر الوكلاء اليمنيين في هذه الموانئ الهندية البعيدة لمراقبة أعمالهم وعلى مضي الزمن كونوا حلقة حول الحوض الشرقي من المحيط الهندي وزاولوا ويأثروا تجارتهم فيه<sup>(١٨٩)</sup>.

كون اليمنيون وكالات كبيرة في الهند في منطقة جندوزيا وينو هناك مدناً وأنشأوا لمطولاً يغزو ويروح بين الهند واليمن بأصناف المتاجر وأنواع البضائع ويكنون هناك سلطة دونها كل سلطة ونفوذاً دونه كل نفوذ. وقبضوا على زمام التجارة من خلال هذه الوكالات التجارية احتكروا غلات البلاد وزاحموا أهلها في أرزاقهم وعرفهم الهنود باسم عربو (Arabitoes) أي العرب<sup>(١٩٠)</sup>. ويفضل هذه الوكالات التجارية وصلت الحضارة الهندية إلى كلاً من جنوب الجزيرة العربية وباقى بلاد العالم القديم<sup>(١٩١)</sup>.

## ٣- الهجرات اليمنية للهند:

لقد فرضت العوامل الطبيعية ضوابط حددت اتجاهات الهجرات السكانية من شبه الجزيرة العربية وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت شبه الجزيرة بالأقاليم المجاور لها وكذلك في طرق بحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة، فقد اتجهت التحركات البشرية المبكرة صوب أقاليم الأمطار كما سعت في الأقطار المطلة على المحيط الهندي<sup>(١٩٢)</sup>.

ويجب أن لا تغيب عنا نزعة اليمنيين إلى الهجرة حتى وإن كانت طبيعة بلادهم وظروف التجارة ومركزهم التجاري في العالم القديم حثمت عليهم تلك الهجرة وكانت تحملهم على السفر الدائم فنزعتهم للخروج من بلادهم مركبة بطريقة أصلية وفي نفس الوقت مكتسبة من ظروفهم العامة<sup>(١٩٣)</sup>.

فأخذت القبائل اليمنية تهاجر وتستقر خارج اليمن وخاصة على الطرق التجارية الهامة ومواء كانت هذه الهجرة راجعة إلى اضطرابات داخلية أو إلى الرغبة في المزيد من بسطة العرش وسعته أو إليهما مجتمعة وإلى غيرها من الأسباب، المهم في الأمر أنه ترتب على تلك الأسباب أنه نزحت قبائل يمنية كثيرة من اليمن إلى خارجه وأسست لها مستوطنات ووحدات تجارية قوية حيث استقرت<sup>(١٤١)</sup>.

وكما ذكر اجثارخديس بأن العرب اليمنيين أسسوا لهم مستوطنات تجارية في الهند نفسها<sup>(١٤٢)</sup> التي سكنوا واستقروا بها<sup>(١٤٣)</sup>.

ومن خلال هذه الهجرات نستطيع ان نستنتج انه كان لها الفضل في نقل ثقافة اليمنيين للهنود والعكس الاحتكاك المباشر والذي أدى إلى انفتاح حضاري كبير منذ ولّت طويل بين الحضارتين اليمنية والهندية كما أدت إلى نتيجة أخرى تمثلت في ان التحركات البشرية التي اتجهت إلى الهند استطاعت ان تعالish أتماطاً من الحضارة الهندية بل وتستوعبها لتخرج لنا مجموعة من الأتماط الحضارية المشتركة والممزوجة في بوتقة حضارته واحدة ومن ثم تحولت منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية إلى ملتقى حضاري كبير.

وهناك سؤال يفرض نفسه، هل كانت هناك هجرات هندية لليمن ؟ والجواب على ذلك واضح جلي فمنطقة جنوب الجزيرة العربية كانت أرقى مناطق الجزيرة تمدنا في مدارج الحضارة وأكثرها كثافة في عدد السكان العاملين أغلبهم في التجارة<sup>(١٤٤)</sup>.

تلك التجارة التي دفعت التجار الهنود إلى ركوب البحر إلى اليمن والمتاجرة معها بل وتكوين جاليات هندية مهاجرة إلى اليمن من أجل مباشرة أعمالهم هناك فاقطنوا الوحدات التجارية في اليمن وتزوجوا وتعايشوا مع أهلها<sup>(١٤٥)</sup>. ومما يؤكد ذلك اننا عثرنا على نفس في اليمن ذكر فيه أن سفيراً هندياً باسم (ده رده) كان متجهاً إلى روما ولكنه في طريق رحلته مكث فترة في حضرموت عند بعض أقاربه إبان رحلته إلى روما<sup>(١٤٦)</sup>.

من هذا النقش نستنتج وجود جاليات هندية مستقرة في اليمن تربطها بالحكومة اليمنية علاقات صداقة ومودة سواء على مستوى الحكومات أو الأفراد.

ومن الجدير بالذكر وكنتيجة حتمية لتلك الهجرات وامتزاج المجتمعين الهندي واليمني بعضها البعض ان تنشئ روابط اجتماعية قوية مثل تبادل الفنون والعلوم ومختلف مظاهر الحضارة الزواج والمصاهرة<sup>(١٤٧)</sup> حتى ان المسعودي في فترة متأخرة يقول (صاحبت مشايخ في المحيط الهندي ولدوا ونشأوا من ربابين ووكلاء وتجار يمتون) وهم بالطبع من أبناء اليمن المهاجرين إلى الهند<sup>(١٤٨)</sup>.

هذا ولقد عثر علماء الآثار على الكثير من النقوش المسببة والقبائلية<sup>(١٤٩)</sup> في أقطار عربية وغير عربية بعيدة كل البعد عن اليمن ((مثل الهند))، وهي لا تحتم ان يكونوا اليمنيين غزو هذه الأقطار غزواً، وإنما تظهر مقدار متواضعاً من الحقيقة وهي ان اليمنيين كان لهم في ذلك العصر وجو حقيقي طويل في هذه المناطق، كمهاجرين فاستوطنوا المناطق الجديدة وامتد

وجودهم العربي إليها.

أيضاً يمكننا القول بأن النشاط التجاري اليمني كان بلا ريب الوسيلة الفاعلة والمضمونة في نقل الحضارة اليمنية إلى الهند، فمتها أخذ الهنود علوم الفلك والتنجيم والدين ومعظم معالم الحضارة والتقدم الفكري، وأنه لمن المؤكد أن الحضارة الهندية لم تكن من صنع يدها وحدها، وإن الهنود لم يكونوا هم الأساس في كل مناحيها ولكنهم استطاعوا أن يتصلوا معظم حضارة اليمن وغيرها من الأمم التي اتصلوا بها، ولعل هذا النقل يعتبر أحد مخلفات الحضارة والتقدم التجاري الذي أسلفنا الحديث عنه<sup>(٢٠٣)</sup>.

يجب أن نفهم هنا أن اليمن لم تكن هي المصدر الوحيد لتلك الحضارة ولكنها كانت مصدراً ومستورداً أيضاً من الهند التي أمدت اليمن بمختلف مظاهر الحضارة والعلوم والفنون حتى أننا نجد أن نساء اليمن تأثرن في بعض ملابسهن بالأزياء الهندية الملونة والمطرزة والمزركشة<sup>(٢٠٤)</sup>.

وأخيراً وختاماً لكل ماسبق عرضه فلقد تناولنا طبيعة العلاقة التجارية التي ربطت بين الهند واليمن وطرق التجارة بها سواء البرية منها أو البحرية وأنواع البضائع المصدرة والموردة من كلتا الدولتين كما أوضحنا أخيراً أهم **المؤثرات الحضارية** سواء كانت هندية أو يمنية ومدى تأثير وتأثر كل واحدة منها بالآخرى في مجال التجارة والعلوم والفنون وغيرها من مظاهر الحضارة المختلفة.

## المصادر والمراجع

### المصادر العربية:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- العهد القديم والعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م).
- ٣- الإصطخري، (اسحق إبراهيم الفارسي)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، ومحمد غبريد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، (١٩٦١م).
- ٤- الحموي، (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٧٩م).
- ٥- الهمذاني (الحسن بن أحمد بن يعقوب)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوخ، دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، (١٩٧٧م).

### المراجع العربية والعربية:

- ١- إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م).
- ٢- أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشلم، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م).
- ٣- أحمد الحوقي، الحياة العربية في أشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، (١٩٧٣م).
- ٤- أحمد رحيب هيو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، دمشق، (١٩٨٠م).
- ٥- أحمد سوسه، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩م).
- ٦- أحمد شرق الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ج ٢، (١٩٦٧م).
- ٧- إسرائيل ولفنسوف، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٢٩م).
- ٨- إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، (١٤٢٧هـ).
- ٩- أسهمان الجرو، موجز التاريخ السيلسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م).
- ١٠- أغاظيوس وغويدي وإبراهيم السامرائي، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحديث، بيروت، (١٩٨٦م).
- ١١- أنور عبدالعظيم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م).
- ١٢- برهان الدين نلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م).
- ١٣- توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر العربي، بيروت، (١٩٨٤م).
- ١٤- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج ٢، (١٩٧٠م).
- ١٥- جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م).

- ١٦- جودجي زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٩٢م).
- ١٧- جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ترجمة داوود قريات، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، (١٩٨٣م).
- ١٨- حسين الشيوخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م).
- ١٩- حسين شهاب، ابن ماجد والملاح في المحيط الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م).
- ٢٠- حلمي محروس، الشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م).
- ٢١- حمد بن سري، تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم، مركز الخليج للكتاب، دبي، (١٩٩٧م).
- ٢٢- دانيال بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري وأحمد العصفاف، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م).
- ٢٣- دتليف نلسن وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م).
- ٢٤- دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة. ترجمة موسى الفول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م).
- ٢٥- ربيع القيسي وصباح الشكري، دراسة ميدانية لمسوحات مواقع أثرية في شطري القطر النيماني، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (١٩٨١م).
- ٢٦- ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م).
- ٢٧- سعاد ماهر، الحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م).
- ٢٨- سعيد الأتقاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م).
- ٢٩- سعيد زغلول عبد الحميد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٧٦م).
- ٣٠- سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م).
- ٣١- سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م).
- ٣٢- سب، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي. دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٣٣- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (٢٠٠١م).
- ٣٤- شارلزورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس، ومحمد خلفا، الهيئة المصرية

العاملة، القاهرة، (١٩٥٠م).

٣٥- صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة سبورين للدعاية والنشر، عمان، (١٩٨٨م).

٣٦- صلاح البكري، تاريخ حضرموت السياسي، المطبعة السنلفية، القاهرة، (١٣٥٤هـ).

٣٧- صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الحكومية، الكويت، (د.ت).

٣٨- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م).

٣٩- عبدالحليم نورالدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، مطابع المجلس الأعلى للآثار، القاهرة، (٢٠٠٨م).

٤٠- عبدالله الشوبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي النوري، اليمن، (٢٠٠٠م).

٤١- فتحي أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٤٤م).

٤٢- فضل الجاثم، الحضور اليمني في الشرق الأدنى، دار علاء الدين، دمشق، (١٩٩٩م).

٤٣- قليب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.ج.ن).

٤٤- قريي كعجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م).

٤٥- كمال الصالح، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م).

٤٦- لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م).

٤٧- مايلز، الخليج بلداته وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله، مطبعة آمون، القاهرة، (١٩٨٣م).

٤٨- محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٦٦م).

٤٩- ـ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م).

٥٠- محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهدان للطباعة، اليمن، ج ١، (١٩٦٨م).

٥١- محمد الشاعر، الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وعصر جوستانف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٩م).

٥٢- محمد باقر، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م).

٥٣- ـ، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ).

٥٤- محمد بيومي مهران، الحضارة العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

٥٥- محمد عبدالقوي، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة دراسة وثائقية،

- المكتب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩١م).
- ٥٦- شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (١٩٩٩م).
- ٥٧- محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ج ٣، (١٩٧٨م).
- ٥٨- محمود عرفه، العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهرهم، دار عين، للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م).
- ٥٩- منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م).
- ٦٠- مي السديري، حضارات، (د.ن)، الرياض، (١٤٣١هـ).
- ٦١- ميخائيل روستوفتسف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي، ومحمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت).
- ٦٢- نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر حويجاني، مراجعة زكية طنبويزة، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، (١٩٩٢م).
- ٦٣- نقولا زيادة، عربيات حضارة وثقافة، (د.ن.م)، (١٩٩٤م).
- ٦٤- نوره النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، (د.م)، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨.
- ٦٥- نينا فكتورفيتا، العرب على حدود بيرزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م).
- ٦٦- الهادي أبو لقمة ومحمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية، بنغازي، (د.ت).
- ٦٧- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٥م).
- ٦٨- هيا آل ثاتي، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م).
- ٦٩- وديع بشور، سوريا قصة الحضارة، دار الفكر، (د.م)، ج ١، (١٩٨٩م).
- التدريبات العربية:
- ١- أليزيث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبترو، ترجمة محمود محمود، الإدارة، الرياض، السنة الثمانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ٢٨-٤٣.
- ٢- بشير زهدي، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثمانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ١١٩-١٣٨.
- ٣- جروم، الجرماء مدينة مفقودة، جولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف،

- الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥.
- ٤- ساطع محلي، طريق الحرير - طريق الحوار طريق الحرير، ١٩٩١ وسيلة نقل حضارية، دراسات تاريخية، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٤٩-٧١.
- ٥- سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سيماندر الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨.
- ٦- علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، دراسات تاريخية، مجلة جامعة دمشق، (١٩٩١م)، العدد ٣٩-٤٠، ص ٨٣-٩٥.
- ٧- فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات البرية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١.
- ٨- محمد حرب فرزات، بين الصين والشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
- ٩- محمد حرب فرزات، حوار الحضارات على طريق الحرير بين الصوف والشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ٩٦-١١٨.
- ١٠- محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٣٣.
- ١١- مصطفى عبد العظيم، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مطبعة جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ج ٢، ص ٢٠٩-٢١٣.
- ١٢- مهيب غالب كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢٠١، (٢٠١١م).
- ١٣- نقولا زيادة، دنيل البحر الارترى وتجارة الجزيرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٤هـ)، ص ٢٥٩-٢٧٧.

المصادر الأجنبية:

- ١- Appian, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heiremans, Ltd. London, (1972), 4 vol.
- ٢- Arrian, History of Alexander and Anabasis Trans. By: E. Iliff Robson William Heinemann Ltd., London. (1946), 2 vol.
- ٣- Maiale J., Chronographia, ed., L. Dirdrof, (SCHB), Bonn, (1831).
- ٤- Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warrington, William Heinemann, London, (1969), vol. 2.
- ٥- Polybius, The Histories, Trans. By: W. R. Paton, William

- Heinemann, London, (1926).
- Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans., By: H. B. -٦  
Dewing, William Heinemann Ltd, London, (1970), vol. 7.
- Quintus Curtius, Trans. By: John C. Rolfe, William Heinemann -٧  
Ltd, London, (1970).
- Strabo, Geography, Trans. By: Horace Leonard Jeonard Jones, -٨  
William Heinemann Ltd, London, (1966), vol. 8.
- The Periplus Maris Erythraei, Trans. By: Casson, Princeton -٩  
University Press, New Jersey, (1914).
- المراجع الأجنبية:
- Albertini E., L'empire Romain, Librairie, Elixalcan, (1929). -١
- Bagot J., The Great Arabs Conquests, Hodder and Stoughton, -٢  
(1960).
- Bell, R., Introduction to the Quran, Edinburch, At The University -٣  
Press, London, (1953).
- Benglson H., The Greeks and the Pergians, Weidem Feld and -٤  
Nicolson, London, (1964).
- Bowersock W., Roman Arabia, Harvard University Press, -٥  
London, (1983).
- Burlot J., La Civilisation Islamiaue, Moorehean, A., African -٦  
Terilogy, London, (1952).
- Cantineau J., Le Dialecte Arabe De Palmyre, Beyrouth, (1934). -٧
- Ernest J., Backround of the Middle East, Cornell University -٨  
Press, New York, (1952).
- Fayyaz S., As short History of Islam, London, (1960). -٩
- Fowden G., Empire to Common Wealt, New Jersey, (1993). -١٠
- Glubb J., The Great Arab Conovests, Hodde and Stoughton, -١١  
(1960).
- H.O. Pub, Sailing Direction for the Red Sea and Gulf of Aden, -١٢  
The Hydrographie Office Under the Quthority of the Secretary of  
the Navy, United States, (1952).
- Hannond N., Scullard, The Oxford Classical Dictionary, AHhe -١٣

- Clarendon Press, Printed in Great Britain, Second Edition, (1970).
- Kirk G., A short History of the Middle East, Surjeet Publication, -١٤  
(1981).
- Leiss B., and Arnold H., A survey of Arab History, Cairo, (1987). -١٥
- Mattingly H., Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold -١٦  
Publishers. Ltd, (1959).
- Perry G., The Middle East Fourteen Islamic Centuries, New -١٧  
Jersey, (1992).
- Peter M., The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976). -١٨
- Potts D., The Arabian Gulf In Antiquity, Clarendon Press, -١٩  
Oxford, (1990).
- Raoul Mclaughlin, Rome and the Distant East, Continuum UK the -٢٠  
Tower Building 11 York Road, London, (2010).
- Robinson E., A History of Rome, Met hum Educational Ltd., -٢١  
London, (1978)
- Schmidt G., A concise History of the Middle East Egypt, (1983). -٢٢
- Sadillot, Histoire Des Arabs, Librairie Hachette Et, (1954). -٢٣
- Sinnigen W. and Boak, A., A History of Rome, To A. D. 565, -٢٤  
Macmillan Publishing Co., Inc, New York, (1977).
- Tenney. F., and Other, An Economic Survey of Ancient Rome, -٢٥  
The Johns Hopkins Press, Baltimore, (1938), Vol. IV.
- Warmington E., The Commerce Between The Roman Empire and -٢٦  
India, Curzon Press Ltd, London, (1974).
- Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963). -٢٧
- Zwemmer R., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. -٢٨  
Wheaton Co. Ltd., Exeter, London, (1986).

الدوريات الأجنبية:

- Bury J., and other, CAH, Cambridge, (1924), vol. I, pp. 188- -١  
203.
- David G., The Saracens and the Defense of the Arabian -٢

Frontier', BASOR, Bulletin of the American School of Oriental,  
New Haven, (1978), pp. 1-20.

Shahid J., 'The Rise and Domination of the CIH, Cambridge,  
vol. 1, (1970).

Teixidor J., 'Un Port Romain Du Desert Palmyre', Semitica,  
Librairie D'Amerique Et D'Orient, Paris, (1984), vol. XXXIV, pp.  
16-55.

-٣

-٤



## الملاحق

- (١) بشير زهدي، طريق الحرير وتطور مدينة القوافل، دراسات تاريخية، السنة الثانية عشر، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١)، من ص ١١٩-١٣٨.
- (٢) لطفي عبدالوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٨٨م)، ص ٨٩، فتحى أبو عيانه، دراسات في جغرافية شبه الجزيرة العربية، دار المعرفة الجامعية، بيروت، (١٩٩٤م)، ص ٣؛ إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة العربية القديم، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص ١١٣.
- (٣) العبادي أبو لقمة، محمد الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجاهدية، بعبلي، (د.ت)، ص ٣٤.
- (٤) جورج فصلو جوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ٢٣-٢٤.
- (٥) نوره المعوم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، دار السوف تشتر وأنوريج، (م.م)، للطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، ص ٢٤٨.
- (٦) ولمزيداً من المعلومات عن موقع **تيمس** وأهميته الاستراتيجية والتجارية؛ انظر بالتفصيل الحموي، (شهاب الدين ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (١٩٦٠م)، ج ٥، ص ٤٤٧-٤٤٨؛ الهمداني، (المسار التيمس الخمس من أحمد)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكرع، دار اليمامة، الرياض، (١٩٧٧م)، ص ٧٨٥-٧٨٧.
- (٧) Ernest Jack, Background of the Middle East, Cornell University Press, New York, (1952), p. 90.
- (٨) Pliny, Natural History, Trans. By: E.H. Warmington Heinerman Ltd, London, (1969), Vol. 2. BK. 6. XXVI. 101 ; Sedillot, Des Araps, Librannie Hachatte Et, (1954), p. 24 ;
- طيب حتى، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الدار المتحدة، (د.م)، ص ١٦٣؛ محمد أبو المحاسن عصفور، تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٤٩.
- (٩) فاطمة صلاح الدين، العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني، مجلة مركز الدراسات الأردنية والقويش، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ١٧١-١٩١، ص ١٧١.
- (١٠) منذر البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الدول الحديثة في اليمن، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، (١٩٨٠م)، ص ٣٨٢؛
- Joseph Burliot, La Civilisation Islandoue, Moore Hean A., Friran Teritogy, London, (1952). p. 8.

- (١١) المعهد القديم والمعهد الجديد، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (١٩٨٦م)، سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ٢ : جورج حوراني، العرب والملاحة، ص ٧٨ : Peter Mansfield, The Arabs, Penguin Book Ltd, London, (1976), p. 14
- (١٢) Leiss, B. and Arnold H., A survey of Arab History Cairo, (1987), p. 30 ; Richard Beu, Introduction to the Quran, Edinburgh, At the University Press, London, (1953), p. 5.
- (١٣) إسرائيل ولبنان، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، (١٩٩٢م)، ص ٢٣٢ : دتليف لسن، وآخرون، التاريخ القديم، ترجمة فؤاد علي وزكي حسن، مكتبة النهضة، القاهرة، (١٩٥٨م)، ص ٢٧٤.
- (١٤) سفر أشعيا الإصحاح ٤٣، آية ٣ : سفر حزقيال الإصحاح ٢٣، آية ٤٢.
- (١٥) Pliny, NH, BK VI, 26-101.
- (١٦) Eugene Albertini Le'mpire Roman, Librairie, Eix Alcan (1929), p. 229.
- (١٧) فاطمة صلاح الدين، المعدل لسبق. مجلة الدراسات النوبية والتفوي، ص ١٨١.
- (١٨) The Perplus Mans Erythraei, للمريد من المعلومات عن الدولة الحميرية انظر بالتفصيل: (18) Trans. by. Casson, Princeton University Press New Jersey, (1914), Chapter. 23 and cf also 36.
- (١٩) فتحى أبو عيانه، المرجع السابق، ص ١٦.
- (٢٠) للمريد من المعلومات عن المصريين انظر: نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويحان، مراجعة ركية طنوزادة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٩٢ : ١٠٠ : وانظر أيضاً إبراهيم سيف الدين وآخرون، مصر في العصور القديمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٩١م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢١) ولמידاً من المعلومات عن الآشوريين انظر بالتفصيل: حلمي محروس، للشرق العربي القديم وحضارته، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، (١٩٩٧م)، ص ٦٧-٩٥ : وانظر أيضاً: طه باقر، مقدمه في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية، العراق، (١٩٥٥م)، ص ٤٧٣-٥٤٦.
- (٢٢) محمد أبو المحاسن عصمفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٤م)، ص ٢٧٨-٢٨٢.
- (٢٣) جورجى زيدان، العرب قبل الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، (١٩٢٢م)، ج ١، ص ١٦٠.
- (٢٤) عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعى الثقوي، اليمن، (٢٠٠٠م)، ص ٢٢٦.
- (٢٥) Pliny, NH, BK. VI, 32 , The Perplus, Ch. 31.
- (٢٦) حوراني، المرجع السابق، ص ٦٣.

The Periplus, Ch. 19.

(٢٧)

(٢٨) محمد السيد عبدالحسي، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٤.

(٢٩) Pliny, NH. BK. XXVI. 101. دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى العزل، منشورات وزارة الثقافة، عمان، (١٩٩٠م)، ص ٩٥. والإمبراطور تيطريوس هو الإمبراطور الثاني للإمبراطورية الرومانية تولى العرش وهو في الخمسين من عمره ولكنه تميز بالحكمة وبعد النظر ووضع قانت له ابن أخته وابنه باليبي جرمانكوس Germancus: المزيد من المعلومات عن هانيئ الإمبراطورين وباليبي الأنطلة الإمبراطورية الرومانية انظر: E. Robinson. A History of Rome, Methuen Educational Ltd., London, (1971), p. 279 Sirmien. G. and B. Arthur, A history of Rome to A.D. 565, Macmillan publishing Co. inc, New York, (1977), p. 226. Pliny, NH. BK. XXVI. 101.

(٣٠)

(٣١) محمود عرقه، العرب قبل الإسلام أحوالهم وأسماءهم وأهم مطهرهم، دار عين للدراسات، القاهرة، (١٩٩٥م)، ص ٢٥٩. نور زباد، عربات حضارة ولغة، (د.م)، (١٩٩٤م)، ص ٦٠. (٣٢) صالح دراكه، بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام. مؤسسة سوريين للدراسة والنشر، عمان، (١٩٨٨م)، ص ١١٠.

(٣٣) وهو ملك مقدونيا: SF: Quintus Curtus, History of Alexander, Trans By: John Rolfe William Heinemann Ltd, London, (1970), BK. I. p. 19. الثاني أولمبياس ويعتبر الأسكندر بلا شك أكثر قادة عصره شهرة لأنه هو أول من أدخل نظام جديد في الحضارة الإغريقية: CF: N. Hannond H. Scullard The Qufor Classical Dictionary, At the Clarendon press printed in Grent Britain, Second Edition, (1970), pp. 39-41. والمزيد من المعلومات عن شخصية الأسكندر الأكبر انظر: Arnans, Roman History, Trans By: Horace White, William Heinemann, London, (1972), 4 vols, BK. 181.

(٣٤) قدري قلنجي، الخليج العربي، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٥م)، ص ٤٠. (٣٥) سعد ماهر، المحرقة في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجتمع العلمي، جدة، (١٩٧٩م)، ص ٥٧. إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨. (٣٦) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، سمات الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ٢٩-٦٨، ص ٣٦. أثيرييث مونرو، الجزيرة العربية بين البخور والبخور، ترجمة محمود محمود، الدارة، الرياض، المعة الثانية، العدد الخامس، (١٩٧٦م)، ص ٢٨-٤٣، ص ٣٦.

Strabo, op. cit., BK. XV. 1-73 , Hermann Be Ngtsen, The Greeks and the (٢٧)  
Persians, Weiden Feld and Nicholson, London, (1964), p. 320; Bowersock,  
W., Roman Arabia, Harvard University Press, London, (1983), p. 43.

(٣٨) للمزيد من المعلومات عن هذه المراحل العسكرية انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، دراسات في تاريخ  
اليمن القديم، ص ١٨ + محمد يوسف، العلاقات التجارية بالهند، مجلة كلية الآداب، مطبعة فؤاد  
الأول، القاهرة، (١٩٥٣م)، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول، ص ١-٢٣، ص ٤٣-٤٤  
(٣٩) إسماعيل عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ١٢٨.

Albertini, E., L'empire Romain, Librairie, p. 229. (٤٠)

Strabo, op. cit., Bk. 15.4 , David F. Graf, The Saracens and the Defense (٤١)  
of the Arabian Frontier, American Schools of Oriental Research, Copyright,  
(1978), p. 3.

John Glubb, The Great Arab Conquests Hodde (٤٢) ، المرجع السابق، ص ٢٥  
and Stoughton, p. 22.

Strabo, BK. 16.4.16. (٤٣)

Strabo, BK. 16.4.23 , Pliny NH. ١:٥٥ ح'١، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ج'١، ص ١٠٥  
BK. V. ١2. 159-162

(٤٥) مندر البكر، المرجع السابق، ص ٤١ + اسمهان الحرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه  
الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، (١٩٩٦م)، ص ١٩٧-٢٠١.

(٤٦) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات البردية والقبو، ص ١٨١  
Pliny, NH. ١ BK. 6.141.

(٤٧) مندر البكر، المرجع السابق، ص ٤١.

(٤٨) سيد الناصري، المقال السابق، مندر للدراسات العليا، ص ٣٢.

(٤٩) صالح دراكه، المرجع السابق، ص ١١٠.

(٥٠) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ص ٢٥٨ + حسين شهاب، ابن ماجه والملاحه في المحيط  
الهندي، مركز الدراسات في الديوان الأميري برأس الخيمة، الإمارات، (١٩٨٨م)، ص ١٤.

(٥١) سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٤م)، ص ١٥.  
وللمزيد من المعلومات عن جغرافية شبه الجزيرة الهندية انظر بالتفصيل: الاصطخري (ابن اسحاق)،  
المسالك والممالك، تحقيق: محمد الحسبي، مراجعة: محمد غزالي، الجمهورية العربية، (١٩٦١م)،  
ص ١٩ + مي السديري: حصارات، (دب)، الرياض، (١٤٣١هـ)، ص ١٤٦.

(٥٢) قال العلامة جبال في كتابه وثائق تاريخية وجغرافية في أفريقيا الشرقية (قبض العرب منذ أقدم العصور  
على رماح التجارة البحرية وبخاصة في الشرق فكانت سفنهم هي الوحيدة التي تجري في المحيط

الهندي، وبخاصة ماسبق بلادهم والهند وكانت لهم هناك جالية يمنية كبيرة). وللمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: صلاح النكري- تاريخ حضرموت الموسي، المطبعة الملكية، القاهرة، (١٣٥٤هـ)، ص ٤٤-٤٥.

(٥٣) أنور عبدالعليم، الملحاة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، (١٩٧٩م)، ص ١٩.  
(٥٤) Procopius of Calsarea. History of The Wars, Trans. By: H. B. Dewing (٥٤) William Heinemann Ltd., London, (1970), Vol. 7 , Wellhausen J., The Arab Kingdom and its Fall, Beirut, (1963), p. 54.

(٥٥) Pliny, NH. BK. 6 26 The Perplus, Ch. 27 and Cf also. 32  
(٥٦) مهيب غالب كليبي، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد ٢٧، العدد ٢٠١، (٢٠١١م)، ص ٣٥٨ ؛ أحمد الحوفي، المرجع السابق، ص ٩١.

(٥٧) محمد باققي، مقارنات، ص ٢٥.  
(٥٨) فتحي أبو عيانه، المرجع السابق، ص ١٠٠ حذر جدور اصنع الهندية اليمنية في هذا البحث ص ٣٩.

(٥٩) حوراني، المرجع السابق، ص ١٠٧ سي نسي وسري، تجميع المسبق، ص ٩٣. ( أنظر الخريطة رقم (٤) عن حركة الرياح.

(٦٠) نغولا ريادة، عريبات، ص ٤٤ . Teixidor J "Un Port Romain Du Desert Palmyre" Semitica Librairie D'Amerique Et D'orient Paris (1984) vol. XXXIV, pp. 16-55, p. 40.

(٦١) منذر البكر، دراسات، ص ٣٨٧ ؛  
The Periplus, Ch. 20 - and 27.

(٦٢) محمد عبدالعسي، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة لشرفية شديدة دراسة د. عبد الله المكتوب الجامعي، الإسكندرية، (١٩٩٩م)، ص ٤٣ ؛ عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٢٠. وهناك من يقول أن هيبلاخوس Hipparchus نيكسندري هو أول من اكتشف الرياح الموسمية في العصر البطلمي المتأخر وأوائل العصر الروماني، للمزيد انظر منذر البكر : المرجع السابق، ص ٣٩٤.

(٦٣) حوراني، المرجع السابق، ص ٦٦؛ فصل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢. ( أنظر الخريطة رقم (٤).  
(٦٤) Procopius, History of the Wars, p. 183 : Shahid I., The Rise and Domination of the Cambridge History of Islam, Cambridge, p. 12.

(٦٥) سيد الناصري، المقال السابق، سعاد الدراسات العليا، ص ٦١ .  
(٦٦) هيا آل نسي، الخليج العربي في عصر ما قبل التاريخ، مركز الكتاب للنشر، الرياض، (١٩٩٧م)، ص ٢٤٢-٢٤٣ .

The Periplus, Ch. 57.

(٦٨) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، أبو ظبي، (١٩٩٩م)، ص ١٦-١٧.

(٦٩) وقد ذكر البحارة العربي المسلم المتأخر ابن ماجد في كتابه عن علوم البحار تعبيراً صادقاً يصف لنا فهم دقيق لطبيعة الرياح الموسمية والتيارات المعاكسة في المحيط الهندي فسماء مواعيد علق البحر وفتح البحر لمواسم المفر كما قال (إن الخروج من الهند يمر العرب أوله ٣٠ القيروز من حوزرل وكثكس، ولكي أهل الأقاليم أكسوبة إذا أرادوا السفر فعليهم بأخذ رياح الدبور (أي أحر الصيف) وكلاً على قدر مكانه ومركبه) للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: أنور عبدالمعالم، الملاح، ص ١٣٣.

(٧٠) حوراني، المرجع السابق، ص ٧٠. The Periplus, Ch. 26.

(٧١) محمود حرب قررات، حوار الحضارات بين اليمن ولشام، دراسات تاريخية، العدد ٣٩-٤٠، (١٩٩١م)، ص ص ٩٦، ١١٨، ص ١١٠: «تقد استطاع الطائفة لأحار من موانئهم مباشرة إلى الهند خلال أربعين يوماً عن طريق أعالي البحر بدلاً من الانحار بمعداة الساحل كما كان متبعاً من قبل والعودة بعد ٦ أشهر»: للمزيد انظر فضل الجاثم، الحصور اليمني، ص ٤١٢، وانظر أيضاً لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٧٢) Pliny, NH. BK. VI. XXVI, 100-101 Glubb, J op cit p. 22.

(٧٣) نورمان بيبيز، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة جيمس مؤس وأخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، مصر، (١٩٧٥م)، ص ٢٨٠.

وللمزيد من المعلومات عن الإمبراطور قسطنطين انظر بالتفصيل: Mattingly Harold, Roman Imperial Civilisation, Edward Arnold (Publishers) Ltd, London, (1959), p. 19  
، وانظر أيضاً ميد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية المباني والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، (١٩٨٥م)، ص ١٩٦.

(٧٤) مهيب كليب، المقال السابق، مجلة جامعة دمشق، ص ٣٥٥، Leiss and Arnold, op. cit p. 29.  
(٧٥) نينا فكوروفينا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة صلاح الدين هاشم، الكويت، (١٩٨٥م)، ص ٢٦٠. نقلاً زيادة، عربيات، ص ٣٧.

(٧٦) محمد متولي ومحمود أبو العلا، جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (١٩٧٨م)، ج ٣، ص ٢٩١، انظر خريطة الطرق البحرية رقم (٢).

(٧٧) محمد نافقيه، محذرات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٥م)، ص ٢١. قنري قلججي، المرجع السابق، ص ٨٠.

(٧٨) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، (١٩٨٩م)، ص ١٢٥.

(٧٩) سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ٥٥. لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٢٤. ومعا يؤس به في هذا المجال ماورد في القرآن الكريم في سورة يونس قوله تعالى (هو الذي يسركم في البر والبحر)



سيد الناصري، تاريخ وحضارة مصر في العصر الهلنستي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٩٢م)، ص ٢٥٨.

(٩٢) مارب وليمبدأ من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: سفر التكوين الإصحاح ١٠ آية ٧ : Strabo, GE., BK. 16.4-16.

(٩٣) أما غرة للمريد من المعلومات عنها انظر: أحمد إسماعيل علي، تاريخ بلاد الشام، دار دمشق، دمشق، (١٩٩٤م)، ص ١٣٦ ؛ انظر الخريطة رقم (١).

Pliny, NH. BK. 6.22.144

(٩٤) أغاثانغورس وإبراهيم السامرائي، معاصرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت، (١٩٨٦م)، ص ٨٨ ؛ عبدالحلبد نور الدين، مقدمة في الآثار والمناطق اليمنية، تقديم زاهي حواس، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، (٢٠٠٨م)، ص ٤٥.

(٩٥) صالح دراكه، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١ ؛ Peter Marsfeld, op. cit., p. 21.

(٩٦) مندر البكر، المرجع السابق، ص ٣٨٦ ؛ Strabo, GE BK 16.4.2 أما حصرموت فللمريد

من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: 4 1604 Strabo GE BK 1604.4 The Periplus Ch. 29

Strabo, GE. BK. 1604-4 وانظر أيضاً: توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، بيروت،

(١٩٨٤م)، ص ٧١ وللمريد انظر سفر التكوين، الإصحاح ٣١-٣٢ ؛ وانظر أيضاً:

Potts, D., The Arabian, Gulf in Antioqon Press, Oxford, (1990) vol. 2, p. 97.

(٩٧) الجوهري، المرجع السابق، ص ٩٨ ؛ وللمريد من المعلومات عن عمر انظر بالتفصيل بوزة النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(٩٨) برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠ ؛ Strabo, GE. BK. 16.4-2.

(٩٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ١٠٧ ؛ GE, BK. Ibid. 16.4-2.

(١٠٠) فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات والبحوث البيئية، ص ١٧٢. ودادان هي الملا

حديثاً اشتهر شعبها بالمناجزة مع الأقطار المجاورة وفي اليمن وأعلى البصائع ؛ للمريد من المعلومات

عنها انظر بالتفصيل سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ آية ٥، وانظر أيضاً جواد علي، المفصل في تاريخ

العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٠م)، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١٠١) ليوكي كومي: وهو ميناء مصري يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر بال شهرة واسعة في عهد

الدولة البطلمية، وهناك احتلاف حول موقع هذا الميناء الحالي وأن البعض يجعله الحوارة واستند على

أن الحوارة تعني البعضاء للمريد عنها انظر بالتفصيل: انظر الخريطة رقم (١).

Strabo, GE, BK. 16.357 and cf also: The Periplus, Ch. 19.

(١٠٢) محمد حرب فرزات، بين الصين، الشام حوار الحضارات على طريق الحرير، دراسة تاريخية،

جامعة دمشق، دمشق، (١٩٩١م)، اعداد ٣٩، ٤٠، ص ٩٦-١١٨، ص ١١٣ ؛ وللمريد من

المعلومات عن رأس الحد انظر بالتفصيل: H.O. Pub, Sailing Directions For The Red

Sea and Gulf of Aden, The Hydrographic office Under the Quthority of the Secretary of the Navy, United States, (1952), pp. 267 268.

Zwenner, R.S., Arabia, Printed and Bound in Great Britan By A. Wheatin. (١٠٣) Co, Ltd, Exeter, London, (1986), p. 260.

(١٠٤) الخطوط التجارية البحرية الهندية - اليمنية المباشرة خريطة رقم (٢) والخطوط البحر مباشرة خريطة رقم (٣).

(١٠٥) حراكس وهي المحمره حالياً على الخليج العربي: لمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: مندر البكر، دولة ميسان العربية، المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، (١٩٨٦م)، المجلد ١٥، العدد ٣، ص ٢٦١

Pliny, NH. BK. 6.138-139.

(١٠٦) فيلكه وهي جزيرة تبعد حوالي ٢٠ كم عن بر الكويت: للمزيد من المعلومات عنها انظر بالتفصيل: دانيال بوتر، الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم جوري وأحمد العصفار، المجموع الثقافي، أبو ظبي، (١٩٥٣م)، ص ٤٠٥-٤٠٦ ؛ هروم، الجواهر مدينة مفقودة، حولية الآثار العربية السعودية أطلال، دائرة المتاحف، الرياض، العدد ٦، ص ٩٥-١٠٥، ص ٩٨.

(١٠٧) الجواهر للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: انظر صلاح شهاب، طرق الملاحة في الخليج العربي، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، (د.ب)، ص ١١٠. Polybius, The Histories Trans. By: W. Paton William Heinman Ltd (1941), BK, XIII 9.2.4 , Strabo, GE. BK. 16.3.2.4.

Pliny, NH. BK. 6.104 Warrington E The Commerce Between The (١٠٨) Roman Empire, and India, Curzon Press Ltd, London, (1970), p. 45.

(١٠٩) جورج زيدان، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٢. ( انظر الخريطة رقم (٣).  
(١١٠) محمد الحداد، تاريخ اليمن السياسي، دار وهذان للطباعة، اليمن، (١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٥٣ ؛ فاطمة صلاح الدين، المقال السابق، مركز الدراسات اليمنية والفوقية، ص ١٧٢ ؛ Strabo, GE. BK. 16.4.2.4

(١١١) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ٤٢-٤٣ ؛

The Penplus, Ch. 26

(١١٢) George Kire, Ashort History of the Middle East, Surgeat Publction, (1981), p. 11 , Texidor J., Lok. (٣) انظر الخريطة رقم (٣)

Cit., Semitice, p. 40

(١١٣) Pliny, NH. BK. 6. 101-104 وكان من شدة حرص الإمبراطورية الرومانية على خط تجارة الهند - مصر والمارة بالجزيرة العربية أنها قامت بإنشاء قواعد بحرية ثابتة تكون في خدمة هذا الخط الملاحي الجنوبي بالنسبة له : للمزيد من المعلومات انظر بالتفصيل: سيد الناصري، البحر الأحمر والرومان، سيمانار الدراسات العليا، ص ٣٣.

- (١١٤) أحمد ربيع هيو، تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة حلب، (١٩٨٠م)، ص ١٨٦.
- (١١٥) شارلورث، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي جرجس ومحمد حفاجة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (١٩٥٠م)، ص ١٥٢.
- (١١٦) Appians, Roman History, Trans. By: Horace White, William Heinemann, London, (1972), BX. V. 1-9 ; Warrington, op. cit., p. 105. (٢) أنظر الخريطة رقم (٢).
- (١١٧) البعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٢ ؛ برهان الدين دلو، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٠.
- (١١٨) محمد حرب فوزان، المقال السابق، دراسات تاريخية، ص ١١٢ ؛ Plinay, NH. BK. 6.101-104.
- (١١٩) ibid, BK. 6. 101-104.
- (١٢٠) أنظر الخريطة رقم (٢)
- Warrington, op. cit., p. 48-49
- (١٢١) Pliny, NH. BK. 6.101-104.
- (١٢٢) باقيقه، مختارات من شعوب، ص ٢٨، ٢٩، 32، The Periplus, Ch. 32. أما عن ظفار فهي عاصمة الدولة الحميرية وتقع بالقرب من بريم الحالية وهي على منطقة جبلية حلت محل مأرب بعد الفول نجمها التجاري؛ للبرية من المنطقة. عن ظفار انظر بالتفصيل أحمد شرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، (١٩٦٧م)، ج ٢، ص ٥٦ وانظر أيضاً: The Periplus, Ch. 23.
- (١٢٣) دي لاسي اوليري، المرجع السابق، ص ٩٤.
- (١٢٤) Rostovtzeff, M. The Social Economic History of the Hellenistic World At (١٢٤) The Clarendon Press, Oxford (1972), vol. 2, p 1045 ؛ قدرتي قلعجي، المرجع السابق، ص ٨٧.
- (١٢٥) البعيم، المرجع السابق، ص ٢٥١-٢٥٢ ؛ صلاح البكري، المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢.
- (١٢٦) سليمان البدر، منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (١٩٧٨م)، ص ١٢٨.
- (١٢٧) اليزبت مونرو، المقال السابق، الدارة، ص ٣٧.
- (١٢٨) محمود عرفة، المرجع السابق، ص ٢٦٠ ؛ نقولا ريادة، دليل البحر الأبيض وتجارة الحريرة العربية البحرية، دراسات تاريخ الحريرة العربية، إشراف عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، جامعة الملك سعود، الرياض، (١٩٧٩م)، ص ٢٦٣.
- (١٢٩) البعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦. (٤) أهم المواسم اليمنية الهندية
- (١٣٠) The Periplus, Ch. 26.
- (١٣١) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

- (١٣٢) Ibid, Ch. 26 and Cf also: 32.
- (١٣٣) Ibid, Ch. 26 and Cf also: 37 : حوراني، المرجع السابق، ص ٦٤.
- (١٣٤) للمزيد من المعلومات عن مملكة أوسان انظر بالتفصيل: محمد بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة، (١٣٩٢هـ)، ص ٢١-٢٤.
- (١٣٥) للمزيد من المعلومات عن الحميريين انظر بالتفصيل: Malale, *Ibid*, BK. I. XX. 3-12.
- (١٣٦) J., *Chronographia*, ed., L. Dirdraf, (CSHB). Bonn, (1831), pp. 57-59.
- (١٣٧) Pliny, NH, BK. IV. 31. : سيد الناصري، المقال السابق، سيمان الدراسات العليا، ص ٥١.
- (١٣٨) The Periplus, Ch. 26.
- (١٣٩) محمد عبدالغني، المقال السابق، المورخ العربي، ص ٥٠.
- (١٤٠) Shahed. I., Lok. Cit., CHI, p. 10-11. (انظر الخريطة رقم (٤)).
- (١٤١) وهو أيضا حصن العرب وعن هذه التسمية انظر بالتفصيل: جورج ريدي، العرب قبل الإسلام، ص ١٦٠.
- (١٤٢) محمد عبدالعلي، مصدر الغرس ١ ٢ لملايين، ص ١١٠.
- (١٤٣) Pliny, BK. XVI, 104.
- (١٤٤) سفر حزقيال الإصحاح ٢٧ الآية ٢٤.
- (١٤٥) حوراني، المرجع السابق، ص ٥١: والمزيد من المعلومات عن طريق الفلبايري والذي يطلق من ميناء قنا انظر بالتفصيل، عندما نتبعه، أخرج حلق، ص ١٢٠.
- (١٤٦) Ibid, BK. XVI. 104.
- (١٤٧) The Periplus, Ch. 27.
- (١٤٨) للمزيد من المعلومات عن طريقه صدعه الأطواق مشتهرة بالقراب الجلدية انظر بالتفصيل: حوراني، المرجع السابق، ص ٥١.
- (١٤٩) The Periplus, Ch. 27.
- (١٥٠) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٥٦.
- (١٥١) Ibid Ch. 31, Strabo, GE, BK. 16.24-25.
- (١٥٢) أنظر الخريطة رقم (٤).
- (١٥٣) Warrington, op. cit., p. 219.
- (١٥٤) الملك الفريسط ملك حصرموت وكانت له علاقات واسعة مع أنحاء الجزيرة العربية ذكر نقش انه حضرت وهو من قريش وتدمر انتهت بالحكم للمزيد من المعلومات انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ١٤٥ : حسين الشيوخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (١٩٩٣م)، ص ٨٢ وعن أعمال هذا الملك انظر كمال الصالح، تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، دار النشر الدولي، الرياض، (٢٠٠٣م)، ص ١٢٢-١٢٣.
- (١٥٥) The Periplus, Ch. 1 and Cf also: 35.
- (١٥٦) منذر البكر، المرجع السابق، ص ٤١٧.
- (١٥٧) Ibid, Ch. 21 and Cf : سيد الناصري، المقال السابق، سيمان الدراسات العليا، ص ٥٥.
- also: Ch. 25.

- (١٥٣) محمد السيد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٩ ؛  
 Ibid, CH. 24.  
 (١٥٤) الباصري، المقال السابق، سيمان الدراسات العليا، ص ٤٥ ؛  
 Pliny, Bk. XVI. 104.  
 (١٥٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٨٢.  
 (١٥٦) The Periplus, CH. 24.  
 (١٥٧) فضل الجاثم، المقال السابق، ص ٤١٢ ؛ Teixi Dor. J., Loc. Cit., Semitica, p. 40  
 (١٥٨) The Periplus, Ch. 28-24 ؛ Sajyid Fayyaz, A short History of Islam, London, (1960), p. 5.  
 (١٥٩) المعجم، المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ١٩.  
 (١٦٠) Ibid, Ch. 21-24 ؛ Teixi Dor, Loc. Cit., Semitica, p. 41.  
 (١٦١) Ibid, Ch. 25-26.  
 (١٦٢) أنظر الخريطة رقم (٤)  
 (١٦٣) Warrington, op. cit., p. 56.  
 (١٦٤) نقولا ريادة، المقال السابق، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٢، ص ٢٧٤.  
 (١٦٥) محمد عبدالغني، شبه الجزيرة العربية ص ١٤٦ ؛ صلاح الفكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٢.  
 (١٦٦) عبدالفتاح إسماعيل، المرجع السابق، ص ١٤٨ ؛ Teixi Dor. J., Loc. Cit., Semitica, p. 38-  
 (١٦٧) مورد المعجم، المرجع السابق، ص ٢٦٢ ( أنظر الخريطة رقم ٤ )  
 (١٦٨) Warrington, op. cit., p 9 ؛ Racu McLaughlin Rome and the Distant East, Continuum UK The Tower Building 11 York Road, London, (2010), p. 43.  
 (١٦٩) The Penplus, Ch. 21.  
 (١٧٠) أنظر الخريطة رقم (٤)  
 Ibid, Ch. 54 and Cf: 60.  
 Ibid, Ch. 36 ؛ Teixi Dor, Loc. cit., Semitica, p. 38.  
 (١٧١) Ibid, Ch. 27.  
 (١٧٢) فضل الجاثم، المرجع السابق، ص ٤١٢ ؛  
 (١٧٣) Warrington, op. cit., p. 10.  
 (١٧٤) Pliny, NH. BK. VI. 104.  
 (١٧٥) The Periplus, Ch. 14.  
 (١٧٦) حوراني، المرجع السابق، ص ٨٣ ؛  
 (١٧٧) Pliny, BK. VI. 104-105.  
 (١٧٨) غليب حتى، خمسة آلاف سنة، ص ١٦٤ ؛ وللمزيد من المعلومات عن أثر الثروة الزراعية في ارتفاع المستوى الاقتصادي اليمني آنذاك انظر بالتفصيل: عبدالله الشيبه، المرجع السابق، ص ٣٩.  
 (١٧٩) سفر أشعيا الإصحاح ٤٥ آية ١٤  
 (١٨٠) الأفعاني، المرجع السابق، ص ١٩ ؛ حسين شهاب، المرجع السابق، ص ١١ وللمزيد من أهم البضائع المنقولة من وإلى اليمن والتي كانت اليمن تتاجر بها انظر بالتفصيل سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٠ آية ١١ و ٢٢.

- (١٧٩) لطفي عبدالوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠٧.
- (١٨٠) ستركة Steraca (عملة رومانية) Pliny, NH. BK. XIII. 84. وللمزيد من المعلومات عن اردنهار التجارة الهندية اليمنية وطمع الرومان بها انظر بالتفصيل: الحداد، المرجع السابق، ص ٢٧ ، Teixidor, Loc. cit., Semitica, p. 20.
- (١٨١) توفيق بروت، المرجع السابق، ص ٢٣٨ ؛ محمد عبدالعني، شبه الجزيرة العربية، ص ١٧٠.
- (١٨٢) The Periplus, Ch. 27 ؛ بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٣٣٠.
- (١٨٣) عبدالعليم نور الدين، مصرية، ص ٥٩٩.
- (١٨٤) محمد بافقيه، مختارات من النقوش اليمنية، ص ٢٠.
- (١٨٥) أمين عبدالفتاح، المرجع السابق، ص ٢٩٥ ؛ مهرا، الحصار العربية، ص ٢٨٥.
- (١٨٦) الحوفي، الحياة، ص ٩٣ ؛ الشيبه، المرجع السابق، ص ٥١.
- (١٨٧) محمد عبدالحسي، العلاقات بين العرب والرومان، ص ٤٧ ؛ Pliny, NH. BK. XIII. 84.
- (١٨٨) اليزيث مويرو، المقابل السابق، الدارة، ص ٣٨-٣٩.
- (١٨٩) نفسه، المقال السابق، الدارة، ص ٣٨-٣٩.
- (١٩٠) البكري، تاريخ حضرموت، ص ٤٤ ٤٥ ؛ وجدوروي هي مدينة واقعة بين كريليا ومصب نهر السند: للمزيد انظر: المرجع نفسه، ص ٤٤.
- (١٩١) الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ص ٢٥ ؛ عبدالعليم حوراني، مقدمه في الآثار، ص ٧٥.
- (١٩٢) فتحي أبو عيانة، دراسة حرفية، ص ١٦ ؛ Ahmad Anani, and other The Early History of the Gulf, p. 39.
- (١٩٣) فتحي قلججي، الخليج العربي، دار الكتب العربي، ١٩٦٥م، ص ٧٨.
- (١٩٤) الحداد، المرجع السابق، ص ١٦٤ ؛ فتحي أبو عيانة، المرجع السابق، ص ٦ ؛ J. Wellhausen, The Arab Kingdom, and its fall, Translated By. Margaret Graham Weir, Beirut, (1963), 54.
- (١٩٥) نوره النعيم، المرجع السابق، ص ٢٠٧ ؛ مهيب كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٣١.
- (١٩٦) Procopius of Caesarea, History of the Wars, Trans. By. H.B. Dewing William Heman Ltd, London, 1970, Vol. 7, p. 183.
- (١٩٧) أحمد موسى، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، المكتبة الوطنية، بغداد، (١٩٧٩)، ص ١٠١.
- (١٩٨) إسماعيل عبدالفتاح، تاريخ الجزيرة، ص ١٥٠.
- (١٩٩) بافقيه، مختارات من النقوش، ص ٣٣٠-٣٢٩.
- (٢٠٠) كليب، المقال السابق، مجلة دمشق، ص ٣٥٨ ؛ عبدالعليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٩٢.
- (٢٠١) جورج حوراني، المرجع السابق، ص ٧ ؛

Bury J., and other, Cambridge Ancient History, Cambridge, (1924), Vol. I, pp. 188-203.

- (٢٠٢) قدرى قلمجي، المرجع السابق، ص ٧٨.  
 (٢٠٣) مايلز - المرجع السابق، ص ٣٠ - في السديري، الحصارات، ص ١٤٧.  
 (٢٠٤) عبدالحليم نورالدين، المرجع السابق، ص ١٦٤.





## أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط

(١٤-١٣٢٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م)

د. مدوحة محمد الشرقاوي (\*)

### مقدمة

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على أمراء البحر في عصر الدولة العربية الإسلامية، ودورهم في النشاط البحري في البحر المتوسط (١٤-١٣٢٢هـ/٦٣٥-٧٤٩م) وهو موضوع على جانب كبير من الأهمية، سواء بالنسبة للجانب الإداري والعسكري من جهة، وتطور النشاط البحري الإسلامي خلال تلك الفترة من جهة أخرى، حيث لم يحظ هذا الموضوع بشقيه بدراسة متخصصة ومستفيضة من قبل، فقد كان بناء السفن الحربية وارتداد البحر من أبرز التحديات التي واجهت العرب المسلمين، في أثناء فتوحاتهم للعراق وبلاد فارس من جهة، وبلاد الشام ومصر وإفريقية من جهة أخرى، وذلك لوقف الإمدادات العسكرية والغذائية التي كانت تصل للفارس والروم عن طريق البحر المتوسط وقطع الطريق عليهم، حيث سيطر الفرس على موانئ وقواعد بحرية، امتكت من ميناء الأبله، الذي يقع شمال الخليج العربي، حتى ميناء عدن، الذي يقع على مدخل البحر الأحمر، كما سيطر الروم على جزر هامة كانت تمدهم بالإمدادات العسكرية والغذائية، مثل قبرص ورويس وأرود، تلك الجزر التي كانت شرقي حوض البحر المتوسط، وفي هذا الإطار فإن تاريخ السفن وارتداد البحر من قبل العرب المسلمين يرجع إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م) وبالتحديد منذ سنة ١٤هـ/٦٣٥م، عندما أشارت المصادر التاريخية إلى أن المسلمين نجحوا في هذه السنة في فتح ميناء الأبله.

وقد قسمت هذا البحث إلى محورين يمكن عرضهما على النحو التالي:

### المحور الأول:

يتناول إمارة البحر لغة واصطلاحاً، ثم مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر، كما يتناول اختصاصات ومهام أمير البحر.

### المحور الثاني:

يتناول نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط، سواء في العصر الراشدي أو الدولة الأموية. هذا وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنيتها أهم النتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

(\*) باحثة حاصلة علي درجة الدكتوراة.

## للبحر الاول :

### اولا مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح :

الإمارة من ( أمر عليهم - أمرا، وإمارة - وإمرة صار أميرا عليهم - وأمر فلانا أمرا - وإمارة وإمرة : كلفه شيئا، ويقال أمره به، وأمره إياه وأمر فلانا : أشار عليه بأمر، وأمر عليهم - أمرا وإمارة صار أميرا، وأمر عليهم - إمارة : صار أميرا وتلهم عليهم : صار أميرا (والإمارة) منصب الأمير، والإمارة جزء من الأرض يحكمه أمير، والأمر : الحال والشأن، (الإمرة) الإمارة، يقال : تآمر فلان علينا، فصنعت إمرته والأمير : من يتولى الإمارة، والجمع أمراء (١).  
أما البحر لغة فمن أبحر، وأبحر فلان : ركب البحر، والبحارة : مؤنث البحار، والبحار : الملاح ويقال للجماعة بحارة، والبحر : الماء الواسع الكثير، والجمع أبحر ويحور، وبحار، والبحري : الملاح. والبحري كل منسوب إلى البحر، والبحرية عده الدول في البحر، من سفن وغواصات وطائرات وجنود، ونحو ذلك (٢).

أما في الاصطلاح، فإن وظيفة أمير البحر تعني القائد العسكري الذي يتولى شئون البحر، ويكون مسئولا عن قيادة الغزوات والحملات البحرية. وقد نقشها الأوروبيون منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وصارت تلفظ بالإنجليزية **Admiral** والفرنسية **Amiral** وهوما يعرف في الوقت الحاضر باسم قائد الأسطول البحري **Commander of the sea** (٣).

### فانما مراحل تطور البحرية الإسلامية وأسباب استحداث وظيفة أمير البحر.

حدث الإسلام على ركوب البحر والجهاد في سبيل الله، وتحفل كتب السنة بالكثير من الأحاديث النبوية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، تبين فضل الغزو في البحر وتدعو إليه، حيث يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من غزا في البحر غزوة في سبيل الله فقد أدى إلى طاعته كلها، وطلب الجنة كل مطلب، وهرب من النار كل مهرب " (٤). وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تركب البحر إلا حاجا، أو معتمرا، أو غزوا في سبيل الله، فإن نعمت البحر نارا ونحت النار بحرا (٥). وعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " المائد في البحر يصيبه القتي له أجر شهيد والغرق له أجر شهيد " (٦). وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر، والذي يسير في البحر، كالمتمسك (٧) في دمه في سبيل الله سبحانه (٨).

بدأ العرب المسلمون حملاتهم وغزواتهم البحرية، في منطقة الخليج العربي، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت موجهة ضد الفرس، وكانت أول حملة بحرية بقيادة هرثمة بن عرقجة البارق الأزد (٩) وهو من سادة قبيلة بجيلة، وخرجت تلك الحملة من إقليم البحرين باتجاه إحدى الجزر القريبة من البحرين، وذلك لتأمين الفتحة الإسلامية في العراق وخراسان، والسعي لقطع الإمدادات العسكرية عن الفرس، والعمل على نشر نفوذ المسلمين في الخليج، وفي ذلك أورد البلاذري : كان العلاء بن الحضرمي (١٠)، وهو عامل عمر بن الخطاب

علي البحرين وجه هرثمة بن عرفة البارقى (١١) من الأزد، ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس ... وفي ذلك أورد بن خلدون " إن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه غزو عرفة بن هرثمة الأزدي في البحر أكر عليه ذلك وعنفه لركوبه البحر " (١٢).

وبينما كان العرب المسلمون يتقدمون برأ نحو العراق وفارس؛ أعد العلاء بن الحضرمي والي البحرين، ومعه زعماء عبد القيس، حملة بحرية من البحرين وعبروا الخليج إلى فارس، ولقد علم الفرس بهذه الحملة فتنصبوا للمسلمين كمينا، ونجحوا في قطع الطريق بين المسلمين وسفنهم، وقد انفرد الطبري برواية، في أحداث سنة ١٧هـ/٦٣٨م، نقلها عن سيف بن عمر، تقول: إن السبب الذي دفع العلاء ومن معه إلى ركوب البحر هو الوصول إلى فارس، والفوز بفضل السبق في فتحها عن طريق البحر، إضافة إلى ذلك فقد كان العلاء ينافس سعد بن أبي وقاص الذي هزم الفرس في القادسية، وكان يحاول الإتيان بما هو أعظم وأفضل، في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وتثبيتها والتصدي لأعدائها من الفرس (١٣).

عني أن فشل الحملة أدّى إلى عزل العلاء بن الحضرمي من منصبه، ومنع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، المسلمين من ركوب البحر خوفاً على حياتهم، لذلك توقف النشاط البحري للمسلمين فترة، ولو إلى حين ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى عندما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن أبي العاص الثقفي (١٤) البحرين وعسان فقد أورد البلاذري: "لما ولي عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعسان فدوجهما وسبقت له طاعة أهلها، ووجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش عظيم من عبد القيس والأزد وتميم ويني ناجية وغيرهم ففتح جزيرة أبركاوان (١٥) ثم صار إلى توج (١٦). وهي من أرض أردشير خرة ومعني أردشير خرة بهاء أردشير ... (١٧).

كذلك أرسل عثمان بن أبي العاص حملات بحرية من عمان إلى المحيط الهندي لمحاربة القراصنة الهنود الذين كانوا يقطعون الطريق على السفن الإسلامية ويهاجمون السواحل وقد أشار البلاذري إلى نجاح هذه الحملات البحرية في المهام التي نوبت بها ورجوعها غاتمة سالمة (١٨).

أما في البحر المتوسط: فكانت أول الحملات البحرية الإسلامية عام ٢٨هـ/٦٤٨م، عندما غزا معاوية بن أبي سفيان، والي الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣) ٣٥هـ/٦٤٣-٦٥٥م)، رضي الله عنه جزيرة قبرص من عكا في حوالي ٢٢٠ مراكبا أعدت خصيصا لهذا الغرض، وكانت تساعده من مصر حملة بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتكثلت جهود المسلمين بالنجاح، حيث غنموا الكثير من الخيرات، وصالحوا أهل الجزيرة على ٧٢٠٠ دينار كل عام (١٩).

يتضح مما سبق: إن الحملات والغزوات البحرية الإسلامية بدأت نشاطها في منطقة الخليج، حيث كان أول الفتح، وأن العرب المسلمين فتحو العديد من الجزر المنتشرة في الخليج، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه نقل العرب المسلمون نشاطهم العسكري الملاحي إلى البحر المتوسط وفتحوا جزيرة

قبرص، ومن الواضح أنه كان يقود هذه الحملات البحرية المبكرة، في منطقة الخليج قادة عسكريون ممن كانت تعززهم الخبرات الملاحية، ذلك أن معظمهم كانوا من قادة الجيوش البرية الذين تفرسوا على خوض المعارك البرية، كما أن غالبية الجنود المشاركين في هذه الحملات من سكان البادية، الذين لم يعتادوا على ركوب البحر، ولم يختبروا أهواله، كما أنهم لم يتقنوا بعض فنون الحروب البحرية وأساليبها. ويبدو أن العرب المسلمين استفادوا من هذه الغزوات والحملات الأولى، والتي كانت حافزا ودافعا لهم للمزيد من معرفة البحر والغوص في أعماقه، فطعموا تدريجيا شئون القتال في البحر، وبرزوا في مجال الملاحة العسكرية، وأوصلوها إلى مستوى عال من التطور، وأتقنوا صناعة السفن الحربية، بعد أن استعاروا في بنائها، أهايا البحرين وفارس والشام ومصر، واستخدموا في بنائها أنواعا من الأخشاب كانت تـ : من غابات السواحل الإفريقية والهند ولبنان وسورية وتتميز بجودة فائقة، تستطيع منها مقاومة المياه المالحة لفترات طويلة، كما أنهم عرفوا الطرق البحرية، واستخدموا في حملاتهم العديد من الأسلحة المستخدمة في الحروب البرية، ولقد أشار ابن خلدون إلى هذا في مقدمته وقال : " فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمة تعجده خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة عليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من التوتية (٢٠) في حاجاتهم البحرية أما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بصراء بها فشرعوا إلى الجهاد فيه. وتماشوا السفن فيه والشواطئ (٢١)، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأطولوا بحسار وانما تلة لهم وراء البحر من أمة الكفر، واختصوا بذلك من مملكتهم ونفوسهم ما كان أقرب لهذا البحر. وعنى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس (٢٢).

ولعل هذا يفسر لنا الأسباب التي دفعت المسلمين إلى توسيع الغزوات والحملات البحرية في حوض البحر المتوسط، ومجازاة الروم البيزنطيين والفرنجة والقوط، والاشتباك معهم في العديد من المعارك البحرية، التي ستعرض لها فيما يلي: ولقد كان لطبيعة هذه المعارك من حيث أهميتها في الدفاع عن الحدود الإسلامية، وكذلك نشر الإسلام في جزر البحر المتوسط القريبة والمجاورة للمسلمين - أثر كبير في استحداث العرب المسلمين توتية أمير البحر، والتي كانت مهامها في بداية الأمر : استطلاع تقدم البيزنطيين، والرد عليهم بغارات مفاجئة، ثم تطورت هذه المهام تدريجيا، لتصبح هذه الوظيفة في العصر العباسي وظيفة مستقلة، يتولى صاحبها قيادة الأساطيل الإسلامية، وإشراف على الجهاز البحري كله، ويطلق عليه اسم ' والي البحر ' ويعود تاريخ ظهور وظيفة أمير البحر، عند العرب المسلمين، إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأول من تولي هذه الوظيفة من العرب المسلمين هو : عبد الله بن فيس الجاس (٢٣). ويؤكد الطبري هذه المعلومات بقوله ' أول من غزا في (البحر المتوسط) معاوية بن أبي سفيان، زمان عثمان بن عفان وقد كان استاذن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه فيه فلم يأن له، فلما ولي عثمان رضي الله عنه لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان رضي الله عنه على ذلك بآخرة وقال : لا تنتخب الناس، ولا تقرر بينهم، خيبرهم، فمن اختار طائعا فاحمله وأعه

فعل، واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاس حليف بني فزارة ففازا خمسين غزاة من بين شاتية وصانفة في البحر، ولم يرق فيه أحد ولم ينكب... (٢٤).

ولقد ضمت حملات عبد الله الجاس، وغزواته البحرية ضد الروم، عددا من صحابة رسول، صلى الله عليه وسلم منهم أبو أيوب الأنصاري، رضي الله عنه، فقد جاء في رواية في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن حبي بن عبد الله المعافري بن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: كنا في البحر وعلمنا عبد الله بن قيس الفزاري ومعا أبو أيوب الأنصاري... (٢٥). ومن المفيد أن نشير هنا إلى: أنه نظرا لأهمية وظيفته أمير البحر عند العرب المسلمين، فقد كانت في ذلك الحين مرتبطة ارتباطا مباشرا بالخليفة والوالي، وكان تعيين صاحبها يصدر عن الخليفة وأحيانا عن الوالي، بعد أن يأذن الخليفة، ويستمد أمير البحر منهما السلطة اللازمة للقيام بمهامه وواجباته، هذا وقد استمرت قيادة عبد الله بن قيس لأسطول بلاد الشام البحري، حوالي ٢٨ سنة، إذ تم تكليفه بهذه المهمة سنة ٢٨ هـ/٦٤٨م وظل ينهض بها حتى وفاته في بلاد الروم، سنة ٦٧٦م (٢٦).

وقد حفظت لنا المصادر الإسلامية حادثة استشهاد عبد الله بن قيس في بلاد الروم، وتحدث عنها الطبري في تاريخه وقال: خرج عبد الله في قارب طليعة، فالتقى إلى المرقى (٢٧) من أرض الروم، وجاء إليه أناس من هذا المكان يسألون فتصدق عليهم فرجعت امرأة منهم إلى قريتها، فقالت للرجال: هل أفلكم على مكان عبد الله بن قيس، فثاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقتلهم فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه فجاءوا حتى أرقوا، والخليفة منهم سيفان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يبعث بأصحابه وأصيب من المسلمين عدد كبير وذلك آخر زمان عبد الله بن قيس الجاس (٢٨)، وقيل لتلك المرأة بعد: بأي شيء عرفتيه؟ قالت: بصنفته، أعطي كما يعطي الملوك؛ ولم يقبض قبض التجار (٢٩).

وخلال هذه الفترة التي تولى فيها عبد الله بن قيس إمارة البحر: شن العرب المسلمون من بلاد الشام ما يقرب من حوالي خمسين حملة بحرية ضد الروم البيزنطيين، ثم تتعرض فيها سفنهم إلى خسائر أو نكبات، وعادت الحملات البحرية الإسلامية سالمة ظافرة منتصرة. ونستنتج من النصوص السابقة التي أوردها الطبري، أن العرب المسلمين كانوا يعتمدون في حروبهم البحرية على سياسة الهجوم المباغت في الإغارة، واعتماد طريقة الكر والفر المعروفة عندهم، والتي استخدموها في معاركهم البرية ضد الفرس والروم في فارس وبلاد الشام، كما أنهم رتبوا الجهاد البحري، ونظموا الحملات البحرية بحيث جعلوها واحدة في الشتاء واحدة في الصيف، وجعلوا الاشتراك فيها مقصورا على المتطوعة (٣٠).

#### اختصاصات ومهام أمير البحر:-

على الرغم من ندرة المعلومات الواردة بالمصادر التاريخية، التي بين أيدينا، فيما يتعلق باختصاصات ومهام أمير البحر، ربما مرده إلى أسباب عديدة منها: أن الوظيفة عسكرية ظهرت في بداية تأسيس الدولة العربية الإسلامية، وقبل تدوين المسلمين لتاريخهم، وكان استحداثها

من قبل العرب المسلمين في بداية الأمر لشحذ الهمم، حتى لا تخور في الدفاع عن البر عن طريق غزو البحر، وافتتح الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام ونشر الإسلام فيها، ثم تحولت هذه الوظيفة، في بداية العصر العباسي، لا سيما بعد فتح العديد من الجزر وتأمين العرب المسلمين سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط إلى وظيفة إدارية، وأصبح يتولاها وال يسمى "والي البحر" ويديرها من مكان إقامته في العاصمة، إلى والي البحر والذي أوردته قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩ م) وفي كتابه الخراج وصناعة الكتابة "للحسن بن عبد الله العباسي (ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠ م) والمتعلق بحروب البحر، والمتضمن واجبات والي البحر عند العرب المسلمين (٣١).

ولقد تحدث الماوردي عن الإمارة على الجهاد وقال : وهي : من ضررين : أحدهما أن تكون مقصورة على سياسة الجيش وتبدير الحرب، فيعتبر فيها من رتب الإمارة الخاصة، والضرب الثاني أن يفوض إلى الأمير فيها جميع أحكامها من قسم القنائم وعقد الصنح، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة .. (٣٢). وعليه فأتينا نميز إلى الظن بأن إمارة البحر كانت إمارة خاصة، ومقصورة على قيادة الحملات البحرية ورسم الخطط القتالية (٣٣). وتتخلص أهم الاختصاصات (٣٤) المناطة بأمر البحر في عصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية في الأمور التالية :

- ١- النظر في تبدير الجيوش وتربيهم في الشواحي وتقدير أرواقهم إلا أن يكون الخليفة قدراها فيزنها عليهم (٣٥).
- ٢- تجهيز الغزاة في سبيل الله والغاية بهم وتسهيل خروجهم إلى الجهاد (٣٦).
- ٣- حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تعبير أو تبديل (٣٧).
- ٤- الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها (٣٨).
- ٥- جهاد من يلبه من الأعداء وقسم غنائمهم في المقاتلة (٣٩).
- ٦- منع لأصحابه من التعرض للأطفال والنساء والشيوخ وكذلك عدم التعرض للكنائس والصوامع ومن فيها (٤٠).
- ٧- أن يكون الإذن عليه لمن معه من الجند ميثولا والوصول إليه من ذوي الحاجات والظلمات سهلاً يسيراً (٤١).
- ٨- تفقد أمر المراكب المنشأة حتى يحكمها وبجود آلاتها، ويتخير الصناعات لها، ويشرف على ما كان منها في الموانئ ويرفعها من البحر إلى الشاطئ في المشاتي، وهيج الرياح المائعة من الركوب فيها (٤٢).
- ٩- قيادة الطلائع للتحسس على أخبار الأعداء (٤٣).
- ١٠- الإشراف على الأسلحة والغاية بها حتى تكون جاهزة وقت الحاجة إليها (٤٤).
- ١١- تجديد المراكب وإكثارها وتقويتها حتى إذا تلف شيء منها وجد ما يخلفه (٤٥).

**نشاط أمراء البحر في شرق وغرب البحر المتوسط في عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية.**  
 بعد عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ت ٦٣٦/٦٥٦م) من أشهر أمراء البحر العرب المسلمين المشهود لهم بالكفاءة والشجاعة وأحد الذين كان لهم الفضل في تطوير القدرات البحرية الإسلامية في البحر المتوسط، ففي سنة ٦٢٧/٦٤٧م عينه الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، والياً على مصر (٤٦)، ولقد عرف عن عبد الله حبه لغزو البحر، وإهتمامه ببناء الأسطول المصري، وذلك في سنة ٢٨/٦٤٨م، استعمل الخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد على البحر، وأسند إليه قيادة أسطول بحري يخرج من مصر لمساعدة معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص (٤٧). كما ينقل الحميري رواية عن عبد الله بن وهب نقول: "أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح أفتتح (غزا) جزيرة اقريطش (كريت) وكان غزا بامرأته ثعلبة بنت عسرو (٤٨)، وإذا صححت الرواية يكون عبد الله أول من غزا من العرب المسلمين جزيرة كريت الواقعة في أقصى جنوبي بحر إيجة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وعلى يدي عبد الله بن سعد تمكن العرب المسلمون في سنة ٦٣١/٦٥١م (٤٩)، من إلحاق هزيمة بحرية ساحقة بالروم في معركة ذات الصواري (٥٠)، وفي ذلك يقول الطبري نقلاً عن الواقدي: "أن أهل الشام خرجوا على معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبدالله بن سعد بن أبي سرح وخرج عامله قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمين منهم بإفريقية فخرجوا في خمسمائة مركب، فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضاً حتى قتلوا بين سفن المسلمين وأهل الشرك من صواريخها" (٥١).

وينقل لنا ابن الأثير وصفاً دقيقاً للمعركة ويقول: "كانت الرياح على المسلمين لما شاهدوا الروم، فارمسي المسلمون والروم وسكنت الرياح. فقال المسلمون: الأمان بيننا وبينكم، فلبتوا لبنتهم والمسلمون يقرؤون القرآن ويدعون، والروم يضربون بالنواقيس، وقرىوا من الغد سفنهم وقرب المسلمون سفنهم وربطوا بعضها مع بعض واقتتلوا بالسيف والخناجر وقتل من المسلمين بشر كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى. وصبروا يوماً صبراً لم يصبروا في موطن قط مثله، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهزم قسطنطين جريحا ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ورجع (٥٢)، ولقد أظهر المسلمون في هذه المعركة بسالة وشجاعة فالتقتين، وكان عبد الله بن سعد يتقدم المسلمين في مجاهدة البيزنطيين، ومن ذلك ما أشار إليه بن عبد الحكم من أن: "المن كان ذات ذلك تقرر بالسلاسل عند القتال، فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الأمير من مركب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله إليهم فقام علقمة بن يزيد الفطيفي وكان عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها، فسال عبد الله أمراًته بعد ذلك بسيسة بنت حمزة وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بتسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالاً قالت علقمة صاحب السلسلة... (٥٣)".

كانت لهذه المعركة نتائج إيجابية على البحرية الإسلامية منها: كسب العرب المسلمين للمزيد من الخبرات العسكرية والمهارات القتالية، وخاصة فيما يتعلق ببناء السفن وصناعة الأسلحة البحرية الأمر الذي دفعهم أكثر من قبل إلى ركوب البحر المتوسط، والتطلع إلى ما

وراءه، ومنها أيضاً أنهم حطموا الأسطول البيزنطي وسيطروا بعد انتصارهم على الروم في هذا المعركة على البحر المتوسط وأصبحوا قوة بحرية عظيمة لا تقهر، وكان ذلك في غضون سنوات قليلة من إرتداد العرب المسلمين للبحر، ومنها كذلك توسيع دائرة الغزو البحري الإسلامي ليشمل نفوذ العرب المسلمين الجزر البعيدة والسواحل البيزنطية المتلاحمة لبلاد الشام، ثم جراتهم فيما بعد وفتحهم للأندلس عن طريق عبورهم البحر المتوسط إلى أوروبا وتأكيداً على ما سبق فإن معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م) بعد تولية الخلافة استعمل جنادة بن أبي أمية الأزدي (٥٤)، على البحر وأرسله في سنة ٥٢هـ/٦٧١م إلى جزيرة رودس (٥٥) وفي سنة ٥٤هـ/٦٧٣م (٥٦) أرسله في حملة بحرية مكونة من ٤٠٠٠ مجاهد و ٢٠ مركباً لفتح جزيرة أرواد، ومن التدابير التي اتخذها العرب المسلمون لضمان وصول تجار هذه الحملة استخدام الأتلاء بحزورهم مما يتعرضهم في البحر، فقد ضمت الحملة مراكباً من الروم البيزنطيين، من أهل أرواد، أسره العرب المسلمون قرب سواحل بلاد الشام واستخدموه ليدلهم ويحذروهم ممن يريد بهم شراً، ولقد نجح جنادة بن أمية ومن معه من العرب المسلمين، في فتح الجزيرة وصالحوا أهلها على دفع الجزية، ثم عادوا إلى بلاد الشام ظافرين (٥٧). ومع أن إمارة جنادة لم تستمر لأكثر من ست سنوات (٥٨)، إلا أنه أهتم كثيراً بتطوير البحرية الإسلامية، وأسهم في توسيع قاعدة الفتوحات الإسلامية في البحر المتوسط، ومن أهد العرواب البحرية التي أوكل إلى أمير البحر جنادة بن أبي أمية الأزدي القيام بها غزو جزيرة إفريطش (كريت) في سنة ٥٤هـ/٦٧٣م ثم أرسله معاوية مرة ثانية إلى جزيرة رودس، الواقعة على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، بعد أن نكث أهلها العهد الذي بينهم وبين المسلمين (٥٩).

ومن تولى إمارة البحر في خلافة معاوية بن أبي سفيان: عقبة بن عامر الجهني (٦٠)، فقد ذكر الكندي أن معاوية استعمله على البحر، سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وأمره أن يسير من مصر إلى جزيرة رودس، وذكر الطبري أن معاوية وجه عقبة بن نافع في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م في حملة بحرية ومعاه أهل مصر لكنه لم يحدد وجهة الحملة (١١)، أشار المقريزي كذلك إلى حملته بحرية إلى جزيرة رودس في سنة ٥٣هـ/٦٧٢م أسند معاوية غزاتها إلى عقبة بن عامر الجهني (٦٢).

كما أوردت المصادر أسماء عدد من القادة العرب المشهود لهم بالكفاءة العسكرية، ممن ولاهم معاوية إمارة البحر، نذكر منهم:

- معاوية بن حديج الكندي (٦٣) أول من غزا جزيرة صقلية، في أيام معاوية بن أبي سفيان (٦٤).
- موسى بن نصير: ولاه معاوية البحر وأرسله لغزو قبرص، حيث بنى فيها حصوناً للمسلمين (٦٥).
- يمر بن أبي أرطاة (٦٦) : استعمله معاوية، في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م، على البحر وأرسله في حملته بحرية (٦٧).
- مالك بن هبيرة السكوني (٦٨) : غزا البحر في سنة ٤٨هـ/٦٦٨م (٦٩).

- يزيد بن شجرة الرهاوي (٧٠) تولى قيادة أهل الشام في حملة بحرية في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م (٧١) ثم استعمله معاوية مرة أخرى في سنة ٥٦هـ/٦٧٥م (٧٢).
- عقبة بن نافع (٧٣) غزا البحر. في شتاء سنة ٤٩هـ/٦٦٩م، ومعه أهل مصر (٧٤).
- فضالة بن عبيد الأنصاري (٧٥) تولى في سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م قيادة غزوة بحرية (٧٦).
- \* عمرو بن يزيد الجهني (٧٧) غزا البحر في سنة ٥٨هـ / ٦٧٧م (٧٨).

توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان في سنة ٦٠هـ/٦٧٩م ويعد وفاته فتر للنشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط وخيم الهدوء على الغزوات والحملات البحرية العربية ولا يرجع ذلك فقط إلى أن العرب المسلمين فتحوا معظم الجزر المنتشرة في شرق البحر المتوسط وهزموا ودمروا الأسطول البيزنطي وسيطروا على الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط ولكنه يرجع إلى الأوضاع الداخلية في الدولة الأموية والمتمثلة بوصول يزيد بن معاوية (٦٠-٦٦٩هـ/٦٧٩-٦٨٣م) إلى الخلافة وبخوله في صراع مع معارضيه ممن خرجوا عليه، وقد استمر الفتن البحري الإسلامي في البحر المتوسط حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) الذي ما أن قضى على الثورات الداخلية حتى وجه اهتمامه نحو البحر فأولى الحملات البحرية عناية واهتمام كبيرين، ولم يقلل عن إعادة سيطرة المسلمين على البحر المتوسط وخاصة الجزر التي لم تستقر فيها بعد **أقدام المسلمين** واثابة في غرب البحر المتوسط، استأنف العرب المسلمون نشاطهم البحري بأنشاء دار لصناعة السفن في تونس رغبة منهم في تقوية وتدعيم أسطولهم البحري في غرب البحر المتوسط، ويعود الفضل في قيام هذه الصناعة في المغرب العربي إلى الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر أخاه عبد العزيز، وإلى مصر، بإرسال عدد كبير من أقباط مصر المتمرسين بصناعة السفن إلى تونس، كما أمر الوالي حسان بن النعمان أن يبني دار صناعة ويصنع بها المراكب ويجاهد الروم براً وبحراً (٧٩).

وكان نتيجة ذلك مباشرة العرب المسلمين، في سنة ٧٧هـ/٦٩٧م، نشاطهم البحري وقيامهم بحملة بحرية انطلقت من تونس وكان يتولى قيادتها وإلى إفريقية وأمير البحر حسان بن النعمان الغساني، وقد خرجت هذه الحملة لمواجهة الأسطول البيزنطي الذي جاء لاسترداد شواطئها بعد أن فتحها المسلمون (٨٠).

ولما تولى موسى بن نصير إفريقية، في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م سعى لاتخاذ جملة من الإصلاحات والتنظيمات المتعلقة بتطوير القدرات البحرية الإسلامية، في بحر إفريقية، فأولى صناعة السفن اهتماماً كبيراً، وأمر بصناعة ١٠٠ مركب لتطوير الأسطول الإسلامي في تونس، وربط دار الصناعة، التي أسسها حسان بن النعمان بمرقا على البحر تستخدم السفن وتلجأ إليه إذا اشتدت الرياح، أو كلما دعتها الحاجة إلى ذلك، وقد شهدت هذه الفترة انتصارات بحرية عربية إسلامية متكررة في البحر المتوسط، لعب أمراء البحر دوراً كبيراً فيها إذ حظيت هذه الوظيفة باهتمام الوالي موسى بن نصير، فكان لا يعقدها إلا للمقربين منه والمشهود لهم بالكفاءة والمقدرة (٨١).

وفي سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، تطلعت من مصر حملة بحرية بقيادة الأمير عطاء بن أبي نافع الهذلي، ومعه مراكب أهل مصر متوجهة إلى جزيرة سردينيا (٨٢) ويبدو أن هدف الحملة كان ضرب القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في الجزيرة، ولكن نتيجة سوء الأحوال المناخية: توقفت الحملة في سوسة في إفريقية ثم غادرتها بعد ذلك إلى جزيرة صقلية حيث نجحت الحملة في الإغارة على الجزيرة وأصاب المشاركون في الحملة غنائم كثيرة من الذهب والفضة، وفي طريق العودة أصابت الحملة رياح عاصفة أدت إلى غرق الأمير عطاء ومعه عدد كبير من أفراد الحملة (٨٣)، ويلاحظ المتتبع لنشاط المسلمين البحري في البحر المتوسط لفترة استمرت قرابة عامين ثم ما لبث أن استوقف بعد ذلك وكان أكثر قوة مما كان عليه من قبل إذ يشير ابن قتيبة إلى حملة أخرى قامت من تونس سنة ٨٥هـ/٧٠٤م سميت "حملة الأشراف" واشترك فيها ما بين تسعمائة إلى ألف مجاهد من أهل الجند والنكابة والشرف وتولى قيادتها عبد الله بن موسى بن نصير بعد أن أمره والده موسى على البحر وسارت الحملة إلى جزيرة صقلية. وذكر ابن قتيبة أن الحملة أصابت غنائم كثيرة بلغ فيها سهم الرجل ١٠٠ دينار ذهباً (٨٤).

ولقد أولى موسى بن نصير ركوب البحر اهتماماً كبيراً، وتسجع الناس وخاصة الأشراف منهم على ركوب البحر، والاشترك في الحملات البحرية تحت أمرته وتحت إمرة ابنه، ووعد الناس بالفوز بالغنائم، ومما يدل على ذلك ما أشار إليه كتاب ابن قتيبة حيث يقول "ثم لما كانت خمس وثلاثين أمر (موسى) للناس بالتأهب تركوب البحر، وأعلمهم أنه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتصارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب، حتى إذا ركبوا في الفلك، ولم يبق إلا أن يرفع هو. دعا برمح فعدّ لعد الله بن موسى بن نصير، وولاه عليهم وأمره ثم أمره أن يرفع من ساعته، وإنما أراد موسى بما أشار من مسيره أن يركب أهل الجند والنكابة والشرف فسميت غزوة الأشراف" (٨٥).

وممن تولى إمارة البحر في خلافة عبد الملك بن مروان: عياض بن أخيل (٨٦) بحيث قاد في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م أهل إفريقية في حملة إلى مدينة سرقوسة (٨٧)، أكبر مدن جزيرة صقلية، وبمجيء الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٤م) إلى الخلافة شهد النشاط البحري الإسلامي في البحر المتوسط تطوراً هاماً تمثل في مساندة أمراء البحر لقادة الجيوش البرية وحماية تقدمهم والتي بغضلها تحقق النصر للعرب المسلمين في الأندلس وغيرها من المناطق، فحصر الوليد يعتبر من أزهى العصور العربية الإسلامية إذ تمكن فيه العرب المسلمون من فتح الأندلس في الغرب وفتح السند وبلاد ما وراء النهر في الشرق، ووصلت الجيوش الإسلامية إلى مناطق واسعة وامتدت الحدود الإسلامية لتصل إلى إسبانيا في الغرب وإلى الهند والصين في الشرق، ونمتنتج من هذا تركيز النشاط البحري الإسلامي على إفريقية وأسطولها في غرب البحر الأبيض المتوسط وبناء على ذلك، أسند موسى بن نصير والتي إفريقية في سنة ٨٧هـ/٧٠٥م إمارة البحر إلى ابنه عبد الله وبعثه إلى سردينيا حيث وفق في غزو قوله (٨٨)، ولما عاد ابنه ولاها موسى لعبد الله بن حنيفة الأزدي، وأرسلته مرة أخرى إلى سردينيا ولقد نجحت

الحملة وعادت محملة بالغنائم والسبي<sup>(٨٩)</sup> وفي سنة ٨٩ هـ/٧٠٧ م عقد موسى بن نصير لواء إمارة البحر على إفريقية لعبد الله بن مرة فركب عبد الله البحر ووصل إلى سردينيا ونجح في الإغارة على العديد من ممتلكاتها<sup>(٩٠)</sup>، وفي هذه السنة أمر موسى ابنه عبد الله على البحر وأرسله لغزو جزيرتي صيرفة (الجزيرة الكبرى) ومينورقة (الجزيرة الصغرى) الواقعين على مقربة من الساحل الإسباني الغربي حيث تمكن من فتحهما وعاد إلى تونس غاثما<sup>(٩١)</sup>.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذه الحملات ومعها الحملات البحرية التي سبورها العرب المسلمون من إفريقية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كانت ترمي في الأساس إلى اختبار قوة البيزنطيين في غرب البحر المتوسط وتمهد السبيل لعبور العرب المسلمين البحر المتوسط إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، ويعد خالد بن كيسان من أبرز أمراء البحر في عهد الخليفة الوليد، يبدو أن نشاطه البحري المتزايد قد أدى إلى وقوعه في الأسر، وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ٧٠٨ هـ/٧٠٨ م " أن الروم أسروا خالد بن كيسان صاحب البحر، فذهبوا به إلى ملكهم، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك"<sup>(٩٢)</sup>.

وممن تولى إمارة البحر في خلافة الوليد ابنه بشر بن الوليد الذي أرسله الخليفة من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية ففازها ثم عاد بقواته إلى دمشق ووصلها بعد وفاة أبيه الوليد في سنة ٧١٤ هـ/٩٦ م<sup>(٩٣)</sup>.

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ/٧١٤-٧١٧ م) شارك أمراء البحر في حصار القسطنطينية، واسهموا بخيراتهم أسهاماً كبيراً في تطبيق الخفاق على الروم، ومنع الإمدادات من أن تصلهم من البحر، بل تعدى ذلك إلى بث الفجرات الاستطلاعية وشنها على الموانئ البيزنطية وكذلك تمويل الجيوش البرية بالمون والأسلحة ومن أشهر أمراء البحر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك الأمير عمر ابن هبيرة الفزاري الذي استعمله الخليفة سليمان على البحر لغزو الروم، ثم أرسله إلى القسطنطينية لمساعدة الجيش البري الذي كان يقوده مسلمة بن عبد الملك<sup>(٩٤)</sup>.

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥ هـ/٧١٩-٧٢٣ م) غزا بشر بن صفوان وإلى إفريقية وأمير البحر في ذلك الحين، جزيرة صقلية ورجع منها بسبي كثير<sup>(٩٥)</sup> ثم استعمل بعد ذلك يزيد بن مسروق اليحصن على البحر، ويعتبه من بلاد المغرب في غزوة بحرية إلى سردينيا ففازها يزيد وعاد منها ظافراً سانماً، وفي سنة ١٠٤ هـ/٧٢٢ م تولى إمارة البحر عمرو بن فاثك الكندي وغزا في هذه السنة البحر ورجع من غزوته منتصراً<sup>(٩٦)</sup>.

واستمر أمراء البحر العرب المسلمون في مواصلة نشاطهم وجهادهم البحري ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، كما وصلوا ثمن غزواتهم البحرية من بلاد الشام ومن شمال إفريقية على جزيرتي صقلية وسردينيا، فغزا أمير البحر محمد بن أبي كبر مولى بني جمح<sup>(٩٧)</sup> في سنة ١٠٦ هـ/٧٢٤ م جزيرتي صقلية وسردينيا<sup>(٩٨)</sup> ومسردينيا من سواحل إفريقية، وفي سنة ١٠٧ هـ/٧٢٥ م غزا المسلمون جزيرة صقلية، بقيادة أمير البحر معاوية بن هشام يعاونه ميمون بن مهران<sup>(٩٩)</sup>.

وفي ١٠٩هـ/٧٢٧م تولى إمارة البحر حمدان بن محمد بن أبي بكر، فغزا جزيرة سرديانية (١٠٠)، مرة أخرى وعاد منها سالماً ويذكر الطبري أنه غزا البحر في هذه السنة أيضاً أمير البحر عبد الله بن عتبة القهري (١٠١) وفي سنة ١١١هـ/٧٢٩م استعمل الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) عبد الله بن أبي مريم علي البحر وأرسله من بلاد الشام إلى جزيرة صقلية (١٠٢) وفي نفس السنة استعمل عبيدة بن عبد الرحمن والي إفريقية في خلافة هشام بن عبد الملك، المستنير ابن الحارث على البحر وأرسله في حملة بحرية كبيرة مكونة من ١٨٠ مركباً إلى جزيرة صقلية لمحاربه الروم البيزنطيين ولكن لسوء الحظ أصابت هذه الحملة في طريق عودتها رياح عاصفة وتعرضت سفن المسلمين للغرق ولم ينج منهم إلا عدد قليل، ويصف خليفة بن خياط هذه الكارثة فيقول: "وهجم الشتاء ففعل بريح طيبة حت لجج فجاءت ريح عاصف ففرقت مراكبهم فلم يسلم منهم إلا سبعة عشر مركباً (١٠٣)، وقد أدى فشل الحملة إلى معاقبة الوالي لأمرها المستنير بن الحارث وجلبه جلدأ موجعاً بسبب تأخره في العودة قبل حلول الشتاء (١٠٤).

وعلى الرغم من ذلك: نشط العرب المسلمون في غزو البحر، واستمرت الغزوات والحملة البحرية، بقودها أمراء البحر في مهاجمة الروم البيزنطيين من بلاد الشام ومن موالي إفريقية، وينقل ابن خياط رواية عن **أبي خالد البصري** فحواها: أنه في سنة ١٢٢هـ/٧٣٠م خرجت من إفريقية حملة بحرية بقيادة الأمير ثابت بن خثيم ووصلت إلى جزيرة صقلية فأصابته الحملة سيابا وغرق ثم عادت إلى إفريقية سالمة (١٠٥) ثم تبعها في العام التالي حملة بحرية أخرى تولى قيادتها عبد الملك بن قطن وتوجهت إلى جزيرة صقلية (١٠٦).

وفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م تناوب على إمارة البحر في إفريقية أميران هما: عبد الله بن قطن وعبد الله بن زياد الأنصاري، وعبد الله بن قطن خرج في حملة بحرية إلى صقلية، وعبد الله بن زياد توجه إلى جزيرة سرديانية، ولقد نجحت الحملتان وعادتا إلى تونس سالمين ومحملتين بالغلام (١٠٧).

على أنه من أبرز الأحداث التي شهدتها السنين الأخيرة، من عصر الخليفة هشام بن عبد الملك: تصدي الروم للحملة البحرية الإسلامية وخروجهم إليها في البحر المتوسط، وملاحظتهم للسفن الإسلامية وضربها بالنار الإغريقية كما نجح الروم كذلك في أسر عدد من المجاهدين المسلمين، ومن ذلك خروجهم، في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م لحملة الأمير بكر بن سويد إلى جزيرة صقلية ورميها بالنار، ولقد أبى أمراء البحر العرب المسلمون بلاء حسناً في التصدي للروم وهزيمتهم وتكبيدهم خسائر كبيرة، ويحدثنا خليفة بن خياط عن ذلك في أحداث سنة ١١٦هـ/٧٣٤م ويقول: "وفيها أغزى ابن الحبحاب عثمان ابن أبي عبيدة فأصاب ناحية من صقلية وقتل، فلقبته مراكب الروم في البحر، فهزموهم الله وأصابوا من المسلمين وأسروا ابنه عثمان عمرا وسليمان أبا الربيع وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم وأخاه المغيرة بن زياد، فلم يزالوا في أيدي الروم حتى ولي عبد الرحمن بن حبيب، ففدى ابنه عمه وناساً من أسارى المسلمين وعبد الرحمن بن زياد، وذلك سنة إحدى وعشرين ومائة (١٠٨).

وحاول الروم توسيع نشاطهم البحري ضد المسلمين، فهاجموا مصر في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م، فخرجت لهم، من مصر حملة بحرية بقيادة امير البحر نافع ابن ابي عبيدة بن عقبة بن نافع، واصطدمت مع سفن الروم في البحر وهزمتهم وأبعدتهم عن السواحل المصرية، وكان من نتيجة هذا الهجوم أن أسرت الروم عدداً من المجاهدين المسلمين (١٠٩).

وفي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م استعمل عبيد الله بن الحبحاب والتي إفريقية: حبيب ابن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع على البحر، وسيره غازياً إلى جزيرة صقلية، حيث وصل الجزيرة وأرسل ابنه عبد الرحمن إلى مدينة سرقوسة فهزم أهلها وصالحهم على دفع الجزية (١١٠).

وممن تولوا إمارة البحر، في مرحلة الضعف في البحرية الأموية: الأسود ابن بلال المحاربي الذي استعمله الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) على البحر وبعثه في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م في حملة بحرية إلى جزيرة قبرص، وأمره أن يخير أهلها بين العيش في جوار المسلمين في بلاد الشام أو العيش في بلاد الروم فاقسم الناس، منهم من اختار المسلمين فنقلوا إلى بلاد الشام، ومنهم من اختار بلاد الروم، فنقلهم الأسود بن بلال إلى هناك، ولأنهم لم يتمكن من العثور على معلومات عن الأسباب التي دفعت العرب المسلمين إلى إخلاء الجزيرة لكن يمكن الاستنتاج بأنها كانت سبباً أمنية، أو ربما بسبب الفتن وتردي الأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية في الدولة الأموية، في ذلك الوقت، وعدم قدرة السلطة الأموية على تأمين الحماية اللازمة لسكان الجزيرة (١١١).

### الخاتمة:-

لقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج جدية بالاهتمام لأنها تبين بشكل واضح وجلي الدور الذي أداه أمراء البحر في تقوية النفوذ البحري للدولة الأموية، وتقييم السياسة البحرية التي اتبعها الخلفاء الأمويون في تعيين واستعمال أمراء البحر ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج على النحو التالي :-

### ١- هزمت إمارة البحر عند العرب المسلمين بخمس مراحل مختلفة .

#### المرحلة الأولى :

هي مرحلة النشوء والتطور، وقد بدأت هذه المرحلة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، رضي الله عنه، و تميزت هذه الفترة بتحفظ الخليفة وتردده في ركوب الجيوش الإسلامية البحر، خوفاً على أرواح المسلمين، ومع ذلك فقد ظهر عدد من القادة والأمراء ممن كان لهم فضل السبق في قيادة الحملات الإسلامية المبكرة ذات الإمكانيات المتواضعة، ومواجهة الأساطيل المساندة في الخليج العربي، والأساطيل البيزنطية في شرق البحر المتوسط، وبسط سيادة المسلمين على سواحل بلاد الشام ومصر .

#### المرحلة الثانية :

هي مرحلة النشاط والقوة، واستمرت من سنة ٢٤هـ/٦٤٤م حتى سنة ٣٥هـ/٦٥٥م حيث أسهم فيها أمراء البحر في توسيع نفوذ الدولة العربية الإسلامية في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، وهزيمة الأسطول البيزنطي وإضعافه، وكان يرافق الأمراء في غزواتهم المبكرة من بلاد الشام ومصر، زوجاتهم وذلك حتى يهتوا على جندهم الخوف من البحر ويشجعوهم على ارتياده.

#### المرحلة الثالثة :

وكانت مرحلة التفوق، واستمرت من سنة ٤١هـ/٦٦٠م وحتى سنة ٦٠هـ/٦٧٩م، وتمثلت أولاً: بتكثيف أمراء البحر الحملات البحرية، وتوسيع قاعدة الفتوح الإسلامية لتشمل الجزر القريبة من سواحل بلاد الشام مثل: جزيرة قبرص وجزيرة أرواد وجزيرة روبس، وثانياً: بالهزيم الكبير الذي لبعه أمراء البحر في الحفاظ على هذه الجزر والاستماتة في سبيل الدفاع عنها.

#### المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة انتقال النشاط البحري الإسلامي إلى غرب البحر المتوسط (٦٥-١١٤هـ/ ٦٨٤-٧٣٢م) حيث نجح أمراء البحر الأمويون في تأمين النفوذ العربي الإسلامي في شمال إفريقيا، عن طريق شن حملات بحرية متكررة، من بلاد الشام ومن إفريقيا على القواعد البحرية البيزنطية المتمركزة في جزيرتي صقلية وسردينيا، الأمر الذي مهد السبيل لاستكمال العرب المسلمين لفتح المغرب، ومن ثم فتح الأندلس.

#### المرحلة الخامسة

هي مرحلة الضعف والتي بدأت من سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، واستمرت سنة ١٣١هـ/٧٤٨م وتميزت بالمواجهة مع الروم البيزنطيين الذين أخذوا يتعرضون للسلطان الإسلامية في البحر

المتوسط، في الوقت الذي كانت تشهد فيه الدولة الأموية حالة من التدهار والانهيار السياسي الداخلي. وبالرغم من ذلك فقد تمكن أمراء البحر العرب المسلمون من درء الخطر البيزنطي، ونجحوا في هزيمة الأسطول البيزنطي، في غرب البحر المتوسط وأوقفوا توغظه.

٢- استحدثت وظيفة أمير البحر في عصر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأول من تولاها -سيد الله بن قيس الجاس، وكان ظهورها مرافقاً لنشاط العرب المسلمين في البحر المتوسط واختص بها أهل الشام ومصر والمغرب العربي والأندلس. ولم تستخدم هذه التسمية عند غيرهم من العرب المسلمين.

٣- كانت وظيفة أمير البحر من بلاد الشام ومصر وظيفة عسكرية ثابتة ومحددة مثل غيرها من الوظائف الأخرى كوظيفة صاحب الشرطة، وصاحب البريد، وصاحب الخراج، أما في شمال إفريقيا والأندلس فكانت وظيفة أمير البحر وظيفة غير دائمة، حيث يتولى قيادتها الوالي أو من ينوب عنه، ويتم تعيين أمراء البحر عند الضرورة، وخاصة في أثناء تجهيز الحملات البحرية لغزو الخاطف والسريع، ضد الروم البيزنطيين في البحر المتوسط.

٤- بعد أن فتح العرب المسلمون إفريقية بقاسم أهلها من أهل الشام وأهل مصر بقيادة الأساطيل الإسلامية في البحر المتوسط فكان يتولى قيادته أهل الشام أمير من الشام، ويتولى قيادة أهل مصر أمير من أهلها، ويقود أهل إفريقية (تونس) أمير للبحر من إفريقية، وبذلك كثف العرب المسلمون من غزواتهم وحملاتهم البحرية ضد الروم البيزنطيين في الحوضين الشرقي والغربي من البحر المتوسط.

٥- كان لنشاط أمراء البحر في العصر الأموي وحملاتهم المتكررة منذ خلافة معاوية، على جزيرتي صقلية وكريت في البحر المتوسط أبلغ الأثر على إضعاف تحصينات الروم وقواتهم الدفاعية في هذه الجزر، الأمر الذي مهد السبيل للعرب المسلمين، فيما بعد، لفتح جزيرة صقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م وجزيرة كريت سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م.

## الهوامش

١. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ج ١٥، ١٩٦٧، ص ٢٧٩. لمزيد من التفصيل عن الإمارة أنظر: الأزهري، وابن منظور، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط ٣، جمهورية مصر العربية، ج ١، ص ٢٦-٢٧.
٢. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب المحيط (أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط، الطبعة الأولى ٧ مجلدات، بيروت، دار الجليل ١٩٨٨، ص ٩٦. ٩٩. مزيد من التفاصيل عن البحر لغة أنظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٤١-٤٢.
٣. مونترمرى وات، فضل الإسلام على الحضارة العربية، ترجمة حسين أحمد أمين، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص ١١٦.
٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تقديم و ضبط: كمال يوسف الحوت، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٦م، ص ١١٢. الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي، دور تاريخ، ج ٥، ص ٢٨١، المنقح الهندي، منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٨٣م، ج ٢، ص ٢٧٦.
٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأودي، سنن أبو داود، تركيا، ١٩٨١م ج ٣ ص ١٣.
٦. أبو داود، سنن أبو داود، ج ٣، ص ١٦.
٧. المتشطح. شحط القتل في الدم اضطرب وشحطه في دمه ويدهمه: جعته يضطرب ويتخبط فيه. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج ١ ص ٤٩٣.
٨. ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه بتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، تركيا، ١٩٨١م، ج ٢ ص ٩٨٢.
٩. صفح البلاذري هذا الاسم والصواب هو: عرفة بن هرثمة بن عبد العزى بن زهير بن ثعلبة بن عمرو، للمزيد أنظر ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر دار المعارف، ١٩٨٢م، ص ٣٦٧. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، مصر، دار الشعب، ١٩٧٠م، مج ٤ ص ٢٣.
١٠. العلاء بن الحضرمي: واسم الحضرمي عبدالله- بن عبد بن أكبرين ربيعة بن مالك ابن أكبرين عوف بن مالك بن أبي بن الصنف - وقيل: عبدالله بن عمار - وقيل. عبدالله بن ضمار - وقيل: عبدالله بن عبيدة بن ضمار بن مالك. ويقال: إن العلاء كان مجاب الدعوة وأنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها... ابن الأثير، أسد الغابة تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبدالوهاب فايد، دار الشعب، ج ٤ ص ٧٤.

١١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق، عبدالله وعمر أنيس الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٩٨٧ م، ص ٥٤٤.
١٢. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م، مج ١، ص ٢٦٦.
١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ١٩٨٧ م، مج ٤، ص ٧٩.
١٤. عثمان بن أبيان بن سيار بن مالك بن حطيظ بن جثم بن ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبدالله. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣، ص ٥٧٩.
١٥. أبركاوان: جزيرة في البحر بينها وبين سيراك مائة وخمسون فرسخا وفيها فلاح شتى وفيها أجوان كثيرة ومستقى ومحتطب كثير، وفيها معادن الحديد، وطولها اثنا عشر فرسخا، وبينها وبين ساحل بحر فارس فرسخان. الحميري، الروض المعطار، ص ٩.
١٦. ياقوت لا يوافق ما جاء في رواية البلاذري ويقول: " افتتحها عثمان بن أبي العاصي الثقفي أيام عمر بن الخطاب لما أراد غزو فارس في البحرين مر بها في طريقه ". للمزيد انظر ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، بيروت. دار إحياء التراث، ١٩٧٩ م، ج ٢، ص ١٣٩.
١٧. توج: توج يفتح أوله وتشديد ثقيبه مدينة بفارس شديدة الحر لاسها غور من الارض ذات ثغل ويناؤها بالثين ويعمل أهلها بصناعة النسيج المطرز بالذهب. وهي مدينة صغيرة واسمها كبير وقد فُتحت أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٦.
- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٤٤.
١٨. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٦٠٧.
١٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٨؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٨-٢٦٢؛ الكوفي، أبو محمد بن أعثم، الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦ م، مج ١، ص ٣٤٧-٣٥١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد عبدالكريم، الكامل في التاريخ، تحقيق: كارلوس توريير ليهن ١٨٧١ م، مج ٣، ص ٩٥-٩٧. Robert Browning, The Byzantine Empire, (Weidenfels and Nicolson, London) 1980, p.47
- ostrogorsky, History of the Byzantine state, trans: Joan. Hussey, (Basil Blackwell, oxford) 1968, P.116
٢٠. النواتية: هم الملاحون الذين يلقدون السفن في البحر، أنظر ابن منظور، لسان العرب، مج ٦، ص ٧٣٨.
٢١. الشوانى: السفن الحربية الكبيرة للمزيد أنظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤ م، ص ٨٣.

٢٢. ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر مج ١ ، ص ٢٦٦ .
٢٣. يعرف أيضاً بعد الله بن ليس الغزالي والأنصاري للمزيد . أنظر ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق ، سكتة الشهابي ، دمشق ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٨٦م ، مج ٣٨ ، ص ١٦ - ١٨ .
٢٤. تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ ؛ وأنظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٢٥. أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٢م ج ٥ ص ٤١٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٦ .
٢٦. ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، مج ٣٨ ، ص ١٨ .
٢٧. عند ابن الأثير في الكامل (المرفأ)
٢٨. التفرات ، هي المذائد وهو مثل للأغلب العجلي يضرب في - الأمور العظام والصبر عليها . أنظر الموداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم ، مجمع الأمثال ، تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج ٢ ص ٤١٥ .
٢٩. الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٩٧ .
٣٠. أغلب الظن أن تلك الخليفة كـ هو الخليفة العباسي
٣١. والثائب أنه المقنن بالله (٢٩٥٠ . ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ . ٩٣٢م)
٣٢. الماوردي ، الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م ص ٤٩ .
٣٣. للمزيد أنظر ، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣م ص ٢٨ ، ٥١ .
٣٤. للمزيد أنظر الماوردي ، الأحكام السلطانية . ص ٣٧ ، ٣٩ ، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ ، ٥١ ؛ ابن أعثم الكوفي ، مج ١ ، ص ١٣٥٠ قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق : محمد حمير الريددي بغداد ، دار الرشيد ، ١٩٨١م ، ص ٤٧ . ١٥٠ ابن جماعة الحموي ، بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله ، مستند الأجداد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد ، بغداد ، دار الوطنية للتوزيع والإعلان ، ١٩٨٣م ، ص ٣٥ ، ٥٢ .
٣٥. الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ ، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٩ .
٣٦. ابن جماعة ، مستند الأجداد ، ص ٤٥ .
٣٧. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٧ .
٣٨. الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٣٨ .
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص ٤١٣ .
٤٠. ابن أعثم الكوفي ، الفتح ، مج ١ ص ٣٥٠ .
٤١. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٧ .

٤٢. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٨ .
٤٣. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .
٤٤. قدامة بن جعفر ، الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٩ .
٤٥. العباسى ، الحسن بن عبدالله ، آثار الأول فى ترتيب الدول ، تحقيق ، عبدالرحمن عبيدة ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٧٠ ، ٢٧٣ .
٤٦. خليفة بن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط الصفرى ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق ، أكرم ضياء العمرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٧٧ ، ص ١٥٩ .
٤٧. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ .
٤٨. الحميرى ، محمد بن عبدالمعلم ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م ، ص ١٥ .
٤٩. يختلف المؤرخون فى تاريخ هذه الواقعة فالبعض منهم يرى أنها وقعت فى سنة ٣١هـ / ٦٥١م بينما يعتقد البعض الآخر أنها كانت فى سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م . أنظر خليفة بن خياط ، تاريخ بن خياط ، ١٦٨ ، المتبحر ، أغابريوس قسطنطين ( من القرن ٤هـ / ١٠م ) ، المنتخب من تاريخ المنجى ، تحقيق . عبدالمسلم ندمرى ، لبنان ، دار المنصور ، ١٩٨٦م ، ص ٥٩ . ١١ . ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١٧١ .
٥٠. يختلف المؤرخون فى سبب تسميتها بذات الصوارى فيرجع البعض سبب التسمية إلى كثرة صوارى السفن فى هذه المعركة ، بينما يرى البعض الآخر ذات الصوارى اسم المكان الذى قامت فيه المعركة ، كما يختلف المؤرخون كذلك فى تحديد مكان المعركة والذى هو فى الغالب قرب الساحل التركى الجنوبى أمام منطقة Lycia وبالقرب من موضع يسمى phoenix للمزيد أنظر ، ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة ، أحمد محمد عيسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٩١ محمد جمال الدين على محفوظ ، فجر البحرية الإسلامية ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٩٧م ، ص ٥١ . ٥٥ . إبراهيم العدوى ، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط ، مصر ، نهضة مصر ، ١٩٦٣م ، ص ٤٦ .
٥١. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
٥٢. ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ١١٨ .
٥٣. ابن عبدالحكم ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق شارلز توري ، بالقاهرة ، مكتبة مدهولى ، ١٩٩١م ، ص ١٩٠ . ١٩١ .
٥٤. فى أسد الغابة : جنادة ، بالهام ، هو جناد ، بن أبى أمية الأزدى ، ثم الزهرانى ، وأسم أبى أمية مائل ، .... وكان جنادة بن أبى أمية على غزو الروم فى البحر لعمامة ، زمن عثمان رضى الله عنه إلى أيام يزيد ، إلا ما كان من أيام الفتنة وشنا فى البحر سنة ٦٧٨/٥٩ . للمزيد عن سيرته انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٣٥٣ ، ابن منظور ، محمد بن مكرم ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر ، ج ٦ ، تحقيق ، محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٤ م ، ص ١١٨ . ١٢٠ .

٥٥. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ويذكر ابن الأثير أن فتح جزيرة رومس كان فى سنة ٥٣٢هـ / ٦٧٧ م ، انظر الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٩٣ .
٥٦. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٩٣ ، ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
٥٧. ابن أعثم الكوفى ، الفتوح ، مج ١ ، ص ٣٦٧ .
٥٨. يروى أحمد بن حنبل عن مجاهد قال كان جنادة بن أبى أمية أميراً علينا فى البهر ست سنين ، انظر المسند ، ج ٥ ، ص ٤٣٤ .
٥٩. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .
٦٠. هو عقبة بن نافع بن عيس بن عمرو بن عدى الجهنى ويكنى أبا حماد ، من صحابة الرسول أسلم بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، رحل إلى المدينة المنورة ونما ولاء معاوية بمصر مبار عليها وسكنها ، وتوفى بمصر سنة ٦٧٧/٥٥٨ م . للمزيد انظر ترجمته عند ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٤ . ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق ، ثروت عكاشة - مصر ، دار المعارف ، ١٩٨١ م ، ص ٢٧٩ .
٦١. محمد بن يوسف الكندى ، كتاب الولاء وكتاب القضاء ، تحقيق . رفى كمت ، بيروت ، مطبعة الأنبياء اليسوعيين ، ١٩٨٠ م . ص ٣٧ ، ٣٨ . الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
٦٢. المعريزى ، بقى الدور أبو العباس بن عفى ، الموعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ مج ٢ ، ص ١٨٠ .
٦٣. قال ابن الأثير : معاوية بن حديج بن حنفية السكونى ، وقيل الخولاسى ، غزا إفريقية ثلاث مرات ، فأصببت عنه فى حدها ، وقيل غزا الحيشة مع ابن أبى مرثد فأصببت هناك . للمزيد انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
٦٤. البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .
٦٥. ابن عساکر ، تاريخ مدينة دمشق ، مخطوط مصور - ج ١٧ ، الأردن ، دار البشير ، دون تاريخ ص ٤٠٧ .
٦٦. هو عمرو بن عويمر بن عمران يكنى أبا عبدالرحمن ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم سنين ، اشترك فى فتح مصر ورافق جنادة بن أبى أمية فى غزواته البحرية وتوفى بالمدينة أيام معاوية ، وقيل بالشام أيام عبدالملك بن مروان ، انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ١ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .
٦٧. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٤٠ .
٦٨. هو ملك بن هيرة بن خالد الكندى السكونى ، كان أميراً لمعاوية على الجيوش للمزيد انظر ابن الأثير ، أسد الغابة ، مج ٥ ، ص ٥٤ .
٦٩. الطبرى ، تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن الأثير ، الكامل ، مج ٣ ، ص ٤٥٧ .

٧٠. هو يزيد بن شجرة ( الرهاوى نسبة إلى قبيلة رهااء المتفرعة من منحج ، نزل الشام واستعمله معاوية على الجيوش الإسلامية البريقو البحرية واستشهد في غزوة ضد الروم سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤م ) وقيل سنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م. للمزيد أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٥، ص ٤٩٥ .
٧١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠١؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥٠٣ .
٧٣. هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية القرشي الفهري ، ولاء عمرو بن العاص إفريقية لما كان على مصر فسار إليها وفتح أجزاء كبيرة منها كما فتح بلاد البربر . وأسس مدينة القيروان في خلافة معاوية، وإلى عقبة يعود الفضل في فتح السوس الأقصى، توفي عقبة في سنة ٦٣ هـ ٦٨٢م للمزيد أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٦٠ .
٧٤. الطبري تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٢؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٥٨ .
٧٥. هو فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب الأنصاري الأوسي العمري، صاحب جليل أسلم قبل معركة أحد، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم معركة أحد والمعارك التي بعدها ولما فتحت بلاد الشام انتقل إليها وأقام فيها وتولى القضاء في دمشق ثم استعمل معاوية على البحر وأرسله لغزو الروم في البحر المتوسط توفي فضالة في سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢م للمزيد أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة، مج ٤، ص ٣٦٤ .
٧٦. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٣٤؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٤٦١ .
٧٧. لم نثر على ترجمة له في المصادر الإسلامية المتوفرة بين أيدينا
٧٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٠٩؛ ابن الأثير، الكامل، مج ٣، ص ٥١٥ .
٧٩. البكري : عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق : أدريان فان ليوفان وأندري فيري، جزءان، تونس، بيت الحكمة، ١٩٩٢م، ص ٦٩٥، الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٦ .
٨٠. اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ تحقيق : هوثسمان، جزءان، لندن، ١٩٦٩م، ص ٣٣٧ .
٨١. ابن فكيهة، محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج ٢ جزءان، قم، منشورات، الشريف الرضي، ١٩٦٩م، ص ٧٠ .
٨٢. سرداقية في المصادر العربية القديمة وهي جزيرة سردينيا الفرنسية حاليًا وتقع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط للمزيد عن هذه الجزيرة أنظر : ياقوت الحموي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣ ص ٢٠٩ .
٨٣. ابن فكيهة، الإمامة والسياسة، ج ٢ ص ٧٠ .
٨٤. ابن فكيهة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧١ .
٨٥. ابن فكيهة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ٧٠-٧١ .
٨٦. ابن فكيهة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٧١؛ ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق ومراجعة، ج . س . كولان وإ . ليفي بروفنسال، ٤ أجزاء، بيروت دار الثقافة، ١٩٨٣م، ص ٤٢ .

٨٧. للمزيد عن مدينة سرفوقسة أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٤.
٨٨. ثم أوافق في العثور عليها في المصادر المعنية بتاريخ جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والغالب أنها مدينة من مدن سردانية.
٨٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٠٠.
٩٠. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ص ١٧١، وذهب ياقوت إلى أن فتحها كان في سنة ٩٢ هـ وهو على ما يبدو تاريخ استقرار العرب المسلمين فيها. أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢١٩.
٩١. خليفة بن خياط، ص ٣٠٢.
٩٢. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٤٢، وديع فتحي عبد الله، «تأثيرات السياسة بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة» ١٩٩٠م، ص ٧٩.
٩٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٥٠، الطبري، تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٤٩٥.
٩٤. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢٣، ٥٢٠، خليفة بن خياط، ص ٣١٤ - ٣١٥، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٦، ص ٣٥٩، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، دون تاريخ، ج ٢١، ص ٣٤٧-٣٤٨، الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق: محمد سعيد عمران، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٨٧، A.A. VASILIFV, HISTORY OF
- The Byzantine empire, 2 vol (the university of Wisconsin press, Milwaukee) 1978, p.236
٩٥. المراكشي، البيان المغرب، ج ١، ص ٤٩، وقلرن مع النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٧.
٩٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٢٨-٣٣٠.
٩٧. جاء في الهامش في تاريخ خليفة بن خياط أن جزيرة قورسيف الآن، وهي وسردانية جزيرتان متقابلتان في البحر المتوسط. أنظر، ص ٣٦٦.
٩٨. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
٩٩. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٠، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤٠٦.
١٠١. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٧، ص ١٦٧، النويري، نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٤١٤.
١٠٢. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤١.
١٠٣. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢١٦.
١٠٤. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٣.
١٠٥. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٥.
١٠٦. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٣٩.
١٠٧. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٣٤٧، أنظر أيضا ابن الأثير، الكامل، ص ٥١٩٩.

١٠٨. الكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة، ص ٧٩ - ٨٠، المقرئ، كتاب المواعظ والاعتبار، مج ١، ص ٣٠٣.
١٠٩. ابن الأثير، الكامل، مج ٥، ١٩١.
١١٠. الطبري، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٦٧. وأنظر أيضا المنبجي، المنتخب من تاريخ المنبجي، ص ٩٥.

## المراجع والمصادر

### أولاً: المصادر

- ١- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم) ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الكامل في التاريخ، تحقيق : كارلوس كورنبرج، ٩٣ مجلدًا، لندن، ١٨٧١ م.
- ٢- ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق، محمد إبراهيم النسا ومحمد أحمد عاشور، ٧ أجزاء، الطبعة الأولى، دار الشعب، مصر، ١٩٧٠ م.
- ٣- ابن جماعة الحموي. ( بدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن سعد الله ) ت ٧٣٣ هـ / ١٣٤٢ م، مستند الأجداد في آلات الجهاد ومختصر فضل الجهاد، دار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، ١٩٨٣ م).
- ٤- ابن حزم الأندلسي: ( أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ) ت ٥٤٠ هـ / ١١٠٢ م، جمهرة أنصاب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢ م).
- ٥- ابن خلدون : ( عبد الرحمن بن محمد ) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م.
- ٦- ابن سعد : ( محمد بن سعد بن منيع البصري ) ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م، الطبقات الكبرى، ٩ أجزاء، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٧- ابن عبد الحكم - ( أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ) ت ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : شارلز توري، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩١ م.
- ٨- ابن عذاري المراكشي. ( أبو عبد الله محمد ) كان حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣٢١ م، البيان للمغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة : ج . س كولان و إلفي يوفنسمال، ٤ أجزاء، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٩- ابن عساکر . ( أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ) ت ٥٢٢ هـ / ١١٧٥ م، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق مكتبة الشهابي، المجلد الثامن والثلاثون، مطبوع . جمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٦ م ١ المجلد السابع عشر، مخطوط مصور، دار البشير، الأردن، دون تاريخ.
- ١٠- ابن قتيبة الدينوري : ( أبو محمد عبد الله بن مسلم ) ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م، الإمامة والسياسة، ( منسوب لابن قتيبة )، جزآن، الطبعة الأخيرة، منشورات الشريف الرضي، رقم، ١٩٦٩ م.
- ١١- ابن قتيبة الدينوري: المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة دار المعارف، مصر، ١٩٨١ م.
- ١٢- ابن ماجة : ( أبو عبد الله محمد بن يزيد الغزويني ) ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، جزآن، تركيا، ١٩٨١ م.
- ١٣- ابن منظور : ( محمد بن مكرم بن علي ) ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م، لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط، الطبعة الأولى، ٧ مجلدات، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨ م.

- ١٤- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق سكيئة الشهابي، الجزء الثالث عشر، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩م.
- ١٥- أبو داود: ( سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ) ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م، سنن أبي داود، ٥ أجزاء، تركيا، ١٩٨١م.
- ١٦- ابن يعني الفراء الحنبلي: (محمد بن الحسين) ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٧- أحمد بن حنبل: ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٦ أجزاء، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- ١٨- الأزهري: ( أبو منصور محمد بن أحمد ) ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون. ١٥ جزءاً المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، ١٩٦٧-٦٤م.
- ١٩- البخاري: ( محمد بن اسماعيل ) ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م، صحيح البخاري، ٨ أجزاء استنبول، ١٩٨١م.
- ٢٠- الهكمرى: ( عبد الله بن عبد العزيز ) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م، الممالك والممالك، تحقيق، أدريان فان ثيوفان وأندري فوري، جردان، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.
- ٢١- البلاذري: ( أبو العباس. أحمد بن يحيى بن جابر ) ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م، فتوح البلدان تحقيق، عبد الله وعمر أتيس الطباع، الطبعة الأولى. منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٢- الحميري: ( محمد بن عبد المعين ) ت ٢٧٧ هـ / ٨٩٢ م، الروص المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ٢٣- خليفة بن خياط: ( عمر بن خياط العصري البصري ) ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م. تاريخ ابن خياط تحقيق، أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.
- ٢٤- الرقيق القيرواني: ( أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ) ت القرن الخامس الهجري ، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، رقيق المسقطي، تونس، ١٩٦٨م.
- ٢٥- الطبري: ( محمد بن جرير ) ت ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م، تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزءاً الطبعة الخامسة دار المعارف، مصر، ١٩٨٧م.
- ٢٦- العباسي: (الحسن بن عبد الله) ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٧- قدامة بن جعفر ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ٢٨- قسطنطين السابع: ( بورفيريو جنيثوس ) ت ٩٥٩ م إدارة الإمبراطورية البيزنطية عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.
- ٢٩- الكوفي: ( أبو محمد بن أعثم ) ت ٢١٤ هـ / ٩٢٧ م، الفتوح، ٨ أجزاء، الطبعة الأولى، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦ م.

- ٣٠- الماوردي: (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب) ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م الأحكام السلطانية والولايات  
الدولية الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٣١ - المقرئ: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر  
الخطوط والآثار جزءان طبعة بالاقفست، دار صادر بيروت، دون تاريخ
- ٣٢- المنجي: (أغابويوس قسطنطين) من القرن ١٠هـ/١٠م، المنتخب من تاريخ المنجي، تحقيق،  
عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦م.
- ٣٣- الميداني: (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم) ت ٥٣٩هـ/١١٤٤م، مجمع الأمثال، تحقيق :  
محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٧٧م.
- ٣٤- النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م نهاية الأرب في فنون  
الأدب، ٣١ جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، دون تاريخ .
- ٣٥- ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م، معجم البلدان، ٥ أجزاء، الطبعة  
الأولى دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م. ٣٦- اليعقوبي: (أحمد بن أبي  
يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م. تاريخ اليعقوبي، تحقيق : هوتسما،  
جزءان، الطبعة الثانية، لندن، ١٩٦٩م.

ARCHIVE

## ثانياً المراجع

١. وفيق بركات :

فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٩٥م

٢. إيمان جرونييل :

التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة : حسان محي الدين الالوسي، الطبعة الثانية، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٨٦م.

٣. خالد جاسم الجنابي :

تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الثانية دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.

٤. محمد حميد الله :

مجموعة الوثائق في العهد النبوي والخلفاء الراشدة، الطبعة السادسة، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. نجدة حماش :

الشم في صدر الإسلام، من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٧م.

٦. وفيق الدقوقي :

الجندي في عهد الدولة الأموية، مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

٧. تقي الدين عارف النوري :

صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربي حتى الغزو التورمندي، دار الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠م.

٨. عصام سالم سيمالم :

جزر الأندلس المنسية التاريخ الإسلامي لجزر البليار دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٩. محمد علي الشبول :

نشأة البحرية الإسلامية في صدر الإسلام، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في اللاذقية ٢٢-٢٤ نيسان ١٩٨٦م منشورات معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٨٩م.

١٠. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية في بيروت، ١٩٨١م.

١١. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم :

تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢. إبراهيم أحمد الدعوى :

قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٣م.

١٣. بسلام الصلى :  
فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٤. إسمنت غنيم :  
الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، دار المجمع العلمي، جدة، ١٩٧٧م.
١٥. على محمود فهمي :  
التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة  
: قاسم عبده قاسم، عون للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٧م.
١٦. أرشيبالد لويس :  
القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة  
المصرية، القاهرة، دون تاريخ.
١٧. محمد جمال الدين على محفوظ :  
فجر البحرية الإسلامية، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٨. محمد كرد على :  
خطط الشام، ٥ أجزاء الطبعة الثانية، مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م.
١٨. مونتجومري وات :  
فضل الإسلام على الحصار القريب، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٠. وديع فتحى عبد الله :  
العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى لاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،  
١٩٩٠م.
٢١. نعيم يوسف جوزيف :  
تاريخ الدولة البيزنطية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

## وسائل الدعاية عند الفاطميين

(٢٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)

د. إبراهيم أحمد القلا (\*)

### مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى دراسة وسائل الدعاية عند الفاطميين، وشقيها المادى والمعنوى، منذ بداية دعوتهم في اليمن وإفريقية، وحتى استيلائهم على مصر والشام والحجاز، وتكوين دولتهم الكبرى التى كانت تقف على قدم المساواة مع الدولة العباسية، حيث لم يحظ هذا الموضوع، من قبل، بدراسة مستفيضة ومتخصصة فى هذا الجانب المهم بالنسبة لتاريخ وتطور الدولة الفاطمية، سواء فى المشرق والمغرب. وقد قسمت هذا البحث إلى محورين ممكن عرضهم على النحو التالى:

**المحور الأول:** بعنوان وسائل الدعاية المعنوية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب التمسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ)، وأسلوب الزهد والتقصف والعلم والتشيع، والقول بوصايا على بن أبى طالب (عليه السلام)، وأسلوب وضع الاحاديث النبوية الشريفة التى تؤيد دعوتهم، والثورة ضد الحكام أو ضد النظام، والقول برجعة الإمام وتاويل الشريعة، ومن أساليبهم أسلوب التفريق بين قبائل العرب ونشر الدعوة فى الخفاء والمسر والكتمان، وأسلوب استتار الإمام والقول بغيثته، ووث الدعاة وسط الجند، وأسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام، والإدعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لتنقذ المصريين، والاحتفال بالأعياد واتخاذ أعياد جديدة، وإيجاد اللغات غير العربية، ومن أساليبهم أيضاً: تأليه الحاكم والإمام، وأسلوب التباسخ، وأسلوب قتل الغيلة، وأسلوب التائيس والتدليس والخلق، والإدعاء بأن حقهم فى الخلافة قد اغتصب منهم، ولعنهم أبا بكر وعمر وعثمان على منابرهم، وإقامة الخطبة.

**المحور الثانى:** وعنوانه وسائل الدعاية المادية عند الفاطميين، ويتناول النقاط التالية: أسلوب ضرب العملة والنسكة، ولباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية، وبناء العواصم والحوضر واتخاذ اسمائها نسبة إليهم، وإنشاء دور العلم وتعميم المذهب الشيعى، إنشاء المساجد المشيعة والأضرحة، بث الدعاة وسط الجند، إعداد الجيوش. اختيار مصر مقراً للدعوة، الاهتمام بالبحر، هذا وأنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج، وبعض الملاحق التى تخدم الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

(\*) أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب بقنا جامعة جنوب الوادى.

الدولة الفاطمية إحدى الدول الشيعة القوية التي قامت في بلاد المغرب ومصر، وظلت تحكم مصر مدة قرنين من الزمان، إلى أن أسقطها صلاح الدين الأيوبي، سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وأعاد مصر مرة أخرى إلى خلافة بني العباس السفينة<sup>(١)</sup>.  
وقد حاول الفاطميون نشر مذهبهم الشيعي بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، بادئين ببلاد المغرب وصقلية واليمن، ثم مصر والشام والعراق<sup>(٢)</sup> وغيرها متخذين أساليب عديدة في دعوتهم.

وقد فتح جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م، وأسقط الدولة الإخشيدية، كما أسقط الخطبة للخليفة العباسي المطيع لله أبو القاسم (٣٣٤-٣٦٣ هـ / ٩٤٥-٩٧٣ م)<sup>(٣)</sup>، وأقامها للمعز لدين الله الفاطمي<sup>(٤)</sup>، وبنى مدينة القاهرة لتصبح حاضرة مصر الفاطمية<sup>(٥)</sup>.  
ومن بلاد المغرب واليمن ومصر؛ انطلق للدعاة بالدعوة الفاطمية محاولين نشرها بالأسلوب السلمي تارة، والحريسي تارة أخرى، معتمدين على ضعف الخلافة العباسية، واتساعها إلى دويلات عديدة، وملامحة البلاد التي دخلها الفاطميون كالمغرب ومصر واليمن للدعوة<sup>(٦)</sup>.  
ومن أساليب الفاطميين في الدعوة:

#### ١- أسلوب النسب إلى آل بيت الرسول (ﷺ):

نسب الفاطميون أنفسهم إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) فاتخذت الدولة اسمها، مدعين أنهم من نسل الحسين بن فاطمة شهيد كربلاء<sup>(٧)</sup>، فهم علويون ينسبون إلى علي بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين (رضي الله عنهما). مما هيا الفرصة لاكتساب ثقة الناس، وخاصة أولئك الذين كانوا يكرهون بني العباس من الموالى (المسلمين من غير العرب).  
وإدعى عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب<sup>(٨)</sup> وأولاده: أنهم من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق ت ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م، أو من سلالة الإمام موسى الكاظم ت ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م<sup>(٩)</sup>، وهم من أئمة الشيعة الاثنا عشرية، والذين كان القرس وغيرهم يكتون لهم كل تقدير واحترام<sup>(١٠)</sup>.

إلا أن النسب الصحيح لهؤلاء أنهم ينسبون إلى ميمون القداح وإبنة عبد الله، وهو فارسي وكان يخطط لتكوين دولة فارسية، لو دولة يهودية نسبة إليهم<sup>(١١)</sup>.  
وقد نقل ابن خلكان رواية تبين مبلغ إنكار المصريين صحة نسب الفاطميين، ذلك أن الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ / ٩٧٥-٩٩٦ م) صعد المنبر يوم الجمعة، أوائل خلافته في مصر، فرأى ورقة فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً  
 إن كنت فيما تدعى صادقاً  
 يتلى على المنبر في الجامع  
 فإنك أيا بعد الأب الرابع  
 فانسب لنا نفسك كاتطالع  
 وإن ترد تحقيق ما قلته  
 أو لدع الأنساب مستورة  
 فإن أنساب بني هاشم  
 وانحل بنا في النسب الواسع  
 يقصر عنها طمع الطامع<sup>(١١)</sup>.

وقد روى الثعالبي حكاية أخرى تؤيد هذا الرأي إذ يقول: إن عبد الرحمن الثالث الأموي الأندلسي تلقى من العزيز كتاباً يسبه فيه ويهجو، فجاءه رد عبد الرحمن عليه: "أما بعد فإني عرفت أن هجوتنا ولو عرفتك لأجبتك والمسلم" وهذا بسبب عدم إفصاح الفاطميين عن أي نسب رسمي لهم<sup>(١٢)</sup>.

## ٢- أسلوب الزهد والتقصيف والعلم والمشع

وهو أسلوب اتخذته معظم الدعوات الشيعية<sup>(١٣)</sup>، ومنها الفاطمية، فحاز به عبد الله ميمون بن القلاح، وعبد الله المهدي وأئمة الدعوة والخلفاء - ثقة الناس، ونجحوا في تأسيس جماعات سرية، ثم أخذوا يعلمون الناس أسرار الدعوة التي قسموها إلى سبع درجات (وزادات فيما بعد) وكثر أنصارهم<sup>(١٤)</sup>.

## ٣- أسلوب كتمان الدعوة وسريتها:

وهو من أشهر أساليب الدعاية عند الشيعة الإسماعيلية وكل طوائف وفرق الشيعة، وكان الداعي الفاطمي يبدأ بإظهار بعض مشكلات القرآن، حتى إذا طلب الناس منه حل هذه المشكلات؛ أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يجتنبوا هذه الدعوة سرّاً مكتوماً، ثم يطلب منهم أن يدفعوا ضريبة مالية لمساعدته على نشر مذهبه<sup>(١٥)</sup>.

وإذا تم للداعي ما أراد، دخل الطالب في المرحلة الثانية، وموذاها أن فرأى الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله؛ إلا إذا كانت عن طريق الأئمة السبعة، من واد إسماعيل ابن جعفر الصادق. فإذا وصل الطالب إلى المرحلة الرابعة، اعتقد أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، ومن تقدم هذه المرتبة لا يعلم سوى نظريات فلسفية لا تمت للإسلام بصلة، حتى يصل به الاعتقاد إلى أن الإمام هو عبد الله بن ميمون القلاح، وأنه بمنزلة هارون من موسى، أو بمنزلة علي بن محمد (عليه السلام)<sup>(١٦)</sup>.

## ٤- أسلوب شراء الناس بالمال:

من أسهل أساليب الدعوة، فقد ذكر ابن خلكان<sup>(١٨)</sup> أن جماعة من أهل السنة في مصر طعنوا في نسب المعز لدين الله وإتصله بطي بن أبي طالب هـ، حتى إن الخليفة المعز لما وصل إلى مصر، اجتمع به الأشراف وسأله أحدهم، وهو ابن طباطبا: 'إلى من ينتسب مولانا، فأجابه المعز بأنه سيبحث مجمعاً يضم كافة الأشراف ويسرد عليهم نسبهم، حتى إذا ما انعقد المجلس في القصر، سئل المعز سيفه إلى النصف وقال 'هذا نسبي'، ثم غرهم بالذهب الكثير وقال 'وهذا حصبي'، ومن هنا نشأ القول المأثور (سيف المعز وذهبه) للإشارة إلى بطلان الشئ أو أنه مأخوذ كرها<sup>(١٩)</sup>.

اهتم المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١-٣٦٥ هـ / ٩٥٢-٩٧٥ م) بأمر الحجاز، حيث تدخل في حسم الخلاف بين بني الحسن وبني جعفر بن أبي طالب، وأرسل سرّاً ملاً ورجالاً سعوا بين الفريقين حتى عقدوا الصلح في المسجد الحرام، وقام المعز بأداء دية قتلى بني الحسن سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م، مما كان له أكبر الأثر في نفوسهم، ولما فتح جوهر مصر، سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م بأمر الحسن بن جعفر الحسني بالاستيلاء على مكة، ودعا للمعز على منابرهما، وكذلك أقيمت الخطبة للمعز بالمدينة المنورة، وعمل للمعز على تثبيت سلطته على مكة والمدينة بالأموال التي صار يرسلها إليهما، ويذكر المقرئ أنه في سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م: 'أنفذ المعز عسكرياً وأعمال مال عدتها عشرون حملاً للحرمين وعدة أحمال متاع' - ويذكر نيسر أنه تشر نفوذ الفاطميين في بلاد الحجاز<sup>(٢٠)</sup>.

واستطاع الخليفة العزيز بالله الفاطمي (٣٦٥-٣٨٦ هـ / ٩٧٥-٩٩٦ م) بفضل اهتمامه بأمر الدعوة، وإنفاقه الأموال الكثيرة لهذا الغرض أن يستميل بعض أمراء العرب أعالي العراق إلى جانب الدولة الفاطمية، ففي سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م أعلن حاكم الموصل 'أبو الدرداء بن المسيب العقيلي' ولاءه للفاطميين، فأقام الخطبة في الموصل للعزيز بالله وأمر أن ينقش اسمه على الأعلام والسكة<sup>(٢١)</sup>، كما نجح الخليفة الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢٠ م) في استمالة قرواش ابن المقلد الملقب بمعتمد الدولة أمير بني عقيل في الموصل، فخرج عن طاعة الخليفة العباسي القادر بالله سنة ٤٠١ هـ وأظهر طاعة الحاكم بأمر الله وأقام الدعوة له<sup>(٢٢)</sup>، كما أمر قرواش عماله في البلاد التي كانت في حوزته أن يقيموا الدعوة الفاطمية فيها<sup>(٢٣)</sup>، فخطب للحاكم بأمر الله في كل من الأنبار<sup>(٢٤)</sup> والقصر<sup>(٢٥)</sup> والمدائن<sup>(٢٦)</sup> والكوفة<sup>(٢٧)</sup> والجامعين<sup>(٢٨)</sup> وغيرهم مما حمل الطوحيين والعباسيين المقيمين بالكوفة على الهروب إلى بغداد<sup>(٢٩)</sup>.

حسان وأبيه مفرج بن الجراح وغيرهما بالأموال التي بذلها لهم، وتقدر بخمسين ألف دينار عينا، سوى الهدايا والثياب، من أجل التخلي عن أبي الفتوح الحسن بن جعفر أمير مكة ومجاورة بالخلافة وذلك سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م<sup>(٣٠)</sup>، كما نجح الحاكم بأمر الله في شراء الناس بالمال .

كان دعاة الإسماعيلية في بلاد اليمن لا يكون جهداً في القيام بنشر الدعوة للخلفاء الفاطميين، فظل يوسف بن الأسد يدعو سرّاً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١ هـ / ٩٩٦-١٠٢١ م) حتى توفي، فخلفه داع جري يدعى عامر بن عبد الله الزواحي، كان كثير

المال والجاه، وقد استقل ماله ونفذه في سبيل نشر الدعوة الفاطمية، واستمال عدداً كبيراً من أهالي اليمن إلى المذهب الإسماعيلي، وظل يدعو للفاطميين خلال عهد الحاكم والظاهر، وأوائل عهد المستنصر بالله<sup>(٣١)</sup>.

ويذكر ابن ظاهر ذلك بقوله: «السبب في خفاء زورهم في إدعائهم الشرف: أن القوم كانوا وقت ابتداء منكرهم، ووقت إدعاء زورهم، لا يسمعون بمنكر لأمرهم طاعن على مذهبيهم إلا يباروه بالعطايا، وأتحفوه بالأموال والدرغائب، وطلبوا الكف منه، فإذن رفض عملوا على قتله بأنواع من الحيل والمكر التي بنى عليها مذهبيهم»<sup>(٣٢)</sup>.

#### ٥- القول بوصايا علي بن أبي طالب (ع) وأخيه بالخلافة:

اعتقد الشيعة أنهم وحدهم الأحق بالخلافة، وأن أبا بكر وعمر وعثمان (ع) وكذا الخلفاء من بني أمية، وبني العباس، انتزعوا حق الإمامة المقدس من علي (ع)، وقد صنف العلماء الشيعة من المؤرخين الأسفار الطوال في تأييد هذه المقالة، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة سبقت من علي أو بعباره أخرى اختصت من بيت النبي (ص)<sup>(٣٣)</sup>.

لا يقف الحال عند هذا الحد، فقد اشتط غلاة من الشيعة فقالوا: إن الإمامة في بيت علي (ع)، وأن الأنمة معصومون، وإن صفات الله تعالى قد حلت فيهم وتقمصت أجسادهم، وإن من قال بغير ذلك، من الفرق الإسلامية - خارجون عن الدين - ودلوا على ذلك بأن علياً كان أول من اعتنق الإسلام من الرجال قيل أبي بكر، وأن ما قام به في سبيل رفع منار هذا الدين لا يستطيع أحد من المسلمين أن يبيته<sup>(٣٤)</sup>.

#### ٦- أسلوب وضع الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد دعوتهم:

استند غلاة الشيعة، ومنهم الفاطميون، على مجموعة كبيرة من الأحاديث الموضوعة والتي تشهد لآل علي كرم الله وجهه بالحق في الخلافة، ويذكرون أن علي (ع) جمع الناس سنة ٦٥٥/هـ ٣٥ في الرحبة<sup>(٣٥)</sup> ثم قال لهم: «أنشد بالله كل إمري مسلم سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله (ص) قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من واه وعاد من عاداه»، وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنداه قال: قال رسول الله (ص): «علي مني وأنا من علي»، وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: «أخبر رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء علي (ع) تنمع عونه، فقال: يا رسول الله أخيت بين أصحابك ولم توالح بيني وبين أحد، فقال رسول الله (ص): «أنت أخى في الدنيا والآخرة»<sup>(٣٦)</sup>.

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله (ص) خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك سنة ٦٣٠/هـ ٩م فقال: «يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال أوما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي»<sup>(٣٧)</sup>.

ومن ذلك ما عزى إلى النبي (ص) أنه قال «أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن عدل عنها غرق»، وفي رواية أخرى أهل بيتك كسفينة نوح، من تعلق بها نجا، ومن تخلف عنها هلك<sup>(٣٨)</sup>، وقوله أيضاً «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد

مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة، فهذه الأحاديث لا شك في أن الشيعة احترموها بعد موت الرسول (ﷺ) تأييداً لعقيدتهم التي كان منهاها مبالاة على وخلفائه من بعده<sup>(١٢٠)</sup>.

ونحن نعلم أن النبي (ﷺ) ترك مسألة الخلافة من غير أن يترك فيها وصية لأحد، وتم اختيار أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لخلافته بطريقة ديمقراطية حيرت أهل الديمقراطية لأن<sup>(١٢١)</sup>.

#### ٧- أسلوب الثورة ضد النظام:

وقد بدأت هذه الثورات في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فيما يسمى بالفتنة الكبرى، والتي قبل في أسبابها، أن عثمان فضل أقاربه على غيرهم في الحكم، فرفع الشيعة راية العصيان، وادعوا أن علياً عارض عثمان، والواقع يقول غير ذلك، غير أن ذلك، قاد الثورة سرياً هو ابن السوداء (عبد الله بن سبأ) اليهودي الذي أسلم ظاهرياً، وكان له دور حطير جداً في تقسيم الأمة الإسلامية إلى سنة وشيعة<sup>(١٢٢)</sup>، وبت ابن سبأ دعتاه وكاتب من كان استقصد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار يكتب بضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يكتبون<sup>(١٢٣)</sup>، ألقى ابن سبأ تعاليمه ومن ضمنها: أنه كان لله ألف نبي ووصى وكان على الله وصى محمد (ﷺ)، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية نبي الله (ﷺ) ويؤبى عن وصية. وقال إن عثمان (رضي الله عنه) أخذها بغر حق وهذا وصى رسول الله (ﷺ) فلهذه في هذا الأمر فحروكه وابدأوا بالطنن على أميركم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستثير الناس، وادعوه على هذا الأمر، فيث دعتاه وكاتبهم وكاتبوه في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار يكتب بضعونها في عيوب ولاتهم، ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم من مصرهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا في الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون: غير ما يعلنون<sup>(١٢٤)</sup>.

واستغل ابن سبأ وجود معاوية بن أبي سفيان في ولاية الشام، واعتلاءه منابر المسجد الأموي وتحريض الناس على الأخذ بثأر من فتنة عثمان: وحرض الناس تمهيداً لإسقاط خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وهو أول من وضع عقائد مذهب الشيعة المغالية في الإسلام، وهو أول من بذر بذوره وحقق ابن سبأ غرضه من إثارة الولايات الإسلامية على عثمان وولائه فكانت الفتنة الكبرى وقتل الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنه)<sup>(١٢٥)</sup>، مما اضطر الإسلام، وزاد كلمة المسلمين تفرقاً حتى الآن.

ثورة الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، على يزيد بن معاوية، واستشهاد الحسين في كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م<sup>(١٢٦)</sup>، وثورة التوابين وهم جماعة من الشيعة اعترفوا بتقصيرهم وخطيئتهم في حق الحسين بن علي، حينما تركوه يواجه القتل وحده، ولذا ثاروا ضد الدولة الأموية بقيادة سليمان بن صرد، والتقى معهم عبيد الله بن زياد في معركة يقال لها "عين الورد" هزم فيها التوابين وذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٤م<sup>(١٢٧)</sup>، وثورة زيد بن علي سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م حيث خرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، ولكنه هزم بعد أن خذله أهل الكوفة، وإليه

تنسب جماعة الزيدية إحدى فرق الشيعة<sup>(١٧)</sup>، وثورة يحيى بن زيد، سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، الذي استطاع الهروب من السجن وواجه نصر بن سيار في معركة عنيفة انتهت بمقتل يحيى<sup>(١٨)</sup>.

**ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي سنة ٦٥هـ/٦٨٤م :**

وقد كثرت الثورات الشيعة في العصر الأموي منها: ثورات الكيسانية<sup>(١٩)</sup> والمختارية: ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولد المختار في السنة الأولى، ولقب أحياناً بكيسان لأنه تلقى العلم عن كيسان، أو لأن كيسان حثه على الأخذ بشار الحسين وعرفه بقاتليه، ويذكر البغدادي أن كيسان كان لقباً أصيلاً للمختار<sup>(٢٠)</sup>.

ادعى المختار أن محمد بن الحنفية هو الذي أرسله وأنه وزيره، ويعمل باسمه للطلب بحق آل البيت، وإثارة من قاتلي الحسين وصحبه، وادعى أنه يسير على نهج القرآن وهدى الإسلام، ولكنه كان به ضلالات تبعده عن الإسلام منها: أنه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه وقال هذا من خائز أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهو عندنا بمنزلة التابوت عند بني إسرائيل، كما ادعى علمه بالغيب وله أسجاع يقصد بها القرآن. قتل المختار على يد مصعب بن الزبير<sup>(٢١)</sup>، وكانت مدينة الكوفة العراقية أشد المدن تأييداً وخذلاناً لهم في نفس الوقت<sup>(٢٢)</sup>.

ثورة زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قامت خلال عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) والتي انتهت بهزيمته وقبضته سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م<sup>(٢٣)</sup>.

ثورة يحيى بن زيد بن علي بن زين العابدين الذي فر إلى خراسان، وإقام بها حتى توفي هشام بن عبد الملك، وخلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٢-٧٤٣م) فعقد نصر بن سيار لمطاردته والتقى به في الجوزجان - إحدى قرى خراسان - فقتل ويقتل حتى قتل<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٩- أسلوب القول برجعة الإمام الغائب:

يعتقد معظم الشيعة بعودة رجعة الإمام، وفي ذلك يقال: إن محمد الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة، الذي اختفى في سرداب بمدينة سامراء، أنه سيعود ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأنه المهدي المنتظر، واعتقدوا أنه يقيم في جبل رضوى (على مسيرة ساعة أيام من المدينة المنورة وأن عوبته ستكون في هذا المكان، ويقول الشيعة: إن الإمام قد يكون مستوراً مكتوماً عن الناس خبره وقال شاعرهم كثير عزة في ذلك<sup>(٢٥)</sup>:

ولا الحق أربعة سوا	ألا أن الأئمة من قریش
هم الأسباط نيس بهم خفاء	على والثلاثة من بنيہ
وسيط غيبته كريلاء	فسيط سبط إيمان وير
يقود الخيل يقدها اللوام	وسيط لا يذوق الموت حتى
برضوى <sup>(٢٦)</sup> عنده غسل وماء <sup>(٢٧)</sup> .	تغيب لا يرى فيهم زمناً

#### ١٠- تأويل الشريعة الإسلامية:

يعتقد ويعتمد أغلب الشيعة على أسلوب التأويل في أحكام الشريعة الإسلامية، فالدنن عندهم طاعة رجل، حتى حملهم الاعتقاد على تأويل الشريعة، وأن طاعتهم ذلك الرجل سبطل

ضرورة التمسك بقواعد الإسلام كالصيام والصلاة والحج والزكاة وغيرها، بل اعتبروا الأئمة محاطين بهالة قسسية يطوق ما وراء الطبيعة<sup>(٩٨)</sup>.

#### ١١- أسلوب التفريق بين قبائل العرب:

وهذا أسلوب اتبعه الدعوة الشيعية بعد انتقالها للعباسيين سنة ٧٩٨هـ/١٦٦م، حينما تنزل عنها أبو هاشم عبد الله عند الشيعة، لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس في الحميمة، وهي قرية صغيرة إلى الجنوب من البحر الميت على مقربة من العقبة<sup>(٩٩)</sup>، وقد نشط العباسيون بالدعوة لآل البيت دون تحديد شخص المدعو إليه، والدعوة إلى المساواة والعدل، فدخل في طاعتهم أهل خراسان (إيران - تركمنستان - أفغانستان) حالياً على يد أبي مسلم الخراساني الذي استطاع أن يفرق بين اليمانية والقيسية، أو بين عرب الشام وحرب اليمن، مما سهّل سقوط خلافة بني أمية وقيام دولة بني العباس<sup>(١٠٠)</sup>.

#### ١٢- أسلوب تصويرهم أمام الناس أنهم المظلومون دائماً

صور أئمة الفاطميين، وغيرهم من الشيعة للناس أنهم دائماً مظلومون، فهم قد ظلموا باستخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وبني أمية وبني العباس، بل اعتبروا أن بني العباس قد سلّبوا الخلافة والإمامة، حينما دعوا لأنفسهم بها سنة ٧٩٩هـ/١١٧م، وكتبوا عن العلويين ذلك، ولما قامت الخلافة في بني العباس، سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وقامت الثورات العلوية مطالبة بحقها في الخلافة، موصين الناس أنهم أحق بها من بني العباس الظالمين لهم<sup>(١٠١)</sup>.

#### ١٣- نشر الدعوة في الحفا والنسر والكتمان:

كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين الشيعة؛ من حبس وقتل طوال العصرين الأموي والعباسي، أن عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء، وتلمسوا أماكن يختفون فيها، ويتخذونها ملاجئ يدرعون بها عن أنفسهم الحبس والآلام، إلى أن تقوى دعوتهم، ثم يظهرون كلما سئحت لهم الفرصة<sup>(١٠٢)</sup>.

ودخل المذهب الشيعي إلى إفريقية، بصورة أكثر سرية وتنظيماً، قبل وصول الداعي الإسماعيلي أبي عبد الله الشيعي، حيث وصل أول تسلسل شيعي إسماعيلي إلى إفريقية في أواسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، قبل نحو ١٣٥ عاماً من وصول أبي عبد الله الشيعي إلى هناك وهي بعثة الداعين أبي سفيان والحطائي، حيث قعما من الشرق للاستقرار في بلاد المغرب سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وأن الذي بعثهما، فيما يقال، الإمام جعفر الصادق، وأمرهما أن يبسطا ظاهراً علم الأئمة وينشروا فضلهم<sup>(١٠٣)</sup>.

#### ١٤- أسلوب استنار الإمام:

استنار أكثر أئمة الشيعة، وخاصة الفاطميون، في بلاد المغرب ومصر، وهناك أئمة يقال لهم المستنورون في ذات الله تعالى<sup>(١٠٤)</sup>، وذلك لدر ما عسى أن يحق بهم من مكروه، ولذلك اتخذوا ما يسمى بدار الهجرة في البلاد التي قاموا فيها بنشر مذهبهم، فبعضهم استنار لمدة عشر سنوات أو أكثر، وبعثه الثامن دون رؤيته<sup>(١٠٥)</sup>.

ومن أساليب الإسماعيلية في التخفي والتستر: اتخاذ عدة ألقاب فطى سبيل المثال: تسمى المهدي عبيد الله استتاراً، وكان أبو عبد الله الشيعي يلقب بالمحتسب لاشتغاله بالحسبة في البصرة<sup>(١٧)</sup>، ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم مذهب الإمامية<sup>(١٨)</sup>، ويلقب بالأهوازي لأنه ولد في الأهواز، والمشرقي صاحب البقعة المشهورة أو البقعة<sup>(١٩)</sup>، ولقبه البعض بالصنعائي مع أنه لم يمت في صنعاء إلا فترة وجيزة، وعرف بهذا اللقب لأنه قدم على حبيج كتابة من صنعاء<sup>(٢٠)</sup>.

ونذكر أنه سبق عبد الله المهدي، مؤسس الخلافة الفاطمية في إفريقية سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م سلسلة من الأئمة المستورين من أبناء محمد بن إسماعيل، فالأئمة الذين يصلون عبد الله المهدي بمحمد بن إسماعيل - أشخاص عاشوا في قُلُوف يكتفها الكثير من القموض، كما أن الأئمة الفاطميين، فيما بعد، لم يحاولوا كشف أسماهم، وذلك لإبطال الحملات التي شنّها ضدهم أعدائهم، أو الرد عليهم بسبب إصرارهم على عدم إذاعة أي نسب رسمي لأصولهم؛ اعتماداً على مبدأ معروف لدى الشيعة هو "عدم كشف أولئك الذين سترهم الله، وهم المستورون في ذات الله"<sup>(٢١)</sup>.

ويذكر أن المعز كان مغرمًا بالنجوم والنظر فيما يقتضيه الطالع، فنظر في مولده وطلّعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار منجمه فيما يزيله عنه، فأشار عليه أن يعمل سرداباً تحت الأرض وينواري فيه إلى حين جواز الوقت فصل على ذلك، وأحضّر قواده وكنايه وجعل نزل ابنه ولّى عهده من بعده، ولقبه العزيز بالله واستخلفه، ثم نزل إلى سرداب اتخذهُ وأقام فيه سنة، وكان المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجل الفارس منهم إلى الأرض وأوماً بالسلاح يشير إلى المعز فيه، ثم خرج المعز بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له<sup>(٢٢)</sup>.

#### ١٥- القول بغيبية الإمام:

في شهر شعبان سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م أوجب الإمام الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر عند الشيعة، وبدأ أسماه محمداً، فلما توفي الحسن سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، كان ابنه في الخامسة من عمره، فأصبح محمد الإمام الثاني عشر عند طائفة الإسماعيلية الذين عرفوا فيما بعد بالإمامية الاثنا عشرية، ويقال إن محمداً دخل سرداباً في مدينة سامراء وأمه تنظر إليه، ولكنه لم يعد، ولم يلق له أشياعه على أثر من ذلك الحين، ومن هنا تنسب للإمام الثاني عشر غيبتان: الغيبة الصغرى، وتبدأ بموت الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م، والغيبة الكبرى، وتبدأ من اختفاء ابنه محمد سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م حتى الآن، ولا يزال أنصاره ينتظرونه إلى اليوم. ولهذا يعتقد الإمامية الاثنا عشرية: أن محمداً الإمام الثاني عشر سيظهر ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ومن ثم سمي الإمام المنتظر، وصاحب الزمان، وأقام بالأمر، والحجة<sup>(٢٣)</sup>.

#### ١٦- اختصار بلاد ملائمة للدعوة وبعيدة عن سلطة العباسيين:

اختار دعاة الدولة الفاطمية بلاد ملائمة تماماً لدعوتهم وبعيدة عن سلطة بني العباس مثل: المغرب ومصر واليمن، كان المهدي فطناً نكياً موهوباً، كما كان سياسياً قديراً، أدرك بثاقب فكرة أن بلاد اليمن بعيدة عن قلب العالم الإسلامي فمن الصعب أن تصلح مركز لنشر الدعوة في جميع البلاد، فاختار المغرب وهو البلد الذي نشأت فيه الدولة، وكان ملائماً تماماً لدعوتهم لبعده

أولاً عن مقر الخلافة في العراق وأهله من الحرير كانوا يكتون حنقاً كبيراً على بنى العباس لظلمهم لهم ووعورة تضاريسه في قيام دولة شيعية مثل دولة الأفراسة وضعف سلطة الخلافة العباسية عليهم، والسلاخ بلاد الأنتلس عن سلطانهم أيضاً<sup>(٧٧)</sup>، وكان اختيار بلاد المغرب دون غيرها من الأطراف الإسلامية لتشهد بداية الدولة الفاطمية مقصوداً وبذلك لإسكاتية التوجه منها لمصر بسهولة، فكانت إفريقية منخلاً لمصر، كما كانت خراسان منخلاً للعراق<sup>(٧٨)</sup>.

لما مصر فكانت صالحة تماماً للدعوة الفاطمية لثرائها وهذوء الأمر فيها، واستتاب الأمن بها<sup>(٧٩)</sup>، هذا بجانب قريها من الأماكن المعقصة التي يهدف الفاطميون إلى فرض سيطرتهم عليها، وكانت مصر ولا تزال - بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي في قلب العالم الإسلامي، وثرواتها - أكثر البلاد صلاحية للدعوة ومركزاً للدولة الفاطمية نفسها، هذا فضلاً عن أن مصر أقرب إلى المشرق الذي دأب المعز وأتباعه على إخضاعه، وخاصة أنها قريبة من الشام والعراق، ومما قاله المعز لمشايخه حينما رحل جوهر إلى مصر: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، لتدخلن مصر بالأردنية من غير حرب، ولتتزلزل في خرابل ابن طولون (يعني مدينة القطائع) وتبنى مدينة تظهر الدنيا"<sup>(٨٠)</sup>.

وهناك دليل مادي يوضح نية المعز للانتقال إلى الشرق، وإلى مصر بوجه خاص، قبل فتحها بوقت طويل، فقد وصل إلينا ثلاثة **بناتير فاطمية** تحمل مكان الضرب مصر، مؤرخة في السنوات ٨٣٣٤/٩٤٥ م، ٨٣٤١/٩٥٢ هـ، ٨٣٥٣/٩٦٤ م، ضربت قبل دخول الفاطميين مصر وتأسيس القاهرة، بغرض ترويجها بواسطة الدعاة على الأتراك الذين يتوسمون فيهم الاستجابة للدعوة، بالإضافة إلى طرز عمل باسم المعز عمل بمصر سنة ٨٣٥٥/٩٦٥ م<sup>(٨١)</sup>.

#### ١٢- بث الدعاة وسط الجند.

يذكر أبو المحاسن أن أمور الديار المصرية قد اضطرت، في أواخر عصر الإخشيديين، بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وقد استمال هؤلاء الدعاة نفرا من القواد ووجه الرعية أنفذ إليهم المعز بتوداً ففرقوا على من استجاب لهم، وأمروهم أن ينشروها إذا ما قايت عساكره مصر<sup>(٨٢)</sup>.

ولجأ الفاطميون إلى أسلوب بث دعائهم وسط الجند المسلمين المرشحين لاحتلال مصر، أعوام ٣٠١/٣٠٢/٣٠٣/٣٠٤/٣٠٥ هـ، وقد صادفت الدعوة الفاطمية نجاحاً عظيماً بين الجنود الذين لم يكن أغلبهم على المذهب العلوي الشيعي، لدرجة أن جموعاً كبيرة اعتنقت المذهب الشيعي قبل دخول الفاطميين مصر<sup>(٨٣)</sup>.

#### ١٨- أسلوب كتابة الكتب والرسائل إلى الحكام المسلمين:

لم يقتصر الفاطميون في سبيل نشر دعوتهم على الدعاة فقط، بل كان لخلفائهم أيضاً نصيب وافر في تشجيع هذه الدعوة، فقد أثر عن بعضهم أنهم كتبوا يرسلون كتباً يكتبونها بأيديهم ويرسلونها بتوقيعاتهم، فقد كتب الخليفة القائم الفاطمي، ٣٢٢-٣٣٤ هـ/٩٣٤-٩٤٥ م، قبل دخولهم مصر كتاباً خاصاً بث به مع رسول من قبله إلى محمد بن طفج الإخشيدى حاكم مصر رغبة منه في أن تفعل سياسة اللين والمسامحة ما لم تقطه سياسة العداء والحرب، تلك السياسة

التي أخفق فيها غيره، وعن نص الكتاب (انظر ملحق رقم ١) :، ويعد مثلها إلى كفاور الإخشيدى وغيره من حكام مصر<sup>(٨٠)</sup> ولكنها لم تجد معهم نفعاً.

#### ١٩- إمداد الجيوش:

لكل دعوة جيوشها المعدة لمساندتها عسكرياً، وهذا ما فعله الخلفاء الفاطميون، فقد أعد المعز لدين الله الفاطمي جيوشه لغزو مصر، والقضاء على سلطات العباسيين فيها وفي الشام، لعد نفوذهم إلى بلاد الحجاز إن لم يكن إلى أبعد منها، وقد أعد هذا الجيش بعناية فائقة من ناحية العدد والعتاد، وكذلك من الناحية النفسية، عن طريق الدعاية السياسية المنظمة التي مهد بها الفاطميون لفتح مصر، ويذكر المصادر: أن جوهر حمل معه أكثر من ألف ومائتي صندوق مليئة بالأموال غير الذهب الذي جمعه الفاطميون طوال فترة إقامتهم بإفريقية تحسباً لهذا اليوم، وحمله جوهر على ظهور الجمال على هيئة أرحمة الطواحين<sup>(٨١)</sup>، وبلغت النفقة على هذا الجيش ما يقرب من ٢٤ مليون دينار. ويذكر المقرئ عن جيش الفاطميين بأنه مثل: "جمع عرفات كثرة وعدة"<sup>(٨٢)</sup> وقد تحقق هدفه بدخول قايده جوهر الصقلي مصر سنة ٩٠٨هـ/٩٦٨م<sup>(٨٣)</sup>.

#### ٢٠- الادعاء بأن جيوشهم ما جاءت إلا لانتفاذ المصريين من ظلم العباسيين وعيث ولاتهم:

كانت رسل الفاطميين التي ترسل في صور تجار وجواسيس وعلماء، تدعي أن جيوشهم ما جاءت إلا لانتفاذ المصريين من ظلم العباسيين، وعيث الحكام والولاة من الترك والإخشيديين ويعدون عنهم خطر القرامطة والبيزنطيين<sup>(٨٤)</sup>.

#### ٢١- بناء الحواضر والعواصم واتخاذ أسمائها نسبة إليهم:

بنى الفاطميون عواصم اتخذت أسماءهم في المغرب هي: المهدية نسبة إلى أبي عبيد الله المهدي، التي بنيت سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م<sup>(٨٥)</sup> حيث أورد التجاني عن المهدية قوله: "وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلعت من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة... وكان أول ما ابتنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها... وأمر بصل باب الحديد للمدينة... وابتنى دار الصناعة... وأنزل المهدي جنته وخاصته فيها"<sup>(٨٦)</sup>، كما أنشأ المهدي مدينة زويلة، حيث يذكر ذلك التجاني بقوله: "وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة يزويلة... فكانت كالبرص لمدينة المهدية"<sup>(٨٧)</sup>، والمنصورية نسبة إلى الخليفة المنصور أبو طاهر إسماعيل (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)<sup>(٨٨)</sup>، وقيل إن أصل اسمها مدينة صيرة، حيث يذكر البكري ذلك بقوله: "ومدينة صيرة متصلة بالقبروان، بناها إسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسماها المنصورية..."<sup>(٨٩)</sup> ثم بنى جوهر القاهرة لتصبح عاصمة جديدة ينتقل إليها سيده المعز لدين الله، وقيل إن اسمها شق على طلوع كوكب رصده أحد الحكماء الشيعة الذين كانوا يديار مصر، وهو كوكب يقال له القاهر، فسموها القاهرة تيمناً أنها سوف تكهر أعداءها، ونحن لا نستبعد ذلك لأن المعز كان مغرباً بالنجوم وعظومها، وقيل إنها سميت بالقاهرة لأنها تكهر من شذ عنها وحاول الخروج على أميرها<sup>(٩٠)</sup>.

## ٢٢- إنشاء دور العلم لتعليم وتعميم المذهب الشيعي:

كانت سياسة الفاطميين الدينية تقوم على نشر عقائد الإسماعيلية، مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعي في مصر، ولا سيما في عهد الخلفاء أمثال: العزيز بالله ووزيريه اليهودي يعقوب بن كلس، حيث رتب يعقوب، سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، في داره المجالس للطعام والشعراء والفقهاء وأجرى لجميعهم الأرزاق، وكان يقرأ على الناس كتاب مختصر الفقه المعروف بالرسالة الوزيرية، وهي كتاب ألفه في فقه الإسماعيلية يتضمن ما سمعه من المعز وابنه العزيز<sup>(١١)</sup> وبنوا الجامع الأزهر وعقدت به حلقات الدرس، ولم تقتصر حلقات الدرس الشيعي على القاهرة وحدها، وإنما امتدت إلى بقية المدن المصرية، فأقيمت فيها في نهاية العصر الفاطمي، حلقات للدرس لنشر المذهب الشيعي بين أهلها<sup>(١٢)</sup>، وأنشأ الخادم بامر الله، سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م دار الحكمة بالقاهرة، وأطلق عليها هذه التسمية نظرا للدعوة الشيعية، لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة<sup>(١٣)</sup>، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء وغيرهم<sup>(١٤)</sup>، وأغلقها بدر الجمالي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م<sup>(١٥)</sup>.

## ٢٣- إنشاء المساجد والأضرحة والمشاهد الشيعية

ومن المساجد الشيعية التي أقامها الفاطميون جامع المهديّة، حيث ذكره البكري عند حديثه عن المهديّة بقوله: والجامع سبع بلاطات متقن البناء حسنة<sup>(١٦)</sup>، وأنشأ الخليفة الفاطمي أبو القاسم بن عبيد الله مسجداً في أجدابية، وأورد ذلك البكري عند ذكر مدينة أجدابية بقوله: وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله، وله صومعه متمنة بديعة العمل<sup>(١٧)</sup>، وأيضاً جامع طرابلس الذي بناه بنو عبيد في سنة ٢٩٩هـ/٩١١م على يد خليل بن إسحق<sup>(١٨)</sup>.

لما أتم جوهر الصقلي فتح مصر وأسس القاهرة: ثم يرى أن يفاجئ السنين في مساجدهم بإقامة شعائر المذهب الشيعي حتى لا يثير كراهية المعصومين، لذلك وضع أساس الجامع الأزهر في يوم السبت ١٤ رمضان سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وتم بناؤه في مدينة كبريا، وأقيمت الصلاة لأول مرة في ٧ رمضان ٣٦١هـ/٩٧١م<sup>(١٩)</sup>، ثم بنت تغريد، زوجة اسمعز تدين الله، مسجدها بالقرافة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، جامع الحاكم الذي بدأ العزيز ببناءه خارج باب الفتوح سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م وسماه جامع الخطبة، وأكمل ببناءه ولده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٣م وتم يفتح رسمياً للصلاة إلا سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م<sup>(٢٠)</sup>، ثم بنى الخليفة الحاكم بأمر الله مسجد المقس ورأسده، وجامعه الذي ما زال يحمل اسمه لآن، لتبشر المذهب الشيعي<sup>(٢١)</sup>، ثم بنى الخليفة الأمر بأحكام الله أمام قصره سنة ٤١٩هـ، الجامع الأقصر<sup>(٢٢)</sup>، ثم بنى الصالح طلائع بن رزيق مسجده خارج باب زويلة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، الذي عرف باسمه لأن (جامع الصالح)<sup>(٢٣)</sup>، والجامع الظافري الذي بناه الخليفة الفاطمي الظافر، سنة ٥٤٤هـ - )، وكان يقال له الجامع الأفخر، وسمى بجامع الفكاهنيين، وقد بنى الظافر هذا المسجد سنة ٥٤٨هـ، وعرف بجامع الفكاهنيين لأن سوق الفاكهة كان بالقرب من بابه<sup>(٢٤)</sup>.

أما المشاهد الشيعة فمنها مشهد السيدة رقية، والمشهد مؤرخ سنة ٥٢٧هـ/ ١١٣٣م<sup>(١٠٧)</sup>، ومشهد الجعفر<sup>(١٠٨)</sup>، ومشهد السيدة عاتكة يذكر أن بناءه كان سنة ٥١٥هـ<sup>(١٠٩)</sup>، ومشهد السيدة كلثوم<sup>(١١٠)</sup>، ومشهد السيدة نظيمة<sup>(١١١)</sup>، ومشهد بحسب الشبهة أنشئ سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م<sup>(١١٢)</sup>.

## ٢٤- الاحتفال بالأعياد وإيجاد أعياد جديدة لم تكن في الإسلام:

تقريباً من المصريين شاركهم الفاطميون أعيادهم كعيد الفطر والأضحي ورأس السنة الهجرية، وغرة المحرم، وليلة الرؤية، وليلة القدر، إلا أنهم أوجدوا أعياداً جديدة لإحياء مذهبهم بالدعاية لهم، ومنها:

**عيد غدير خم<sup>(١١٣)</sup>:** كان رسول الله (ﷺ) عند عودته من مكة بعد حجة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠هـ/ ٦٣١م نزل به وأخى بينه وبين علي بن أبي طالب (ع)<sup>(١١٤)</sup>، وأول ما احتفل الشيعة بعيد الغدير في العراق سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م، في أيام معز الدولة بن بويه<sup>(١١٥)</sup>، وأول ما عمل في مصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، بعد وصول المعز إليها<sup>(١١٦)</sup>، وهو عيد احتفل به المعز ولا يزال الشيعة يحتفلون به حتى اليوم، ويقول أصحابه إن علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه ولحقه الرسول (ﷺ) وخليفته، لأن الرسول عندما عاد من حجة الوداع وقرب المدينة نزل بغدير خم وهو مكان يقع بين مكة والمدينة، وأمسك بيد علي وقال علي مني وأنا من علي من أذى علي فقد أذاني ومن وللي علياً فقد ولاني وفي رواية أخرى من كنت مولاه فعلي مولاه<sup>(١١٧)</sup> ومن يومها اعتقد الشيعة أن علي (ع)<sup>(١١٨)</sup> خليفة الرسول (ﷺ) وأن إياض وعمر وعثمان وبني أمية وبني العباس اغتصبوا حق الخلافة من علي وإبنائه<sup>(١١٩)</sup>، وقد ورد خبر غدير خم في زيادات عبد الله علي مسند الإمام أحمد عن علي بن الأرقم قال: نزلنا مع رسول الله (ﷺ) بواد يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها جهرًا، قال فخطبنا وظلل لرسول الله (ﷺ) بثوب على شجرة من الشمس فقال: أستم تعلمون، أستم تشهدون أنني أولى بكل مسلم من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فأني علياً مولاه، اللهم عادي من عاداه ووالي من والاه<sup>(١٢٠)</sup>.

ونلاحظ أن خبر غدير خم قد نقله عدد من الرواة الشيعة وغير الشيعة، وأما ما يستدل به أتباع هذه الواقعة على إثبات خلافة علي، فقد أجاب عنه الإمام زين تيمية في منهاج السنة فقال: ليس في هذا الحديث حديث غدير خم ما يدل على أنه نص على خلافة علي إذ لم يرد به الخلافة أصلاً وليس في اللفظ ما يدل عليه وثو كان المراد به الخلافة لوجب أن يبلغ مثل هذا الأمر العظيم بلاغاً بيناً<sup>(١٢١)</sup>، وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني: هذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب (ع) ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) والوالى والموالى في كلام العرب واحد<sup>(١٢٢)</sup>.

وقد عني المعز بالاحتفال بعيد الغدير غاية فائقة، وحذى حذو الخلفاء من بعده، فلصبح الاحتفال بيوم ١٨ ذي الحجة من كل سنة من أهم الاحتفالات الدينية خلال العصر الفاطمي، التي كانت تهتز لها جوانب القاهرة فرحاً وسروراً، ويقف منها السنيون موقف المتفرجين المعجبين،

لأنها كانت من عوامل تسليتهم، ويهين الشيعة بعضهم بعضاً، ومنهم من ينحرون كما ينحرون في الأضاحي، لأنهم يفضلون عيد الغدير على عيد الأضحى<sup>(١٢٠)</sup>، وكان الخليفة يتوجه بنفسه، في الصباح الباكر من هذا اليوم، إلى التحر ينبح بنفسه الأضاحي الكثيرة التي تفوق ما ينبح في عيد الأضاحي، وهذا العيد عندهم أعظم من عيد الأضحى، كما ينبح الجزائون أعداداً كبيرة من الأضاحي من الكباش وغيرها توزع لحومها على الخاصة والمتشيعين وأنصار المذهب الفاطمي<sup>(١٢١)</sup>.

**يوم عاشوراء:** يوم العاشر من المحرم وهو شهر مبارك بجمله العرب قبل الإسلام وبعده، فقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: "أيها الناس سارعوا إلى الخيرات في هذا اليوم، فإنه يوم عظيم مبارك، قد بارك الله فيه على آدم<sup>(١٢٢)</sup>". ومن مظاهر احترام المسلمين لهذا اليوم أنهم يصومونه، وقد روى عن الرسول (ﷺ) أنه لما هاجر إلى المدينة وجد اليهود يصومون هذا اليوم، فسألتهم عنه، فأخبروه أنه اليوم الذي أغرق الله فيه فرعون ونجا فيه موسى ومن معه، فقال (ﷺ) نحن أحق بموسى منكم<sup>(١٢٣)</sup> فصام وأمر الصحابة بصومه، وصار الخلفاء الراشدون على سنته فكلوا يصومونه، ونقل الأمر على ذلك حتى كان استشهاد الحسين في كربلاء، في يوم عاشوراء سنة ٦٢هـ/٧٨١م، فتركت هذه المناسبة في نفوس المسلمين أثرا مختلفا، واتخذت الشيعة ماتما إلى اليوم، ليكون فيه الحسين ويظهرون أشد مظاهر الحزن لقتله<sup>(١٢٤)</sup>.

وقل الشيعة يحتفلون بهذا اليوم في **العصرين** الأموي والعباسي، ولا يزال الشيعة في البلاد الإسلامية: كإيران والمغربية وبعض دول الخليج والعراق، إلى اليوم، يحتفلون بهذه الذكرى فيبكون الحسين، ويلبسون السواد، وتتعل الأعمار تماماً حدادا عليه، وقد جعل الفاطميون عيد عاشوراء عيداً رسمياً من أعياد الدولة تحتفل به الحكومة والشعب احتفالاً يليق وما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين، فتتعل الأسواق، ويخرج المنشدون ويمسرون إلى الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) ويخرجون يبكون ويشقون جيوبهم ويلطمون خدودهم؛ حزناً على الحسين وآل البيت الكرام<sup>(١٢٥)</sup> ويحتجب الخليفة عن الناس في هذا اليوم، وكان من عاداتهم إقامة سماط كبير (مواد للطعام) فيها خبز الشعير والقمح والمنحلات والمخللات والأجبان وعسل النحل، ويجلس الخليفة على كرسي بغير مخدة مثلثاً وجوله حاشيته<sup>(١٢٦)</sup>، وإذا ما انتهت السمات طاف بالتوايح بالقاهرة وأغلق الباعة حوانيتهم إلى ما بعد صلاة العصر، وكلوا ينحرون يوم عاشوراء الإبل والبقر والقم عند مشهد الإمام الحسين<sup>(١٢٧)</sup>، الذي يجله المسلمون عامة والشيعة خاصة إلى اليوم، ويوزعون لحومها على الفقراء والمساكين<sup>(١٢٨)</sup>، وما زال لأن يحتفل المصريون بهذا العيد ولكن ليس بطريقة الفاطميين.

ولما رأى السنة ما فعله الشيعة في أعيادهم، جعلوا لأنفسهم عيدين لمناسبتهم، فجعلوا يوم ١٨ محرم وهو يوافق مقتل مصعب بن الزبير يوم حزن يزورون فيه قبره ويكون عليه<sup>(١٢٩)</sup>، وأقاموا عيداً آخر عرف به يوم النار، ويوافق السادس والعشرين من ذي الحجة، وهو يوم دخول النبي (ﷺ) وأبى بكر (رضي الله عنهما) غار ثور أثناء الهجرة إلى المدينة، وجعلوا هذا اليوم سوراً لهم<sup>(١٣٠)</sup>. **ليالي القنود:** وهي أربع ليال مباركة مشهورة وهي أول رجب ونصفه، وأول شعبان ونصفه<sup>(١٣١)</sup>، و يرجع الاحتفال بها إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يطلب إلى أهل مكة أن

يوقدوا النار ليلة غرة المحرم ليهتدى الحجاج<sup>(١٣٦)</sup>، أما ليالي الوفود الأربع في العصر الفاطمي فاختلعت، فهي الليالي التي تسبق أول ومن منتصف شهرى رجب وشعبان، ولذلك كان الناس تبعاً لتعاليم الشيعة يصومون بعض هذين الشهرين كصومهم رمضان وكانوا يحتفلون بهذه الأيام الأربعة كما يحتفلون بـرمضان، وكان خطباء مساجد الأزهر والحاكم والأقمر يخطبون بين يدي الخليفة كما يخطبون على منابر مساجدهم<sup>(١٣٧)</sup>.

ومن أهم مظاهر الاحتفال بهذا العيد: إضاءة المساجد والجوامع من الداخل والخارج كما تضاء المآذن والأسطح فتتلألأ بالأضواء الساطعة، ويحتشد الناس على مختلف طبقاتهم للتعبد ومشاهدة الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والحلوى، وما يطاف عليهم من مجامر البخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة<sup>(١٣٨)</sup>، وكانت الموالد تمتد في ليالي الوفود في أروقة الجوامع والمساجد، وتحوى أصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى، وتعم الصدقات على الفقراء والمتعبدين<sup>(١٣٩)</sup>.

والمناسبات الشيعية كانت كثيرة على رأسها يوم عاشوراء في ١٠ محرم، ومولد الحسين ٥ ربيع الأول، ومولد السيدة فاطمة ٢٠ جمادى الآخر، ومولد الإمام على ١٣ رجب، مولد الحسن ١٥ رمضان، مولد الإمام الحاضر، هذه الموالد الخمسة - بالإضافة إلى المولد النبوي - أطلق عليها الشيعة الموالد الستة<sup>(١٤٠)</sup>.

## ٢٥- أسلوب إبداع اللغات غير العربية:

من أقوى أساليب الدعوة الفاطمية نشر الدعاة وتثقيفهم، فقد كان أغلب دعاة الفاطميين من عليّة المتقنين، والعالمين بلغات من يدعون، سواء أكانوا من البربر أو الروم أو الفرس، وحتى لهجات القبائل، فطلى سبيل المثال: كان المعز لدين الله الفاطمي متقناً جيداً عدة لغات؛ منها اللغة الطليانية التي تعلمها في صباه بجزيرة صقلية واللغة الصقلية التي كانت منتشرة في هذه الجزيرة، كما عرف اللغة السودانية، واللغة الرومية والبربرية<sup>(١٤١)</sup>، وأحكم دراستها وحققها قراءة وكتابة، فكان يخطب بها رسل الملوك من الروم والإيطاليين ويضائع بنفسه رسائلهم<sup>(١٤٢)</sup>، وكان ذا ولع بالعلوم وبرية بالأدب، فضلاً عما عرف به من حسن التدبير وإحكام الأمور<sup>(١٤٣)</sup>، ولم يكن اهتمام التبريز والحاكم والظاهر والمستنصر، وغيرهم، بأكثر من اهتمام المعز لدين الله بالعلم والتعليم فقد نهوا في مختلف العلوم وخاصة علم النجوم<sup>(١٤٤)</sup>.

## ٢٦- أسلوب التقية:

وهو أخطر أساليب الدعوة الإسماعيلية خاصة والشيعة عامة، ومعنى التقية إخفاء الشيء والنظائر أمام الناس بأسر غيره، بقولهم إن الدين لمكتوم، ومازال هذا الأسلوب وهذا المبدأ مصول به إلى الآن في كل فرق الشيعة. وتبعاً لمبدأ التقية، في كتم أسماء الأئمة، روى عن جعفر الصادق قوله: «التقية ديني ودين آبائي ومن لا تقية له فلا دين له»<sup>(١٤٥)</sup>. واتخذوا أسماء مثل: مبارك وميمون وسعيد، للرجال الحسنة فيها تبعاً لمبدأ التقية، واستتر الأئمة وكفى الدعاة عن أسمائهم تقية عليهم بما هو لهم ويليق بهم، وكان الدعاة وقت التقية يخطون اسم الإمام وربما تسمى أحد من الدعاة بأسمائهم تقية عليهم واستراً<sup>(١٤٦)</sup>.

## ٢٧- توجيه داعياً احتياطيًا:

ومن أساليب الدعوة الإسماعيلية: توجيه داعٍ احتياطي أو بديل مع الداعي الأصلي، لنلا يحدث به مكروه فيكون معه من يخلفه، إلى أن يأتي أمر الإمام<sup>(١٢٧)</sup>، وهذا ما حدث حين أرسل الإسماعيلية الداعيين أبا سفيان والحنوإلى إلى المغرب، وحينما أرسلوا أبا القاسم بن حوشب إلى اليمن ومعه علي بن الفضل، أما أبو عبد الله الشيعي فقد أرسل معه إلى المغرب عبد الله بن أبي ملاحف<sup>(١٢٨)</sup>، وقد وصل ابن أبي ملاحف إلى بلاد كتامة، لكنه ما لبث أن أعيد إلى اليمن واستبدل بإبراهيم بن إسحاق الزبيري<sup>(١٢٩)</sup>.

## ٢٨- أسلوب التشكيك في عقيدة المدعو:

أخفى الفاطميون ما يريدون أن يحملوا الناس على اتباعه، وتظاهروا أمامهم بأمر لغير عبر تسع درجات نظموها كما يريدون: ففي الدرجة الأولى يجتنبون الناس بالوعود الكاذبة عن طريق تفسير رموز الدين بقولهم: يا هذا إن الدين لمكتوم وإن الأكثر له لمنكرون وبه جاهرون ولو علمت هذه الأمة ما خص الله به الأنمة من الضم لم تختف. فالإمام سر الله المكتوم بأمره المستور الذي لا يطبق حملته ولا ينهض بإعبائه إلا هو. ومن الأسئلة التي يسألها الداعي إلى المدعو في هذه الدرجة: ما بال الله خلق الدنيا في ستة أيام؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المذكور في القرآن<sup>(١٣٠)</sup>، وما أينس وما الشيطان وما وصفه؟ وأين مستقره؟ وما يأجوج وماأجوج؟، وهاروت وهاروت<sup>(١٣١)</sup>، ونم جعت السموات سبعة والأرض سبعة ولما جعت الشهور اثنا عشر شهراً، ثم يقول الداعي لمن حوته: فكروا أولاً في أنفسكم؟ أين أرواحكم، وكيف صورها؟ وأين مستقرها؟ وما أول امرها؟ وما معنى قول الرسول (ﷺ) خلقت حواء من ضلع آدم؟ ولم كانت قائمة الإتمان منتصبه دون غيره من سائر المخلوقات؟<sup>(١٣٢)</sup>، وهكذا يشكك الداعي المدعو في أمر العقيدة، ثم يدخل في الدرجة الثانية وهي: إن فرائض الإسلام لا تؤدي إلى مرضاة الله إلا إذا كانت عن طريق الأنمة السبعة، ثم يكشف للمدعو بقوله إن الناس قد خذلوا لأنهم لم يأخذوا عن أنمة نصيهم الله له. وبذلك يضعون أساس مبدأ الإمامة في نفس المدعو، فيتحول عن دينه أو مذهبه القديم<sup>(١٣٣)</sup>.

ثم يدخل في الدرجة الثالثة: وفيها يكشف الداعي للمدعو عن العقيدة بأن الأنمة سبعة، وأن الإمام الحقيقي هو السابع الذي يعلم كل رموز الدين وسرائره، ويستدل على ذلك بأن الله تعالى جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعة، وجعل الأرضين سبعة، والآنمة سبعة، أولهم علي ثم الحسن فالحسنين ثم علي زين العابدين بن محمد الباقر فجطر الصادق فإسماعيل بن جعفر<sup>(١٣٤)</sup>.

ثم يدخل في الدرجة الرابعة باعتقاده أن محمد بن إسماعيل هو خاتم النبيين، والعباد بالله لأنه ناطق، ثم يدخله في الدرجة الخامسة وهي: أن لكل إمام قائم حججاً متفرقين في الأرض عددهم اثنا عشر رجلاً، ويستدل على ذلك بأن البروج اثنا عشر، وأن نقياء بني إسرائيل اثنا عشر ونقياء النبي اثنا عشر، ثم يقول للمدعو إن شريعة محمد (ﷺ) تستمسخ، وإن كان فارسياً ذكره

بإذلال العرب لهم، ثم يدخله في الدرجة السادسة وفيها يفسر له شرائع الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصوم بقوله أن هذه الفرائض وضعت لشغل العامة عن خلافاتهم وتبعدهم عن الفساد، ثم يدعوه إلى طور الفلسفة، ثم يدخل في الدرجة السابعة، وفيها يعلم المدعو أن الناصب للشرعية هو النبي لا يستغنى بنفسه ولابد له من أصحاب يكون أحدهم الأصل والآخر معاوناً له، ثم الدرجة الثامنة وفيها يدعى أن معجزة النبي الصادق الناطق وهو: محمد ابن إسماعيل ثم التاسعة أصبح المدعو جديراً بالتعمق في أصول المذهب الإسماعيلي<sup>(١٥١)</sup>.

#### ٢٩- أسلوب تأليب الناس بعتنهم على بعض :

اتبع دعاة المذهب الفاطمي أسلوباً خاصاً في دعوتهم وهو: تأليب الناس والشعوب ضد بعضها، فإذا كان المدعو فارسياً ذكره الداعي بإذلال العرب للفرس، وأنهم هم الذين دمروا ملك فارس، وهنموا إيوان كسرى وأسقطوا الدولة الساسانية العظمى وهنموا بيوت نورانهم، وإن كان عربياً أقاموا حقيقته ضد الفرس، وأنهم هم الذين سلبوا العرب ملكهم وتريعوا على عرش الدولة، وإن كان يهودياً أو نصرانياً حدثوه بما يوافق عقيدته وميوله<sup>(١٥٢)</sup>.

#### ٣٠- تسميم الدعوة :

أسند الفاطميون رئاسة الدعوة الإسماعيلية إلى موظف كبير أطلق عليه (داعي الدعوة)، وكان يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزى بزينة في الثياب وغيره، ويساعد داعي الدعوة في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، وله ثواب بنويون عنه في الهلاك، وذلك يعتبر الصلة بين الخليفة وبين أتباعه من الإسماعيلية. ومن أهم أعمال داعي الدعوة رئاسة الدعوة الإسماعيلية، وأخذ العهد على المريدين: إما مباشرة أو بواسطة نوابه في مصر وغيرها، وتدوين من يدفع من المال أكثر، ومن أشهر من تقلدوا وظيفة داعي الدعوة: أسرة أبي حنيفة النعمان المغربي، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أشهر دعاة الفاطميين<sup>(١٥٣)</sup>.

#### ٣١- تأليب الحاكم والامام :

ادعى الخلفاء الفاطميون بأن لهم قوة إلهية، فقد اعتبروا عبد الله المهدي الخالق الرازي (أو العباد بالله) كما اعتقدوا في نبوته أيضاً، وهناك طائفة ثالثة تدعى أنه النبي حقاً<sup>(١٥٤)</sup> بل نادوا: لعن الاتبياء، ولعن الفار ومن لاذ به، وأمروا بحرق الكعبة والمصاحف<sup>(١٥٥)</sup>.

عمل الشيعة على نشر الآراء الإسماعيلية المتطرفة في كثير من الشواحي وتجراً بعض غلاة التشيع في تحليل المحرمات، والإشارة إلى عبيد الله المهدي بالأنووية. ولما استقر المهدي بالمهدية؛ وكان أحد غلاة الشيعة وهو أحمد البلوي النخاس يقول له: ألق إلى السماء، كم تكوم في الأرض وتمشي في الأسواق، وكان يقول لأهل القيروان عن عبيد الله المهدي: إنه يعلم سرركم ونجواكم<sup>(١٥٦)</sup>.

وفي عهد المعز لدين الله وجه لأئمة المساجد والمؤننين، مشدداً عليهم، بالآ يؤننون إلا بحى على خير العمل، وقراءة البسملة في أول الصورة، والتسليم تسليمين، وما إلى ذلك مما يأخذ به الإسماعيلية، بل قيل إنه ادعى النبوة، ومن من نادى فوق صومعة جامع القيروان يقول أشهدوا أن معداً رسول الله، فارتج البلد لذلك فأرسل المعز من سكن الناس<sup>(١٥٧)</sup>.

وقد ظل المعز محتجبا عن الناس، ومتخفيا عن الناس منة كاملة، فاعتقد الناس أنه صعد إلى السماء، وبلغ من هذا الاعتقاد أن الجندي الفاطمي كان إذا رأى سحابة في السماء، ترجل وقال ( السلام عليك يا أمير المؤمنين<sup>(١٠٨)</sup>).

وقد مدح ابن هاتى الأندلسي مولاه المعز بأبواب فيها صفات الألوهية والنبوة وبهذا مهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء، ومن قوله :

هو عة الدنيا ومن حقت له ولعة ما كانت الأشياء.  
ولك الجوارى المنشأت مواخراً  
شغلت لك الألبصار وانقالت لك  
الأقدار واستحيت لك الأنواء.  
لا تبائن عن الزمان فبه  
في راحتك يدور حيث تشاء<sup>(١٠٩)</sup>.

وقوله أيضاً:

تدعوه منتقماً عزيزاً قادراً  
غفار موبقة الذنوب صلوفاً  
أقسمت لولا أن دعيت خليفة  
لدعيت من بعد المسيح مسيحاً  
شهدت بمفورك السموات العلى  
وتزل القرآن فيك مسيحاً<sup>(١١٠)</sup>.

وقد بلغ تعجيد ابن هاتى الأندلسي، للخليفة الفاطمي المعز، أقصى حد يمكن أن نتصوره، حيث ينسب إليه الشاعر القدرة على إثبات المعجزات، فيقول :

فقد شهدت له بالمعجزات كما شهدت لله بالتوحيد والأزل<sup>(١١١)</sup>.

ولكن خلفاء الفاطميين الأول لم يفلحوا في استمالة جميع المصريين لهذه الاعتقادات وامثلها، ولذلك نرى أن عقيدة تأليه الحاكم بالله قد أثارت عليه سخط الأهليين<sup>(١١٢)</sup>، وقد نسب الحاكم إلى نفسه الكثير من المعجزات، فقد نادى الخطباء في المساجد وبحضرة قاضي القضاة (باسم الحاكم الرحمن الرحيم) والعاذ بالله، وبذلك نسب إليه الصفات التي هي من صفات الله سبحانه وتعالى، كما رجع له الناس في كل ولايات الدولة الفاطمية<sup>(١١٣)</sup> قائلين (أنت الواحد الأحد، والمحى المميت<sup>(١١٤)</sup>).

### ٣٢- نظرية تناسخ

ادعى الفاطميون وأمنوا إيماناً قوياً بنظرية تناسخ الأرواح، وأن روح الله تعالى حلت في آدم، وتكرجت حتى وصلت إلى محمد (ﷺ) ثم انتقلت إلى علي ولولاه، ثم وصلت إلى الحسن بن إسماعيل، وأخيراً استقرت في جسد الحاكم الذي ادعى تجسم الإله في شخصه، ولهذا كان (لذا بدا للناس في الطرقات، خروا له سجداً وقبلوا الأرض، ومن لم يكن نصيبه الموت<sup>(١١٥)</sup>).

## ٢٢- أسلوب قتل الشيعة (الاعتقالات)

شكل الفاطميون فرقة خاصة عرفت باسم الفداوية الذين يضجون بأنفسهم فداء لربهم، ويشترط فيهم التقاتل في خدمة الرئيس والتضحية إلى أبعد الحدود، وأصبح هؤلاء آلات انتقام فتاة، وخلقوا عصراً مليئاً بالخوف والفرح، وكانوا يستخدمون في قتل الأعداء (أعداء الدعوة) غراً وغيلة<sup>(١٦٦)</sup>، وشهدت السنوات ٤٠٨ هـ/ ١٠١٧ م وحتى ٤١٠ هـ/ ١٠١٩ م، سلسلة من المصلحات والاعتقالات والقتل لمعارضى الدعوة الفاطمية<sup>(١٦٧)</sup>.

## ٢٣- أسلوب التأسيس والتدليس والتأسيس والخلق:

فالتأسيس وهو يعنى الأمن والطمأنينة في نفوس المدعوين وإتباع ميولهم، وإعطائهم كل ما يميلون إليه، كل حسب نزواته.

أما التدليس: وهو أن يلجأ الداعى إلى التميويه، ويدعى ادعاءات كاذبة في إغراء المرید وتشويقهم وإلهاب رغبتهم في الدخول في الدعوة.

أما التأسيس: وهو تثبيت المعلومات والحقائق التى أدلى بها الداعى للمستجيب، حتى تستقر في ذهنه ويقتل عليها ويؤمن بها.

والخلق ويقصد به إقصاء المریدين عن المذاهب السنية، نهائياً، بإسقاط الفرائض الشرعية في الإسلام، وذلك بالاستعانة بالتأويل غير المشروع<sup>(١٦٨)</sup>.

## ٢٤- الادعاء بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم اعتصاماً:

على يد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، والخلفاء من بني أمية وبني العباس<sup>(١٦٩)</sup>، والشيعة بصفة عامة يكفرون الصحابة جميعاً، لأنهم من وجهة نظرهم خذلوا علماً واختاروا غيره، وبعضهم يفضل على ﷺ علي محمد (عليه السلام)، وبعضهم يجعل علياً عليه السلام، وهو الذى أرسل محمداً، وزاد بعضهم، وجعل الأئمة كلهم آلهة يظهر الله بصورتهم وينطق بلسانهم ويأخذ بأيديهم<sup>(١٧٠)</sup>.

## ٢٥- لعنهم أبا بكر وعمر وعثمان عليه السلام على منابهم:

نصب العبيديون، في عهد الخليفة القائم بأمر الله حسيناً الأعشى السيباني في الأسواق، بسب الصحابة بأسجاع لفتها، ومن تكلم أو اعترض من أهل السنة امتحن ومثل به<sup>(١٧١)</sup>، ولما قدم عبيد الله المهدي إلى أفرقيية، وتولى مقاليد الأمور فيها، حدث تصعيد خطير في الدعوة الموعودة ويذكر ابن عذارى ذلك بقوله: "أظهر عبيد الله المهدي التشيع القبيح وسب أصحاب النبي ﷺ وأزواجه عدا علي بن أبي طالب عليه السلام، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي ﷺ ارتدوا بعهده غير هؤلاء الذين سمعناهم..."<sup>(١٧٢)</sup>.

كان لدخول البويهيين بغداد، سنة ٤٣٤ هـ/ ٩٤٥ م، أثره في ازدياد نفوذ الشيعة في دولة الخلافة العباسية السنية، ونتيجة لذلك تجرأ الشيعة سنة ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م، وقاموا بالكتابة على أبواب المساجد ببغداد لغة معاوية ولغة من غصب فاطمة حقها من فلك<sup>(١٧٣)</sup> - ويقصدون أبا بكر عليه السلام - ومن أخرج العباس من الشورى - ويقصدون عمر بن الخطاب عليه السلام -، ولغة من نفى أبا ذر الغفاري<sup>(١٧٤)</sup> - ويقصدون عثمان بن عفان عليه السلام -، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده

(١٧٦) - يقصدون مروان بن الحكم -، ولما ثار الممنون لذلك قاموا بإزالة هذه الكتابة فأشير على معز الدولة البويهى أن يكتب بدلاً منها ' لعن الله الظالمين لآل رسول الله' ولا يصرح إلا بلعن معاوية فقط<sup>(١٧٧)</sup>، ولأن يلعن أبو بكر وعمر بالذات على منابر الشيعة.

### ٣٦- ضرب العملة والسكة:

لما كان الفاطميون من الشيعة؛ فإن عملتهم كانت بالضرورة تحمل صفاتهم المذهبية الشيعة فيما عدا ما يشير من نصوصها إلى شهادة التوحيد أو إلى الرسول (ﷺ). وقد أقدم الداعى أبو عبد الله الشيعى بعد استيلائه على رقادة<sup>(١٧٨)</sup> على عدة إجراءات إدارية ومذهبية أرسى بها دعائم الدولة الشيعة الناشئة وكان منها تعيين أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودى، ناظرًا للسكة ونقش فيها: 'الحمد لله رب العالمين' وسميت بالعملة السيدية<sup>(١٧٩)</sup>، وأهتم الداعى الشيعى بإحلال العناصر الشيعة على العملة ونقش على وجهها: 'بلغت حجة الله' وعلى الظهر تفرق أعداء الله<sup>(١٨٠)</sup>، وضرب الدينار باسم الخليفة الفاطمى دون الخليفة العباسى وهذا ما فعله جوهى الصقلى عند دخوله مصر مباشرة حينما أمر بقطع الخطبة للعباسيين على كافة منابر مصر، وأمر بضرب العملة باسم الخليفة الفاطمى، ف ضرب على أحد وجهيها (باسم مولاي المعز) وفى الوجه الآخر (المعز لدين الله أمير المؤمنين ومحمد رسول الله ﷺ)<sup>(١٨١)</sup>، وذكر المقريزى أنه ضرب على أحد وجهيها: 'دعى الإمام معز بتوحيد الإله الصمد' وفى السطر الثانى (المعز لدين الله أمير المؤمنين) وفى السطر الثالث (باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)، وضرب على الوجه الآخر (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين)<sup>(١٨٢)</sup>. (انظر الشكل)

### الوجه :

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين.

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

### الظهر :

باسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

دعى الإمام معز لتوحيد الإله الصمد.

أمير المؤمنين المعز لدين الله.

تشير الكتابات على الدينار إلى رسالة محمد وإلى تمجيد على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين كما يظهر لقب المعز الإمام وأمير المؤمنين<sup>(١٨٣)</sup>.

### ٣٧- لباس اللون الأبيض شعار الدعوة العلوية:

أزال المعز السواد - شعار العباسيين - وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض - شعار الفاطميين<sup>(١٨٤)</sup>، ونهى عن التكبير بعد صلاة الجمعة، وكان من العادات المألوفة عند أهل السنة<sup>(١٨٥)</sup>.

## ٣٨- إقامة الخطبة:

من الإجراءات المذهبية التي اتخذها أبو عبد الله الشيعي، في بلاد المغرب، أنه عين خطباء الجوامع من الشيعة، وأمر في الخطبة بالصلاة على محمد وعلى آله وعلى أمير المؤمنين على وعلى الحسن والحسين وعلى فاطمة الزهراء، وأمر بالأذان بحى على خير العمل، وأسقط من أذان الفجر عبارة الصلاة خير من النوم، وأمر بإسقاط صلاة التراويح<sup>(١٨٦)</sup>.

أقام جوهر الصقلي الخطبة للمعز في الجامع الأزهر وغيره من مساجد مصر وكانت فكرته وخطبته ترمى إلى بث الدعوة الفاطمية باسم الفاطميين<sup>(١٨٧)</sup>، وقد أدخل عبارات مثل: (اللهم صلى على عبدك ووليك، ثمره النبوة، وسلول العزة الهادية المهدية، عبد الله الإمام معد أبى تموم المعز لدين الله، أمير المؤمنين، كما صليت على آبائه الطاهرين وأسلافه الأئمة الراشدين، اللهم ارفع درجته، وأعلى كلمته، وأوضح حجته، واجمع الأمة على طاعته، والقلوب على موالاته وصحبته، واجعل الرشاد في موافقته، ووزّته مشارق الأرض ومغاريها، فقد امتعض لدينك... ودرس الجهاد في سبيلك، وانقطع عن الحج إلى بيتك وزيارة قبر رسولك، فاعذ للجهاد عنه وأخذ لكل خطب أهفته فسير الجيوش لنصرتك، وأنلق عليها الأموال، ويذل المجهود في رضاك... فأتصر الله جيوشه التي سيرها... اللهم اجعل رايته عالية مشهورة، وعساكره غالبة منصوره، وأصلح به وعلى يديه، واجعل لنا منك وإقية عليه)، ثم زادوا في الأذان (بحى على خير العمل) ثم قرئت البسملة بصوت مرتفع<sup>(١٨٨)</sup>، وأمر الفاطميون أن يقال في الخطبة: اللهم صلى على محمد النبي المصطفى وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم صلى على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين المعز لدين الله، الهادين المهديين<sup>(١٨٩)</sup>.

وأقام قرواش بن المعتمد أمير بني عقيل في الموصل الخطبة لتخليفة الفاطمي في رابع المحرم سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م<sup>(١٩٠)</sup> (انظر الملحق رقم ٢)

## ٣٩- الاهتمام بال عمران الداخلي:

وخاصة أمور الزراعة والصناعة والتجارة، فنظّموا الري وأصلحوا الجسور، وقد عرفت مصر بثروتها الهائلة في عهدهم، وقامت فيها مصانع للتسيج وغيره<sup>(١٩١)</sup>، كان العمران كثيراً ووسائله كثيرة والدور فخمة تصل إلى عشرة طبقات يسكنها الخلفاء، أما الشعب فإنه يمتلك داره وهوانيته ومصانعه<sup>(١٩٢)</sup>.

وهكذا بلغت الدعوة الفاطمية إلى اتباعها بهذه الأساليب، ولكن الشيء العجيب أنه: لم يتشبع المصريون بالصورة والدرجة التي كان يتمناها الفاطميون، حتى عندما سقطت الخلافة الفاطمية في مصر، ٥٦٧هـ/١١٧١م، لم يتناطح عليها عزّاز كما ذكر المؤرخون.

## ملاحق البحث

## ملحق رقم ١ :

نص خطاب الإمام المعز لدين الله الفاطمي إلى محمد بن طغج الإخشيدى:

قد خاطبتك أعزك الله في كتابي المشتمل على هذه الرقعة بما لم يجر لي في عقد الدين وما جرا به الرسم من سياسة أنصار يستجيبون وضمنت رقعتي مالم يطلع على أحد من كتابي ونوى المكاة عذى، وأرجو أن تترك صحة عزيمتك وحسن رأيك إلى ما أدعوك إليه، فقد شهد الله على مهلى إليك وإبشارى لك ورغبتى في مشاطرتك ما حوته يمينى واحتوى عليه ملكى، وليس يتوجه لك العسر في التخلّف عن إجابتى لأنك قد استغرقت مجهودك فى سماحه قوم لا يرون إحسانك ولا يشكرون إخلاصك يخلفون وعذك ويخفرون ذمتك لم يعتد منهم أحد حسن المكافأة ولا جميل المجازاة، وليس ينبغي لك أن تعزل عن منهج من نصحك وإبشار من أثرك إلى من بجهل موضعت ويضيع حسن سهوك، وإذا تدبرت هذا الأمر علمت أن الذى يحتملى على التباطى لك وقبول الميسور منك إنما هو الرغبة فيك، وأنت حقيق بحسن مجازاتى على ما بذلته والله بريك حسن الاختيار فى جميع أمرك وهو حسينا ونعم الوكيل. (١٩٢)

## ملحق رقم ٢ :

نص خطبة الجمعة فى الموصل للحاكم بأمر الله، فى ربيع المعرم سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م (١٩٢) :

... اللهم وصلى على وليك الأزهر وصديقك الأكبر على بن أبى طالب أبى الخلفاء الراشدين المهديين، اللهم وصلى على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر، اللهم صلى على الإمام المهدي بك والذى بلغ أمرك وأظهر حجته ونهض بالعدل فى بلادك، اللهم وصلى على القام بأمرك والمنصور بنصرك اللذين بذلا نفوسهما فى رضائك وجاهدا أعدائك، اللهم وصلى على المعز لدينك المجاهد فى سبيلك ... اللهم وصلى على العزيز بك الذى مهدت به البلاد وهديت به العباد، اللهم وأجعل نواصي صلواتك وزواكى بركاتك، على سيدنا ومولانا إمام الزمان وحسن الأمان وصاحب الدعوة العلوية، والعلامة النبوية، عبدك ووليك المنصور أبى على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، كما صليت على آباءه الراشدين، اللهم وفقنا لنطاعته واجمعنا على كلمته ودعوته، اللهم وأعنه على ما وليته وأحفظه فيما استترعته ... وانصر جيوشه وأعلى أعلامه فى مشارق الأرض ومغاربها إنك على كل شى قدير

### الخلاصة :

- وإذا كنا قد انتهينا من الحديث عن النقاط التي جددناها لمعالجة هذا البحث، وإخراجه على هذا النحو، فإنه لجدير بنا أن نختمه بالإشارة إلى بعض النتائج التي يمكن أن نستخلص منها، وهذه النتائج يمكن أن نجملها في نقاط محددة، وذلك على النحو التالي:
- استخدم الفاطميون وسائل عديدة ومتنوعة ما بين مادية ومعنوية، في سبيل نشر دعوتهم.
  - استخدموا أيضاً الأساليب السلمية تارة والأساليب الحربية تارة أخرى.
  - تخير الفاطميون أماكن نشر دعوتهم، بعد دراسة متأنية دلت على ذكائهم وتوفيقهم في ذلك باختار اليمن والمغرب ومصر.
  - نجح الفاطميون في اتخاذ أسلوب السر والكتمان، والترغيب والترهيب، في سبيل نشر دعوتهم في بادئ الأمر حتى صارت لهم قوة فأعلنوها.
  - اختار الفاطميون دعائهم بدقة وكانوا يرسلون مع كل داع داعياً آخر احتياطياً وكان ذلك سبب نجاح دعوتهم.
  - أنفقوا الكثير من الأموال في سبيل تحقيق هدفهم سواء لشراء أفكار المريدين، أو لإعداد الجيوش.
  - اعتمدوا على بعض الأحاديث النبوية التي اعتقدوا أنها تعد مبراة للإمام علي، ولكنها لم تكن مبراة.
  - اهتموا بالاحتفالات الدينية الشعبية، وأنفقوا خلالها الكثير من الأموال والهدايا، لإرضاء الناس وكسب ودهم.
  - تبين من البحث أن الفاطميين أنشأوا العديد من المدن والعواصم التي تنسب إليهم، واتخذوها حاضرة لهم، كما أنشأوا العديد من المساجد والأضرحة والمشاهد، لنشر المذهب الشيعي.
  - اهتموا بالنواحي العمرانية من خلال نهضة البلاد في التواحي الاقتصادية وغيرها.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً المصادر:

- ابن الأثير: (على بن أحمد بن أبي الكرم) ت ٦٣٠هـ.  
 - الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وصححه، د. محمد يوسف الدقاق، ١٩٨٧م.
- ابن أبيك الدوادري: (أبو بكر عبد الله بن أبيك) ت بعد ٧٣٦هـ.  
 - كنز الدرر وجامع الغرر المسمى "الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.
- الاصطخرى: (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي) ت ٣٤٦هـ.  
 - المسالك والممالك، طبعة لندن، ١٩٧٢م.
- البخاري: (محمد بن إسماعيل)  
 - صحيح البخاري، طبعة مصطفى ديب البغي، ط ٤، دار ابن كثير واليامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.
- البكري: (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧هـ.  
 - المغرب في نكر إفريقية والمغرب، نشر دي سلات، الجزائر، ١٨٥٧م.
- المسالك والممالك، تحقيق أنطوان فان نيوفن، وإندري فيري، دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م.
- الترمذي: (محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك المسلمي) ت ٢٧٩هـ.  
 - سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر وآخرين، ط ٣، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ.
- التجاني:  
 - رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م.
- الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) ت ٤٢٩هـ.  
 - بتيمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ابن الجوزي: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي) ت ٥٩٧هـ.  
 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م.
- الحميري: (محمد بن عبد المنعم) ت ٩٠٠هـ.  
 - الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- ابن حنبل: (الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل) ت ٢٤١هـ.  
 - المستند، تحقيق وشرح أحمد محمد شلكر، ط ٤، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ابن حوقل: (أبو القاسم محمد البغدادي النصيبی) ت ٣٨٠هـ.  
 - المسالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دي جويه ١٨٧٠م.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مؤسسة الإعلیمی للطبعات، بيروت، د.ت.

ابن خثكان: (شمس الدين أبو العباس أحمد ابن إبراهيم) ت ٦٨١ هـ

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

أبو داود: (سليمان بن الأشعث)

- سنن أبي داود، ط محمد محي الدين عبد المحي، المكتبة الإسلامية، استانبول، د.ت.

ابن سعد: (محمد بن سعد كاتب الواقدي)

- الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت

ابن سعيد: (علي بن سعيد المغربي) ت ٦٨٥ هـ

- المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالقسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي ضيف، جامعة قواد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م.

السيوطي: (عبد الرحمن بن بكر جلال الدين) ت ٩١١ هـ.

- تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م

أبو شامة: (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن المقدسي) ت ٦٥٥ هـ.

- الروضتين في أخبار الدولتين التورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمي أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م.

ابن شداد: (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع) ت ٦٣٢ هـ

- النواير السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيبان. ادار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م.

الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت ٥٤٨ هـ

- الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤ هـ

- الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من الطعام، النشرات الإسلامية (٦) استانبول- بيروت، ١٩٤٩-١٩٨٨م.

ابن التصرفي: (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن سليمان) ت ٥٤٢ هـ.

- القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة.

الطبري: (أبو جعفر محمد بن جرير) ت ٣١٠ هـ.

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م.

ابن الطوير: (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القهري) ت ٦١٧ هـ

- تزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شنتوجارت، ١٩٩٢م.
- ابن ظافر: (جمال الدين أبو الحسن بن منصور الأزدى) ت ٦١٢هـ
- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ابن عذاري المراكشي:
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وألفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠م
- أبو الفدا: (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة) ت ٧٣٢هـ
- المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود القزويني) ت ٦٨٢هـ.
- آثار البلاذ وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م.
- القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢١هـ
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م.
- ابن ملجأ: (محمد بن يزيد القزويني)
- سنن ابن ملجأ، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت
- ابن المأمون: (الأمير جمال الدين أبو علي موسى) ت ٥٨٨هـ
- نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م
- أبو المحاسن: (جمال الدين يوسف بن ثرى بردي) ت ٨٧٤هـ
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- المسبحي: (الأمير المختار عز الملك محمد بن أحمد) ت ٤٢٠هـ
- أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد و تيارى بينكى، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م
- المسعودي: (أبو الحسن علي بن الحسين) ت ٣٤٦هـ
- مروج الذهب، ومعانن الجواهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م.
- التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت.
- مسلم: (مسلم بن الحجاج القشيري)
- صحيح مسلم، ط محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المقرئزي: (نقى الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ
- المقلد الكبير، تحقيق محمد البعلوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.
- إعطاء الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حملي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بولاق، ١٢٧٠هـ.
- ابن ميسر: (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف) ت ٦٧٧هـ.
- المنقلى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
- النسائي: (أحمد بن شعيب)
- سنن النسائي بشرح المصطفى وحاشية المنذرى، ط عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- التوحيدي: (أبو محمد بن موسى بن الحسن) ت ٣١٠هـ.
- كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتز، استامبول، ١٩٣١م.
- النويرى: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ابن واصل: (جمال الدين محمد بن سالم الحموى) ت ٦٩٧هـ.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٣م.
- ابن هاتى الأندلسى:
- ديوان ابن هاتى، بيروت، ١٣٢٦هـ.
- هبة الله الشيرازى: (المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى) ت ٤٧٠هـ
- سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن هشام: (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ.
- السيرة النبوية، تطبيق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)
- هلال الصابى: (أبو الحسن الهلال بن المحسن) ت ٤٤٨هـ.
- كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء النيسوعيين، بيروت، ١٩٠٤م.
- ابن الورى: (زين الدين بن عمر) ت ٧٤٩هـ.
- تنمة المختصر فى أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الورى، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ياقوت الحموى: (شهاب الدين بن عبد الله الحموى) ت ٦٢٦هـ.
- معجم البلدان، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- يحيى بن سعيد الأنطاكي: ت ٤٥٨هـ.
- تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م.
- اليقوى: (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ.

- تاريخ يعقوبى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

### ثانياً المراجع العربية:

إبراهيم جلال:

- المعز لدين الله وتشييد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة،

القاهرة، ١٩٦٣م

إبراهيم حركات:

- السياسة والمجتمع في العصر الأموى، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م

إبراهيم سلمان الكروى:

-- البويهيون والخلافة العباسية، دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م

أحمد الشامى:

- الدولة الإسلامية في العصر العباسى الأول، القاهرة، ١٩٨٢م

أحمد أمين:

- ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م

أحمد صادق سعد:

- تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦م.

أحمد عبد اللطيف:

- المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى

الثانى، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،

٢٠٠٥م

أحمد فكرى:

- مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م

أيمن فؤاد سيد:

- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية

العلمة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م

بدر عبد الرحمن محمد:

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع

تهجرى حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأتجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٩م.

حسن إبراهيم حسن:

- الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م

- تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨١م

حسن عبد الوهاب:

- تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م

حورية سلام:

- الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م  
خطاب عطية على:

- التعظيم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت.  
سعاد ماهر:

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.  
سيدة كاشف:

- مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م  
شحاتة عيسى إبراهيم:

- القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م  
الشيخ محمد الخضرى:

· محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.  
- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م.

عبد الله كامل موسى:

- الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الأفاق العربية.  
عبد الحليم عويس:

.. قضية النسب الفاطمي أمام النقد التاريخي، القاهرة، ١٩٨٧م  
عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي:

- المسكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١م

عبد المنعم سلطان:

- المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة  
عبد المنعم ماجد:

- الحاكم بأمر الله المفترى عليه، مكتبة الأنجلو، القاهرة  
- الدولة الفاطمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢م  
- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٧٨م  
عصام الدين عبد الرؤوف الفقى:

- دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م

### عطية القوصي :

- تاريخ وحضارة مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠١٢م

فلهورن:

- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م.

كريسون:

- قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م

كي لمستنيج:

بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهرسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.

محمد أبو الفرج العث:

- مصر والقاهرة على النفود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة.

محمد بركات البيلى:

- التشيع في بلاد المغرب الإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م.

- استيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م.

محمد جمال الدين سرور:

- النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٤م

- سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م

- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م

- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م.

محمد حمدي المنأوى:

- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة

محمد عبد الفتاح عليان:

- تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط٣، مكتبة المتنبى، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م

محمد كامل حسين:

- طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

قالفا: المراجع الأجنبية:

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861

Greswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids and Fatimids, Oxford, 1952

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairite Hachette 1966.<sup>١١٥</sup>



## المواشيسى

- (١) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين التورية والصلاحية، تحقيق محمد حلمى أحمد، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢م، ق ٢، ج ١، ص ٤٩٣، ابن شداد: النوادر المملوكية والمحاسن اليومية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الشيبان، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٤٤، ٤٥، ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، نشر جمال الدين الشيبان، القاهرة ١٩٦٣م، ج ١، ص ١٣٧-١٣٩، أبو القدا: المختصر في أخبار البشر، مكتبة المتنبى، القاهرة، ج ٢، ص ٥٠، ٥١.
- (٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، مكتبة النهضة المصرية، ط ٤، ١٩٨١م، ص ٥٧.
- (٣) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق على عمر، دار الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣١٩-٣٢١.
- (٤) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١١٠.
- (٥) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١١٥.
- (٦) عصام الدين عبد الرؤوف القفى: دراسات في تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٩-١٠.
- (٧) عبد الحليم عويس: قضية النسب الفاطمى أمام النقد التاريخى، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٣-١٤.
- (٨) عبد المنعم ماجد: الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٣٥.
- (٩) المقرئى: المقرئى الكبير، تحقيق محمد يعقوب، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٤، ص ٥٢٣، المقرئى: اتعاظ الخلفاء يذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمى أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٤٦.
- (١٠) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٥٩-٦١.
- (١١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٥، ص ٧٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، سلسلة العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٠٣-١٠٥، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٦١، محمد بركات الببلى: التشيع في بلاد المغرب الإسلامى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٠، إبراهيم جلال: المعز لدين الله وبشيد مدينة القاهرة، سلسلة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١١.

- (12) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٢، ص٢٠٠، أبو المحاسن: التجوم، ج٤، ص١٦٠، ٧٧، ٧٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٦٩.
- (13) الثعالبي: نديمة الدهر، شرح وتحقيق محمد مفيد قمبجة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٢٢٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص١٠٠.
- (14) الشيعة: أصل معنى اللفظ أنصار، وقد أطلقت أول الأمر على أتباع علي بن أبي طالب عليه بعد وفاته، يقول الأثيري: قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا علياً وقدموه على سائر الصحابة لمزاياه الشخصية أو لاعتقادهم بحقه الوزائي في خلافة المسلمين ثم أطلقت الشيعة اسماً للحزب الذي يشايح أبناء علي رضي الله عنهم يقول: "الإيراث في الحكم وتحول هذا الرأي بعد كربلاء من رأى سياسى نظرى إلى عقيدة إيمانية وحدث ما بين الشيعة على اختلاف فرقها وقد ظهرت فرق عديدة للشيعة يمكن تقسيمها إلى قسمين: فرق المعتدلين وهى ترى أن الإمامة بالنص، وأنها فى آل على ومن هؤلاء الزيدية أنصار زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب.
- فرق المغالاة: وهى عديدة وأهم منابعتها الكوفة والبصرة، وقد غالوا ونطروا رغم تبرأ آل البيت منهم وأهم هذه الفرق السنية والمعتزلة والكنيسانية والرافضة والخطابية الشهرستاتى: الملل والنحل، ج١، ص٢٨-٣٠، حورية سلام: الحركات المعارضة للخلافة العباسية في بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٧١، هامش ٢.
- (15) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص٦١.
- (16) هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعى الدعاة، تقديم وتحقيق، محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م، ص١٣، ١٨، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ج١، ص١٧٧-١٨١.
- (17) الميوطي: تاريخ الخلفاء، علق عليه: محمود رياض الحلبى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص١٥٢.
- (18) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص٦٠١.
- (19) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص١٠٦، ابن أبيك الدوادري: كثر الدرر وجامع الغرر المسمى "ندرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية"، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م، ج١، ص١٤٦.
- (20) المقرئى: انماط الحنفا، ج٢، ص١٧٢، جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمى في جزيرة العرب، ط٤، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٥.
- (21) ابن خلكان: وفيات، ج٣، ص٥٢-٥٤، أبو المحاسن: التجوم، ج٤، ص١٢١.
- (22) ابن الجوزى: المنتظم، ج٧، ص٢٤٨، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٣، بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص٨١.

- (23) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٨٣، ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بتاريخ ابن الوردي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ج١، ص٢٢٢، الدوادري: الدرر المضية، ص٢٨٣.
- (24) الأتبار: إحدى المدن العراقية تقع على الفرات وهي من المدن الآهلة. لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهرسه: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م، ص١٧.
- (25) القصر: مدينة كبيرة تقع بين بغداد والكوفة وتعرف بقصر ابن هبيرة وهي قريبة من نهر الفرات، وهي من أعمار نواحي المواد. ابن حوقل: الممالك والممالك صورة الأرض طبعة بيروت، دى جويه ١٨٧٠م، ص٢١٨.
- (26) المدائن: تقع على بعد سبعة فراسخ جنوب بغداد بالقرب منها قبر سلمان الفارسي، كانت مدينة صغيرة أهلة. لسترنج: بلدان الخلافة، ص٥٩.
- (27) الكوفة: تقع على الجانب الغربي لنهر الفرات وهي في حجم البصرة. لسترنج: بلدان، ص١٠١.
- (28) الجامعين: مدينة على نهر الفرات تقع على طريق بغداد الكوفة وتعتبر أساس مدينة الحلة التي بنيت في مقابلها على ضفة الفرات الغربية. ياقوت. معجم البلدان، ج٢، ص١٠١.
- (29) ابن الجوزي: المنقظم، ج٧، ص٢٥١، **ابن خلدون**: العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الإعليمي للطبوعات، بيروت، دت، ج٢، ص٤٤٢.
- (30) المقرئ: الخطط، ج٢، ص٢٨٨، جمال الدين مرزوق: التفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص١٨.
- (31) جمال مرزوق: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٧٩، جمال مرزوق: التفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص٧٥.
- (32) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة، ص٩١.
- (33) الشهرستاني: الملل والنحل، تخريج محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ج٢، ص١١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص٣٠-٣١، عصام الحفي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٠، إبراهيم حركات. المياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الأفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م، ص٢٩٦.
- (34) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٩٢٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٥٢.
- (35) الرحبة: هي قرية بضوا القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة، والرحب بالضم في اللغة السعة، والرحب بالفتح الواسع، والرحبة ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى والأصل في الرحبة الفضاء بين أفنية البيوت أو القوم والمعجم. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٣.

- (36) أحمد بن حنبل: المسند، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٨٤، ١١٨، الميوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥١، إبراهيم سلمان الكروي: اليهوديون والخلافة العباسية، دار العربية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢م، ص ١٨٤.
- (37) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ج ٢، ص ١٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج ٣، ص ١٤، الميوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥٠، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (38) الرواة عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وأبو ذر وأبو سعيد الخدري وأنس بن مالك روى بأسانيد ضعيفة، ابن حجر: أسئلة وأجوبة، ص ٥٧، ابن القيسراني: ذخيرة الحفاظ، ج ٢، ص ٢١٣.
- (39) الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٩٦، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج ١، ص ٥٢.
- (40) النويختي: كتاب فرق الشيعة، تحقيق هيلموت ريتز، استامبول، ١٩٣١م، ص ٢٠، عصام الفقي: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ١٠.
- (41) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ج ٢، ص ١٦٢-١٧٥، محمد عبد الفتاح عريان: تاريخ الخلفاء الراشدين، دراسات وبحوث، ط ٣، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٠-٣٠٣.
- (42) محمد عبد الفتاح عريان: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص ٣٠٩.
- (43) الشيخ محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص ٣٢٤، ٣٢٥.
- (44) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٣٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣٠.
- (45) الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ٣٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٢٦٦.
- (46) ابن الأثير: الكامل، ج ٤، ص ٦٢، محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٣٩، ١٤٠، محمد الخضري: تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٣٦.
- (47) الطبري: تاريخه، ج ٧، ص ١٨٠، ابن الطقطقي: الفخر، ص ١٠٥.
- (48) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ١٠٨، حرية سلام: الحركات المعارضة، ص ٢٥، محمد الخضري، تاريخ الدولة الأموية، ص ٣٤٠.
- (49) الكوسانية: تنسب الطائفة الكيسانية إلى كيسان مولى علي بن أبي طالب الذي قتل في واقعة صفين سنة ٦٥٧/٣٧م، وهم الذين ساعدوا محمد بن علي المعروف بابن الحنفية وقالوا بغيرته ورجعته وتضامنوا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي فدعوا لمحمد بن الحنفية بالإمام المهدي المنتظر. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٩٦.
- إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع، ص ٢٩٧، ٢٩٨.
- (50) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٦.

- (51) الشهرستاني: الملل، ج١، ص ١٢٢-١٢٣.
- (52) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٣١-٣٣، عصام الفقى: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٧-٣٢.
- (53) الطبرى: تاريخه، ج٥، ص ٤٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٨٩، ٩٠، قلهوون: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشيعة)، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (54) الطبرى: تاريخه، ج٥، ص ٥٣٦-٥٣٨، جمال سرور: الحياة السياسية، ص ١٥١-١٥٢.
- (55) محمد الخضرى: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، طبعة مصححة ومنقحة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٨١، ٢٨٢، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٤٩.
- (56) رضوى: جبل قريب من ينبع ذو شعاب وبه أودية ومياة كثيرة وأشجار. الاصطخرى: المسالك والممالك، طبعة لندن، ١٩٧٢م، ص ٢١، القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٨.
- (57) النويختى: فرق الشيعة، ص ٢٠.
- (58) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٨م، ج٨، ص ٣٣٨.
- (59) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صانر، بيروت، ١٩٦٧م، ج٥، ص ٢١٦.
- (60) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٣-١٤.
- (61) أحمد الشامي: الدولة الإسلامية، ص ٢٥-٢٧.
- (62) الصفدى: الوافى بالوفيات، تحقيق مجموعة من العلماء، نشرات الإسلامية (٦)، استانبول، ١٩٤٩م، ج١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٧٧، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤-٣٥.
- (63) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٣١، التويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج٢٨، ص ٧٤، محمد الخضرى: الدولة العباسية، ص ٢٨٤.
- (64) المقرئى: المقفى الكبير، تحقيق: محمد يعطوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩١م، ج٤، ص ٥٢٤.
- (65) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣١١، البيهقى: التمشيع، ص ٢٩، محمد حمدى المناوى: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة، ص ١١٣.
- (66) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٣١.
- (67) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٣٤.
- (68) البيهقى: التمشيع، ص ٦٥.

- (69) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٢١٧.
- (70) ابن أبيك: كنز الدرر، ج٦، ص ١٤٧، الصلدي: الوافي، ج١٧، ص ٤٢، أبو المحاسن: النجوم ج ٥ ص ٧٦.
- (71) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٧٠.
- (72) النويختي: فرق الشيعة، ص ٣٤، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها، عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢١.
- (73) المقرئ: اتعاف، ج١، ص ٢١، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٠٤، ١٠٥، محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص ٢٩، ٣٠.
- (74) محمد بركات البونلي: إستيلاء الفاطميين على مصر (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري) ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ص ١٩٩٧م، ص ١٠٠-١٠١.
- (75) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ١١٨.
- (76) ابن خلكان: وفيات، ج١، ص ٤٨، سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ١٦٧.
- (77) محمد أبو الفرج العشي: مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة الدولية لألفية القاهرة، ص ٩١١، ٩١٢، ٩٤٧، ٩٤٨.
- Miles, G, Fatimid coins p 51
- (78) المقرئ: المقفى الكبير، ج٣، ص ٨٩، أبو المحاسن: النجوم، ج٣، ص ٣٣٦.
- (79) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٨٩.
- (80) النويختي: فرق الشيعة، ص ٢٣، ابن سعيد: المغرب في حلى بلاد المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق: زكي محمد حسن، سيدة كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ٣٥-٣٦، سيدة كاشف: مصر في عصر الاخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين (٢٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣١١، ٣١٠، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ٨٩-٩٠.
- (81) أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٩، ٤١.
- (82) المقرئ: الخطوط، ج١، ص ٣٥٣، المقرئ: اتعاف، ج١، ص ٩٧، ١٠١.
- (83) المقرئ: الخطوط، ج١، ص ٩٤، المقرئ: اتعاف، ج١، ص ١١٣، أبو المحاسن: النجوم، ج٤، ص ٢٩-٤١، القلقشلي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٨م، ج٣، ص ٣٤٥.
- (84) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١١، أحمد عبد اللطيف: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي الثاني، سلسلة تاريخ المصريين (٢٤٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٤٥-٤٨، يوسف العشي: الخلافة العباسية، ص ٢١١.

- (85) المهدي: أسسها الخليفة المهدي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م. أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٩.
- (86) التجاني: رحلة التجاني (تونس - طرابلس، ٧٠٦-٧٠٨هـ) ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ٣٢٠-٣٢٤. عبد الله كامل موسى: الفاطميون وأثارهم المعمارية في إفريقيا ومصر واليمن، دار الأفاق العربية، ص ٤٢.
- (87) التجاني: رحلته، ص ٢٢٠.
- (88) المنصورية: أسسها الخليفة المنصور الفاطمي (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م) وكان ذلك سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م في الموضع الذي دارت فيه الواقعة بينه وبين أبي يزيد بن مخلد بن كيداد التي بدأت بوادها سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م في أواخر عهد المهدي على مغربة من القيروان واتخذها حاضرة له. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، نشر دي سلاتن، الجزائر، ١٨٥٧م، ص ٢٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦١١، الببلي: التمشيع، ص ١٢٨، يوسف العش: الخلافة، ص ٢٠٩.
- (89) البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان نيوفن، واندري فيري. الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٧٦.
- (90) البكري: المغرب، ص ٢٥، ابن طاهر: أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٥، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٨.
- (91) ابن الصيرفي: القاتون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من شال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، القاهرة، ص ٤٩، ابن خنكان وفيت لاجين، ج ٧، ص ٣٠.
- (92) مرور: قيام الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧١، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٥٧٣، ٥٩٠.
- (93) جمال مرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٢٢٨.
- (94) المسبحي: أخبار مصر، الجزء الأربعون، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيار بيكنكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٢.
- (95) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٤٥٩.
- (96) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (97) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٥١.
- (98) البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٨٣.
- (99) كريمويل: قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمي، بحث ضمن كتاب القاهرة تاريخها فنونها أثارها، مراجعة دكتور حسن الباشا، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٦.
- (100) المسبحي: أخبار مصر، ج ٢، ص ٢٧٧، أحمد فكري: مساجد القاهرة، الجزء الأول، العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ١، ص ٨٣-٨٥.
- (101) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢٣-١٢٨.

Wiet: The Mosques Of Cairo, Translated From French By John.S HardMan. Librairite Hachette 1966. P.103.

(102) ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العظمى الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٩١، المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أبو المحاسن: النجوم، ج ٥، ص ١٧٣.

(103) جامع الصالح: الذي بناه خارج باب زويلة سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م، وهو آخر المساجد الجامعة التي أقامها الفاطميون في مصر. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٠، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦٢٠، شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة تاريخها نشأتها، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٠٦-١١٠، أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، ص ١١٠-١٢١، حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، ١، ٢، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٤٦م، ص ٩٧-١٠٥.

(104) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٩٣.

(105) سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون خمسة أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١، ص ٢٩٩.

Creswell K. A.C: The Muslim Architecture Of Egypt, vol.1, Ikhshids (106) and Fatimids, Oxford, 1952 PP. 228.229.

(107) سعاد ماهر: مساجد مصر، ج ٢، ص ١٢٠، عبد الله كامل: الفاطميون، ص ٢١١.

(108) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٤٢.

(109) المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٤٣٦.

Creswell K. A.C: The Muslim P.266.267. (110) الفاطميون، ص ٢٠٩.

(111) غدير خم: نسبة إلى خم وهي موضع بين مكة والمدينة، وهو وادى عند الجحفة على بعد ثلاثة أميال بين مكة والمدينة ويسمونه اليوم الغربة به غدير وحوله شجر كثير، يقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ كيلومتر، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير. باقوت: معجم البلدان، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت)، ج ٢، ص ٣٧١، سرور: الدولة الفاطمية في مصر، هامش ٢، ص ٨٠.

(112) أحمد بن حنبل: المسند، ص ٩٥٠، ٩٥٢، ٩٦١.

(113) ابن لأثير: الكامل، ج ٨، ص ٥٤٩، إبراهيم الكروى: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٤.

Muir William: The Caliphate (its rise) pecline and Fall, London, 1861, p.574.

(114) المسبحي: أخبار مصر، ص ٨٥.

(115) الظهيراني: المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٧١-١٧٢، الألباني: السلسلة الصحيحة، ج ٤، ص ٣٣٥.

(116) الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ١٦٧، ابن خلكان: وفیات، ج٢، ص ١٣٦، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ج١، ص ١٤٩، عبد المنعم ماجد: نظم، ج٢، ص ١٢٦.

(117) أحمد بن حنبل: المسند، ج٤، ص ٣٧٢، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، طبعه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، المكتبة الطبعية، د.ت، ج١، ص ٤٣، الترمذی: سنن الترمذی، ج٥، ص ٢٥٧، إسناده صحيح.

(118) ابن تيمية: منهاج السنة، ج٤، ص ٨٤-٨٥.

(119) أبو داود: سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إسنابول، د.ت.

(120) أبو المحاسن: النجوم، ج٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج١، ص ٥٢.

(121) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، القاهرة، ص ١٥٧-١٥٩.

(122) أبو داود: السنن ياب صوم عاشوراء، ص ٦٥.

(123) انظر الترمذی: سنن الترمذی، تحقيق أحمد شاکر وأخريين، ط٢، مطبعة الحلبي القاهرة، ١٣٩٨هـ، انظر البخاری: صحيحه، طبعه مصطفى ذيب البقي، ط٢، دار ابن كثير واليمامة، دمشق، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٨٦٥.

(124) المقرئی: الخطط، ج١، ص ٤٣١، أبو المحاسن: النجوم، ج٥، ص ١٥٣، عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص ٩٣٨.

Muir: The Caliphate, p. 573.

(125) المسعودی: مروج الذهب، ج٢، ص ١٩٨.

(126) المقرئی: الخطط، ج١، ص ٤٢٧.

(127) المقرئی: الخطط، ج١، ص ٤٢٧.

(128) أبو المحاسن: النجوم، ج٥، ص ١٥٣، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٥٥.

(129) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٥٥، النويری: نهاية، ج٢٣، ص ٢١١.

(130) هلال الصابري: كتاب التاريخ، ملحق بكتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، مطبعة الآباء النيسابوريين، بيروت، ١٩٠٤م، ج٨، ص ٣٧١، ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٥٥.

(131) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، حققها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٣، ٨٢.

(132) ماجد: نظم الفاطميين، ج٢، ص ١٢٠.

(133) المقرئی: الخطط، ج٢، ص ٤٧٦، القلقشندی: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٦٦.

(134) المقرئی: الخطط، ج١، ص ١٦٥.

(135) عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٣٤-١٣٥.

- (136) ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ابن الطوير: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد سيد، النشرات الإسلامية (٣٩)، شتوتجارت، ١٩٩٢م، ص ٢١٧، المقرئ: المقلد الكبير، ج ٦، ص ٤٨٤.
- (137) المقرئ: التعاطف، ج ٢، ص ٦١، ٦٠، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٢٦.
- (138) خطاب عطية علي: التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت. ص ٦٨، ٦٧، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٣٠.
- (139) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٩٣.
- (140) خطاب عطية علي: التعليم في مصر، ص ٦٨.
- (141) أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية، ص ١٠٤، هامش ١، البيهقي: التشيع، ص ١٤٤.
- (142) Ivanow: The Alleged founder of Ismailism, Bombay, 1946, p. 152.
- (143) البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (144) المقرئ: المقلد، ص ٢٣، البيهقي: التشيع، ص ٦٧.
- (145) البيهقي: التشيع، ص ٦٨.
- (146) يشير بذلك إلى قوله تعالى: "هَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ نَعَمْتُ عَلَيْهِمُ الْفَاتِحَةُ آيَةٌ ٥ و ٦".
- (147) يشير إلى ما ورد في سورة البقرة بقوله تعالى: "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُتْلِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ آيَةٌ ١٠٢".
- (148) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٣٩٣.
- (149) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤١.
- (150) محمد بركات البيهقي: التشيع، ص ٣٩-٤٠.
- (151) تمزيذ من التفصيل راجع الشهرستاني: الملل والنحل، البغدادى: الفرق بين الفرق، التويخى: كتاب فرق الشيعة.
- (152) ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص ١١٠، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٤٣.
- (153) المؤيد في الدين الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ٥-٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٤٣٦، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٥٤.
- (154) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٣٣، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله المعتز عليه، مكتبة الأتكلو، القاهرة، ص ٥٤.
- (155) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٩٣٩م، ج ٦، ص ٢١١.
- (156) البيهقي: التشيع، ص ١٢٧.
- (157) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفى بروغنسفال، بيروت، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٥.

- (158) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٣٩، المقرئ: اتعاط، ج ٢، ص ٢٣٩.
- (159) ابن هاني الأندلسي: ديوان ابن هاني، بيروت، ١٣٢٦هـ، ص ١١.
- (160) ابن هاني: ديوانه، ص ٧-١١.
- (161) ابن هاني: ديوانه، ص ١٦٤.
- (162) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٢٩.
- (163) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩.
- (164) عبد المنعم مانجد: الحاكم بأمر الله، ص ٥٩.
- (165) أبو المحاسن: النجوم، ج ٢، ص ٣٠٩، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٧.
- (166) المقرئ: اتعاط الحنفاء، ج ١، ص ٦٦-٦٨، حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧.
- (167) يحيى بن سعيد الأنطاكي: تاريخه، نشر لويس شيخو مع كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٢٢٣، النوري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٦.
- (168) حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، ص ٣٧٠.
- (169) ابن ظافر: أخبار الدول المقطعة، ص ١٢٥، Muir: The Caliphate, p. 574.
- (170) الشهرستاني: الملل، ج ١، ص ١٥٦، ١٦٠، ١٦٨.
- (171) البيهقي: التلخيص، ص ١٢٩.
- (172) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥٩، البيهقي: التلخيص، ص ١١٣.
- (173) فذك: تقع بالقرب من المدينة المنورة على مسيرة يومين. الحميري: الروض المططر في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط ٢، مكتبة بلننان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٤٣٨.
- (174) الطبري: تاريخه، ج ٣، ص ١٥، ٢٠٨.
- (175) المسعودي: التنبيه والإشراف، دار صعب بيروت، د.ت، ص ٢٥٥.
- (176) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، البيهقي: التلخيص، ص ١٤٣.
- (177) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣، ص ٣٣٢، المسبوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٠، إبراهيم سليمان الكروي: البويهيون والخلافة العباسية، ص ١٨٣.
- (178) رقادة: أنشأها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م وهي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة القيروان. البكري: المسالك، ج ٢، ص ٦٧٩.
- (179) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ١، ص ١٥٩.
- (180) المقرئ: اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦٤، البيهقي: التلخيص، ص ٨٧.
- (181) المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ١١٦.
- (182) المقرئ: اتعاط، ج ١، ص ١١٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون، ص ١١٨، البيهقي: التلخيص، ص ١٤٥.

- (183) عبد الرحمن فهمي، سامح عبد الرحمن فهمي: المنكوكات الإسلامية، فجر الإسلام والعصور الأموية والعباسية والفاطمية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٣٤٨.
- (184) أبو المحاسن: النجوم، ج ٤، ص ١٣٢، إبراهيم جلال: المعز لدين الله، ص ٦٧، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٢ م، ص ٦١.
- (185) الصلدي: السوافي بالوفيات، ج ١١، ص ٢٢٥، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١١٩، أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ١٤٣.
- (186) ابن عذاري: البيان، المغرب، ج ١، ص ١٥١، الببلي: التشيع، ص ٨٧.
- (187) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ١٤٩.
- (188) المقرئ: أتعاط، ج ١، ص ١٣٧، حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ١٢١، الببلي: التشيع، ص ١٤٥.
- (189) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٣٧٦، النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣١، الصلدي: الوافي، ج ١١، ص ٢٢٥، المقرئ: المعقلى الكبير، ج ٣، ص ١٠١، أبو المحاسن: النجوم، ج ٤، ص ٣٢، عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر، ص ٦١.
- (190) بدر عبد الرحمن: الحياة السياسية، ص ٨١، ٨٢.
- (191) ابن زلفار: أخبار الدول المنقطعة، ص ١١٤، أحمد صادق سعد: تاريخ مصر الاجتماعي والاقتصادي، دار ابن خلدون، القاهرة، ١٩٧٦ م، ص ٢٨٣.
- (192) يوسف العش: الخلافة العباسية، ص ٢١٨.
- (193) المقرئ: أتعاط الحنفيا، ج ١، ص ١٣٧.
- (194) أبو المحاسن: النجوم، ج ٤، ص ٢٢٤-٢٢٧، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧، ص ٢٤٩-٢٥١.



## الخنجر نموذج لتطور صناعة السلاح في الأندلس دراسة أثرية فنية لسمادج الخناجر الأندلسية ومستلزماتها

د. حنان عبد الفتاح مطاوع (\*)

### أدوات الحرب في الأندلس وموامل إزدهارها :

حرص المسلمون في الأندلس منذ البداية على أن تكون لديهم قوة عسكرية مرموقة الجانب، يخشى بأسها ويخطب ودها أعدائهم في الداخل والخارج، وبهذا المفهوم بذلوا جهداً كبيراً لتسليح جيوشهم تسليحاً جيداً، بكل أنواع الأدوات الحربية اللازمة لها والتي أخذت في الإزدهار، بصورة واضحة، في فترات القوة والإزدهار. حيث نشطت صناعة السلاح في الأندلس، وتعددت مصادر الحصول عليها منذ عصر الدولة الأموية (١٣٨هـ - ٣١٦هـ) (٧٥٥م - ٩٧٨م) وما تلاه من عصور حتى نهاية عصر بني نصر (٦٣٥هـ / ٨٩٧هـ / ١٢٣٨م - ١٤٩٢م) وغدت أدوات الحرب تصدر من الأندلس إلى جميع أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية على السواء<sup>(١)</sup>.

وقد ساعد على إزدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، وولع الأندلسيون بها، عوامل كثيرة من أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لتلك الصناعة ببلاد الأندلس، لاسيما معدن الحديد والفولاذ المخصصين لصناعة السيوف والخناجر والتصال والزرديات.

فمن بين أهم المناطق التي اشتهرت بفزاره إنتاج هذين المعدنين: جبال مدينة طرطوش<sup>(٢)</sup>، قرية فريش الواقعة بالقرب من قرطبة<sup>(٣)</sup>، وكورة البيرة بقرطبة<sup>(٤)</sup> وحصن قسنطينة<sup>(٥)</sup>، وفي جبال إشبيلية<sup>(٦)</sup>، وجبال البيرلس قرب فحس البلوط<sup>(٧)</sup> وجبال المرية<sup>(٨)</sup> وينقسم القدر من الشراء توافرت أيضاً المواد المساعدة التي تدخل في صناعة أدوات الحرب مثل: الأخشاب التي اشتهرت بانتاجها مدينة طرطوش<sup>(٩)</sup> وشلطيش<sup>(١٠)</sup>.

فضلا عن الأحجار الكريمة التي تستخدم في ترصيعها وتزيينها، والتي كانت توجد بكثرة في العديد من مناطق الأندلس: مثل اللازورد بمدينة لورقه<sup>(١١)</sup>، وجبل شلير<sup>(١٢)</sup>، والياقوت بحصن مونت ميور بكورة مالقه<sup>(١٣)</sup> وبقريه ناشره بالقرب من بجائه<sup>(١٤)</sup> وحجر البجادي<sup>(١٥)</sup> بمدينة لشبونة<sup>(١٦)</sup> وحجر الشاندنج أو الشانينج<sup>(١٧)</sup>، بجبال قرطبة<sup>(١٨)</sup>، وحجر المرقشينا الذهبية بجبل أبذه<sup>(١٩)</sup>، ولأن بلاد الأندلس كانت غنية بكل هذه الأنواع من الأحجار الكريمة فقد شاع استخدامها في زخرفة أدوات الحرب، لاسيما والخناجر وأدوات الخيل<sup>(٢٠)</sup>، أما بقية المواد الأخرى المساعدة التي لم تكن تتوافر ببلاد الأندلس، فكان يتم استيرادها بكميات كبيرة مثل: العاج الذي كان يدخل في صناعة مقابض السيوف والخناجر وبعض أنواع أسلحة الزينة، وكان يتم استيراده من بلاد المغرب، وساحل غانا بالسودان.

(\*) أستاذ مساعد الآثار الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية.

وبذلك ساعد على تطور أدوات الحرب بالأندلس وفرة الصناعات الماهرة من الأندلسيين، ممن أظهروا قدره فائقة على الاستفادة من المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة التي أولوها عناية خاصة بسبب إهتمام الأندلسيين بها، ومنافعها في الحرب والسلام، وهو ما عبر عنه المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (وأما آلات الحرب من الترس والرمح والسروج والجم (الجم أو الألبم) والدروع والمخار، فأكثر هم أهل الأندلس كانت مصروفه في هذا الشأن<sup>(٢١)</sup>)، وثمة ملاحظة هامة وهي: أن هذا الإهتمام بأدوات الحرب قد دفع صناعات السلاح الأندلسيين إلى تطويرها، وقد اتخذ هذا الإهتمام مظاهر عديدة منها:

(١) الحرص على إقامة دور صناعة متخصصة لأدوات الحرب وإصلاح ما تداعى منها، على نحو ما فعله الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط من ترميم دار صناعة السلاح بمدينة طليطلة عام (٢٠٧هـ/٨٢٢هـ)<sup>(٢٢)</sup>.

وظلت هذه الدار تؤدي دورها في إنتاج أدوات الحرب حتى نهاية عصر الطوائف، وحقيقت في هذا المجال مزيداً من الإزدهار والتطور، حتى أصبح إنتاجها يقدم كهدايا من قبل الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠هـ/٣٦٦هـ - ٣٦١هـ/٣٧٦هـ) إلى ملوك قشتالة<sup>(٢٣)</sup>. بل كان يصدر في عصر الطوائف (٤٢٢هـ/٤٨٤هـ - ١٠٣١هـ - ١٠٩١هـ) إلى كل أنحاء إسبانيا الإسلامية والمسيحية<sup>(٢٤)</sup>.

وقد امتدح ابن سعيد وفرة إنتاج دار صناعة هذه المدينة من السلاح وتنوعه وجودته بقوله (كان يصنع فيها من آلات الحرب العجائب)<sup>(٢٥)</sup>، وفي عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠هـ/٣١٦هـ - ٣١٢هـ/٣٢٨هـ) شيد لتطعيم من دور الصناعة في كثير من مدن الأندلس، كان من بينها دار بمدينة الزهراء تخصصت في إنتاج آلات الحرب والحنى والزينة، وغير ذلك من المهن<sup>(٢٦)</sup>.

وتعتبر دار صناعة السلاح التي أقامها المنصور بن أبي عامر (٣٧١هـ/٣٩٣هـ - ٣٨١هـ - ١٠٠٢هـ) بقصره المعروف بقصر العامرية، من أهم إن لم تكن أهم دور صناعة السلاح في الأندلس، نظراً لما كان يتوافر لهذه الدار من إمكانيات تفوق غيرها من دور الصناعة الأخرى، فهذه الإمكانيات كانت من الوفرة والتنوع بحيث كان لكل نوع من الأسلحة قسم أودار تخصصت في إنتاجه.

ويجدر المؤرخون العرب عن هذا الإزدهار فيما كتبه عن هذه الدار، فابن الخطيب يشير إلى أنه كان بها دار مخصصة لصناعة التروس عرفت بدار التراسين<sup>(٢٧)</sup> كان يزيد إنتاجها في العام الواحد عن ثلاثة عشر ألفاً، كما كان بنفس الدار دار أخرى لصناعة القمسي كان إنتاجها في العام ما يقرب من اثني عشر ألفاً<sup>(٢٨)</sup>. وكان لكل دار طائفة حرفية لها معلم يعرف بشيخ الصنعة يتولى تمثيلهم، ويعتبر مسئولاً أمام المعلم الأكبر أو كبير المعلمين الذي يقيم بمدينة قرطبة والزهراء<sup>(٢٩)</sup> وفي مدينة مرسية حظيت صناعة السلاح بمكانة كبيرة عبر عنها المقرئ فيما نقله عن ابن سعيد بقوله (يصنع فيها من آلات الجندي ما يبهر العقول)<sup>(٣٠)</sup>.

وقد كانت تلك الصناعة مصدراً أساسياً لثروتها، فوفرة إنتاجها من السلاح فتح أمام أهالي هذه المدينة أفاقاً واسعة للعمل التجاري في قطاع التصدير، فكانت أدوات الحرب تعالج

وتصنع بها، قبل تصديرها إلى معظم البلدان لاسيما أفريقية، حيث أشار المقرر إلى ذلك بقوله (وفيها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها)<sup>(٣١)</sup>.

وقد أخذت بعض المدن شينا فشينا تحتل مركز الصدارة في إنتاج نوع واحد من الأسلحة تشتهر به، ومن ذلك على سبيل المثال: مدينة المرية التي ذاع صيتها في صناعة السيوف الجود السود<sup>(٣٢)</sup> ومدينة برنيل التي عرفت سيوفها بالبرنليات المشهورة بالجودة<sup>(٣٣)</sup>. كما اشتهرت إشبيلية بسقى الفولاذ الأشبيلي الشهير الذي كانت تصنع منه الدروع وتجايف الخيل، وفي مدينة وشقة بالشعر الأعلى كانت تصنع الدروع والبيضات<sup>(٣٤)</sup>.

ومثل هذه المدن التي كانت تشتهر بصناعة نوع معين من الأسلحة كان يوجد بها أماكن للتدريب عليها مثل: سبته التي اشتهرت بصناعة القسي، وكان بها أربع وأربعون مرمى لرمي السهام<sup>(٣٥)</sup>.

٣- جرى حكام الأندلس، منذ عصر الدولة الأموية، على إقامة دور لحفظ أدوات الحرب عرفت بدار أو خزانة السلاح مثل: الدار التي أقامها الأمير عبد الرحمن الأوسط بمدينة قرمونه<sup>(٣٦)</sup>، ودار أخرى في غرناطة من عصر المرابطون، ودار بمدينة إشبيلية<sup>(٣٧)</sup>.

وكان يتولى الإشراف على تلك الخزائن أحد كبار موظفي الدولة النقاد، ممن كان على درايه بأنواع الأسلحة ليعرف ما توافر منها وما ينقص، ويقدم تقريرا بمحتويات مخازن السلاح ويدون في سجلات ديوان العسكرية<sup>(٣٨)</sup> **يطلع عليه الحاكم** أو الخليفة بشكل دوري، حتى لا يخرج إلى الحرب إلا بعد أن يتأكد من اكتمال كل أنواع السلاح والعدة<sup>(٣٩)</sup>.

٤- كانت أدوات الحرب من أفضل الهدايا بين الحكام وقبار رجال الدولة، سواء أهديت لهم أو هادوا بها للمقرين إتيهم لكسب ولاهم، فعبد الرحمن الناصر كان يطلع على وزيرانه - أمثال أحمد بن عبد الملك بن سعد - أنواعا متعددة من آلات الحرب أحصاها ابن خلدون بقوله (والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب، وألف ثمن سلطانية، ومائة ألف سهم من من النبال البارعة الصنعة).

كما هادى الخليفة عبد الرحمن الناصر أمراء البربر، بالعدوة المغربية، بكثير من تلك الآلات الحربية، أمثال موسى بن أبي العافية، ووفقا لما ذكره ابن حبان كان من بين محتويات تلك الهدايا (أربعة بنود من غرائب السلاح)<sup>(٤٠)</sup>.

ولقد واصل الخليفة الحكم المستنصر سياسة اصطناع وجوه أمراء المغرب، فأرسل مع الخازن أحمد بن محمد لعدد كبير منهم في جيش غالب بن عبد الرحمن - مجموعة هدايا معظمها من آلات الحرب، مع كتاب موضح فيه اسم كل شخص وتفاصيل محتويات هديته<sup>(٤١)</sup>.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن من بين العوامل التي ساعدت على بلوغ لنوات الحرب في الأندلس، أوج إزدهارها، أنها كانت من مظاهر التعبير عن الأبهة والفخامة والتفوق العسكري، فالباحث في تاريخ الأندلس يستطيع أن يلاحظ بوضوح أهميتها في الاحتفالات والمراسيم والعروض العسكرية والاستقبالات الرسمية، حيث كان يرتديها كبار الوزراء والفتيان والأكابر والكتاب والخصيان الصقالية، وغيرهم من طبقات أهل الخدمة، عند استقبال الخلفاء والإحتفال بقدمهم<sup>(٤٢)</sup>.

وجرت العادة أن يقوم حكام الأندلس باستعراض أدوات الحرب أثناء الاحتفال باستقبال سفراء وحكام الدول المجاورة، لاسيما ملوك إسبانيا المسيحية، وذلك من أجل استعراض القوة العسكرية ويث الرعب في نفوسهم . ويستدل على ذلك مما ورد في المصادر العربية من أوصاف تفصيلية لمواكب استقبال زيارات السفراء والملوك المسيحيين، بقصر قرطبة وقصور الزهراء والزاهرة<sup>(١٣)</sup>.

٥- من العوامل التي ساعدت على ازدهار صناعة السلاح في الأندلس: تعدد مصادر الحصول عليها فلم يكتفوا بما كان يصنع منها محليا ويبيع ويشترى من أسواق خاصة بها، فرغم إشارة المؤرخين بمهارة الأندلسيين في صناعة أدوات الحرب<sup>(١٤)</sup> كما سبق الإشارة، لم يتربدوا في شراء الأسلحة الجديدة من إسبانيا المسيحية والبلاد المجاورة لها، أو من الأسواق المشرقية والهندية، حيث وردت إشارات عديدة عن تسليح الجيش الأندلسي بمثل هذه الأسلحة المشتراة من الخارج<sup>(١٥)</sup> رغم ما كان يفرض أحيانا من حظر لبيع، أو نقل هذه الأسلحة، بين الطرفين الإسلامي الأندلس والإسباني النصراني<sup>(١٦)</sup>.

وأخيرا، تجدر الإشارة إلى أن ازدهار صناعة أدوات الحرب والعناية بها، في مختلف مدن الأندلس، كان ضرورة فرضها تاريخ الأندلس الحافل بالثورات والحروب المتتابعة، فضلا عن جنوح أهل الأندلس، لاسيما في عصر الطوائف التي الخروج على السلطة مما كان له أكبر الأثر في اعتماد كل مدينة في الدفاع عن نفسها. **ونستدل على ذلك من قول الاقتصادي بأن مدينة غرناطة حققت تقدما في صناعة السلاح مكنتها من الدفاع عن نفسها وزيادة مناعتها<sup>(١٧)</sup>.**

وبعد هذا العرض لعوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب في الأندلس، يجدر بنا أن نفرق بين أنواعها التي كانت تستخدم في ميادين الحرب، والمستخدم لزيينة، أو كانت تقدم كهدايا. ومع أن إثبات هذا الفرق بالأساليب التاريخية المضادة لا يخلو من صعوبة، إلا أنه من خلال الإشارات التي وردت بشأن النوع الثاني المستخدم في الزينة؛ يمكن إثبات هذا الفرق، فألات الحرب التي كانت تستخدم في أيام البروز والمواكب والإهداء تتميز بخفة وزنها، والمبالغة في زخرفتها وتحليتها بخطوط الذهب والفضة وترصيعها بالأحجار الكريمة، وتطلق المصادر العربية على هذا النوع من أدوات الحرب اسم: تجافيف أو تخافيف الزينة والسلطانية أو الخاصة<sup>(١٨)</sup> ومنها السيوف الحالية<sup>(١٩)</sup> والسيوف المرصعة الصعود بالجواهر الملمنة والحراپ المزينة العصي بالياييب الفضة والبيضات المذهبة<sup>(٢٠)</sup>.

بينما الأسلحة المستخدمة في ميدان الحرب يراعى فيها: أن تكون قوية الشكل غليظة المظهر خالية من الزخرفة، بحيث تتناسب وطبيعة الوظيفة التي تؤديها.

وقبل أن نختم الحديث عن عوامل ازدهار صناعة أدوات الحرب الأندلسية، نود الإشارة إلى أننا لا نكاد نرى فنا من الفنون الصناعية الأندلسية أهدت المصادر الأندلسية على أنه قد تأثرت أشكاله بالفنون الصناعية المسيحية المعاصرة مثلما حدث في فنون صناعة أدوات الحرب، ونستدل على ذلك من إشارة ابن الخطيب: **وزيهم (أهل الأندلس) شبه زى اقتالهم وأضدادهم من جوراتهم الفرنج إسباغ الدروع وتطبيق الترسه وحفا البيضات واتخاذ عراض الأسنة وبشاعة**

قرايبس السروج واستركاب حمته الريات خلفه كل منهم بصفة تختص بسلاحه وشهره يعرف بها<sup>(٥١)</sup>.

ويشير المقرئ في هذا الصدد أيضا بقوله (وكثيرا ما يتزين سلاطينهم وأجنادهم بزي التنصاري المجاورين لهم أسلحتهم كسلاحهم وأقبيبتهم كأقبيبتهم وكذلك أعلامهم وسروجهم ومحاربتهم بالتراس<sup>(٥٢)</sup> والرماح<sup>(٥٣)</sup> الطويلة للظعن ولا يعرفون السدابيس قسي<sup>(٥٤)</sup> العرب بل يدعون قسي الأفرنج للمحاصرات في البلاد أو تكون للرجال عند المصافقة للحراب<sup>(٥٥)</sup>).

ولا يؤخذ من هذا أن تلك الآلات الحربية المسيحية كانت تعتبر مقبولة، أو كان صناع الأندلس يتخذونها نماذج يقلدونها مبرقين في هذا التقليد، بل على العكس نجد أن صناع آلات الحرب الأندلسيين فيما بعد منذ عصر بني نصر، قد اتخذوا لأنفسهم أساليب وأنواعا تختلف عن نظائرها المسيحية ولا ترجع في شيء إلى الأساليب المسيحية الموروثة من مجموعات الأسلحة التي غنموها من القوط في بداية الفتح الإسلامي، أو في أثناء الحروب الجهادية الطويلة التي خاضها المسلمون في الأندلس ضد التنصاري الأسبان. ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الخطيب أيضا، في موضع آخر، عن التجديد الذي أحدثه صناع السلاح في عصر بني نصر بقوله (ثم عدلوا الآن عن هذا الذي ذكرناه إلى الجواشن<sup>(٥٦)</sup> المختصرة والبيضات المرفهات والسروج العربية، والبيت المظمية<sup>(٥٧)</sup> والأسل المظمية<sup>(٥٨)</sup>).

## الخناجر الأندلسية .

### تعريف الخنجر واستخداماته:

الخنجر سلاح قاطع صغير أشبه بسيف مصغر، ولكنه أكثر وأسهل في الحمل والاستخدام، إذ يحمله المحارب في منطقتة أو حزامه أو تحت ثيابه، فإذا التحم بعده قطعته به خلسة<sup>(٥٩)</sup>. والخنجر من أقدم الأسلحة التي استخدمها الإنسان في الدفاع عن نفسه، فهو من الأسلحة الدفاعية التي عرفها العرب منذ جاهليتهم، ويعتبر سلاحا شخيصا أكثر من كونه رنوسيا في المعارك، وهي أسبق في الظهور من السيوف وأقدم استخداما، وكانت بعض المجاهدات، في العصور الأولى، يحملن الخنجر في الغزوات تحت ثيابهن للدفاع عن أنفسهن.

وبصفة عامة، ارتبط الخنجر، منذ قرون طويلة، بعادات الشعوب وتقاليدهم وتراثهم المنقول، ويعد رمزا للرجولة، كما أن نوع الخنجر، في بعض البلدان مثل اليمن، يدل على المكانة الاجتماعية لصاحبه، وما تزال الخناجر، حتى يومنا هذا، من مستلزمات المظهر الخارجي في بعض المجتمعات الإسلامية، فضلا عن كونها سلاحا فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حاملها ومكانته<sup>(٦٠)</sup>، ومع أن الخنجر من منحقات السيوف لأنه من فصيلته، إلا أنه عكس السيوف فقد ارتبط في الأذهان بالخيانة والغدر، حيث اغتيل به العديد من الشخصيات الهامة في صدر الإسلام، ومن ذلك خنجر أبو لؤلؤة المجوسي الذي قتل به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يصلى.

## أجزاء الخنجر:

يتكون الخنجر عادة من جزعين رئيسيين هما: رناسة الخنجر أو قاتمته ونصله، وللقالم والنصل عناصر مهمة لا يكاد خنجر عادة يخلو منها، وخاصة إذا كان من الخناجر الأصيلية إضافة إلى عمد الخنجر أو قرابة ويتكون قاتم الخنجر أو رناسته من المقبض، وهو مقبض كف الضارب أو الطاعن أو مكان قبضه اليد، والقبضة وهي الحديدية التي تلبس أعلى المقبض وتسمى القلة أحياناً، إذا كانت مستديرة أو كروية، كما تسمى في بعض المصادر الأندلسية بالقرون الجاموسية<sup>(١)</sup>. ويفصل النصل عن رناسة الخنجر وقاتمته الواقية وهي حديدة المقبض المعترضة على فم الخنجر؛ لوقاية يد المحارب من الإصابات وطعنات الخصم.

وقد أوليت مقابض الخناجر عناية خاصة، حيث صنعت من مواد ثمينة مثل قرن وحيد القرن، وعاج اللقمة، وعاج الغيل، والذهب والفضة.

أما النصل فهو حديدة الخنجر، ويصنع في القالب من الفولاذ أو البرونز، ويتميز الخناجر الجيدة الأصيلية باختواء نصلها على ما يعرف بالأثر أو الجوهر الفاخر<sup>(٢)</sup> وهو مصطلح استخدم لبيان ظاهرة الخطوط المتداخلة المتباينة الأشكال والأوضاع على صفحات النصل، فهي خطوط ناعمة متداخلة على شكل النميج الشبكي، أو على شكل تقسيم خطوط النصل إلى مسافات قصيرة متساوية، أو شكل عقد متناسقة متقاربة متلاصقة، وأحياناً تكون على شكل خطوط عريضة تشكل بقعا مستديرة أو مستطيلة، أو خطوط متعرجة أو متوازية.

ويرجع هذا الاختلاف إلى التغير في سبب تشوَاب تداخله في الخليط الفولاذي للنصل، والتي تدرس كمياته بنقه كالكربون والمغنيسيوم والسيليكون والكبريت والفوسفور وبعض المواد العضوية، أو إلى اختلاف في الطرق الحرارية من إسقاء وإحماء وتبطين وتحكم في درجات حرارة كل منها<sup>(٣)</sup>، ويخالف الجوهر تمتاز صفحات النصل بأشتمالها على: (١) شطوب أو قنوات تحفر في متونها وفانديتها أن تجعل الخنجر أكثر ليونة (٢) حد الخنجر أو حرفه، وهو جزء النصل القاطع، وما بين حد الخنجر الجزء البارز في وسط نصله شفرتا الخنجر أو حرفاه المرتفعان، ثم للمضرب وهو حد الخنجر أو الموضع الذي يطعن به (٣) السنك وهو طرف نصل الخنجر.

وعلى هذا الأساس يمكن إجمال مكونات الخنجر في جزائين رئيسيين هما: المقبض والنصل، ولكل منهما عناصر مهمة لا يكاد خنجر يخلو من معظمها، وبذلك فإن الخنجر أشبه في تكوينه بالسيف، فهو صورة مصغرة له.

## أقسام الخناجر:

يكون للخنجر في العادة قراب أو أظفان أو أعواد Scabards تحفظ فيها، يطلق عليها ابن حيان الغلاف<sup>(١)</sup> وهي عبارة عن جراب من الخشب، في الغالب، مغطى بالحرير أو القطنية أو الجلد أو المعدن، ويعرف الجزء الذي يلبس منها في قاتم الخنجر باسم السفن، وهي جلده مصنوعة بشكل جيد، زويتنا بعض المصادر بأوصاف تتم عن نوعها مثل: غمد سفن<sup>(٢)</sup> وسفن حوت بنصل<sup>(٣)</sup> وفي نهاية أعواد الخناجر من أسفل: جلدة مفرغة مزينة تنتهي عادة بحديدة

منسبه فيها يطلق عليها التعل<sup>(١٧)</sup> ويطلق القصد من الداخل أحيانا بجلود تعرف بالحلل، ويرصع من الخارج بحلي مستديرة على شكل حلقات أو شرائيب من المواد النسيجية، كالقطن أو الكتان أو الحرير، التي كانت تستخدم في تزيين الأسلحة وأدوات الخيل<sup>(١٨)</sup>.

**الخناجير الأندلسية:**

وإذا كان المؤرخون قد أشادوا بمهارة الأندلسيين في صناعة كل أدوات الحرب، كما سبق الإشارة، حتى قيل عنهم بأنهم تركبون في معاتاء الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها<sup>(١٩)</sup> كما أسهبوا في وصف أنواعها وأشكالها، فيما عدا الخناجر، فمن الطبيعي أن يكون لأهل الأندلس نفس المهارة في مجال صناعة وزخرفة الخناجر التي تنوعت تنوعاً كبيراً، وأوليت مقايضها ونصولها وأعمادها عناية شديدة، ويبرهن على ذلك مصدران: الأول تاريخي والثاني مادي، أما التاريخي فهو وصف وحيد نادر، للمؤرخ القرطبي ابن حيان لمحتويات الهدية التي بعث بها الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى عامله على المغرب أبي موسى بن العافية وكان من بينها أربعة خناجر، وذلك بقوله (وكان في هذه الهدية من غرائب السلاح أربعة بنود بئد رابع أحمر مكتوب بالفضة في جوانبه الثلاث كتاب عريض وفيها سيقان وهلالان مذهبان منوقان وأربعة قرون للضرب (أي خناجر) جاموسية مجزعة الأطراف الضيقة غلافها ديباج وعقلها أديم أحمر ولكل واحد منهما أربع حلقات فضة للعلاق حليه، أحدهما فضة مذهبة ملوزة بلوز أبيض بصنفتين مذهبتين مشمع الطرف الاضيق فيه أربع حلقات فضة وحليه الثاني فضة بصور وحليه الثالث فضة منقشة مشعمة وحليه الرابع فضة مذهبة منقشة مشجرة<sup>(٢٠)</sup>).

ويؤكد المقرئ أيضاً على: أن تلك الخناجر كانت مما يهادى بها من قبل كبار رجال الدولة للخليفة، كتعبير عن ولائهم وطاعتهم، حيث أشار إلى أن الحاحب أبا جعفر المصحفي بعث منها إلى الخليفة الحكم المستنصر خمسة وعشرين قرناً مذهبة من قروون الجاموس<sup>(٢١)</sup>.

ويعتبر عصر الموحدين العصر الذهبي لصناعة الخناجر الحربية، حيث أشار البيهقي إلى أنها كانت من الأسلحة التي استعملها الجيش في عصر الموحدين<sup>(٢٢)</sup>، وإذا كنا نأسف على إختفاء كل هذه الخناجر، والتي وردت بعض الإشارات عنها في المصادر التاريخية، ولم يصل إلينا منها أي أثر مادي، فإن ما نقله ابن حيان عنها هو أصدى صورة وضعت عنها، فبفضل هذا الوصف الدقيق نستطيع أن نتصور ما كانت عليه - صناعة الخناجر الأندلسية وزخارفها من روعة وجمال، منذ عصر الدولة الأموية، لاسيما وأن هذا الوصف لمؤرخ معاصر، ولذلك فقد جاء شاملاً دقيقاً، يسهل من خلاله التعرف على بعض الأنماط الزخرفية للخناجر ووسائل تنفيذها. فالوصف يكاد ينطق بكل التفاصيل الزخرفية التي كانت تكسو مكونات تلك الخناجر، حيث يذكر أن أطرافها (أي الموضع الذي يطعن به) كانت محزوزة بحزور بارزة مجزعة، وأن أعصاها أو أغلافها كانت مكسوة بأجود أنواع الديباج والحرير، ومحلاة بدلايات على شكل حلقات مصنوعة من مواد ثمنية من الفضة الخالصة والفضة المذهبة المرصعة بالأحجار الكريمة، والمنقوشة بالتوريفات الثباتية وصور الكائنات الحية.

كما تستنتج، من الوصف نفسه، أن الصناع الذين اهتموا أجزاء تلك الخناجر قد صنعوا لها علاقات من القضة؛ لتحمل منها عن طريق أشراطه من قبائل الحزير القرمزي.

وبخلاف ما ذكره ابن حيان والمقرئ عن الخناجر، في عصر الدولة الأموية، تصمت المصادر العربية عن ذكر شيء آخر يتعلق بها، سواء في عصر الدولة الأموية أو ما تلاه من عصور، ويزيد الأمر غموضاً أننا لا نجد رسوماً لها في المخطوطات والرسوم الجدارية، أو على الفنون التطبيقية الأندلسية، ولكن النماذج التي وصلت إلينا منها، برغم قلتها، تكفي لإعطاء صورة واضحة لما كانت عليه مكونات وأشكال الخناجر، سواء في عصر الدولة الأموية، أو ما تلاه من عصور.

والنماذج التي وصلت إلينا من الخناجر الأندلسية يبلغ عددها ستة خناجر، كلها محفوظة في متاحف إسبانيا التي قمت بزيارتها، وفي تتبعي لتلك المجموعة ودراستي الشخصية لها في أماكن حفظها؛ لاحظت أنها تنتمي إلى فترات زمنية مختلفة، تبدأ بعصر الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر.

### أولاً نماذج الخناجر الخزفية بالفنرة من عصر الخلافة وحتى نهاية عصر المرابطين

لم يصل إلينا من خناجر هذه الفترة سوى نموذجين.

#### (١) النموذج الأول (لوحة ١)

عبارة عن خنجر نصله مصنوع من البرونز عثر عليه بمدينة أنبيرة، محفوظ في المتحف الأثري بغرناطة تحت رقم ٨٢٧، ومؤرخ بأواخر القرن ١٤هـ / ١٠م وبداية القرن ١٥هـ / ١١م، ولهذا الخنجر مقبض طوله ١٠ سم يتكون من وافية قوامها قطعة من البرونز مستطيلة المقطع مسطحة الجوانب، يتصل بها رأسها عن طريق اللحم فضيب (رئاسة الخنجر أو قائمة) ملفوف إسطوانى المقطع، ويتوسط بدن هذا القضيبي، أو القائم، اتعاج مخروطي يعمل محورا مركزيا لموضع قبضة اليد (مقبض كف الضارب) وينتهي هذا القائم، أو القضيبي، بقبضة تتميز ببساطة تشكيلها الفنى، فهي تتكون من لوح برونزى مصبوب، جوانبه ملفوفة بحيث تشكل مخروطاً مقطوعاً.

وتخلو جميع أجزاء هذا المقبض من أى زخارف، باستثناء القضيبي الذى وصل بين القبضة والوافية، فقد ازدان بدنه بزخارف هندسية بسيطة، عبارة عن الحاف دائرية منقذة بأسلوب الحز، الذى يعد أقدم طرق زخرفة المعادن الأندلسية وأكثرها انتشاراً في الفترة المنسوب إليها بقايا هذا الخنجر<sup>(١٣)</sup>.

#### (٢) النموذج الثانى (لوحة ٢)

خنجر عثر عليه بمدينة غرناطة وحفظ في متحفها الأثري، تحت رقم ٨٢٨، طول نصله ٢٥ سم، وطول مقبضه ١٢ سم، ويبلغ طول هذا الخنجر بما في ذلك مقبضه، ٣٧ سم ويتألف من نصل ومقبض، والنصل مستقيم طوله ٢٥ سم مصنوع من الفولاذ، له شفرتان، وينتهى بطرف مدبب (سنبك) مستقيم البدن.

أما المقبض فمصنوع من البرونز، ويتصل في قالب واحد بالتصل، عن طريق وإقنته المحزوزة بلفائف دائرية متراكبة منسأة، مركب عليها قبضته المشككة في هيئة كالن حى أشبه ببطنون رؤوسهما مستديرة، وأبدانها التى تمثل مقبض كف الضارب (موضع قبضته اليد) مضغوطة فى شكل كروى متبجح الجوانب، والتى تسمى (قله) ويخلو مقبض ونصل هذا الخنجر من أية زخارف، مما يشير إلى أنه كان من نوع الخناجر الحربية التى شاع استخدامها فى عصر الموحدين، كما سبق الإشارة.

ويؤرخ المتحف هذا النموذج بالقرن ٥-٦/١١-١٢م، أى أواخر عصر الطوائف وبداية العصر المغربى الأندلسى (عصر دولتى المرابطين والموحدين).  
**ثانياً: نماذج الخناجر المؤرخة فى الفترة من عصر الموحدين وبداية عصر بنى نصر :**

ما وصل إلينا من خناجر هذه الفترة نموذج (لوحة ٣).  
 وقد عثر عليه بمدينة إشبيلية، ومحموط حالياً فى المتحف الوطنى بمدريد، تحت رقم ٨٤/٤٦٠، ويؤرخه المتحف بالقرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، أى أنه يرجع إلى نهاية عصر الموحدين، وبداية عصر بنى نصر.

ويتسم الخنجر بجلال الشكل وجمال النسب، ويعبر عن مرحلة من مراحل التطور التى مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية، حيث حدثت عليه بعض التعديلات التى أفقدته بساطة الخناجر السابقة عليه - ويلاحظ هذا التطور فى شكل النصل والمقبض بأجزائه المختلفة .  
 فبالنسبة للنصل نلاحظ أنه طويل ومستقيم، ينتهى بسنك عبارة عن طرف شديد التدبيب، ويتحول قبل هذا الطرف إلى نصل ذو حدين عليه شطبة واحدة كما يلاحظ أيضاً بأن هذا النصل يتضخم إلى حد ما فى أعلا، لاسيما عند ما يُعرف بسنن الخنجر الذى يدخل فى القانم. ثم يعمل من الخنجر وجانباه (حصىرتيه) إلى التحافة وحتى حدية، ليتحول عد طرفه المدبب (المنبك) إلى ما يشبه رأس الإبرة، وهذه الخصائص تجعل هذا الخنجر سلاحاً جيداً للقطع والطعن معاً.

أما المقبض فبرغم أن الصانع قد شكله مع النصل فى قالب واحد، على غرار النماذج السابقة إلا أن الجديد الذى نلاحظه هنا هو التطور الذى طرأ على حجم المقبض ككل، إذ زاد طوله زيادة ملحوظة، مع العناية بتجزئة عناصره، فالواقية صبت مع نهاية النصل، وتشكلت من بدن أسطوانى يتصل به فى قطعة واحدة رقبة نافوسية، بحيث اتخذت الواقية فى مجموعها شكل زهرية، ولى الواقية موضع قبضة اليد (مقبض كف اليد) التى تتجه رأسياً بحيث تصل بين الواقية والقبضة، وقد عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض على نحو رائع، ففى كل من طرفيه بدن كروى مركب فيه رقبة نافوسية، بحيث يتخذ كل منهما شكل قلعة، إحداهما مقبوضة والأخرى معدولة يصل بينهما إطار رقيق يتألف من قرصين دائريين، بينهما قرص أوسط مستم، بحيث تظهر فى مجموعها على شكل هبات المسبحة التى تزين محاور رؤوس التيجان.

أما عن قبضة هذا الخنجر، التى تعد من العناصر الهامة فى تكوين مقابض الخناجر، فقد اهتم بها الفنانون الأندلسيون، وحرصوا على تنويع أشكالها، إذ ما لبثت أن تطورت هنا واتخذت طابعاً أو طرازاً له ذاتيته، منذ القرن ٧-٨هـ/١٣-١٤م، إلى أن بلغ غاية التطور فى

عصر بنى نصر، فمما بلغت النظر فى طراز هذه القبعة أنها تشكلت من قطعة مستطولة أرضيتها مجوفة وجوانبها القصيرة مقصوفة فى شكل أذان ريع دائرية نوات أطراف مدببة.

ويطلق على هذا الطراز من الخناجر نوات القبيعات المشككة على هذا النحو فى المصطلح الإنسانى: اسم ( punales de orejas ) بمعنى الخناجر نوات الأذان<sup>(٧٤)</sup>.

وهذا الطراز من الخناجر سوف يتابع انتشاره فيما بعد عصرالموحدين فى الأندلس، ومنذ بداية عصر بنى نصر إلى نهاية هذا العصر وبداية القرن ١٠-١١هـ/ ١٥-١٦م، ولكن بشكل أكثر تطوراً، بحيث يمثل آخر مراحل التطور التى مرت بها صناعة الخناجر الأندلسية ذات الأذان التى بدأ يظهر الطابع الزخرفى فى تشكيل مقابضها وتقسيم أهدائها بدقة بالغة، ثم اتجهت فى تطورها نحو مزيد من الزخرفة بحيث غلبت فكرة الحنية على فكرة التسيط، وهذا ما سوف نلمسه فى بقية الأمثلة الإسلامية والمسيحية التى صنعت على غرارها، حيث تحول شكل أذان القبعة إلى قرصين أسطوانيين منفرجين متقاربين من أسفل ومتباعدين من أعلى<sup>(٧٥)</sup>.

وقد أكدت المدونات المسيحية على أن الخناجر التى صنعت على هذا الطراز، خلال هذه الفترة الطويلة فى الأندلس، تندرج فى ثلاث مجموعات أولها وأقدمها يرجع إلى عصر بنى نصر، أما المجموعة الثانية والثالثة فقد اتفقت الأراء على أنها صنعت فى العصر المسيحى، ولكنها اختلفت بشأن مكان صناعتها فى إسبانيا المسيحية، أم فى مدينة فيرنسيا الإيطالية (الوحدة ٨-٩-١٠)<sup>(٧٦)</sup>.

### ثالثاً نماذج الخناجر الأندلسية المؤرخة منذ بداية عصر بنى نصر وحتى نهايته:

تضم هذه المجموعة ثلاثة خناجر (الوحدة ٤، ٥، ٦، ٧) كانت قد غنمتها الجيوش المسيحية من السلطان أبى عبد الله فى موقعه التيسات، واثنان من تلك الخناجر كانت بحوزة الكونتيسة باجيا Condasa de Behague أحدهما كان محفوظاً فى أكاديمية السلاح الملكى بمدريد، ثم نقل إلى متحف المتروبوليتان فى نيويورك، والثالث محفوظ فى متحف بنيمية دى دون خوان.. أما الثالث فمحفوظ حالياً بالقصر الملكى فى مدريد.

#### الخناجران الأول والثانى من تلك المجموعة :

تضم هذه المجموعة خنجرين متشابهين إلى حد التطابق (الوحدة ٤، ٥) فكلهما مصنوع من الفولاذ المذهب؛ الذى اصطلح على تسميته، فى المصادر العربية الأندلسية، بإسم طلاء الذهب الإبريز أو المذهب<sup>(٧٧)</sup>. وفيه يتم تذهيب السطح المعدنى بعد عملية التشكيل مباشرة. وقبل نقش الزخارف عليه، ومن شأن هذا الأسلوب أن يحدث تناوباً لونياً بين اللون الذهبى لسطح التحفه وبين الزخارف المحفورة على المعدن الأصلى، فضلاً عن إكسابها لونا برافاً وحماية التحفه من الصدأ وينفذ هذا الأسلوب بطرق ثلاثة هى:

(١) عمل رقائيق من معدن الذهب تثبت على المعدن الأصلى، إما بالطرق أو اللصق بمادة لاصقه مثل الصمغ أو الغراء.

(٢) طريقة التذهيب بواسطة النار أو الحرق.

(٣) طريقة التذهيب بدعك أوحك السطح المعدنى للتحفة بنوع من الأحجار يعرف بحجر الشاديه أو حجر الطلق<sup>(٧٨)</sup> اشتهرت به مدينة قرطبة كما سبق الإشارة بحيث يكسب التحفة لونا ذهبيا طبيعيا<sup>(٧٩)</sup>.

### أجزاء الخنجرين

يتكون كل منهما من نصل قصير ومتن ضيق، وهما من النوع المستقيم ذى الحدين، ويتميز صفيحتا النصل باشتمالهما على شطبة واحدة ممتدة بطول النصل، وتبرز عن أرضيته في إنحناء مقعر. بحيث تكون ما يعرف بالعير، أى الجزء الناشز في وسط نصل الخنجر أو السيف وعيريه، أى حرفاه المرتفعان، وقد ترتب على ذلك أن ظهر النصل كما لو كان هيكلا مكونا من أوتار أو ضلوع بارزة، تقوم على أرضيته المسطحة فى أعلاها والمستدقة أنهارها، على نحو يذكر ببعض اتصال سيوف عصر بنى نصر ذات الشطبة الواحدة<sup>(٨٠)</sup>.

وينتهى النصل بكل من الخنجرين بمنك عبارة عن طرف مذهب شديد التحجب، أما المقبض فواقفته مليسه فى أعلى النصل؛ عند الجزء الذى يعرف بالسيلان الذى يدخل فى القائم والنصل، وقد شكلت من إطار مجوف مضلع السطح فى تموج نصف دائرى يتوسطه حليه دقيقة تمتد فى أعلاه وأسفله، بحيث تبدو فى شكل ذراع ينتهى بكف، ومثل هذه الحلية شاع ظهورها على بعض واجهات العمار فى عصر بنى نصر<sup>(٨١)</sup> وهى بمثابة تصالم أو تعاليد أو شارات سحرية لها دلالات رمزية، ربما كان الغرض منها تحصين الخنجر من الحسد والسوء أو الضياع، ولكن تؤدى عملها فى يد صاحبها على خير وجه، وقد ظهرت مثل هذه الشارات أو التصاميم فى الأندلس منذ عصر دولة المرابطين والموحدين<sup>(٨٢)</sup>.

ولهذه الواقعة قرص أسطوانى مجوف مصبوب مع موضع قبضة اليد، بحيث يدور مع حركة معظم اليد أثناء الطعن، ويتألف مقبض كف الضارب من ألواح معدنية، عبارة عن لوحين رأسيين يجمعهما لوح أوسط يملأ الفراغ الواقع بينهما. بحيث تظهر الألواح الثلاثة كقطعة واحدة مثبته بواسطة مسامير صغيرة بالغة الدقة يطلق عليها (القنبر) أى رؤوس المسامير التى فى قبضة الخنجر. ومن الواضح أن تلك المسامير، المستخدمة كوسيلة تثبيت وتقوية، قد أضيفت إلى بدن المقبض بعد عملية تجميعه وصبه.

ويتوج قمة كل طرف من أطراف اللوحين الرأسيين، فى كلا النموذجين، قرص دائرى أرضيته مقعرة شكلية، بحيث يظهران معا فى شكل أذنان يرتفعان بشكل ملحوظ عن ساق قبضة اليد. يتقاربان من أدنى ويتباعدان من أعلى فى إنفراج واضح، بحيث يمثلان قبضة الخنجر، ويصيران عن طراز الخناجر ذات الأذان punales de orejas. أما عن زخارف هذين الخنجرين، فقد تركزت فى أجزاء المقبض دون النصل، حيث تظهر فى اللوح الأوسط من موضع قبضة اليد، وعلى جوانب الواقعة وفى الأوجة الداخلية لأذان القبضة، وكلها منفذة بأسلوب الحفر القائل على أرضيه مطروقة<sup>(٨٣)</sup> برقائى من الذهب تم صهرها على السطح الفولاذى عن طريق التسخين إذ تظهر آثار هذه الطريقة الفنية فى الأجزاء البالية من المقبض.

وتتكون للزخارف من توريقات نباتية قوامها أزهار خماسية البتلات، محصورة داخل سيقان ملفوفة، فضلا عن تصاميم هندسية تبدو فى شكل صلبان محزوزو، وأخرى فى شكل

حرف T ، ويتخلل كل هذه الزخارف الموزعة في الأوجة الداخلية لأذن القبة وموضع قبضة اليد وفي الإطار المصنوع للواقية - شعار بني نصر الكتابي (لا غالب إلا الله تعالى) وتتميز كل هذه الزخارف بشدة تقصيرها وتداخل خطوطها، بحيث يصعب على غير المدقق تمييز أبعادها الحقيقية خاصة وقد تداخل معها أسلوب التذهيب الذي جعل من المتعذر أحيانا تمييز العنصر المحفور من المذهب، وتلك سمة من سمات زخارف المعادن في عصر بني نصر..

#### الشنجر الثالث من المجموعة:

أما عن الشنجر الثالث من مجموعة الشناجر التصرية ذوات الأذان، فهو أروع الشناجر الأندلسية التي وصلت إلينا، وأفضلها احتفاظاً بمظهرها الأصلي، إذ كان بحوزة حاكم مدينة قرطبة دون ديجوا فرنانديث Don dego Fernandez الذي غنمه في موقعه اللبسانه، عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، من جيش السلطان أبي عبيد الله، ثم أهداه إلى القديس Viana ، ومنه انتقل إلى قاعة السلاح في متحف القصر الملكي بمadrid، حيث حفظ في المتحف المذكور تحت رقم G ٣٦١ (لوحة ٦).

ويبلغ طول هذا الشنجر، بما في ذلك مقبضه، ٣٥ سم ولا يزال هذا الشنجر محتفظا بجريته أو غمده الذي يبلغ طوله ٢٥.١ سم (لوحة ٦) ويرغم وجود أوجه شبه وثيقة بين هذا الشنجر والشنجرين السابقين، سواء من حيث نوع المعدن المصنوع منه وهو الفولاذ المذهب، أو من حيث تكوينه العام، إلا أنه قد تميز **عنهما بعدة خصائص فنية** تمثل أقصى ما وصلت إليه صناعة الشناجر، في عصر بني نصر، من تطور ويرد هذا التطور وضوحاً في شكل المقبض المصنوع من الفولاذ المكسو بالخشب المطعم بالعاج، وقد تم تثبيت الخشب على الفولاذ بواسطة مسامير من البرونز، بطريقة التجميع أو التركيب<sup>(١١)</sup>.

وتختلف مكونات هذا المقبض جوهرياً عن النموذجين السابقين، ليس فقط من حيث تعدد مادة صناعته، ولكن أيضاً من حيث أسلوب التشكيل؛ برغم احتفاظ قمته أو قبيعه بشكل الأذنين، فقد رتبته أجزائه بحيث تمتد امتداداً رأسياً، روعي فيه عنصر العتانة والجمال من ناحية، والتقليل من مكونات كل جزء من أجزاء المقبض، من ناحية أخرى.

فالواقية تتكون من قطعة واحدة في شكل مخروط هرمي قاعدته أسطوانية، ويدنه مسحوب في الحناء مقرر نحو الدخول، بحيث تتخذ الواقية في مجموعها شكلاً يقرنها من شكل الكأس أو الناقوس.

وينتصف قبة القاعدة الأسطوانية للواقية موضع قبضة اليد، التي تشبه إلى حد كبير نظائرها في النموذجين السابقين، وإن تميزت عنهما بشدة استطالتها ويدنها الانسيابي الممشوق مضلع الجوانب مسطح الأوجه، مع ملاحظة شدة تقلصه عند منتصفه، وهو ما يمثل تطوراً في شكل ساق موضع قبضة اليد، التي يشبه طرفها العلوي عناق المزهرية الفخارية الخزفية التي ترجع إلى عصر بني نصر.

أما عن قبيعة هذا المقبض، فبرغم أنها تحاكي من حيث الشكل نظائرها السابقة، إلا أن الأذنين قد انتصبا في وضع رأسي منتظم، بتوسطه فراغ ضيق، بحيث يتخذان صورة جديدة تختلف عن صورتها المنفرجة في أذان النموذجين السابقين. ومن شأن هذا التكوين أن يتيح

عنصر المعتاة والثبات، وهو اتجاه التزم به الصالح في تشكيل كل أجزاء المقبض المصنوع لأول مرة بطريقة التجميع من العاج والفولاذ والخشب.

#### زخارف المقبض لوجه (٧)

أما عن زخارف هذا المقبض فقد تطورت، فبعد أن كانت في الأمثلة السابقة بسيطة أخذت هنا تتعدّد وتمثّل بها جميع أجزاءه، فهي ذات طابع ملكي تستجيب إستجابة واضحة لما كانت عليه زخارف عصر بني نصر، التي تميزت بتعدد عناصرها وتداخلها فيما بينها، سعياً لشغل الفراغات العارية، فبرغم أن الزخارف النباتية تحتل مكان الصدارة في زخرفة أجزاء هذا المقبض، إلا أنها تنوعت فيما بينها، حيث عمد الفنان إلى تقسيم مسطحات أوجه المقبض إلى أسرطة أو حشوات، زينها بتشكيلات زخرفية متنوعة، على نحو يثير الإعجاب، بكل جزء من أجزاء المقبض.

#### زخارف الواجهة (الوجه ٧)

إزدان وجهها بدنها المقر بزخارف نباتية محورة، قوامها زهرتان مترابطتان في تدابير أشبه بزهري لوتس تتبثقان من برعم دائري، ويبدو الطابع التجريدي واضحاً في شكل البتلات التي تحولت في الزهرة السفلى إلى بتلات رمحية مدببة. ويظهر في الفراغ الذي يحوط البرعم الدائري رؤوس المسامير البرونزية، المستخدمة في تثبيت الخشب على البدن القولاوي للمقبض.

أما عن الوجه السفلى للفرص الأسطواني الذي يحوط الواجهة، فيزدان بسبقان نباتية مزدوجة، تنتهي برؤوس مدببة وخطافية، تمتد في خطوط منكسرة ومتوجة، بحيث تثبت مدى البراعة الخالقة في الاستعانة بالساق كنصير أساسي في الزخرفة النباتية، دون أن ينبثق منها أية توريقات أو أزهار نباتية.

#### زخارف موضع قبضة اليد لوجه ٧

أما الجزء الثاني من المقبض، وهو موضع قبضة اليد، فتعتمد زخارفه على حشوات متنوعة موزعة حتى نهايته، وتضم تلك الحشوات وحدات من عناصر نباتية قوامها توريقات تنبثق من فروع متوجة، وثمار وأزهار تملأ ما يتخلف من فراغات، ومن هذه التشكيلات النباتية تبرز الساق المحورية الممثلة لشجرة الحياة، ومنها تخرج فروع ملتفة متداخلة، راعي الفنان فيها تطبيق التماثل في توزيعها، مما جعلها تبدو كما لو كانت متكررة، وهي في حقيقتها متباينة حيث عمد الفنان إلى تقسيم هذا الجزء من المقبض إلى قطاعين متباينين: العلوي إزدان بأزهار لوتس ثلاثية الشحومات، تدل في رسمها على التطور الذي طرأ عليها في عصر بني نصر<sup>(٨٥)</sup> ومن أبرز ملامح هذا التطور، الذي يبعدها عن أصولها المصرية القديمة استطالة الشحمة الثالثة العلوية وتحويلها أحياناً إلى شحمة رمحية محدبة الرأس، بالغ الفنان في شدة إتلافها، واتسمت حركاتها بالرشاقة، بحيث تعانقت أحياناً رؤوس زهرتين معاً، على نحو يذكر بمشكلاتها في زخارف المنسوجات النصرية، والحشوات الجصية بقصور الحمراء.

وتثبت تلك الأزهار من ساق نباتية ملفوفة، تخرج من ساق محورية تذكر بشجرة الحياة، تتوزع على جانبيها أزهار اللوتس متقابلة، تطبيقاً لنظرية التناسق والتماثل التي التزم بها الفنان المسلم في رسم شجرة الحياة المنقولة عن الفن الساساني والروماني والبيزنطي<sup>(٨٦)</sup>.

أما القطاع السفلي من المقيض، فمقسم إلى ست حشوات، ثلاثة بكل وجه، تزدان الحشوات الجانبيتان بزخارف نباتية قوامها أنصاف مراوح نخيلية، تتألف من فصين يمتد أحدهما في إستطالة واضحة عن الآخر، يتوسطها برعم مركزي يظهر أحياناً، ويختفي أحياناً أخرى، وينبت الفصان من ساق نحيفة متموجة، تتصل ببراعم دقيقة، وتمثل هذه الصورة أقصى ما بلغته أنصاف المراوح النخيلية في الفنون النصرية من تطور، حيث صغرت أحجامها واشتكت فصوصها نحافة بحيث تثير بشكلها الذي أصبحت عليه وكأنها سنابل قمع، أو أجنحة طيور صغيرة تثير إعجاب الناظر المتأمل في تكوينها.

أما عن الحشوة الوسطى من هذا القطاع، فيتوجها محارة نباتية مفصصة تتخذ شكل مروحة رشيقاً أسطوالياً تقريباً على نحو تدريجي، ينتج من تدرجها شكل يشبه شعاع الشمس، وتقوم هذه المحارة على إطار من عناصر هندسية توالف في مجموعها خطوط معقوفة، منها ما نفذ على شكل حرفي L أو حرف S أو رقم 8.

#### زخارف القبيعة (لوحة ٧)

تعتمد أيضاً في زخارفها على العناصر النباتية كموضوع رئيسي، وتتألف هذه العناصر من أوراق غيب خماسية البتلات<sup>(٨٧)</sup> تثبت من سيقان مستقيمة منقوفة تشبه تعاريف الخشب هذا بالإضافة إلى أشكال من أوراق الاكنش<sup>(٨٨)</sup> التي تنوعت أشكالها واتخذت صورتين: الأولى تميزت بانتشارها، بحيث أصبحت تشبه المراوح النخيلية، والثانية تألفت من ثلاث شحمات<sup>(٨٩)</sup>. وقد تم توزيع الموضوع النباتي في نماذج، على جانبي القبيعة، بحيث يلتقي الجانبان من أعلى عند ثمرة أباتام، ويتوسط الموضوع النباتي تشكيل هندسي قوامه دائرة تحصر بداخلها خطوطاً مجدولة، وتنتهي الدائرة من أعلى بخطوط مزدوجة معقودة الطرف، تحصر بداخلها ثمرة الأباتام سائفة الذكر.

#### النصل:

نصل هذا الخنجر مصنوع من الفولاذ المذهب، يبلغ طوله ١٩ سم، وهو نصل عريض مستقيم يتميز باستطالته وإتقانه برأس مقلطه تشبه قط قلم البوص، حين يقطع رأسه غرضاً في برمه، بحيث يتحول قبل نهايته إلى نصل ذي حدين.

ويعد هذا النصل فريداً من نوعه بين أنصال الخناجر الأتلمسية التي وصلت إلينا حيث طرأ تطور واضح في شكله وزخرفته، وإمتاز بجماله وبقية تنفيذ عناصره، مع إبرازها في صورة جديدة تختلف عن نظائرها السابقة، وقد تمثل ذلك فيما يلي:

(١) يشتمل النصل على شطبتين: واحدة عريضة على شكل قناة عميقة شديدة الانحدار تمتد من أعلى النصل حتى بداية الثلث الأخير منه والشطبة الثانية عريضة عميقة ولكنها قصيرة، تمتد في ميلان النصل، أي سطحه الذي يدخل في الواقية، لمسافة لا تتجاوز ٣ سم، وقد نتج عن ذلك وجود خطوط رفيعة مذهبه ومفصصة، كونت ضلعاً أو أوتاراً متقاربة تبرز بروزاً طفيفاً، عكس نظائرها في النموذجين السابقين.

(٢) تحمل صفحتا النصل خطوطاً دقيقة متباعدة في موجات هندسية، بحيث ترسم شكلاً أشبه بعمود مفصصة، تحصر بينها بقعاً مختلفة الأشكال والأوضاع، ألوانها رمادية تميل إلى اللون الأبيض الفاتح، تؤلف في مجموعها جوهر النصل الذي تشكل من خطوط ناعمة على شكل النسوج، على نحو يذكر بشكل الجوهر الدمشقي الذي شاع ظهوره على اتصال السيوف الإسلامية<sup>(٨١)</sup>.

### زخارف النصل :

الجديد الذي تلحظة هنا: أن الفنان على غير المؤلف في أمثله الخناجر الأندلسية؛ إهتم بزخرفة نصل هذا الخنجر، بحيث يكاد يكون الوحيد، بين الأنصال الأندلسية، الذي يتميز بأن صفحته منقوشة بزخارف تجمع بين الانسجام والتنوع، ما بين عناصر نباتية وهندسية وكتابتية، حيث حفر على سطحه الفولاذي المذهب أزهار لوتس محصورة داخل أشرفه دقيقة، يطوها ويدونها نص كتابي يخط الثلث الأندلسي<sup>(٨٢)</sup> بصعب قرأته ونطالع في هذا النص الذي يملأ صفحات النصل عبارات مديح وإطراء متكررة، نصها (السلامة - العز القالم - السعد القالم - العز القالم - السعد الدائم - السلامة) مع توقيع صانعه ويدعى (رضوان).

وبالتدقيق في حروف هذا النص نلاحظ أنها تنسم بقصرها وامتدادها في زوايا حادة يابسه، على نحو يقرئها من حروف الخط الكوفي البسيط، بحيث تحاكي على هذا النحو نظائرها على سيف أندلسي، محفوظ في المتحف **الحربي بمadrid**، ينسب إلى السلطان **أبى عبيدة**<sup>(٨٣)</sup>.

### الجراب (الجفن الغمد - الخراب)

لهذا الخنجر جراب طوله ٢٥.١ سم، مصنوع من الخشب المصفتح بأسلاك من البرونز ومغطى بالجلد، وقد عمد الصانع إلى تقوية الجراب وتحليلته بقطعتين: الأولى من أعلاه عند الجزء الذي يلبس منه في قادم الخنجر، المعروف باسم السفن، بريقة عبارة عن إطار مجوف يتخذ شكلاً مخروطياً منتظماً بدنه، مصنوع من الخشب المبطن من الداخل بالجلد، فيما يعرف بإسم الحنل والمصفتح من الخارج بالفولاذ المكفت بالفضة، زخارفه عبارة عن حلقات دائرية موزعة بالتناوب على مسافات منتظمة، واحدة تضم شعار بنى نصر الكتابي (لا غالب إلا الله) والأخرى تملؤها زهرة زنبق.

أما القطعة الثانية فملبسه في نهاية الجراب من أسفل، وهي عبارة عن جلدة مفرغة تعرف بالعزيقة، تأخذ نفس شكل نهاية النصل، مصفحة بالفولاذ ومكفتة بالفضة، في شكل فصوص مترابكة تشبه حبات اللؤلؤ، ويشغل ما بين الفصوص ويتصل بها أسلاك مجدولة من البرونز المذهب تحصر بينها زخارف نباتية وهندسية، يلقب عليها الطابع التجريدي، تدور في جميع الاتجاهات، بحيث لا تترك فراغاً دون أن تملأه، ويتعز على غير المدقق تمييز شكلها الحقيقي.

ويستللف النظر، في زخارف هذا الجزء من الجراب، وجود سلكه ملفوفة من البرونز في شكل دبلة، بداخلها صورة كائن حي ذات طابع تجريدي أشبه بشكل النسر .

أما عن بدن الجراب المرئي، المحصور ما بين رقبة وعزيقته والمصنوع من الخشب المكسو بالجلد، فقد ازدان بتوريقات نباتية محورة، قوامها أزهار زنبق وأنصاف مراوح نخيلية

متراكبة، في أوضاع متقابلة ومتدايرة، موزعة داخل أشرطة رأسية عريضة تتناوب مع أخرى ضيقة، زخارفها هندسية، قوامها أشرطة مجدولة.

ولهذا الجراب علاقة من حبل مفتول من خيوط الكتان<sup>(١٢)</sup> يتدلى منه شرابة من خيوط الحرير<sup>(١٣)</sup> تشبه نوابه الطربوش، ويبدو الشكل العام لهذه العلاقة على نحو يفرها من شكل الفرنشة في الستائر الحديثة.

#### بعض مستلزمات الخناجر الأندلسية (لوحه ١١-١٢)

إذا كان الخنجر يعد أحياناً للقتال، فهناك عدة أنواع أخرى من الخناجر استخدمت ولا زالت تستخدم، لأغراض أخرى غير القتال، منها خناجر الزينة التي كانت من مستلزمات المظهر الخارجي في المجتمعات الإسلامية، ففضلاً عن كونها سلاحاً شخصياً، فهي حلية خاصة بالرجال تعبر عن شخصية حاملها ومكانته، من خلال مقابضها وأغمارها المصنوعة من مواد ثمينة.

واستكمالاً للمظهر الخارجي، لمن يحمل هذا النوع من الخناجر، أعدت لها حمائل عبارة عن أحزمة تدور حول الوسط أو الأكتاف، يعلق فيها معاليق عبارة عن جعب في شكل حقايب من الجلد المطعم بخيوط الفضة والذهب، إذ كان الخنجر نشخصه كبيرة، وكانت هذه الحقايب تستخدم في أغراض أخرى غير حمل الخنجر، منها حفظ المستلزمات الشخصية بصاحب الخنجر ومنها المصحف والقدس، وتميزت أحزمة تلك الخناجر، أو بالأحرى حقايبها، باشتغالها على إبريمات معدنية غالباً ما تكون من الحديد المذهب.

وفي رأى أحد مؤرخي الفن: أن الصناع الاندلسيين قد تفننوا في صناعة مثل هذه الأحزمة ومعاليقها، في نهاية عصر بني نصر، أي منذ أواخر القرن ١٥هـ/١٥م<sup>(١٤)</sup>. ولأسف أن نماذج هذا النوع من الأحزمة ومعاليقها قد ضاعت نهب الفتن والحروب التي سقطت على أثارها مملكة غرناطة، آخر معاقل دولة الإسلام في الأندلس ولم يبق شاهداً عليها سوى حزام من عصر بني نصر محفوظ في المتحف الحربي بالقصر الملكي بمadrid، وهو مصنوع من الجلد، طوله ١٠.٤ سم، تزيينه أسلاك من الفضة موزعة في صفوف أفقية منقوطة متوازية، وعليه كتابة نسخية بخط الثلث الأندلسي في سطر واحد نطالع فيها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب إلا الله تعالى) محصور داخل خراطيش بطاقية سداسية الشكل، ويملأ الفراغ الواقع بين تلك الأسلاك والشعار الكتابي؛ توريقات نهائية أشبه بزهرة الزنبق، وينتهي طرفا الحزام بإبريم من البرونز المذهب يتخذ في الطرف الأيسر شكل حلقة بيضوية مصنوعة من سلك سميك، مركبة في قطعة معدنية قاعدية ينتصفها الإبريم، وفي الطرف الآخر الإبريم عبارة عن قطعة قاعدية مربعة مسطحة، يدخل فيها الطرف الآخر من الإبريم.

ويسترعى النظر وجود إبريم أخر مصنوع من البرونز المذهب أيضاً، استخدم كنقطة وصل بين أجزاء الشريط الحزامي وكسمة زخرفية إضافية، ومعلق بهذا الحزام جعبه حجمها ١٢.٥ سم × ١.١ سم، مصنوعة من الجلد ومرصعة بأسلاك من الفضة، تتقاطع وتتشابه فتتلف إشارات تبدو من الخارج في هيئة حبيبات مجدولة، ومن الداخل في هيئة خطوط أو صفوف من سلكين متجاورين، وتحتصر تلك الإشارات بداخلها شعار بني نصر الكتابي (ولا غالب

(إلا الله)، ونلاحظ في كتابة هذا الشعار مدى التطور في حجم الحروف، فهي تتميز بالمبالغة في كبر حجمها، لتصبح عنصراً زخرفياً بحتاً، فضلاً عن إسباغ بعض القيم الجمالية عليها، عن طريق تزويدها بتوريقات نباتية تتفرع من نهايتها أحياناً، أو تملأ الفراغات الواقعة بينها، وتلمس ذلك على سبيل المثال والتخصيص في حرف (الباء) في كلمة (غالب)، فقد بالغ الخطاط في مدّها أفقياً أسفل حروف الكلمة جهة اليمين، وزودها بتوريق نباتي قوامه أنصاف مرواح نخيلية ذات فصين، كما أضفى على حروف الكلمة حيوية واسعٍ عليها جمالاً دين وصل بين حرف اللام وحرف الباء بنفس التوريق النباتي.

ومن الملاحظات التي يمكن أن نستخلصها من هذا النقش؛ أنه موزع على سطرين أحدهما مكتوب يقرأ في عكس اتجاه الآخر، ونص الأول جهة اليمين كلمة (ولا غالب) ونص الثاني (إلا الله تعالى) وعلى ظهر الجعبة صورة أصابع اليد الخمسة، التي شاع ظهورها في معظم واجهات عمائر بني نصر، والتي تمثل، في رأي أحد مؤرخو الفن، كف السيدة فاطمة وكرمز إلى البركة وتحصين تلك الحقيبة وما بداخلها من المسوء والضياح<sup>(١٤)</sup> وتعليل وجودها ربما الإشادة بالتحفة التي تزويدها جمالاً وصناعة<sup>(١٥)</sup>.

وجميع هذه الزخارف، سواء على الحزام أو جعبته، ظهرت مجسمة ومنفذة بأسلوب التصنيع؛ الذي يعد من أبداع وأمير الوسائل الفنية التي أقبل الصناع، في عصر بني نصر، على الاستعانة بها بقصد الزخرفة

ARCHIVE

## خاتمة

من خلال دراسة هذا الموضوع نستخلص بعض النتائج أهمها:

- (١) أن ازدهار صناعة السلاح، بوجه عام في الأندلس، كان ثمرة عوامل كثيرة أهمها: وفرة المواد الأساسية اللازمة لها، وعناية حكام الأندلس بتلك الصناعة، والتي إتخذت عدة مظاهر منها: تعدد مصادر الحصول على أدوات الحرب، وإقامة دور لصناعتها في مختلف مدن الأندلس.
- (٢) أثبتت الدراسة أن الصانع الأندلسي، لا سيما في الفترة النصرية، وضع بصمته على كافة منتجات السلاح الأندلسي، حتى أنه من النظرة الأولى لأي من هذه المنتجات؛ ندرك أصولها الأندلسية لتمييزها عن غيرها.
- (٣) في مجال دراسة الخناجر: أكدت الدراسة على أن عصر بني نصر هو العصر الذهبي لصناعة الخناجر الدفاعية أو الحربية، في حين أصبح في نهاية هذا العصر سلاحاً شخصياً للزينة والإهداء، أكثر من كونه سلاحاً رئيسياً يستخدم في المعارك.
- (٤) تمثل الخناجر التي تناولتها بالدراسة، معظم الخناجر الأندلسية التي وصلت إلينا حتى الآن، والبالغ عددها ستة خناجر. معظمها ينشر لأول مرة، وكلها محفوظة في متاحف إسبانيا، وقد قمت بدراستها عن قرب، في أماكن حفظها بتلك المتاحف.
- (٥) كان من نتائج الدراسة التحليلية، والمقارنة بين أمثلة الخناجر الأندلسية، الخروج بأن بعضها يشترك في سمات فنية واحدة تقريبا، وأن بعض الآخر اتفرد بسمات فنية لا نجدها في غيرها من الخناجر، لا سيما في عصر بني نصر، الذي كان نقطة تحول في كثير من السمات الفنية المتعلقة بمكونات الخناجر، وأساليب صناعتها وزخارفها.

## فهرس اللوحات .

- (١) لوحة (١) : خنجر أندلسى عثر عليه بمدينة ألبيرة، محفوظ فى المتحف الأثرى بقرنطة مؤرخ فى أواخر القرن ١٠هـ / ١٠م وبداية القرن ١١هـ / ١١م (تصوير الباحثة).
- (٢) لوحة (٢) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة قرنطة، ومفوظ حاليا فى متحفها الأثرى مؤرخ فى القرن ١١هـ / ١١م - ١٢هـ / ١٢م (تصوير الباحثة)
- (٣) لوحة (٣) : خنجر أندلسى عثر عليه فى مدينة أشبيلية، ومفوظ حاليا فى المتحف الوطنى بمدريد مؤرخ فى القرن ٧هـ - ٨هـ / ١٣م - ١٤م (تصوير الباحثة)..
- (٤) لوحة (٤) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك - (عن توريس بلباس).
- (٥) لوحة (٥) : خنجر أندلسى محفوظ فى متحف بلنسية دى دون خوان بمدريد - (عن توريس بلباس).
- (٦) لوحة (٦، ٧) : خنجر أندلسى من عصر بنى نصر، محفوظ فى القصر الملكى الحربى فى مدريد - (تصوير الباحثة)
- (٧) لوحة (٨، ٩، ١٠) : نماذج من الخناجر الأندلسية المقلدة فى العصر المسيحى فى إسبانيا وإيطاليا -- (عن فرنانديث جونتالت).
- (٨) لوحة (١١، ١٢) مستلزمات حفظ الخنجر الأندلسى وتشمل على الحزام والحقيبة، محفوظان حاليا فى المتحف الملكى بمدريد - (تصوير الباحثة).



هذا هو الشيء الذي كان يملكه السيد ... في ...  
... ..



هذا هو الشيء الذي كان يملكه السيد ... في ...  
القرن الرابع الهجري - المئتين الهجري (١٩م) (تصوير الباحث)







صورت پر مصحفہ مکتوبی حکیم لکھی ہوئی ہے۔



صورت پر مصحفہ مکتوبی حکیم لکھی ہوئی ہے۔ (عن - فرنانڈس جونزالڈ)



نوحة (٩) نموذج للخنجر - مائة من عصر الحديد - في متحف نيس



نوحة (١٠) نموذج للخنجر الأتلمي المقلد في العصر الحديدي - في متحف نيس  
(عن - فرناندو جوناثان)



لوحة (١١) سسمرات حفظ بحجر (الذي يحفظ في متحف القصر الملكي بحريي بمدرين  
(تصوير النباح)



لوحة (١٢) صورة توضيحية لحقيبة حفظ احجر  
المحفوظة في متحف القصر الملكي الحربي بمدرين  
(تصوير النباح)

## مصادر ومراجع البحث

### أولا المصادر العربية :

- (١) ابن الخطيب : (إسمان الدين أبو عباد محمد) : الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عثمان - القاهرة - ١٩٧٢ .
- (٢) ابن الخطيب : (إسمان الدين أبو عباد) كتاب أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثاني - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - ليفي بروكسمال الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٥٦ .
- (٣) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي) : كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمير محمد بن عبد الرحمن - ج ٥٠، نشرها بدور شاميتا - كورينطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربي للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ .
- (٤) ابن حيان : أبي مروان بن حيان خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أنباء أهل الأندلس - قطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ .
- (٥) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير - دار الكتاب - بلنجان - ١٩٨٣ .
- (٦) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) : كتاب جغرافية - تحقيق - إسماعيل العربي - بيروت - ١٩٧٠ .
- (٧) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلى للمغرب، تحقيق شوقي ضيف - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ .
- (٨) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد) : تاريخ النعم بالإسلام، تحقيق عبد الوهاب التازي - دار الغرب - بيروت - ١٩٨٧ .
- (٩) ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق اويثي فرياند - محمد بن توفيت وإبراهيم الكتاني - تطوان - ١٩٦٠ .
- (١٠) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أبيوب) : قطعة من كتاب فرحة الأندلس من تاريخ الأندلس، نشر وتحقيق - لطفي عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج ٢ - نوفمبر ١٩٥٥ .
- (١١) ابن هذيل (علي بن عبد الرحمن) : حلية القوسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبد القوي حسن - دار المعارف - القاهرة - ١٩٤٩ .
- (١٢) الإبريسي (الشريف محمد بن عبد العزيز) : صفه المغرب والأندلس من كتاب نزاهة المشتاق في إختراق الأفاق - نشر المكتبة الثقافية ببورسعيد - بدون تاريخ .
- (١٣) الانصاري السبتي (محمد بن القاسم) : لخصصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٦٩ .
- (١٤) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك - تحقيق عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ .
- (١٥) البيني (أبو بكر علي الصنهاجي) : أخبار المهدي بن تومرت وديانة دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرباط - ١٩٧١ .

- ١٦) البيروني (محمد بن أحمد) : كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ
- ١٧) الحميري (محمد بن عبد المنعم) : الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق - إحسان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤.
- ١٨) الزهرى (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر) : كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ .
- ١٩) شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي) : نخبة الدهر في عجائب البحر والبحر، مكتبة المثنى ببغداد - مصورة عن طبعة لينج ١٩٢٣.
- ٢٠) القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت - بدون تاريخ .
- ٢١) الفلكصادي (أبي الحسن علي الفلكصادي) : رحلة الفلكصادي - تحقيق محمد أبو الألفان - تونس - ١٩٧٨.
- ٢٢) الفلكشندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مجموعة تراثنا - بدون تاريخ.
- ٢٣) مؤلف مجهول / الحقل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشيه - تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٧٩.
- ٢٤) مؤلف مجهول ، خزائن السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧.
- ٢٥) مؤلف مجهول: الانبصار في عجائب الأمصار - تحقيق سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية - ١٩٥٨.
- ٢٦) المقرئ (أحمد بن محمد) : فبح الطب في قصص الأندلس الزطوب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: إحسان عباس - بيروت - ١٩٦٨.

### ثانيا المراجع العربية :

- ١) أحمد الطوخى - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بنى الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ .
- ٢) أحمد فكرى - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩
- ٣) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الاندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية - ٢٠٠٠م.
- ٤) الأسلحة الإسلامية : السيوف والندروع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ
- ٥) بلال عبد الوهاب الرفاعى - الخط العربى (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٩٠.
- ٦) سعد ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة - ١٩٨٦ .
- ٧) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية - ١٩٩٨ .
- ٨) صبحى عبد المجيد إدريس - أسلحة الجرش وأدواته فى عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكمف الشيوخ - العدد الأول - السنة السادسة - ٢٠٠٦ م .

- ٩) عبد الرحمن زكي - النقوش الزخرفية والكتابات على الميوسوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧ م / ١٣٧٧هـ.
- ١٠) عبد الرحمن زكي . الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد - ١٠٨ - مايو - ١٩٦٤ .
- ١١) عبد المجيد تضي: الإسلام في طليطلة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ
- ١٢) عمر أغا - ملامح من تطور الخط العربي - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨
- ١٣) فريد شافعي: الحضارة العربية في عصر الولاة (٣١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠.
- ١٤) كمال غناتي : الميوسوف الأندلسية في ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - مجلة المؤرخ العربي - عدد ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥م.
- ١٥) محمد عبد الله غنان : الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٥٦
- ١٦) محمود فيصل الرفاعي: الأسلحة الخفيفة في التراث العربي الإسلامي، مجلة أفاق الثقافية والتراث الإماراتية - عدد - ٧ - ١٩٩٤
- ١٧) يوسف ذى التون، خط التثت ومراجع الفن الإسلامي - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩

### ثالثا المراجع الأجنبية المخرية .

- ١) أونيفيا كومتيل : التجارة والتجار في الأندلس - ترجمة فيصل عبيد الله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م .
- ٢) جروهمان - النسخ والتثت - ترجمة عاتم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد - ١٩٨٦.
- ٣) ليفي بروفنسال - محاضرات في آيب الأندلس وتاريخها - ترجمة محمد الهادي شعيرة - عبد الحميد العبادي - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١.

### رابعا الرسائل العلمية .

- ١) حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر - مخطوط رسالة دكتوراه - ١٩٩٦.
- ٢) كمال السيد أبو مصطفى . مصادر الثروة الاقتصادية في الأندلس في عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٨٥.

### خامسا المرجع الأجنبية :

- 1) Allouche, (I,s): La vie économique et social a Grenada, Melange d'Historie et d'Archeologia d'occident Musulman, 1, II, 1954.
- 2) Basilio pavon (Maldonado): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985
- 3) Bernis (CARMEN): trajes y modas en l'a espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artes y artistas Madrid . 1979

- 4) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueológico de Granada, Revista, Awraqs 1981
- 5) Etting Hausen (R): Notes in the luster are of spain, Ars opientalis, I, Washington, 1954.
- 6) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antigüedades voi-5 Madrid 1875
- 7) Golvin (Lucien) Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al – Zahra, al – Andalus , vol , XXv, 1960
- 8) Gomez (Emillio Garcia) . Armas En las anaes de Al – Hakam, II, Al Andalus v , XXXII, Madrid , 1967
- 9) Labarta (ANA): Proscos contra Moriscas vai encian, al quantra, vol.I, 1980.
- 10) Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts , October, 1941
- 11) Migeon (Gaston) Manuel d'art Musulman les plastiques et industrielles , T, I, Paris 1927.
- 12) Soler (Alvaro) Ear dagger scabbard knife, belt , pouch , and case, Al – Andalus the art of islamic spain , new york 1992.
- 13) Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origins au XIII, Siecle Paris 1932
- 14) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jneta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943
- 15) Torres Balbas (Leoplade) : ARs Hispaniae , T. IV art Al Mahade, arte Nasari, art Mudejar, Madrid , 1949.
- 16) Torres Balbas · (leoplado) : plazas, zocosy tiendas de las ciudades Hispanomusimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947

## هوامش البحث -

- (١) المقرئ (أحمد بن محمد): نفع الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: إسمان عباس - بيروت ١٩٦٨ - ١، ص ٢٠١، ٢٠٢.
- Torres Balbas (Leopoldo): *Ars Hispaniae I iv, art Almohade, arte Nasari arte Mudejar*, Madrid, 1949.
- (٢) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى): المغرب في حلى المغرب - تحقيق: شوقي ضيف القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ - ٢، ص ١٩٠.
- (٣) ابن غالب (الحافظ محمد ابن أبيوب): قطعة من كتاب فرجه الأنف من تاريخ الأندلس نشر وتحقيق - لطفى عبد البديع - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول - ج٢ - نوفمبر ١٩٥٥ ص ٢٩٠.
- (٤) نفس المصدر: ص ٢٨٣
- (٥) الأبريسي (الشريف محمد بن عبدالعزيز): صفة المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الأفاق - نشر المكتبة الثقافية بيورسعيد بدون تاريخ ج٢ - ص ٥٧٤.
- (٦) الزهرى (أبو عبدالله محمد بن أبي بكر): كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق - منشورات مجلة الدراسات الشرقية - دمشق - ١٩٦٨ ص ٨٨.
- (٧) شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المشي ببغداد - مصورة عن طبعة ليبج ١٩٢٣ - ص ٢٤٢.
- (٨) الأبريسي: المصدر السابق - ص ٥٦٢.
- (٩) نفس المصدر: ص ٥٥٥، (الزهرى: المصدر السابق، ص ١٠٣).
- (١٠) الحميري (محمد بن عبد المصمم): الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق: إسمان عباس - مكتبة لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٨٤ - ص ٣٤٤.
- (١١) البكري (أبو عبدالله بن عبد العزيز): جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب الممالك والممالك تحقيق: عبد الرحمن الحجى - بيروت ١٩٦٨ ص ١٢٧ - المقرئ: المصدر السابق - ١، ص ١٤٢.
- (١٢) ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبدالله محمد): الإحاطة في أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله علان - القاهرة - ١٩٧٢ - ج١، ص ٩٨.
- (١٣) ابن غالب: المصدر السابق ص ٣٠٨، ٣٠٩، المقرئ: المصدر السابق، ١، ص ١٤٢، ١٤٣.
- (١٤) البكري: المصدر السابق ص ١٢٨، ابن غالب: نفسه - ص ٣٠٩.
- (١٥) أصل هذا الحجر في الفارسية ببجادة وهو حجر كريم يشبه الياقوت وأجوده ما إشتكت حمرة وكثر بريقه (عبد الرحمن زكى): الأحجار الكريمة في الفن والتاريخ - المكتبة الثقافية - عدد ١٠٨، مايو ١٩٦٤ ص ١٠٤ - ١٠٦.
- (١٦) البكري: المصدر السابق - ص ١٢٨، القزويني (زكريا بن محمد بن محمود): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات - نشر دار الشرق العربي - بيروت بدون تاريخ - ص ٤٩٧.

- (١٧) يسمى هذا الحجر بالحجر الذي يقطع الدم وله إستخدامات عديدة منها أنه يستخدم فى التذهيب - البيرونى (محمد بن أحمد): كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر - القاهرة - بدون تاريخ - ص ٢١٧ .
- (١٨) البكرى : المصدر السابق - ص ٢٨ .
- (١٩) المرقشيتا حجارة صلبة ملفصصة وهى أنواع أجودها الذهبية وأرذلها الحديدية والتذيقية (كمال السيد أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولة المرابطين والموحدين - مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٨٥ - ص ٢٢٢، حاشية (٥) .
- (٢٠) Imamuddin (S.M.) : the Economic of History of spain under the umayyed, Dacc 1963 , pp.167-168
- ولمزيد من التفاصيل حول الأحجار الكريمة بالأندلس راجع: كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق ص ٢٢٠-٢٢٢، حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية فى الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بن الأحمر مخطوط رسالة دكتوراه - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ ص ٣٦-٣٧ .
- (٢١) المقرئ: المصدر السابق ج ١، ص ٢٠٩ .
- (٢٢) Migeon (Gaston) . Manuel d'art Musulman les Arts plastiques et industrielles , T, I, Paris, 1927, p.412
- (٢٣) Migeon : Op cit , p.413
- (٢٤) عبد المجيد نويج: الإسلام فى طليطلة - دار النهضة - بيروت - بدون تاريخ - ص ٢٢٣ .
- (٢٥) ابن سعيد : المصدر السابق - ج ٢ - ص ٩
- (٢٦) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار الكتاب ببلن - ١٩٨٣ - ج ٧ - ص ٣١٢ .
- (٢٧) ابن الخطيب : (إسمان الدين أبو عبد الله): كتاب أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - القسم الثانى - الخاص بإسبانيا الإسلامية - تحقيق - لوفى بروفنمال الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٦، ص ١٠١ .
- (٢٨) المقرئ: المصدر السابق ج ١، ص ٥٨٥ .
- (٢٩) ابن الخطيب: كتاب أعمال الأعلام، ص ١٠١ .
- (٣٠) المقرئ: المصدر السابق ج ١ ص ٢٠١، ٢٠٢، الزهرى: كتاب الجغرافية: ص ٨٢
- (٣١) المقرئ : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٢
- (٣٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٢
- (٣٣) صبحى عبد المجيد إدريس - أسلحة الجيش وأدواته فى عصر الموحدين - مجلة كلية التربية بكفر الشيخ - العدد الأول - السنة السادسة ٢٠٠٦م - ص ٥ .
- (٣٤) الأتصاري المسمى (محمد بن القاسم): إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار - تحقيق عبد الوهاب منصور - الرياض - ١٩٦٩ - ص ٥١ .
- (٣٥) الحميرى : المصدر السابق ص ٤٦١ .

- (٣٦) ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة.
- (٣٧) ابن عذارى - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - ج٣ - ص ١٨٥ .
- (٣٨) كان هذا الديوان يعرف بديوان العسكرية أو التمييز وكان من بين من تولى رئاسة هذا الديوان أبو عيداه بن محسن كاتب الديوان في عهد يوسف بن عبد المؤمن الموحدي: ابن صاحب الصلاة نفس المصدر - ص ٣٤٧
- (٣٩) لمزيد من التفاصيل راجع: محمد المتونى - ورقات من حضارة المرينيين - الرباط - ١٩٩٦ ص ٨٥ ، صبحي عبد المجيد إدريس - المرجع السابق - ص ٩ .
- (٤٠) ابن حيان (أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي): كتاب المقتبس من أبناء أهل الأندلس - القطعة الخاصة بالأمر محمد بن عبد الرحمن - ج٥، نشرها بدرو شلميتا - كورينطي - محمود صبح - نشر المعهد الإسباني العربى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب بالرباط - مدريد - ١٩٧٩ ص ٣٥٣ .
- (٤١) ابن حيان: أبو مروان بن حيان بن خلف بن حيان القرطبي المقتبس من أبناء أهل الأندلس وقطعة خاصة بالحكم المستنصر - نشر عبد الرحمن الحجى - بيروت - ١٩٨٣ - ص ١١٦ - ١١٧ .
- (٤٢) ابن حيان : المصدر السابق - القطعة الخاصة بعصر الحكم - ص ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩
- (٤٣) ابن الخطيب : أعمال لاعلم ص ٧٣ - ٨٤ ، حيث الإشارة فيما يقته عن ابن حيان إلى حفل الاستقبال الرسمي الذى أقامه المنصور بن أبي عامر بفصر الزاهرة بمناسبة زيارة صهره شانه (ساتشو) ملك تافارا سنة ٣٨٢ هـ وذلك بقوله (فوصل الملك شانه ثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢ هـ وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتلقيه من دخوله إلى قصر الزاهرة فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة حتى بهت الذى كفر ورأى من وفود المسلمين وبهه استحتهم وجمال زيهم وكثرة عددهم ما لم يكن ظاناً أن الدنيا تجمعهم .. ولا الخزائن تكتفه .. وصار بين صفى حدين حقالى الطريق أميالاً ما ثم إلا الدروع المابرية والجواش المذهبة والأبطال قد لبسوا والواعد واسبقوا الحلق وعطفوا الدرق وخلفهم صفوف الرماه مشدودا عليها المناطق المذهبه والملك الرومى بقلب الطرف قد غشى قلبه ذعرا .
- (٤٤) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس - منشأة المعارف - الإسكندرية ٢٠٠٠م - ص ٤٢ .
- (٤٥) راجع على سبيل المثال: ابن مسعود (أبو الحسن على بن موسى) : كتاب الجغرافية تحقيق : إسماعيل العربى - بيروت ١٩٧٠ - ص ١٣٩ .
- المقرى : المصدر السابق - ج١ - ص ٢٠٢ ، السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس - مؤسسة شباب الجامعة - إسكندرية ١٩٩٨ - ص ٥٧ ، كمال غنائى: السيوف الأندلسية فى ضوء المصادر العربية وصورها المرسومة وأشهر نماذجها الباقية - بحث بمجلة المؤرخ العربى عند ١٣ - مجلد ١ - ٢٠٠٥م - ص ٢٨١ ، مختار العبادى - المرجع السابق ص ٤٣ .

- (٤٦) أوليفيا كوستيل : التجارة والتجار في الأندلس - ترجمة فيصل عبدالله - مكتبة العبيكان - الرياض - ٢٠٠٠م - ص ٢٠٨، ٣٤٧، صبحي عبد المجيد أدريس - المرجع السابق - ص ٧
- (٤٧) القلصادي (أبي الحسن علي القلصادي) : رحلة القلصادي - تحقيق محمد أبو الأجلان - تونس ١٩٧٨ - ص ١٧

(٤٨) ابن حيان : المصدر السابق - تحقيق عبدالرحمن الحجى ، ص ٤٩، ١٩٧، ١٩٨

(٤٩) نفس المصدر : ص ٧٩، ١٩٩

(٥٠) نفس المصدر : ص ٥١

يرجع الاتصال بين الفنون الجميلة وأنواع السلاح إلى أقدم العصور، فقد اعتاد الناس منذ أيام بدايتهم الأولى أن ينقشوا على نصال أسلحتهم الرسوم والزخارف الجميلة والطلاسم والكتابات الابدعية، ولعل هذه الشعوب قد لجأت إلى تحلية سلاحها بالنقوش والزخارف لإعتقادها في سلطانها السحري أو لعوامل دينية أخرى فضلا عما لها من أثر جميل - راجع:

Mann, (James): The Influence of art on instruments of war, proceedings of the royal society of arts, No.4599, Vol. LXXXIX, October, 1941, p.740

وكذلك راجع أحمد تيمور وزكى محمد حسن - التصوير عند العرب - ١٩٤٢ - ص ٣٠

وكذلك راجع - عبد الرحمن زكى - **النقوش الزخرفية** والكتابات على السيوف الإسلامية - مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد - المجلد الخامس - العدد ١-٢-١٩٥٧ م / ١٣٧٧م - ص ٢٢٧

(٥١) ابن الخطيب (لسان الدين) - الإحاطة في أخبار غرناطة - المجلد الأول ص ١٣٦

(٥٢) الترس من أسلحة الدفاع ويستخدمها المحارب في أثناء ضربات السيوف ونحوها ويصنع من الحديد أو الخشب أو عيدان تضم إلى بعضها بواسطة خيط من القطن (مؤلف مجهول : خزانه السلاح مع دراسة عن خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك - تحقيق نبيل عبدالعزيز - مكتبة الأنجلو - القاهرة - ١٩٨٧ - ص ٥٦ .

(٥٣) الرماح من أسلحة الهجوم الفردي وتصنع من عيدان الخشب أو الخيزران ويتراوح طولها ما بين ثلاثة إلى عشرة أذرع ويركب في نهايتها نصل فولاذي قاطع مدبب يظن به (أحمد مختار العبادي: المرجع السابق ص ٤٤، صبحي عبد المجيد: المرجع السابق ص ١١ .

وقد اشتهرت بلاد الأندلس بصناعة الرماح الطويلة وعرفت في المصادر العربية بأسماء عديدة منها العوالي والسمر (راجع: مؤلف مجهول / الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامه - الدار البيضاء - ١٩٢٩ - ص ١١٥، ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص ١٧٧ .

(٥٤) القسي من أدوات الرمي وهي مقبسة كالهلال وتصنع من أعواد الخشب اللين والعتين ويشد فيها وتر من الجلد أو العصب الذي يكون بحقي البعير وترمي بالمسهم والنبال (صبحي عبد المجيد - المرجع السابق - ص ١١) والقسي عدة أنواعها أهمها نوعين قوس اليد التي تستعمل باليد وهي القسي العربية وتتميز بسرعته في الرمي. أما النوع الثاني فيعرف بقوس الرجل الأفريقية وهي تدفع

بالرجلين ولذلك فهي أنسب للرجال منها للفارس لأنها أتكى من قوس اليد في حصار القلاع وعلى المراكب البحرية (ابن القيم الجوزية (أبو عبدالله محمد بن أبى بكر) : الفروسية، مكتبة عاطف - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١٤٠، ابن هتيل (على بن عبدالرحمن): حلية المرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالحق حسن - دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ ص ٢١١.

Gomez (Emillio Garcia) : Armas en los an las de Al - Hakam, II, Al andalus v , XXXII, Madrid , 1967 , p.165 .

(٥٥) المقرئ : المصدر السابق ج ١، ص ٢٢٣.

(٥٦) الجواش من أسلحة الوثقية التي يستخدمها المحارب في حماية جسده فضلا على أنها تستخدم في تلقي ضربات السيوف والمسام ونحوها وهي تصنع من زرد الحديد في شكل حلقات متداخلة بينها صفائح مستطيلة لتقويتها وتوضع في الغالب على الصدر.

Garcia Gomez, Op cit , p.166

العبادي : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦

(٥٧) استخدم الأندلسيون أعصادا أو قرابا لحفظ بعض أنواع الحرب كانت تصنع من الخشب وتغطي بنوع من الجلد المغطى نسبة إلى حيوان النمط الذي كان يعيش في صحراء إفريقيا (مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار - تحقيق سعد زغلول عبد الحميد - مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ - ص ٢١٤).

(٥٨) ابن الخطيب : الإحاطة ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٥٩) محمود فيصل الرفاعي الأسلحة الحديقة في التراث العربي الإسلامي، مجله أفاق الثقافية والتراث الإماراتية - عدد ٧ - ١٩٩٤ ص ٤٨.

(٦٠) الأسلحة الإسلامية : السيوف والفروع - نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض - ١٤٢٢هـ - ص ٢٩

(٦١) ابن حيان : المقتبس - ج ٥ - نشر بدرو شالميتا ص ٣٥٢

(٦٢) المقرئ - نفح الطيب - الجزء الأول - ص ٣٨٢ .

Garcia Gomez : Op cit p,164

(٦٣) الأسلحة الإسلامية : المرجع السابق ص ١٦

(٦٤) ابن حيان: نشر بدرو شالميتا - ص ٣٥٢

(٦٥) ابن حيان: المقتبس - نشر الحجى - ص ١٣٢

(٦٦) ابن حيان : نفسه - نشر بدرو شالميتا - ج ٥ - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩

(٦٧) ابن حيان : المصدر السابق ج ٥ ، ص ٢٦٨

(٦٨) البيهقي (أبو بكر على الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين - تحقيق عبد الوهاب منصور الرباط ١٩٧١ - ص ٨٤.

(٦٩) المقرئ: نفح الطيب - ج ٣ - ص ١٥١ .

(٧٠) ابن حيان: المقتبس ج ٥ - ص ٣٥٣

(٧١) المقرئ: المصدر السابق - ج١، ص ٣٨٢.

(٧٢) البيهقي: أخبار المهدي - ص ٦٥، ٧٩

(٧٣) تجدر الإشارة بهذه المناسبة إلى أن أسلوب الحز قد تمثل على معظم المعادن الأندلسية منذ أوائل عصر الدولة الأموية مثل التحف المصنوعة من الرصاص كالطلاسم ومن البرونز كالتماثيل وفي الشماع وتفايح الثريات البرونزية غير أنه في أواخر هذا العصر تراجع الإقبال على استخدام أسلوب الحز حيث نشهده فقط على بعض التحف البرونزية مثل القناني واستمر الأمر كذلك حتى ثلاثي استخدام هذا الأسلوب في عصر بني نصر: حنان عبد الفتاح مطاوع: التحف والصناعات المعدنية في الأندلس منذ قيام الدولة الأموية حتى سقوط مملكة بني الأحمر (١٣٨هـ - ٨٩٨هـ) (٧١٢م - ١٤٩٢م) مخطوطة رسالة الدكتوراة - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - ١٩٩٦ - ص ٣٩٥ - ٣٩٨.

(74) Torres Balbas : Ars Hispaniae p.234

(75) Torres Balbas : Ars Hispaniae , p.234

(٧٦) في عام ٨٨٨هـ / ١٣٨٣م وقع السلطان الغرناطي أبو عبدالله محمد أسبورا في يد الألبان بعد هزيمته في موقعه اللبسانه التي دارت بين المسلمين والنصارى ثم أطلقوا سراحه بعد أن قضى في أسيرة ببلاط الملكين الكاثوليكين فرناند وإيزابيلا ثلاثة أعوام ثم عاد إلى غرناطة بعد أن أملى عليه كل شروطهم. وربما أخذ منه سلاحه وشبابه الملكية يومئذ عنوا لظفر النصارى وتذكارا من هذا الأسير الملكي (راجع : مؤلف مجهول - نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تحقيق الفريد البستاني - وترجمة كار لوب كيروس - العرائش - ١٩٤٠م - ص ١٠-١٢، عبد الحميد العبادي - المجلد في تاريخ الأندلس - القاهرة - ١٩٥٨ - ص ١٩٢، محمد عبدالله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٦ - ص ٢٦٤

(٧٧) المقرئ : نفح الطيب - ج١، ص ٤٩٤

(٧٨) معاذ ماهر : الفنون الإسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٤٦

(٧٩) من بين المعادن الأندلسية التي شاع تذهيبها البرونز والفضة وال نحاس والقولاد وذلك بالطريقة الثانية والثالثة في عصر الخلافة وعصر الطوائف وعصر بني نصر وإن كان في كل عصر من تلك العصور ساد تذهيب نوع معين من المواد المعدنية فمعين الفضة شاع تذهيبه في أواخر عصر الخلافة وعصر الطوائف ثم بدأ ينحصر ظهور الفضة المذهبة منذ عصر المرابطين وحتى نهاية عصر بني نصر وحل محلها في تلك الفترة البرونز المذهب .  
حنان عبد الفتاح مطاوع : المرجع السابق ص ٤١٠، ٤١١

(80) Torres (J.Ferrandis): Espadas Granadinas De la Jineta (Archivo Espanol de Art , N. 55, Enero, Febrero Madrid , 1943, p.162

(81) Cossan (Le Barande): Le cabinet d'armes de Maurie de Talleyrand, perigord Duc, de Dimo, Paris, 1901 , p.43

Basilio (pavon Maldonado): arte simbolo y emblemas en la Espana Musulmana , Madrid 1985, p.434

(82) Emilio (de santiago) y Angela (Eguras): Algunas piezas Hispano arabes del Museo Arqueologio de Granada, Revista, Awaqs1981-p.p.143-147

(٨٣) من أساليب زخرفة المعادن أسلوب الطرق الذي يبدأ بقطع الصفائح حسب شكل التحفة ثم نوضع الصفيحة على قالب خشبي أعدت فيه الزخارف المطلوبة سواء كانت بارزة أو غائرة ثم يدق أو يضغط ضغطاً شديداً على الصفيحة المراد زخرفتها بحيث تأخذ شكل الزخارف المنقذة على القالب الخشبي (سعاد ماهر : الفنون الإسلامية : ص ١٥٢)، وقد تنوعت وسائل تنفيذ هذا الأسلوب على المعادن الأندلسية حيث نفذت زخارفها المطروقة بطريقتين الأولى إتسمت بخطوطها بشدة بروزها وشكلها المقبب وأبدانها المشدوخة المنقذة فوق أرضية من خطوط زجاجية دقيقة للغاية أما الطريقة الثانية فتختلف عن الأولى في أن الزخارف أصبحت أقل عمقاً وأكثر تسطحاً بحيث فقدت شكلها المسنم وظهert متعددة الشدوخ.

حنان عبد الفتاح مطاوع: المرجع السابق- ص ٣٩٩

(٨٤) لقي أسلوب التركيب أو التجميع رواجا كبيرا في صناعة التحف المعدنية منذ القرن ٤هـ وحتى القرن ١٠هـ/١٠-١٢م وتقوم هذه الطريقة في جوهرها على تحديد شكل التحفة بواسطة نماذج وأقوال مصبوبة من البرونز أو اللاتون يتم تركيبها إما بطريقة اللحام أو الضغط أو المسامير التي يخصص لها أثناء عملية الصب تجويف نافذة وقد ظهرت هذه الطريقة الأخيرة خلال القرنين ٥-١١هـ/١١-١٢م وإن كنا نلاحظ أنه في القرن ٥هـ اقتصر استخدامها على تثبيت بعض أجزاء التحف المشكلة في صورة كائنات حية في حين تتطور في القرن ١٢هـ/١٢م فتستخدم في تجميع كافة أجزاء التحفة وقد تجلت هذه الطريقة المتطورة بصفة خاصة في التحف المصنوعة من اللاتون (النحاس الأصفر) وواصلت استخدامها في عصر بني نصر، ولكن بجدر بالتدريج أن الفنان كان يعد في إخفاء المسامير المستخدمة كدعامة إقرار وتثبيت إلى تغطيتها بواسطة زخارف مخفية .

راجع حنان مطاوع - المرجع السابق ص ٣٢٠ .

(٨٥) حظيت زهرة اللوتس بقبول واسع النطاق لدى الفنان الأندلسي منذ العصر الأموي وحتى نهاية عصر بني نصر وانقرنت دون غيرها من الأزهار بطابع مميز يتسم بالدقة في الأداء وخضعت لغاتون التطور أثناء مواصلة نشاطها في مجال الزخرفة النباتية فكانت أشكالها وصورها تتطور في سرعة جعلتها تختلف عن أصولها المصرية والقوطية والساسانية والرومانية والبيزنطية المشتقة من أصولها المصرية .

Maldonado (Basilio pavon): el arte Hispano Musulman en su decoracion Floral, Madrid, 1981 . table VIII .

(٨٦) تعد شجرة الحياة من العناصر الزخرفية التي لعبت دوراً كبيراً في الزخرفة النباتية الإسلامية عامة والأندلسية بصفة خاصة، ويرجع استخدام هذا العنصر الزخرفي إلى أصول قديمة للغاية، فقد لعبت دوراً كبيراً في فنون المشرق حيث ظهر لها نماذج في زخارف الفن الروماني والبيزنطي والقوطي،

ومن المعروف أن موضوع شجرة الحياة يرجع في حقيقته إلى أصول سامانية حيث تمتعت هذه الشجرة فيه بمكانة سلمية : راجع :

Golvin (Lucien) : Not sur un décor de Marbre Trouve a Medina Al - Zahra, al - Andalus , vol , XXv, 1960 , p.175

(٨٧) تعد ورقة العنب من العناصر النباتية الهامة التي كثر استخدامها في الزخرفة الإسلامية منذ نشأة الفن الإسلامي. ولقد شاع استخدامها في الفنون الشرقية حيث عرفها الفن الإغريقي والروماني والبيزنطي :

راجع: فريد شافعي: العمارة العربية في عصر الولاة (٣١هـ - ٣٥٨هـ) (٩٣٦م - ٩٦٩م) - نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة - ١٩٧٠ - ص ٩٥، ولكنها لم تثبت أن تطورت تطوراً أبعداً عن صورتها فاختلعت أشكالها وتوعدت صورها وخضعت لعملية الإستنباط الإسلامية التي تعتمد على حيوية العلاقات الفكرية عند العرب - راجع : أحمد فكري - مساجد القاهرة ومدارسها - دار المعارف المصرية - ١٩٦٩ - ص ٣٨

وقد عنى بها الفنان الأندلسي عناية كبيرة إذ أضاف إليها الحزوز والتكسيات العديدة التي تتمثل في أشكال الثمار والبراعم وظهرت أحمل نماذجها في زخارف العلب العاجية والأفاريز والطرز التي تحيط بالعمود :

Terrasse (Henri) : L'art Mauresque des origines au XIII, Siecle Paris 1932 , p.96

(٨٨) شاع استخدام ورقة الاكنثوس (شوكة اليهود) في الفن الإسلامي الأندلسي منذ عصر الخلافة وحتى نهاية عصر ملوك الطوائف ثم اختلف عن الانتظار خلال العصر المغربي الأندلسي لتظهر مرة أخرى على إستحياء في الفن النصري حيث يمثل مقبض هذا الحجر أروع أمثلتها.

(٨٩) تنقسم الجواهر إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي الجواهر الدمشقي والفارسي والهندي لكل نوع منها عدد من الأنواع، وكان الأوروبيون قد شاهدوا أثناء الحروب الصليبية النصول الإسلامية المجوهره في أسواق دمشق، وكان من بينها النصول الدمشقية والفارسية والهندية غير أنهم أطلقوا اسم الجواهر الدمشقي Wave Damask على كل هذه الجواهر فلما منهم أنها تصنع جميعا بدمشق، ولكن لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة سمات خاصة يتميز بها، فالجواهر الدمشقي يتسم بكثرة تموجاته التي تشبه البقع الهندسية المحكمة وألوانه المائلة إلى البياض وعدم قابليته للصدأ ولدانته وتركيبه الذي يتألف من حبوب ناعمة متقاربة المسام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض كما أنه إذا طرق نصله ظهر فيه الجواهر حسنا عكس الأنواع الأخرى فإنه كثيراً ما يحصى: راجع الأسلحة الإسلامية - معرض مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ص ١٦ - ١٨ .

(٩٠) يعتبر خط الثلث من أهم الخطوط المدورة وقد سمي بهذا الاسم لانه ثلث الطومار الذي تقدر مساحته بأربعة وعشرون شعرة من شعر البرذون والثلث بقدر ثمانين شعرات وهو نوع من أنواع الخطوط اللينة - راجع بلال عبد الوهاب الرفاعي - الخط العربي (تاريخه وحاضره) دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٠ - ص ٧٥، غير أن حجمه الكبير لم يجعله مناسباً لكتابة

التصويع والمؤلفات، ولذا اقتصر استخدامه على كتابة عناوين الكتب والعبارات الدعائية والبسمة ونقوش واجهات العصور والعياشي والتحف الفنية - راجع جروهمان - النسخ والتث - ترجمة غاتم محمود - مجلة المورد، العدد الرابع - بغداد ١٩٨٦، ص ١١٣-١١٤، وكذلك راجع: يوسف ذى النون، خط التث ومراجع الفن الإسلامى - مقال ضمن كتاب الفنون الإسلامية - دار الفكر - دمشق ١٩٨٩ - ص ١٠٧-١٠٩، وقد أطلق الخط التث الأندلسى على خطوط المغرب والأندلس تميزاً له عن خط التث المشرقى لما تعرض له من تحويرات جمالية على يد الخطاط الأندلسى بأسلوب مخالف للأسلوب المشرقى - راجع عمر آغا - ملامح من تطور الخط العربى - مجلة كلية الآداب - العدد ١٨ - ص ٨٠، وإعل ما يؤكد على هذه الحقيقة ما ذكره المقرئ نقلاً عن ابن غالب من أن أهل الأندلس كانت لهم خطوط مخصوصة لهم ورونى وترتيب يشهد لصاحبه بحسن الخط والتجويد - المقرئ - فلع الطيب ج ٣ - ص ١٥١

(91) Fernandez Francisco (Gonzalez): Espadas Hispano arabes en Museo espanol de Antigüedades, vol5, Madrid 1875, p.390

(٩٢) من المعروف أن مدينة غرناطة قد اشتهرت بسج الكتاب بل كان كتابها أجود من كتاب مصر يستل على ذلك بقول الحميرى الذى أشار فيه الى مدى جودة كتاب غرناطة عن مصر (الذى يربو جوده على كتاب النيل ويكثر حتى يصل إلى أقاصى بلاد المسلمين) راجع الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى) صفح جزيرة الأندلس مفتحه من الروض المعطار فى خبر الأقطار - نشر ليفى بروفنسال - القاهرة ١٩٢٨ - ص ٢٠

(٩٣) تطلعت صناعة الحرير فى مملكة غرناطة قدماً كبيراً لاسيما فى غرناطة العاصمة التى يمتدح ابن الخطيب حريها ويذكر أنه لا يمكن مقارنته الا بحرير العراق الذى رغم تلك المقارنة كان الأخير يقل عنه رقة ولدونة وعناقة راجع ابن الخطيب (إسمان الدين بن الخطيب) - اللمحة البدرية فى الدولة النصرية - صححه ووضع فهرسه محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٤٧ - ص ١٢، أحمد الطوفى - مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر - مؤسسة شباب الجامعة - ١٩٩٧ - ص ٣٠٥ وكذلك راجع :

Allouche (i.s) : la vie economique et social a Grenada, Melanges d'Historie et d'Archeologia de l'occident Musulman , I, II, 1954, p.9

(94) Bernis (CARMEN): trajes y modas en la espana de los reyes catolicos vol,2 , Los Hombres , Artesy artistas Madrid , 1979 , p.79

من المعروف أن غرناطة قد ورثت عن قرطبة فن الصناعات الجلدية لاسيما فى مدينة المرية - وكانت مملكة متخصصة فى إنتاج الأغشية والحزم والمدورات، راجع . القلقشندى (أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء - مجموعة تراثنا، الجزء الخامس ص ٢١٩، وكان الدباغون ينزلون أطراف المدينة على ضفاف الأنهار اتقاء لرائحة صناعتهم - ليفى بروفنسال - محاضرات فى آدب الأندلس وتاريخها ترجمة محمد الهادى شعيره - مراجعة عبد الحميد الصلادى - مطبوعات جامعة الإسكندرية - ١٩٥١ ص ٦٦ وكذلك راجع :

Torres Balbas (leopoldo) : plazas, zocos y tiendas de las ciudades Hispanomuslimans AL – Andalus – Vol , XII , 1947 , Fasc 2, p.459

(95) Soler Alvaro : Ear dagger scabbraed knife, belt , pouch , and case AL – Andalus the art of is lamic spain , new york 1992 p.292

(٩٦) تجدر الإشارة هنا إلى أن مجمل ما وصلنا عن ما يعرف بيد فاطمة La mano de fatima على العمارة والفنون الأندلسية يشويه الغموض وذلك لاختلاف الآراء حولها فبعض الباحثين يرى أن لها مدلولاً دينياً في الفكر الإسلامي من حيث أنها تقى من شرور الحسد والأمراض لاسيما منذ عصر الموحدين الذي شاعت فيه تلك الزخرفة في حين يرى البعض الآخر بأنها ترمز للفظ الجلالة حيث تشبه في رسمها الحروف التي تتألف منها ومن ثم فهي شكل من أشكال الكتابة الرمزية التي لها علاقة بالدين

Labarta ( ANA) : procescos contra Moriscas, Vlenciano AL Quantra vol, I , 1980, pp. 129-138

Etting Hausen (R) : Notes On the lusterware of spain , ars orientalis I was hington, 1954, p.152



## معركة الصنبرة أحداث ونتائج

(٥٠٧هـ/١١١٣م)

د. عائشة بنت مرشود حميد الحربي (\*)

### مقدمة

شهد تاريخ الحملات الصليبية - الذي امتد لمدة قرنين من الزمان (من أواخر القرن الخامس الهجري حتى أواخر القرن السابع الهجري / من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي) - كثيرا من المعارك الحاسمة بين الجانبين الإسلامي والصليبي، كتب النصر في بعضها - بإذن الله - للمسلمين، وهذا النصر بدوره أسفر عن نتائج بعيدة المدى.

والحقيقة أن الصليبيين قد نجحوا في غزو الأراضي الإسلامية في فلسطين وبلاد الشام بسهولة، ويعود نجاحهم في المقام الأول، إلى حالة التمزق السياسي والضعف العسكري الذي كانت تعاني منه أقوى خلافتين، فقد كانت مملكة الشرق الإسلامي منقسمة، في ولائها الديني والسياسي، ما بين خلافتين متناحرتين، وهما الخلافة العباسية السنية في بغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وفي ظل هذا الانقسام السياسي، وغياب الوحدة الإسلامية. تمكن الصليبيون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى من تأسيس أربع كيانات صليبية وهي: الرها، وأنطاكية، ومملكة بيت المقدس، وطرابلس.

وبعد هذه الصدمة التي هزت أركان العالم الإسلامي؛ ظهرت أصوات إسلامية تنادي بضرورة توحيد الجبهة الإسلامية كحجر أساس لمواجهة العدوان الصليبي، وفي مقدمتهم: مودود بن التونتكين أمير الموصل (٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م)، حيث كان له دوره الرائد في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، إذ قام بالدعوة للوحدة الإسلامية وتسيان الخلافات الداخلية بين الأمراء المسلمين، رغبة في دفع الخطر الصليبي.

فقام بتوجيه حملتين ضد الصليبيين: الأولى عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م، والثانية عام ٥٠٥هـ/١١١١م. وبالرغم من أنه لم يكتب لتلك الحملتين إلا نجاحا محدودا، إلا أنها أسفرت عن توطيد العلاقات بين مودود وطنگين أمير دمشق (٤٩٧-٥١١هـ/١١٠٣-١١١٧م). وهذا مما شجع الأخير في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لطبب النجدة من مودود ضد بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٤-٥١٢هـ/١١٠٠-١١١٨م) ملك بيت المقدس الذي اشتدت هجماته على دمشق، وقد سارع مودود بالخروج بجيشه من الموصل.

(\*) أستاذ مساعد التاريخ الوسيط بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة بالمدينة المنورة.

ولما علم طغتكين بخروج موبود سارع للقاءه عند سلمية، وتوجهوا جميعاً إلى طبرية. والتقت القوات الإسلامية بالقوات الصليبية حول طبرية، عند جسر الصنبرة في محرم سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وكان بلندوين قد استنجد بروجر صاحب أنطاكية (٥٠٦-٥١٣هـ/ ١١١٢-١١١٩م) Roger prince of Antioch، ويونز صاحب طرابلس (٥٠٦-٥٣١هـ/ ١١١٢-١١٣٧م) Pons count of the tripoli، فاستجابا سريعاً وقدموا لنجده، فحدثت موقعة الصنبرة الحاسمة، وانتهت بهزيمة الصليبيين، وقتل عدد كبير من رجالهم، ووقع الملك بلندوين في الأسر، ولكنه لم يعرف فأخذ سلاحه، وأطلق أسره. وغرق في بحيرة طبرية ونهر الأردن عدد كبير من الصليبيين، فاستولى المسلمون على أموالهم وسلاحهم.

ومن خلال هذا البحث سنقف على تفاصيل أحداث معركة الصنبرة ومقدماتها ونتائجها، على الجانبين الإسلامي والصليبي، إذ تعد هذه المعركة بمثابة صفحة مشرقة من صفحات الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

### حكم موبود للموصل وحملاته ضد الصليبيين

عهد السلطان السلجوقي محمد بن منكشاه (٤٩٨ - ٥١١ هـ / ١١٠٤ - ١١١٧ م) بأمر الموصل إلى الأمير شرف الدين موبود بن التوتكين (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ / ١١٠٨ - ١١١٧ م) في صفر عام (٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) (١).

ومنذ ذلك الحين أخذ دوره يتضح في الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، وكانت البداية الواضحة لذلك؛ عندما تلقى موبود الأوامر من السلطان محمد بن منكشاه يدعو للجهاد ضد الصليبيين بدءاً من الرها، وأمدّه ببعض القوات، كما أمر سقمان القطبي (٤٩٥ - ٤٩٨ هـ / ١١٠١ - ١١٠٤ م) صاحب خلاط<sup>(٢)</sup> وميفارقين<sup>(٣)</sup>، وإيلغازي بن أرتق صاحب ماردين<sup>(٤)</sup> (٥٠٢ - ٥١٦ هـ / ١١٠٨ - ١١٢٢ م). إضافة لذلك فإن السلطان محمد طلب من أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين (٤٩٧ - ٥١١ هـ / ١١٠٣ - ١١١٧ م) أن يضم لهذا الجيش، فاشترط أن تكون إمرة الجهاد له، لكن شرطه لم يزل القبول<sup>(٥)</sup>.

### وتعلل الباحثة ذلك من وجهة نظرها بعدة أمور :

- تخوف السلطان محمد بن منكشاه من اشتداد نفوذ طغتكين، مع ظهور بوادر ميله للتقارب مع الصليبيين.
- من الأفضل أن تكون الموصل هي نقطة انطلاق القوات بحكم موقعها واتصالها ببلاد الجزيرة.
- استقلال الحماس الديني والسياسي لدى موبود، لأنه حديث التولي للموصل.
- خشية السلطان محمد بن منكشاه من تطلع طغتكين لضم الموصل إلى دمشق؛ إذا ما انتصرت القوات المتحالفة.
- وبالرغم من عدم قبول شرط طغتكين؛ إلا أنه قدم بقواته لمساندة القوات الإسلامية<sup>(٦)</sup>.

وقرروا التوجه بهذا الجيش نحو الرها، وذلك لخطورة موقعها بالنسبة للجزيرة<sup>(٧)</sup> فضلاً عن أن الباحثة ترى أن السلطان محمد يهدف إلى معاقبة جاولي سقاو (٥٠٠ - ٥٠٢ هـ / ١١٠٦ - ١١٠٨ م) - الحاكم السابق للموصل - نظراً لتحالفه مع الصليبيين ضده، وفي الوقت ذاته الضغط على الصليبيين بالسيطرة على الرها ذات الأهمية الكبرى لهم.

ولما قامت القوات الإسلامية المتحالفة بحصار الرها، في شوال ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م، أسرع أميرها بندوين برج Baldwin of Bourg (٥٠٢ - ٥١١ هـ / ١١٠٨ - ١١١٨ م) يطلب النجدة العاجلة من الملك بندوين الأول Baldwin I (٤٩٤ - ٥١٢ هـ / ١١٠٠ - ١١١٨ م) ملك بيت المقدس. فقدم الملك الصليبي لتجديدهم من بيروت ومعه تانكرد صاحب أنطاكية Tancred (٤٩٨ - ٥٠٦ هـ / ١١٠٤ - ١١١٢ م). وريموند الصنجيلي صاحب طرابلس Raymond of st. Gilles (٤٩٦ - ٤٩٩ هـ / ١١٠٢ - ١١٠٥ م) وهذا مما أعطى الجيش الصليبي الضخامة في العدد.

ولذا رأى مودود أنه من الأفضل الانسحاب عن الرها، حتى يقابلوا الصليبيين بعيداً عن الحصون في المناطق المكشوفة، لكن معظم الصليبيين لم يلاحظوا، بل اكتفوا أن رجع المسلمون حصارهم عن الرها. وذلك لأنهم فطنوا لخطة مودود<sup>(٨)</sup>، ومن وجهة نظر الباحثة أن الملك بندوين الأول كان مشغولاً بمشروعه الخاص بالسيطرة على مدن الساحل الشامي. وبالتالي من عدم وجود نتيجة **حاسمة لحملة** مودود السابقة، إلا أنها لفتت الأنظار إلى أهمية الجبهة الإسلامية الموحدة في تحقيق النصر أمام الأعداء وأن اتخاذ الخطة العسكرية المناسبة كقول بتحقيق النصر.

وعادت القوات الإسلامية لديارها. أما الصليبيون فأنهم أخذوا، في طريق عودتهم، في تخريب البلاد الإسلامية التابعة لحلب، وفرضوا على رضوان بن تكتش صاحب حلب (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) جزية سنوية مقدارها اثنان وثلاثون ألف ديناراً<sup>(٩)</sup>، يحملها إليهم مع خيول وثياب، مقابل أن يوقفوا أذاهم عن حلب، وفرضوا الجزية على شيراز<sup>(١٠)</sup> وحماة وصيدا<sup>(١١)</sup>.

وبالرغم من تعهد الأمراء المسلمين بدفع الجزية المفروضة عليهم؛ إلا أن الصليبيين لم يتوقفوا عن مهاجمة حلب، بل استولوا على قلعة الأثارب<sup>(١٢)</sup> التابعة لها<sup>(١٣)</sup>.

لذا توجه أهل حلب إلى الخليفة العباسي المستنصر (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠٩٤ - ١١١٨ م) يطلبون منه وقف العدوان الصليبي<sup>(١٤)</sup>، وتزامن ذلك مع وصول رسل الإمبراطور البيزنطي الكسبروس كومنين Alexius Comnenus (٤٧٣ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م) إلى السلطان محمد ملكشاه؛ تطلب منه نفس الطلب<sup>(١٥)</sup>.

وفي الحقيقة أن قيادة الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان لم يكن غرضها محبة المسلمين أو الدفاع عنهم، إنما جاءت بعد خلافات نشبت بين زعماء الروم والفرنجة على امتلاك بعض الإمارات في ساحل الشام؛ كان الروم اشتراطوها على الفرنجة عندما سمحوا لهم بالعبور من بلادهم في الحملة الأولى سنة ٤٩٠ هـ / ١١٩٦ م. فأراد الروم من هذه الوفاة أن يضربوا المسلمين بالفرنجة، وإشغالهم ببعضهم، فيستأثروا بالإمارات التي يطلبونها<sup>(١٦)</sup>.

وإزاء هذه الاستغاثات، طلب السلطان محمد بن ملكشاه من مودود أن يخرج بجيشه لجهاد الصليبيين، وطلب أيضاً من الأمراء، في الشام والجزيرة، أن ينضموا لجيش مودود، فالتزم له أحمد يل صاحب مراغة<sup>(١٧)</sup>، وأبو الهيجاء صاحب إربل<sup>(١٨)</sup>.

وسقمان القطبي صاحب خلاط<sup>(١٩)</sup> وتبريز، فضلاً عن طغتكين صاحب دمشق<sup>(٢٠)</sup>.

ويلاحظ هنا الرابطة الفعلية الجغرافية والتاريخية بين شمال الشام وشمال العراق، فهما امتداد واقعي لكل منهما، ناهيك عن أن الموصل وحلب مثلاً خطاً دفاعياً استراتيجياً، فأى خطر خارجي تتعرض له حلب، سيؤثر بصورة أو بأخرى على شقيقتها الموصل، وهذا يكشف لنا عن حقيقة محورية وهي: أن غاية آمال الصليبيين أن يتعاملوا مع المسلمين ككيانات صغيرة هشة، منعزلة غير مترابطة، أما الآن فقد وضحت خاصية جغرافية وتاريخية مهمة في صورة ارتباط المدن الإسلامية أمام الشعور بالخطر الخارجي الداهم<sup>(٢١)</sup>.

على أية حال سارت هذه الجيوش بقيادة مودود أوائل سنة ٥٠٥ هـ / ١١١١ م، نحو الرها وفرضوا الحصار عليها، لكن قوة تحصينها واحتوائها على الأسلحة، وطول مدة الحصار، أجبرت مودود أن يفك الحصار عنها، والزحف نحو سروج<sup>(٢٢)</sup> وحصارها وبدأ على ذلك: قام الصليبيون بمهاجمة حلب<sup>(٢٣)</sup>، فأتجه المسلمون إلى حصار حصن تل باشر<sup>(٢٤)</sup> نون أي نتيجة حاسمة لصالحهم<sup>(٢٥)</sup>.

**وقد تعددت أسباب فشل مودود في السيطرة على تل باشر منها :**

- تزامن حصار تل باشر مع محاصرة تاتكرد أمير أنطاكية لحلب، فطلب النجدة من المسلمين، فاقترح أحمد يل أمير مراغة رفع الحصار عن تل باشر والتوجه لانتفاذ حلب.
- يرى ابن القلاسي أن جوسلين، صاحب تل باشر، قد أرسل إلى الأمير أحمد يل بلاطفه بمال وهدية، وسأله الرجول عن الحصن.
- مرض سقمان القطبي وبرسقي بن برسقي، فاتسحب كل منهما عائداً لبلاده<sup>(٢٦)</sup>.
- ومهما يكن من أمر، وسبب، فمن وجهة نظر الباحث أن بقاء حلب في ظل الحكم الإسلامي خير من التفكير في السيطرة على تل باشر.

لكن مما يؤسف له، أن رضوان مازن علم بقدوم التجذات الإسلامية حتى أغلق أبواب حلب دونهم. ولطه كان يخشى من سيطرة مودود على حلب فيفقد سيطرته. فضلاً عن ذلك قام رضوان بالقبض على بعض أعيان حلب ممن شك في ولائهم له واحتجزهم في القلعة، وأوكل مهمة حماية حلب إلى جنده وأتباعه من الباطنية.

وقام بمصالحة تاتكرد صاحب أنطاكية، وتحالف معه ضد القوات الإسلامية، وقام رضوان بتحريض النصوص على مهاجمة معسكر القوات الإسلامية، ونهب من يجدونه من الجنود في التواحي المتطرفة منه<sup>(٢٧)</sup>.

إن موقف رضوان السابق يعتبر موقفاً عدائياً، وذلك بإفساد حصار القوات الإسلامية وإنقاذ القوى الصليبية من ضياع هذه المدينة وسقوطها في أيديهم، وذلك بطلبه منهم واستعجاله لهم في التقدم إلى حلب<sup>(٢٨)</sup>.

ونتيجة لأعمال رضوان السابقة، قرر مودود الانسحاب بقواته عن حلب، والسير بها نحو معرة النعمان<sup>(٣١)</sup> لقتال الصليبيين. لكن طغتكين بدأت ترواه المخاوف على دمشق من أن يسيطر عليها مودود، فشرع في مهادنة الفرنج سرًا<sup>(٣٢)</sup>. وهكذا أدى التفكير في المصالح الشخصية إلى تفكك القوة الإسلامية، وكان المفروض أن يقدم كافة الأمراء والحكام، في تلك الحين مصلحة الإسلام والمسلمين على مصالحهم الخاصة<sup>(٣٣)</sup>.

بعد ذلك خرجت القوات الصليبية، بقيادة بندوين الأول، تساعده قوات طرابلس وأنطاكية والرها قرب أقامية<sup>(٣٤)</sup> أي في الجزء الأوسط من حوض نهر العاصي، فصار ابن منقذ صاحب شيزر إلى مودود وطغتكين وشجعهما على قتال الصليبيين، فرحلوا إلى شيزر، فقام المسلمون بالغارات الخاطفة عليهم، ولذا تراجع الصليبيون إلى أقامية<sup>(٣٥)</sup>. ثم عاد طغتكين إلى دمشق ومودود إلى الموصل.

وقد استأنف مودود جهاده ضد الصليبيين، فقام عام ٥٠٦هـ/١١١٢م، بحملة بمفرده لاسترداد الرها لكنه فشل، ولذا توجه نحو سروج، لكن جوسلين Joscelyn صاحب تل باشر والرها (٥٠٦-٥٢٢هـ/١١١٢-١١٣١م) نجح في التصدي له وهزيمته<sup>(٣٦)</sup>.

#### من العرض السابق لجهاد مودود فيمل معركة الصنبرة يلاحظ عدة أمور :

- عدم وجود جيش نظامي متحد من الأمراء المسلمين لجهاد الصليبيين.
- لم ترد أي إشارة عن وجود خطة تنظيمية لمقاومة العدوان الصليبي.
- أن تدعم الجيش الإسلامي وقوته تعتمد بشكل رئيس على ما يصله من إمدادات.
- أن أمد حملات مودود قصير لا يتجاوز الشهرين.
- أن أسلوب حربه للصليبيين يعتمد على الحصار والغارات السريعة الخاطفة.
- أن الخلافات بين الأمراء المسلمين كثيراً ما تخنل مودود، وتجعل نتيجة حملاته محدودة الأثر.
- أن قادة الجهاد الإسلامي لا يلتزمون أمداً طويلاً خارج بلادهم، فبعد تحقيق أي نصر يعودون سريعاً لبلادهم، وذلك تحسباً لظهور أي غارة صليبية مفاجأة على بلادهم.
- ولكل ما سبق لم تسفر الحملات الأولى عام ٥٠٤هـ/١١١٠م و ٥٠٥هـ/١١١١م عن نتيجة حاسمة لأن الفرنجة حاربوا متحدين بقيادة بندوين الأول ملك القدس، ولأن الجبهة الإسلامية لم تكن صلبة كما كانت تظهر<sup>(٣٧)</sup>.

#### الملك بندوين الأول ومعركة الصنبرة :

تعرضت دمشق في أواخر عام ٥٠٦هـ/١١١٢م لهجمات صليبية<sup>(٣٨)</sup>، ولذا استنجد طغتكين بحليفه مودود. فقام الأخير بدور يطلب النجدة العاجلة من أمراء المسلمين بالجزيرة.

فلما سمع طغتكين بذلك خرج بقواته والتقى بالقوات الإسلامية عند بلدة سلمية<sup>(٣٧)</sup>، ومنها توجهوا صوب بحيرة طبرية، لكنهم فشلوا في ذلك بسبب قوة حصانتها، فزحفوا نحو الأقحوة<sup>(٣٨)</sup> وعسكروا في جزيرة بين جسرين غرب بحيرة طبرية<sup>(٣٩)</sup>.

ولما علم بلدوين بهذا الزحف الإسلامي، وكان محاصراً لعكا، عرض في البداية على طغتكين المسالمة والموادعة مقابل أن يمنحه بلدوين حصن ثماتين وجبل عاملة، ونظير ذلك يمنح طغتكين الصليبيين حصن الحبس الذي في السواد ونصف السواد. وبموجب معاهدة السلام هذه يتوقف بلدوين عن الهجوم على أراضي دمشق، ويتوقف طغتكين عن مهاجمة أعمال الفرنج، ويترك التحالف مع مودود. لكن طغتكين رفض هذا العرض وظل منضماً لجيش مودود<sup>(٤٠)</sup>.

**ومن وجهة نظر الباحثة فإن بلدوين كان يهدف من وراء هذا العرض إلى تحقيق الآسور التالية:**

- ضرب تحالف جيش دمشق مع الموصل.
  - إضعاف جيش مودود إذا ما انسحب منه أقوى حليف.
  - تفرغ بلدوين لحصار عكا، لأنه يتطلع للسيطرة على مدن الساحل الشمالي.
- وإزاء فشل بلدوين في التفاوض مع طغتكين فقد اضطر لترك حصار عكا، والتوجه بجيشه لصعد قوات مودود، وفي الوقت ذاته طلب سرعة التجدة والإمداد من روجر الصقلي حاكم أنطاكية Roger prince of Antioch (٥٠٦ - ٥١٣ هـ/ ١١١٢ - ١١١٨ م) ويونز كونت طرابلس Bons count of the Tripoli (٥٠٧ - ٥٢١ هـ/ ١١١٣ - ١١٢٧ م)، لكن بلدوين لم ينتظر وصولهم بل سارع بالخروج بجيشه فوصل إلى جسر الصنبرة<sup>(٤١)</sup> جنوبي غربي بحيرة طبرية<sup>(٤٢)</sup>، وهناك أعد له مودود خطة عسكرية محكمة تتلخص في: أن يقيم المسممون خيامهم في الجزيرة، ثم يرسلوا عدداً من الجند بحدود ألفين لكن يخرج منهم خمسمائة لمهاجمة الصليبيين.

ولذا تبادر إلى الملك بلدوين أن عدد الجند قليل، فجد مسرعاً نحوهم، وتظاهر الجند المسلمون بالهزيمة والتراجع نحو الجزيرة، لكن كانت المفاجأة أن خرج ألفان من جند المسلمين من كمينهم. وهذا الأمر قد غير موازين المعركة لصالح المسلمين، إذ شنوا هجوماً عنيفاً على الصليبيين<sup>(٤٣)</sup>.

وقد تكلفت هذه الخطة بنجاح، إذ أدت إلى وقوع عدد من المشاة في أيدي المسلمين، حتى إن بلدوين نفسه هرب من الأمر بصعوبة<sup>(٤٤)</sup>، فضلاً عن غرق عدد من الجند في نهر الأردن وبحيرة طبرية، حتى قُدرهم المؤرخين بألف ومائتين من المشاة، وثلاثين من الفرسان<sup>(٤٥)</sup>.

وعبر مؤرخي الحروب الصليبية عن هذه الهزيمة بكل ألم، حيث قال فوشيه الشاريتي: «يا له من حزن عميق!! ففي ذلك اليوم جلبت علينا خطايانا الكبيرة عاراً عظيماً»<sup>(٤٦)</sup>. ووصفها ابن القلائسي بقوله: «وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب منها أياماً حتى صفت منه وراقت»<sup>(٤٧)</sup>.

وقال وليم الصوري : «جرت مذبحة مروعة في صلوف الهارين، حتى أن الملك ذاته ألقى بعلمه الذي كان في يده إلى الأرض، وكانت نجاته هو إهدى المعجزات. وهكذا استولى العدو على مخيمنا، وعوقبنا على خطايانا»<sup>(١٨)</sup>.

من القراءة التحليلية للباحثة للتصوص السابقة يتضح لنا عدة أمور :

- عظم الهزيمة التي لحقت بالصلبيين وكثرة قتل جنودهم، حتى وصفت أرض المعركة بالمذبحة المروعة.
- تعجب واستكار قوشيه للمصيبة العظمى التي حلت بهم.
- عجز الصليبيون عن الصمود بأرض المعركة، ولذا ولوا هارين وفي مقدمتهم منكمهم.
- اليأس الكبير الذي سيطر على الصليبيين، لذا اعتبروا نجاة ملكهم بلدوين الأول من القتل وهروبه من المعجزات الخوارق.
- الأثر النفسي الأليم الذي تركته هذه المعركة في نفوس الصليبيين حيث سطرت في أنفسهم الحزن العميق، وهذا دلالة واضحة على انهيار روحهم المعنوية.
- استيلاء المسلمين على المخيم الصليبي وخيمة بلدوين وما فيها من أثاث وأواني فضية.
- اتفاق وليم وقوشيه أن هذه الهزيمة المنكرة، والمذبحة المروعة، قد حلت بهم كنوع من عقاب الرب لهم، لأنهم غرقوا في الخطايا والاثام.
- كثرة القتلى في الجيش الصليبي، حتى إنها أثرت في صلاحية مياه البحيرة للشرب.
- جرح عدد كبير من جنود الجيش الصليبي.
- أن سرعة فرار الصليبيين من أرض المعركة، نتيجة للذعر الشديد، أدى إلى غرق عدد كبير منهم في البحيرة.
- ولما أن نقف على أسباب هزيمة الصليبيين في معركة الصنبرة، فإن ذلك من وجهة نظر الباحثة يمثل في عدة نقاط، وهي:
- عدم وضع بلدوين لأي خطة عسكرية لمواجهة الجيش الإسلامي، بل كان هجومه مفاجئاً وعشوائياً، كما وصف : «واندفاعه ضد العدو بطريقة عشوائية متهورة»<sup>(١٩)</sup>.
- توجه بلدوين من عكا مباشرة نحو الصنبرة، دون أن يعطي جيشه فرصة للراحة وتجهيز العتاد، قبل الانتقال لجهة أخرى.
- استعجال بلدوين بالمسير نحو الصنبرة، دون انتظار وصول قوات روجر ويونز. حيث قال وليم الصوري : «ويرجع السبب في هذه النكبة إلى الملك الذي لم يطق صبراً حتى تصل إليه النجدة اطمئناناً منه إلى شجاعته الذاتية»<sup>(٢٠)</sup>. ومن وجهة نظر الباحثة أن استعجاله بالمسير بسبب خوفه من سرعة تقدم الجيوش الإسلامية، مما يعد تذكيراً بتطلعهم لاسترداد بيت المقدس.
- عدم انتباه بلدوين لطبوغرافية أرض المعركة، حيث قال الشارترى : «وفد أدانوا عدم فطنة الملك»<sup>(٢١)</sup>.
- فشل خطة بلدوين في ضرب التحالف الإسلامي، فلم ينجح عرضه في استمالة طغتكين لجاتيه.

- لم يترك حامية عسكرية لحماية مؤخرة الجيش من أي هجوم مفاجئ.
  - أما بالنسبة للمسلمين فإن أسباب النصر لديهم تمثلت فيما يلي :
  - اتحاد قوات الموصل مع دمشق.
  - انتظار مودود لوصول التجندات الإسلامية وضمها إلى جيشه.
  - حسن اختيار المناطق المحصنة، حيث تمركزوا في تاحية طبرية، وفي هذه المنطقة عسكرياً عند جسر الصنيرة في الجزيرة الآمنة، كما قال عنها الشارنري : «وكانت آمنة جداً بحيث أن أي أحد يتخذ موقعه هناك لا يمكن مهاجمته، بفضل المداخل الضيقة المؤدية إلى الجسور»<sup>(٥٦)</sup>.
  - استخدام الخطة العسكرية المناسبة، والتي اعتمدت على عنصر المفاجأة للجيش الصليبي، بظهور بقية جنود مودود بعد ملاحقة بلدوين لهم.
- وأهم النتائج لهذه المعركة :**
- أنها أدت إلى ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، وفتحت أنظارهم إلى أهمية الوحدة الإسلامية في تحقيق النصر على الصليبيين، وأن جهاد مودود كان بمثابة الفجر المشرق الذي ينبئ عن بناء الجبهة الإسلامية الموحدة.
  - أسهمت في تأكيد المودة ووحدة الهدف والمصير بين أمراء المسلمين، بشمال الشام والجزيرة، مع إخوانهم في العراق ووسط بلاد الشام<sup>(٥٧)</sup>.
  - أن عصر مودود - رغم قصره - أصبح نقطة تحول في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي، خلال تلك المرحلة المبكرة، فقد صارت فكرة الجهاد حقيقة واقعة، جذبت مملكة بيت المقدس مركز قواها للدفاع عن حدودها الشمالية، فاختصر بلدوين الأول، خلال السنوات الباقية من عمره، على الدفع عن الكيان الصليبي<sup>(٥٨)</sup>.
- وعن الأحداث بعد هذه المعركة: فقبله وصلت قوات روجر ويوتز، وهذه القوات جددت الأمل في نفوس الصليبيين، لكن الهزيمة التي أصابت جيش بلدوين فرضت عليهما اللجوء إلى القتال غير المباشر، فقاموا بالاحتواء بمرتفعات غرب مدينة طبرية. فقام المسلمون بربوهم بالنشاب، وقطعوا عنهم الميرة، لكنهم استمروا على نفس أسلوبهم في القتال. ولم يحسم هذا القتال بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين<sup>(٥٩)</sup>.
- ومما زاد الأمر سوءاً شدة حرارة الصيف<sup>(٦٠)</sup>، ولذا استخدم المسلمون أسلوباً آخر في القتال وهو الغارات الخاطفة، وذلك بغرض الضغط على قوات أنطاكية وطرابلس، حتى يضطروا للانسحاب، وحتى يحصلوا على غنائم يتقوى به الجيش الإسلامي، فساروا إلى بيمان<sup>(٦١)</sup> ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا إلى القدس<sup>(٦٢)</sup>، كما زحفت حامية عسقلان الفاطمية على بيت المقدس، وهذا مما يضعف الجبهة الصليبية عندما تنتوع عليها أماكن الضرب الإسلامية. وتمكنت الحامية الفاطمية من الوصول إلى أسوار مدينة القدس الخارجية، وأسطوا النيران في المحاصيل هناك. لكنهم ما لبثوا أن تسحبوا عائدتين إلى عسقلان<sup>(٦٣)</sup>.

ومن الواضح أنه لو كانت هناك عندئذ خطة شاملة توحد جهود القوى الإسلامية، لتمكن أن تقوم الدولة الفاطمية بعمل حربي كبير يهدد الصليبيين تهديداً خطيراً ويجعلهم بين نارين<sup>(١٠)</sup> كمن وقع بين المندان والمطرقة.

أما بالنسبة لمودود، فقد قرر العودة بقواته إلى بلاده، لأنهم مكثوا فترة شهرين دون تحقيق أي نصر يحسم الموقف، خاصة أن وصول الحجاج من بلاد ما وراء البحار، أدى إلى زيادة عدد الجيش الصليبي، بالإضافة إلى صعود رجال أنطاكية<sup>(١١)</sup>.

ولكل ماسبق أذن مودود لحلفائه بالعودة إلى بلادهم، لحول الشتاء، كي يأخذوا فترة من الراحة، ويستمعوا به في الربيع القادم، لكن مودود مالبث أن قتل على يد أحد الباطنية في جامع دمشق<sup>(١٢)</sup>.

### الفاطمية

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث المعنون معركة الصنيرة أحداث ونتائج ١١١٣ هـ/١٠٧٠ م. فمن خلال هذه الدراسة توصلت للنتائج التالية:

- لعبت الموصل دوراً كبيراً في تزعم مشروع الجهاد ضد الصليبيين، ودعوة أمراء الشام والجزيرة للمشاركة معهم.
- لما اتضح دور الموصل الرائد للجهاد، استغلت بهم أهل حلب عام ٥٠٥ هـ/١١١١ م، لدفع الخطر الصليبي عنهم.
- قاد شرف الدين مودود أعظم أدوار الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في الفترة (٥٠٢ - ٥٠٧ هـ/١١٠٨ - ١١١٣ م).
- إن تقديم بعض الأمراء المسلمين مصالحهم الشخصية على الصالح العام، كما فعل رضوان بن تنش وقف حجر عثرة لإتمام الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.
- إن الدولة العباسية، بالرغم من ضعفها إلا أنها ظلت الحارس الحامي للمسلمين، فдалما تصل للخليفة العباسي رسل الاستغاثة، وطلب النجدة ضد العدوان الصليبي.
- أوضحت الدراسة أهمية ارتباط المدن الإسلامية، كوحدة واحدة، أمام الشعور بالخطر الصليبي المشترك، ونيز الخلافات الداخلية بينهم.
- أوضحت الدراسة أهمية تكامل الجهود بين الخليفة العباسي، وأمراء الدويلات الإسلامية المستقلة، في دفع الخطر الصليبي.
- أهمية تحقيق الوحدة بين شمال الشام والعراق لدفع الخطر الصليبي.
- كشفت الدراسة عن مدى حنكة مودود السياسية والعسكرية، في خطواته وقراراته أثناء قيادته للعديد من الحملات ضد الصليبيين.
- أثبتت الدراسة أن المكان والخطة لهم دور كبير في تحديد مصير أي معركة.
- كشفت الدراسة عن أهمية مراعاة قائد المعركة للجنود في أخذ رأيهم بعد المعركة؛ بالاستمرار في الجهاد أو العودة لموطنهم.
- اتضح دور الباطنية العدائي ضد المسلمين، فكثيراً ما قاموا باغتيال قادة الجهاد الإسلامي مثل مودود عام ٥٠٧ هـ/١١١٣ م.

## المصادر والمراجع

### أولا المصادر العربية والمحربية

- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر ظليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط ١٩٦٣م.
- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٢م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- أبو شامة : شهاب الدين محمد، ٦٥٥هـ/١٢٦٧م.
- الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، دار الجيل، بيروت، د(ت).
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م الأعلاني الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.
- ابن العربي : غريغوريوس أبو الفرج بن هارون، ت ٦٦٠هـ/١٢٨٦م.
- تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- ابن النديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد، ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م.
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط ١٩٥١م.
- العظمي : محمد بن علي العظمي الحلبي، ٥٥٦هـ/١١٦١م.
- تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.
- أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م.
- تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
- المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- فوشيه الشارترى :
- الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ذات المراحل، الكويت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ابن الفلّاتسي : أبو يعنى حمزة بن الفلّاتسي، ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

- ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة، د (ت).
- ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت ١٣٧٢هـ/١٩٧٤م.
- البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.
- ابن الوردي : أبو حفص زين الدين، ت ١٣٤٩هـ/١٧٤٩م.
- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- وليم الصوري : - الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله، ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م.
- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د (ت).

#### ثانياً المراجع العربية والمحربية :

- إبراهيم محمد المزيني :
- إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين، الرياض، ط ٢٠٠٣م.
- أحمد عطية :
- القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
- إريشود يوسف راشد:
- سلاجقة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م.
- أرمنت باركر :
- الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العري، دار النهضة العربية، بيروت.
- ريتيه جروسيه
- الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أبينش، دار فتيبة، سوريا، ط ٢٠٠٢م.
- ستيفان رتسيمان
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العري، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.
- سعد أحمد برجاي :
- الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.
- سعد عبد الفتاح عاشور :
- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م.
- عصام عبد الرؤوف الفقي :
- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٧٥م.
- علية عبد السميع الجنزوري :
- إمارة الرها الصليبية، ط القاهرة، ١٩٧٥ م.
- عماد الدين خليل :
- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م.
- فأيد حماد عاشور :
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.

محمود سعيد عمران

- تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

مسافر سالم القامدي :

- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٩٨٦م.

محمد مؤنس عوض :

- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

موضي عبد الله السرحان :

- بيروت تحت الحكم الصليبي وعلاقتها بالمسلمين، دار الألوست، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

- هانس ماير

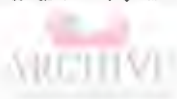
- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، مجمع الفتح للجامعات، ليبيا، ط

١٩٩٠م.

هنادي السيد محمود :

- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة،

٢٠٠٨م.



## المواضيع

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط ١٩٧٩م، ج ١٠، ص ٤٥٧ - ٤٥٩، ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، القاهرة، ص ١٦٠، ابن الجري : تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٧م، ص ١٧٣، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٤٣.
- (٢) خلاط : قصة أرمنية الوسطى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٢١م، ص ٢٤١.
- (٣) ميخائيلوف : أشهر مدينة بديار بكر، الحموي : معجم البلدان، ٤٠٤م، ص ٣٤٩.
- (٤) ماريين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة، الحموي : معجم البلدان، ٤٠٤م، ص ١٩٤.
- (٥) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج ٢، ص ٢٦٩، ستيفن رسيومان : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط ٣، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ١٨٧.
- (٦) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٦٩ - ١٧٠.
- (٧) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٤، عليّة الجنزوري . إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٣٧.
- (٨) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٦٩ - ١٧٠، ابن العديم - زبدة الحلب، ج ٢، ص ٩٦٥، محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية)، ط ٢٠٠٦م، ص ٤٥، هنادي السيد محمود : مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٩٩، ستيفن رسيومان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٨٨.
- (٩) أبو الفدا : المختصر، ج ٢، ص ٤٤، ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٠.
- (١٠) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم. الحموي : معجم البلدان، ٣٠٤م، ص ١٧١.
- (١١) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٢، ابن القلاسي : ذيل، ص ١٦٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٦.
- (١٢) الأشراف : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية. الحموي : معجم البلدان، ١٠٤م، ص ٨٠.
- (١٣) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٧٣، العظمي : تاريخ حلب، تحقيق إبراهيم زعور، دمشق، ١٩٨٤م، ص ٣٦٥.
- (١٤) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٧٣، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٧ - ١٥٨، آرنتس باركر : الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٥٤.
- (١٥) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٣.
- (١٦) إرشيد يوسف : سلاطنة الشام والجزيرة، عمان، ط ١٩٨٨م، ص ١٢١.
- (١٧) مراغة : بلدة مشهورة من أعظم بلاد أذربيجان، الحموي : معجم البلدان، ٤٠٤م، ص ٢٣٨، أبو الفدا : تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص ٣٩٩.

- (18) إريل : مدينة حصينة تعد من أعمال الموصل، الحموي : معجم البلدان، م، ١، ص ١١٦.
- (19) تيريز : أشهر مدن أنرييجان وهي ذات أسوار محكمة، الحموي : معجم البلدان، م، ١، ص ٤٣٠، أحمد عطية : القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص ٦١.
- (20) ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص ١٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ١٥٨، ابن خلدون : العبر، بيروت، ط ١٩٧٦م، ج ٥، ص ٤١، ابن كثير : البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ص ١٩٨٥م، ج ١٢، ص ١٨٥، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٥، ص ١٩٩.
- (21) محمد مؤنس عوض : الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب، دار عين، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٥٣.
- (22) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر، الحموي : معجم البلدان، م، ٣، ص ٤٣.
- (23) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥، ابن خلدون : العبر، م، ٥، ص ٤١.
- (24) تل باشر : قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب. الحموي : معجم البلدان، م، ١، ص ٤٥١.
- (25) ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٨، ابن شداد : الأعلاني الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبادة، الجزء الأول - القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م، ص ١٠٣، عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٢٣.
- (26) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٧٥.
- (27) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٧٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٥٩، رنسيهان : تاريخ الحروب الصليبية، ج ٢، ص ١٩٤.
- (28) إبراهيم محمد المزني : إمارة حلب، الحميضي، الرياض، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ١٢٥.
- (29) معرة النعمان : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحمص. الحموي : معجم البلدان، م، ٤، ص ٢٨٧.
- (30) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧، عصام اللقي : بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٤٤.
- (31) فؤاد عاشور : جهاد المسلمون في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٥٥.
- (32) ألامية : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص. الحموي : معجم البلدان، م، ١، ص ١٨٣.
- (33) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٨٧.
- (34) ابن العربي : تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٣، ابن خلدون : العبر، ج ٥، ص ٤١، مسفر القامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي، دار المطبوعات، جدة، ١٩٨٦م، ص ١٤٥.
- (35) هاشم مابر : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، ليبيا، ١٩٩٠م، ص ١١٤.
- (36) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٨٤، ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٥.
- (37) سلمية : بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة وكانت تعد من أعمال حمص، الحموي : معجم البلدان، م، ٣، ص ٦١.

- (38) الأقحوة : موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ جزيرة طبرية، الحموي : معجم البلدان، ١م، ص ١٨٨.
- (39) ابن الأثير : الباهر، ص ٨١، ابن العديم : زبدة الحطب، ج ٢، ص ١٦٣، ابن خلدون : المعر، ج ٥، ص ٤٢.
- (40) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٨٤.
- (41) الصنبرة : موضع بالأردن مقابل لفة أفريق بينه وبين طبرية ثلاثة أميال، الحموي : معجم البلدان، ٣م، ص ٢٠٣.
- (42) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، ابن القلاسي : ذيل، ص ١٨٥.
- (43) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي في الشرق العربي، ترجمة قاسم عده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م، ص ٢٤٨، موضي السرحان : بيروت تحت الحكم الصليبي، ط ١، ٢٠٠١م، الرياض، ص ٩٠، أبو شامة : الروضتين، دار الجليل، بيروت، ج ١، ص ٢٧.
- (44) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، رنيه كروسيه : الحروب الصليبية، ترجمة أحمد أيريش ن دار لكتيبة، دمشق، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٧.
- (45) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨، ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٣٠١.
- (46) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (47) ابن القلاسي : ذيل، ص ١٨٥.
- (48) ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (49) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (50) ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (51) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٩.
- (52) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٤٨.
- (53) مسفر الفامدي : الجهاد ضد الصليبيين، ص ١٤٨ - ١٤٩.
- (54) هنادي السيد : مملكة بيت المقدس الصليبية، ص ١٠٤ - ١٠٥.
- (55) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٤٩٦، ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠١.
- (56) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠.
- (57) بيسان : مدينة بالأردن بالقرب الشامي، الحموي : معجم البلدان، ١م، ص ٤١٤.
- (58) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (59) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥٠، ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٢.
- (60) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٧م، ج ١، ص ٢٦٠.
- (61) فوشيه الشارترى : الوجود الصليبي، ص ٢٥١ - ٢٥٢، ولیم الصوري : الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٣، سعيد برجاني : الحروب الصليبية في الشرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٢٨.

(62) العظمى: تاريخ حلب، ص ٣٦٦، وأهم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٢، ص ٣٠٣، ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١٧، ص ١٢٣. عماد الدين خليل: الإمارات الأرمنية، ص ٢٢٦.





## مدارس أسبوط في العصر المملوكي

د. محمد أحمد محمد أحمد الكروسي (\*)

### أولاً ظهور المدارس في أسبوط

من الثابت والمعروف، لدى كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، أن المدارس ظهرت في مصر لأول مرة مع بدايات العقد الرابع من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، في العصر الفاطمي، وأنها انتشرت في الأكل للندوة للمذهب السني، وكان في طليعتها مدرستان سنيان تأسستا بالإسكندرية<sup>(١)</sup>.

وهناك من الباحثين من يفر بوجود المدارس في أسبوط منذ ذلك العصر، فيقول الدكتور محمد زغلول سلام<sup>(٢)</sup>: إن الخليفة الفاطمي<sup>(٣)</sup> الفاطمي بنى بأسبوط مدرسة غرقت باسمه "الفانزية"، تولى التدريس بها بعض الشيوخ والعلماء. ويرى باحث آخر أن سبب بنائها إنما جاء تمسها مع رغبة الخلفاء الفاطميين في بناء المدارس بصعيد مصر، بعدما أخذ المذهب الشيعي ينتشر في تلك البلاد، حتى اعتنى أعداد كبيرة من أهلها بهذا المذهب<sup>(٤)</sup>.

وليس لدينا في الواقع من المادة المصيرية ما يجعلنا نقطع بأن الخليفة الفاطمي بنى مدرسة بأسبوط، أو حتى إن المدارس ظهرت أساساً في أسبوط في العصر الفاطمي، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماماً من أية إشارات تفيد بوجود مدارس في أسبوط في ذلك العصر. ويبدو أن ما أورده الدكتور سلام، بخصوص مؤسس الفانزية، كان رأياً استنتاجياً ارتكز فيه على مسمى المدرسة نفسه، حيث اعتبر تسميتها بالفانزية أمراً يشير إلى الخليفة الفاطمي، والمدعش أنه أورد ذلك في كتابه: الأدب في العصر الأيوبي، والأدب في العصر المملوكي، في حين لم يشير إلى ذلك في كتابه المصنوع بالأدب في العصر الفاطمي، وكل ما أورده في ذلك الكتاب الأخير بخصوص وجود مدارس في أسبوط في ذلك العصر: أنه نقل عن التوطاط<sup>(٥)</sup> قوله: "مدينة أسبوط على غربي النيل، بلد قرع بهج، خطر، جليل، به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس...". ومعلوم أن التوطاط (أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي) لم يعيش في العصر الفاطمي، حيث ولد سنة ١٢٣٢هـ/١٢٣٤م وتوفي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م.

ولهذا فإن القول بأن الخليفة الفاطمي هو باني المدرسة الفانزية؛ قول بحاجة إلى تحقيق ومراجعة، فالخليفة الفاطمي، المشار إليه، ولي الخلافة في الخامسة من عمره، ولم تزد فترة

(\*) مدرس بكلية الآداب جامعة أسبوط.

خلالته عن ست سنين ونصف (٥٤٩/١١٥٤-١١٦٠م)، ومات وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر وست أيام، أي أنه كان طفلاً صغيراً<sup>(١)</sup>.

ولو أضفنا إلى ذلك ما اعتزى هذا الطفل من اضطراب عقلي عند توليه الخلافة، ما شهدنا على أنه باتي تلك المدرسة. وسبب ذلك الاضطراب كما يقول المقرئ<sup>(٢)</sup>: "إن أباه لما قُتل ويقر عيسى (أي الوزير أبو الفضل عباس) إلى القصر وفحص عن الخليفة الظافر وقتل أخويه وابن عمه لينفي عن نفسه وإبنة التهمة، واستدعى ابن الظافر هذا وحمله على كتفه وله من العمر نحو الخمس سنين، ووقف به في صحن القاعة وأمر الأسراء فدخلوا عليه. فثباً مثلوا بالقاعة قال لهم: هذا ولد مولاكم وقد قُتل أبوه وعماه، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل، فقاتوا بأجمعهم: سمعنا وأطعنا، وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل ودخلته من تلك الصيحة، مع ما شاهده من رؤية عمه والتخادم وهم في دمائهم ما خيل عقله، ويال على كتف عباس، فسبروه إلى أمه؛ وأقام مختلاً يصارع وجدته تكفه".

هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تكن المدارس قد انتشرت في مصر في تلك الآونة، ومن المستبعد أن تكون أميوط قد شهدت بطريقة الحال بناء مدارس فيها في العصر الفاطمي، فمن المعلوم أن المدارس وإن كانت ظهرت في مصر مع أواخر العصر الفاطمي؛ إلا أنها لم تأخذ في الانتشار إلا بعد قيام الدولة الأيوبية، حيث عمد سلاطينها إلى الإكثار من بناء المدارس، لنشر المذهب السني ومحاربة المذهب الشيعي، وعلى رأسهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي أنشأ عدة مدارس بالقيسوط والقاهرة، ثم اتدّى به أولاده وأمرأؤه، في بنائها بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر<sup>(٣)</sup>.

وبناء على ما سبق، لا نميل إلى الأخذ بالقول إن المدارس ظهرت في أسيوط منذ العصر الفاطمي، والأرجح أن ذلك كان في العصر الأيوبي؛ الذي جاء مقروناً بالانتشار المدارس في ربوع مصر شمالاً وجنوباً. ويقتضينا شاهدة ودليلاً على صحة ذلك، تلك الإشارات المتفرقة التي دلت على وجود مدارس في أسيوط في العصر الأيوبي، نلح أبرزها ما ورد بخصوص المدرسة "الفانزية"، حول قيام العالم المغربي تجم الدين أبو نصر الأموي المعروف بالفنزي<sup>(٤)</sup> بالتدريس فيها أواخر العصر الأيوبي وبدايات العصر المملوكي؛ وذلك بعد أن ارتحل وطوف بالبلاد في طلب العلم، فسافر إلى تونس وأقام بها مدة، ثم قدم دمشق وتلقه بها، ودخل حماة وبغداد ودرس بها<sup>(٥)</sup>، ثم انتهى مطالبه العلمي بدخول الديار المصرية سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، حيث حظ رحاله بمدينة أسيوط ودرس بمدرستها "الفانزية"، ثم غين قاضياً لها، وظل بها إلى أن توفي سنة ٦٦٣هـ/١٢٦٥م.

وليس ثمة شك في أن مثل تلك الإشارات المصدرة الواردة بخصوص التدريس بالمدرسة الفانزية بأسيوط، في تلك الفترة، تحملنا على التسليم بوجود مدارس في أسيوط في العصر الأيوبي، لكن مما يؤسف له أننا لم نعر، في المصادر التي بين أيدينا، على ما يدلنا على بداية ظهور المدارس في أسيوط خلال ذلك العصر، أو حتى ما يُعرّفنا إن كانت المدرسة الفانزية هي

أول مدرسة بُنيت في أسبوط أم لا ؟ والأدهى من ذلك : أن تلك المصادر لم تشر حتى إلى مؤسس الفانزية نفسها .

وعلى الرغم من هذا، ويحكم أن المدرسة الفانزية تعتبر أقدم مدرسة في أسبوط وريت إشارات إليها في المصادر التي بين أيدينا حتى الآن، أرى من الأهمية بمكان محاولة معرفة مؤسسها بطريق الاستنتاج. ولتبدأ ذلك بتحديد الإطار الزمني الذي تأسست فيه فانزية أسبوط، وليكن هو الفترة المحصورة بين سنتي ١١٩٣/٥٥٨٩م و ١٢٤٥/٦٤٣م، فالأولى تمثل - فيما نراه صحيحا - الحد الأدنى لتاريخ تأسيس الفانزية، بوصفها السنة التي أنهت حكم السلطان صلاح الدين، ومن المستبعد بناء تلك المدرسة في عهده، والأجدر أن تكون بُنيت في عهد خلفائه، وذلك استنادا إلى ما أورده المقرئ (١٢) من أن السلطان صلاح الدين أنشأ عدة مدارس بالقسطنطين والقاهرة، ثم اقتدى به من بعده أولاده، وأمرأؤه، في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرها من أعمال مصر، أما السنة الثانية فيمكن اعتبارها الحد الأقصى لتاريخ تأسيس هذه المدرسة، ولا يمكن أن يكون بناؤها بعده، لأنه في تلك السنة جاء العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأيوبي إلى مصر، ودرس بالمدرسة المذكورة بأسبوط (١٣)، وهذا معناه أنها كانت موجودة بالفعل في تلك السنة.

وبالتقريب في المصادر، عبر الإطار الزمني الذي تم تحديده آنفا، لم يصادفنا غير رجلين من الممكن أن يُنسب لأحدهما تأسيس الفانزية بأسبوط، وذلك من حيث مُسمَّاهَا، ومن حيث وجود علاقة لكلا الرجلين بالصعيد، الأول منهما هو: الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل أبي بكر بن أيوب (ت ١٢١٧/٦١٧م)، وكان يربطه بالصعيد تلك الإقطاعات (١٤) التي أقطعها له والده هناك، والتي تمثلت في إقطاعه الأعمال القوصية (١٥)، وإن كان وجود تلك الإقطاعات في الأعمال القوصية يجعلنا نستبعد نسبة الفانزية إليه، فلو كانت تلك الإقطاعات في السبوطية لكان من السهل علينا قول ذلك.

أما الرجل الثاني فهو: الأسد شرف الدين هبة الله بن صاعد، الفائز، الذي خدم الملك الفائز إبراهيم بن السلطان العادل كاتبًا، ونُسب إليه بالفانزي، ثم خدم من بعده السلطان الكامل ثم وندّه الصالح نجم الدين أيوب، وتدرج في الوظائف حتى صار وزيرًا للسلطان المعز أبيك النركماني سنة ١٢٤٨/٦٤٨م مع بداية دولة المماليك البحرية. ولما قُتل المعز، باشر الوزارة لابنه المنصور عليّ أبيهما، ثم قبض عليه سيف الدين قطز - مدبر دولة المنصور وصاذه، وسجنه، فمات في حبيسه مخنوقًا سنة ١٢٥٥/٦٥٥م (١٦).

وذلك الرجل الثاني تنوقع، بنسبة كبيرة، أن فانزية أسبوط تُنسب إليه، والذي حدا بنا إلى ذلك التوقع، فضلًا عن مُسمَّاهَا، ما لُصِّفَ به في سيرته من وطيد علاقة كانت تربطه بأسبوط، فهو أسبوطيٌّ انشأه والهوى، والمتتبع لمسيرته في المصادر يمكنه أن يعلم ذلك، فقد ورد عنه أنه كان من جملة نصارى صعيد مصر، وعمل كاتبًا على المصايد بأسبوط (١٧)، ثم قدم إلى القاهرة وأسلم في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وتولى نظر الديوان في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب مدة يسيرة، ثم ولى بعض أعمال ديار مصر (١٨)، وهذه الأخيرة لم تلصق عنها المصادر، وقد يكون من بينها أسبوط، أو غيرها، من أعمال الوجه القبلي القريبة

منها. وربما تتأكد لنا علاقته الوطيدة بأسبوط والصعيد، في صورة أوضح، بعد توليه الوزارة وخروجه على رأس العساكر إلى تلك البلاد لمحاربة بعض الأمراء الخارجين على الدولة هناك<sup>(٢٠)</sup>.

زد على ذلك: أن هذا الرجل كان غده حسن تدبير، وسمو نفس، وأريحية، وكرم طماع<sup>(٢١)</sup>، كثير الصدقات والهز والصلوات<sup>(٢٢)</sup>، فلولى اهتماما بالإنشاء والتصوير بدافع فعل الخيرات، سواء قبل توليته الوزارة أو بعدها، فيما يُجمّده لنا تلك المدرسة التي بناها بمصر (المصطاط) سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م أو ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، والتي نسبت إليه بالفائزية، وكذلك القيسارية التي أنشأها بالقاهرة<sup>(٢٣)</sup>، والتي وُسمت على اسمه بقميسارية الفانزي، وهذا يجعلنا نزيد في ترجيحنا، إلى حد التأكيد مرة أخرى، على توقعنا أن فائزية أسبوط تنسب إليه، وأنها كانت من بين منشأته المعاصرة الخيرية التي بناها قبل أن يلى الوزارة، فقد سبق وأسلمنا أن تلك المدرسة كانت موجودة بالفعل سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م.

وغاية القول، إن وجود المدرسة الفائزية بأسبوط في تلك الآونة، يُعد مؤشرا على كون أسبوط واحدة من الأعمال أو البلدان التي حظيت بظهور المدارس فيها منذ العصر الأيوبي، لاسيما وأنها كانت، وما زالت، واحدة من أبرز الحواضر المصرية في الصعيد.

#### ثانياً أشهر مدارس أسبوط في العصر المملوكي

سار سلاطين المماليك، وأمرائهم وأتباعهم، على نهج أساتذتهم الأيوبيين في بناء المدارس<sup>(٢٤)</sup>، وشهدت مصر في عصرهم ازدهاراً غير مسبوق في الحركة المدرسية، حيث أكثر السلاطين والأمراء، وأصحاب اليسار من الأعيان وغيرهم، من تشييد المدارس في الوجهين البحري والقبلي<sup>(٢٥)</sup>. وبلغ من انتشار المدارس في الوجه القبلي أنه كان من الميسور على تلك المدارس استيعاب أعداد الطلبة، بما في ذلك الناشئين على هذه البلاد من طلاب العلم<sup>(٢٦)</sup>. وكانت أسبوط واحدة من بلاد الوجه القبلي التي تميزت بمدارسها في ذلك العصر، وقد وردت بالمصادر إشارات دلت على انتشار المدارس بها زمن المماليك، منها مثلاً قول الوطواط<sup>(٢٧)</sup>: "مدينة أسبوط على غربي النيل، بلد ... به الأسواق والقياسر والحمامات والمساجد والمدارس"، وقول ابن دقاق<sup>(٢٨)</sup>: "وبها عدة مدارس"، وقول القلقشندي<sup>(٢٩)</sup>: "وبها مساجد ومدارس".

والمحاولة تنصب هنا على تتبع أشهر مدارس أسبوط التي وردت تسمياتها عبر إشارات مصدرية أو مرجعية، مع تقنين هذه الأخيرة على أضواء الأولى وعلى ما لدينا من متطلبات واقعية، من خلال ما قمنا به من زيارات ميدانية لمنطقة أسبوط القديمة، فذلك كله يساعدنا في رسم صورة واضحة لتلك المدارس، من حيث نشأتها وموقعها وتطورها، وهي في الحقيقة مجموعة مدارس لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى تركيز اهتمام مؤرخي العصر المملوكي على مدارس العاصمة المملوكية، دون التطرق إلى مدارس الأقاليم، لدرجة أن كثيراً منها لم يحظ حتى بذكر أسمائها في المصادر. وعلى أية حال فننتسح المجال هنا للتعرف على أشهر مدارس أسبوط زمن المماليك.

## ١ - المدرسة الفارسية

تعد المدرسة الفارسية من أشهر مدارس أسبوط وأقدمها، أنشأها شرف الدين هبة الله بن صاعد الفارسي في أواخر العصر الأيوبي على نحو ما أسلفنا، واستمرت تلك المدرسة تؤدي رسالتها العلمية والثقافية زمن المماليك. وكان مبناها<sup>(٣٦)</sup> يقع أمام الجامع العمري<sup>(٣٧)</sup> أو المسجد الأموي<sup>(٣٨)</sup>، أو الجامع الكبير كما اصطلاح الناس على تسميته.

ومن تولى التدريس بها في العصر المملوكي، الشيخ نجم الدين أبو نصر الأموي، وقل يدرّس بها إلى أن توفي بأسبوط سنة ٨٦٣هـ/١٢٦٥م. وكان يُدرّس فيها الفقه على مذهب الشافعي، والأصول والنحو والعروض والحكمة والمنطق<sup>(٣٩)</sup> وإشارات ابن سينا<sup>(٤٠)</sup>.

ومن أسند إليه تدريسها أيضاً، الصلاح الحميني السيوطي، مُخفّد بن أبي بكر بن علي بن حصن بن مطهر (٧٨٣ - ٨٥٦هـ/١٣٨١ - ١٤٥٢م)، الذي أورد عنه السخاوي<sup>(٤١)</sup> أنه ولد ونشأ بأسبوط، وقرأ القرآن وتلقى تعليمه الأولي بها، ثم انتقل إلى القاهرة ودرس على أيدي علمائها، ثم عاد إلى أسبوط وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، فلقى تركيا سكرتاً فراجعها كلاماً فطفي عليه فقتله، فانتقل بأمنه إلى القاهرة ففطنها، ويرع في كثير من العلوم والفنون، وكتب الخط الحسن ونسخ به الكثير لنفسه ولغيره، وكان يقات منه لتخليه عن الوظائف الدنيوية، لكنه ولى بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م تدريس مدارس بأسبوط ونظرها، وكان من بينها المدرسة الفارسية، فلم يتم له ذلك، فاستمر منقطعاً عن الاقبيات بالكتابة إلى أن بنى قراقبا الحميني<sup>(٤٢)</sup> مدرسة ... وجعله خطيبها وإمامها وكفاه مؤونة كبيرة.

وتستوفقنا هنا العبارة الأخيرة الواردة في كلام السخاوي، سالف الذكر. لأنها تدل على أنه على الرغم من إسناد تدريس المدرسة الفارسية، وبعض المدارس الأخرى بأسبوط، إلى الصلاح الحميني بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، إلا أنه لم يقد بالتدريس في تلك المدارس بالفعل، كما ظن بعض الباحثين<sup>(٤٣)</sup>، ولو كان الصلاح الحميني قد مارس مهنة التدريس بها، أو النظر عليها، لرأينا على الأقل إشارة إلى ذلك بكتب التراجم التي ورث بها تفاصيل عن حياته العلمية والعلمية، منذ ولادته بأسبوط وحتى وفاته بالقاهرة<sup>(٤٤)</sup>. والراجح أنه تم تنحيته عن هذه المدارس قبل أن يتوجه إليها، وهذا ما توضحه بجلاء عبارة "لم يتم له ذلك" الواردة في كلام السخاوي، وقد يكون سبب ذلك سعي غيره من العلماء لتولي تلك المدارس بدلا منه، بوصفها من المدارس المتميزة في صعيد مصر، مستقيين عزوفه عن الوظائف الدنيوية، وتخوفه مما قد يجابهه من مشكلات عند عودته لأسبوط، بسبب قتله رجلا تركيا فيها منذ زمن مضى.

## ٢ - المدرسة الشريفة

أنشأها زين الدين محمد بن أبي بكر علي بن محمود الجعفري، المتوفى سنة ٨٧٩هـ/١٣٧٩م، وهو من أبناء أسبوط، وأحد قضاتها المشهورين، نفعه على البهنوري<sup>(٤٥)</sup>، وكتب الخط الحسن، وشارك في الفضائل، وبنى بأسبوط المدرسة المذكورة، ونسبت إليه<sup>(٤٦)</sup> بالشريفة لاهتمامه إلى السادة الأشراف (آل البيت)، كما هو واضح من اسم الجعفري الوارد في

نسبه. ويزداد ذلك وضوحاً عندما نعلم أنه ابن عم شرف الدين عبد الوهاب، والد جلال الدين، الشريف الجعفري الزينبي الأسبوطي<sup>(١٧)</sup>.

يقول ابن حجر المصقلاني<sup>(١٨)</sup> عن زين الدين مؤسس تلك المدرسة: إنه زين الدين بن النافط الأسبوطي، وهذا القول بحاجة إلى مراجعته، لأن ابن النافط الأسبوطي رجل آخر غير زين الدين، وعاش في فترة لاحقة له، وربما حدث خطأ أو خلط بين الرجلين من كون اسم كل منهما محمد بن أبي بكر. لأن ابن النافط كما يقول عنه السخاوي<sup>(١٩)</sup> هو "مُحمَّد بن أبي بكر بن أحمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن عبد الظفار بن يحيى بن إسماعيل، الشريف الحميني المغربي، القاسبي الأصل، الصعيدي المالكي، نزيل الحجاز ويلقب أبوه بالنافط. ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، في نواحي الصعيد من بلاد مصر وزي في نواحي أسبوط من بلاد الصعيد ... وارتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين ... وارتحل لدمشق في سنة أربع وأربعين ... ثم غاد لمصر وركب البحر من القصير، في سنة ثمان وأربعين، فدخل لبلد يثبع، فاتصل بصاحبها الشريف معزى، فجهزه للحج، ثم زار النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام عند معزى، يقرئ أولاده، إلى أن لقيه البقاعي في ربيع الآخر من التي بعدها ... وما علمت شيئاً من خبره بعد ذلك".

أما عن موقع المدرسة الشريفة بأسبوط، فقد جاءت المصادر التي بين أيدينا خالية تماماً من أية إشارات إليه، ونتوقع أنها كانت بدرب الشريفة، الذي من الواضح أنه منتمي كذلك لوجودها به، وهو درب مشهور ومعروف بأسبوط القديمة، وبه مسجد صغير يعرف بمسجد الشريفة، بُني مكان المدرسة الشريفة، وبمرور الزمن نرجح أن تكون على تسميته بمسجد الشريفة بدلاً من الشريفة<sup>(٢٠)</sup>.

ومن أسند إليه تدريس تلك المدرسة، الصلاح الحميني الميوطي، مُحمَّد بن أبي بكر بن علي بن حسن بن مطهر، وكان ذلك بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، عندما أسند إليه تدريسها مع مدارس أخرى بأسبوط<sup>(٢١)</sup>، لكن نسوء الحظ لم يتم له التدريس بتلك المدارس، كما سبق وأوضحنا في سياق الحديث عن المدرسة الفانزية.

ومن بين مدرسيها المشهورين في العصر المملوكي، جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، المتوفى سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م)، ووالده ابن عم زين الدين مؤسس تلك المدرسة كما أسلفنا. وما يجب ذكره هنا، أن جلال الدين هذا ليس هو جلال الدين الألبشي، كما اعتقده أحد الباحثين<sup>(٢٢)</sup>، لأن جلال الدين الألبشي هو الجلال أبو الفضل بن البدر بن فتح الدين أبي الفتح، الشافعي، نزيل القاهرة<sup>(٢٣)</sup>، ولم يرد عنه أنه تلمذ بأسبوط أو حتى زارها من الأصل.

وهناك من يتخير أن الشيخ شرف الدين شارح المنارات (ت ٨٤٧هـ/١٤٤٣م) تولى التدريس بتلك المدرسة<sup>(٢٤)</sup>، لكن تلك المعلومة بحاجة إلى مراجعة<sup>(٢٥)</sup>، لأن شرف الدين المذكور لم يُدرِّس بها إطلاقاً، وهو من علماء قيرم<sup>(٢٦)</sup>، وتوفي بمدينة أرنه<sup>(٢٧)</sup> التركية.

### ٣. المدرسة الخضرية

تعد تلك المدرسة من بين المدارس التي عُرفت بأسبوط في العصر المملوكي، وأوردها السخاوي<sup>(٢٨)</sup> تحت مسمى "البدرية الخضرية"، وتبعه في ذلك علي مبارك في خطه<sup>(٢٩)</sup>. وهناك

من المؤرخين المحدثين من قسم ذلك المسمى نصفيين، معتبرين أن البدرية مدرسة، والخضيرية مدرسة أخرى<sup>(٥٧)</sup>، والراجح أنهما مدرسة واحدة عرفت بالخضيرية وبالبدرية، كما هو ثابت بالمصادر، وإن كانت شهرتها بالخضيرية أوسع وأعم.

وليس لدينا في الواقع أية معلومات عن سبب تسميتها بالبدرية، أما بخصوص تسميتها بالخضيرية وفيما يتعلق بتاريخ إنشائها، فيرى أحد الباحثين - من خلال مطالعته لعدد من حجج الوقف الخاصة بتلك المدرسة في العصر العثماني - أنها وردت في الوثائق تارة مسبوقة بكلمة مسجد، وتارة مسبوقة بكلمة مدرسة، ويرجح أن منهاها كان مسجداً مخصصاً للصوفيات الخمس، ومدرسة لتعليم علوم القرآن واللغة، خاصة وأن الخضيرية، إحدى الطرق الصوفية التي كانت موجودة بمصر في العصر العثماني، قد اتخذت من هذا المسجد مقراً لها<sup>(٥٨)</sup>.

وهو بذلك يوصل لتلك المدرسة من حيث النشأة والتسمية على أنها تعود إلى العصر العثماني، مستندا في ذلك، على حد قوله، إلى أن أقدم ذكر لها، في حجج الوقف الخاصة بها، يرجع إلى ١٩ رجب سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م، حيث تشير حجة مؤرخة بهذا التاريخ إلى قطعة أرض مفارها ثمانية فرائط، موقوفة على مسجد الخضيرية<sup>(٥٩)</sup>.

والحقيقة أن تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي، وليس إلى العصر العثماني، فقد يكون استدلال هو، بوصفه متخصصاً في علم الآثار، من خلال مبناها على ما يوحى بأنها عثمانية الشكل من حيث طرازها المعماري، لكن هذا قد يكون من جراء إضافات أو تجديدات طرأت على مبناها زمن العثمانيين، لكنها هي في الأصل مملوكية، وهي مدرسة ونيسب مسجداً، وقد أوردتها السخاوي في كتابه الضوء اللامع<sup>(٦٠)</sup> على أساس أنها مدرسة كما ذكرنا آنفاً. وربما أطلق عليها مسجد من جراء التشابه الكبير ما بين المسجد والمدرسة، نتيجة تأثر عمارة المدارس بمساجد المساجد والجوامع في العصر المملوكي، والذي لم يقف عند حد تخطيطها فحسب، وإنما أيضاً في انتقال بعض الوحدات والعناصر من المساجد والجوامع إلى المدارس، مثل: المنذنة والمنبر، وكنة المنبغ أو المؤذن، وخلوة الخطيب وكريمي المصحف<sup>(٦١)</sup> لدرجة أن من المدارس ما كان على شكل المسجد تماماً، ومن هنا وجدنا المدرسة الخضيرية يطلق عليها، في الوثائق العثمانية، كلمة مسجد في بعض الأحيان.

وعلى أية حال فما دامت تلك المدرسة تعود إلى العصر المملوكي؛ فنرجح أن باتيها أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، العالم الجليل، صاحب التاليف والتصانيف المشهورة، لاسيما وأن أجداده كان يطلق عليهم الخضيرية أو الخضرية، ويتضح هذا بجلاء عند قراءة ترجمته لنفسه، أو لوالده كمال الدين أبو بكر (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، في أكثر من مؤلف له<sup>(٦٢)</sup>، لاسيما في كتابيه "حسن المحاضرة" و"التحدث بنعمة الله"، وعلى وجه الخصوص الكتاب الثاني منهما، الذي وضعه السيوطي ليتحدث فيه عن نفسه وعن نسبه وعائلته وبند والده، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بحياته، والذي علمنا من خلاله، ومن غيره، معلومات نفيد بأن جده الأعلى الشيخ همام الدين الهمام الخضير، وهو الجد الثامن له<sup>(٦٣)</sup>، تعود نسبته بالخضير إلى محلة ببغداد، تعرف بالخضيرية أو الخضرية<sup>(٦٤)</sup>، على حد قول

الشيخ جلال الدين السيوطي، خاصة وأنه سمع من مصدر موثوق به، عن والده، أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق<sup>(٧٥)</sup>.

ولو ربطنا ذلك بما ساقه السيوطي<sup>(٧٦)</sup> في موضع لاحق في ثنايا ترجمته لوالده، لتبين لنا بالفعل أن أحد أجداده هو باني المدرسة الخضرية بأسبوط، إذ يقول عقب انتهائه من الحديث عن جده الهمام الخضرى: "وأما من دون جدي المذكور من أجدادي، فقد كانوا من أهل الشجاعة والرياسة، منهم من ولى القضاء بأسبوط، ومنهم من ولى الحسبة بها، ومنهم من كان في صحبة الأمير شيخو<sup>(٧٧)</sup>، وبني مدرسة بأسبوط، وقف عليها أوقافاً، ويحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البناء الذي بنى مدرسته بالصليبية<sup>(٧٨)</sup> أن يذهب معه إلى أسبوط فيبنى له مدرسة نظيرها، فأجابته إلى ذلك....".

وثمة أمور ثلاثة مهمة يمكن استنتاجها، أو استلهاها، من النص السابق الذي أورده السيوطي: أولها تاريخ بناء المدرسة الخضرية، والذي يمكن أن تحصره بين سنتي ١٣٥٥م و١٣٥٨م/١٣٥٧م، فلا يقل أن تكون تلك المدرسة بنيت قبل السنة الأولى، لأنها السنة التي بنيت فيها مدرسة أو خانقاه شيخو<sup>(٧٩)</sup>، والتي على شاكلتها بنيت الخضرية، كما لا يمكن أن تكون بنيت، على وجه الترجيح، بعد سنة ١٣٥٨م/١٣٥٧م، لأنها السنة التي قُتل فيها الأمير شيخو<sup>(٨٠)</sup>، والبناء الذي بنى المدرسة ذهب إلى أسبوط بأمر منه.

والأمر الثاني الذي يمكن استلهاه من النص ذاته: أن باني المدرسة الخضرية بأسبوط، وهو أحد أجداد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، كان على اتصال بالأمير شيخو، وأن ثمة علاقة ربطت بينهما وساهمت في استجابة الأمير شيخو لإرسال البناء معه إلى أسبوط، ولا نستبعد أن يكون سفر الأمير شيخو إلى أسبوط، ونزوله بها مع أواخر سنة ١٣٥٤م/١٣٥٣م، وأوائل سنة ١٣٥٥م/١٣٥٤م، للقضاء على ثورات العريان هناك<sup>(٨١)</sup> قد لعب دوراً فاعلاً في ربط أواخر الصلة بين الرجلين، حيث استقبله أهل أسبوط وأطلعوه على أمور العرب وعلى أعدادهم، ومدى عزمهم على المحاربة<sup>(٨٢)</sup>، ومن دون شك أن جد الشيخ جلال الدين المشار إليه، كان من بين المستقبلين للأمير شيخو بأسبوط، وكيف لا ؟! وهو يُعد واحداً من عليّة القوم بأسبوط، ومن وجهائها<sup>(٨٣)</sup> الذين عملوا بالتجارة<sup>(٨٤)</sup>.

أما ثالث أمر يعكسه النص المذكور، ولا يقل أهمية عن سابقيه، أن المدرسة الخضرية بأسبوط بنيت على نمط المدرسة أو الخانقاة الشيخونية بالقاهرة، وهذا في حد ذاته يعكس أن مدارس أسبوط في العصر المملوكي، كانت تُبنى على غرار مدارس العاصمة، الأمر الذي يجعلنا في ميسر الحاجة هنا إلى توجيه دعوة لطعام الآثار، وعلى الأخص للمصريين منهم، لبذل مزيد من الجهود الطوعية المتأبئة، لكشف النقاب عن مثل تلك المدرسة بأسبوط وغيرها، ومحاولة تقديم الدراسات الأثرية اللاتفة بها، التي يمكن أن تطلع من خلالها على أوصاف تلك المدارس جملة وتفصيلاً، لاسيما وأنها كانت على شاكله مدارس العاصمة من حيث مبانيها وملكياتها، ومن المؤكد أنه روعي عند بنائها الأغراض التعليمية، بحيث اشتملت على مواضع للتدريس، وخزائن للكتب، وأماكن للصلاة، ومساكن للطلبة والموظفين. وذلك أمر لم تتفرد به مدارس أسبوط، وإنما كان من الأمور المعرّجة عند تشييد مدارس صعود مصر بصفة عامة<sup>(٨٥)</sup>، والمطلع

على ما كتبه الأتقوي<sup>(٧٦)</sup> (١٣٤٧/٥٧٤٨م)، في العصر المملوكي، يصانف وسط كتاباته إشارات إلى مثل هذه الأمور.

وعن موقع المدرسة الخُضيرية بأسبوط: قُتِبَتْ كانت تقع بمنطقة الخُضيرية (أو الخُضرية<sup>(٧٧)</sup>) جنوب غرب مدينة أسبوط، وتطل واجهتها الغربية على شارع الخُضيرية، وواجهتها الشمالية على شارع الطويجي<sup>(٧٨)</sup>.

وظلت هذه المدرسة في أداء رسالتها العلمية والتعليمية، في أسبوط، طوال العصر المملوكي، بل وبعد ذلك في العصر العثماني، وقد حُفِلَتْ سجلات وقائع محكمة أسبوط الشرعية، المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، بالكثير من حجج الوقف الخاصة بها<sup>(٧٩)</sup> خلال ذلك العصر الأخير.

ومن أسند إليه تدريسها ونظرها في العصر المملوكي: الصلاح الحسني السبوطي، الذي وُلِّبَها هي والشرقية والغازية، وكان ذلك بعد سنة ١٤٣٥/١٤٣١م، لكن لم يتم له التدريس بتلك المدارس<sup>(٨٠)</sup> كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

#### ٤- مدارس أخرى

إلى جانب المدارس السابقة، وجدت مدارس أخرى في أسبوط، وفي بعض توابعها في العصر المملوكي، وقد ورد ذكرها غرضاً في المصادر والمراجع، ولم نقف حتى على مسمياتها، والأمانة العلمية تقتضي هنا إعطاء لمحة سريعة عنها، لأن عدم ورود تفصيلات عنها في المصادر والمراجع، تصريحاً أو تلميحاً، لا يعني بالضرورة أنها لم تكن من المدارس المعروفة في العصر المملوكي، فمن المؤكد أنها كانت تُعرف لدى الدارسين آنذاك أو حتى على الأقل داخل الوسط الإقليمي الواقعة في إطاره، ومن المؤكد أيضاً أنها أسهمت مع نظيراتها من المدارس المشهورة سالفة الذكر، في تنشيط الحركة المعرفية والثقافية في أسبوط في ذلك العصر، لكنها لم تحظ بتنشيط الأضواء عليها عبر الكتابات التاريخية أو الأثرية أو غيرها، الأمر الذي ضاعت معه حتى مسمياتها نفسها.

ومن هذه المدارس: مدرسة كانت يمكن مسجد سيدي جلال الدين السبوطي، وهو ذلك المسجد المشهور الذي يقع بشارع القوسارية، وعلمنا أن ثمة مدرسة كانت هناك مما أورده سيد علي الطويجي<sup>(٨١)</sup> في سياق مقدمة كتابه الذي كتبه عن أسبوط في العصر الحديث (سنة ١٣٦٨/١٩٤٩م)، إذ يقول عن أسبوط: "ولو لم أكن منها لثمنت أن أكون منها، وقد سبقني أبي وجدي، فجدّي أثرها على بلده الإسلامية عاصمة الموصل، فادّى بها ثقافة علمية، تدريس اللغة التركية، بمدرسة كانت يمكن مسجد سيدي جلال، وكذا فقه الحنفية والحديث النبوي، وقد ذكر (ذلك) جدي أحمد في سند رسمي صادر من السيد أحمد رافع عفيف الدين، والسيد محمد عبد الرحيم عفيف الدين سنة ١٢٥٣/١٣٢٧م.

ويمطالعة ما كُتِبَ في المراجع حول مسجد سيدي جلال، الذي كانت يمكنه المدرسة المذكورة، وجدنا عثمان فيض الله<sup>(٨٢)</sup> يقول عنه: إنه كان يسمى قديماً باسم مسجد الجنصي نسبة إلى أحد أهالي بلدة جنص بالشام، والذي قدم إلى أسبوط واستوطن به مدة، ولقد جُدد المسجد عدة مرات، في العصر الحديث، بإشراف وزارة الأوقاف، ويقول عنه سيد علي الطويجي،

نقلا عن أحمد باشا تيمور: إنه عُرف بمسجد سيدي جلال عند العامة، وبمسجد الحمصى عند أهل العلم، وإن نسبته إلى الحمصى عند الخاصة ربما كانت لتجديده أو لتوحيه الإمامة أو التدريس فيه أو النظر عليه، ويُحقق ذلك، فكله مبني على الظن والاحتمال<sup>(٨٧)</sup>.

وبناء عليه، حاولت تحقيق تلك النسبة من خلال تقصي المعلومات الواردة بالمصادر المملوكية، عن كل من لُقّب بالحمصى، فتبين لي أن الحمصى، الذي نسب إليه ذلك المسجد بأسبوط قيل أن يُعرف بمسجد سيدي جلال، هو الشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن موسى بن الحسن، القرشي المخرُوبى الحمصى، ثم القاهري الشافعى، ويعرف بابن الحمصى (ت ٨٦٦هـ/١٤٥٧م)، فهذا الرجل ورد عنه بالمصادر: أنه ولى قضاء أسبوط سنة ٨٢٥هـ<sup>(٨٨)</sup>/١٤٢٢م، وأقام في قضائها مدة طويلة، وعُثر بها جامعاً<sup>(٨٩)</sup>، فمن المؤكد أنه هو الجامع أو المسجد المذكور الذي نسب إليه، والذي لا نعلم على وجه اليقين هل كان جامعاً بالفعل، كما قال السخاوي، أم كان مدرسة كما اعتبره الطوحي؟ وإن كنت أميل إلى الأخذ برأي الأخير، وخاصة في ظل الخط الذي كان سائداً، في عصر المماليك الجراكسة، بين كل من المسجد أو الجامع، والمدرسة، والخانقاة، فمن المعروف أن المدرسة أصبحت زمن المماليك مكان عبادة ودرس، وكان أهم ما يميزها عن المسجد: مساكن الطلبة التي كانت تلحق عادة بالمدارس ليحش بها الطلاب والمدرسون<sup>(٩٠)</sup>.

وهذه المساكن من الصعب علينا، بالطبع، معرفة وجودها من عدمه في المكان الذي نحن بصدد الحديث عنه، أو حتى معرفة أوصاف المبنى الذي كان قائماً هناك، من حيث تكوينه وعضائره المعمارية، فقد هُدم ذلك المبنى، وأقيم مكانه المسجد المعروف حالياً بمسجد سيدي جلال، والذي طرأت عليه تغييرات وتجديدات لم تُبقَ للمبنى القديم معالم أثرية مادية، كما لم يسجلها التاريخ، فضاعت تلك المعالم، وذهب معها الرسم والاسم.

ومهما يكن من أمر فقد اتخذ القاضي سراج الدين الحمصى من ذلك المكان الذي بناه بأسبوط سواء كان مدرسة، وهو الأرجح، أو جامعاً اتخذ منه مكاناً للتدريس، وممن تتلمذ على يديه فيه: والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، قبل انتقاله إلى القاهرة<sup>(٩١)</sup>.

ولعل ارتباط اسم والد الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي بذلك المكان، وتخرجه منه يفسر لنا نسبة المسجد، الذي حل مكان المدرسة إلى الشيخ جلال الدين السيوطي، وذلك من الأمور المهمة التي يجب التنبيه إليها وتصحيحها هنا، لأنها من الأخطاء الشائعة بين الناس إلى الآن، ومما يزيد في خطورتها أن تلك النسبة لم تغف عند حد المسجد، بل اتسحت كذلك على الضريح الموجود بالمسجد، فقيل إنه قبر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وصار ذلك من الأمور المُستَم بها، مع أن الشيخ جلال الدين السيوطي لم يأت إلى أسبوط ولم يرها، كما روى ذلك بنفسه، في قوله عن أسبوط: "وقد أقردت لها تاريخاً حسناً في مجلد لطيف"<sup>(٩٢)</sup>، اقتداء بمن أقرد من المتحذثين ببلده تاريخاً، مع أنني لم أرها إلى الآن، فباتي إنما ولدت بمدينة مصر، ولم أسافر إليها البتة، وإنما فعلت ذلك لكونها بلد الوالد والأجداد<sup>(٩٣)</sup>. وقد حقق أحمد تيمور قبر الإمام السيوطي وموضعه بالقاهرة ونقل عنه سيد علي الطوحي<sup>(٩٤)</sup> قوله: إن في مدينة أسبوط مسجداً يعرف بجامع سيدي جلال الدين السيوطي وبه ضريح تزعم العامة جهلاً أنه

ضريحه، إلى أن قال: والذي أراه أن ذلك الضريح هو المكان الذي كان يدرس به كمال الدين أبو بكر والد الإمام جلال الدين السيوطي قبل انتقاله إلى القاهرة، فسمية المسجد إلى السيوطي إنما هي لوالده لا للمدفون في الضريح، فمن توالي الأيام ظنوه أنه السيوطي، مع أنه مكان أبيه.

ويمكن أن تضيف هنا: أن ذلك الضريح إنما هو للشيخ همام الدين الهمام الخضرى، وهو الجد الأعلى للشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، وذلك استناداً إلى ما قاله السيوطي<sup>(١١)</sup> عن جده هذا: إنه كان أحد مشايخ الصوفية وأرباب الأحوال والولايات<sup>(١٢)</sup> إلى أن قال: 'وجدنا هذا ضريح بأسبوط يُزار ويُتبرك به'.

فمن المؤكد أنه هو ذلك الضريح، ولما بنى السراج الحمصي بجواره المدرسة أو المسجد، عرف أولاً بمسجد الحمصي، ثم صار يطلق على ذلك المسجد اسم السيوطي، نسبة إلى والد الشيخ جلال الدين الذي تعلم به، ونُسب كذلك الضريح إلى السيوطي على اعتباره أنه لجدّه، ثم مع مرور الزمن، وغشوش الحقيقة، نُسب المسجد والضريح إلى جلال الدين السيوطي نفسه لشهرته. وربما وجود هذا الضريح بالمسجد يجعلنا نعود لنؤكد، من جديد، على أن ذلك المكان الذي غشره الحمصي إنما هو في الغالب مدرسة وليس مسجداً. ذلك لأن المدرسة لم تكن في عديد من الحالات، في ذلك العصر، بناءً مستقلاً قائماً بذاته، وإنما كانت جزءاً ملحفاً بالقبعة المدفون بها أحد الأشخاص<sup>(١٣)</sup>.

وعلى كل حال، لم يقتصر وجود المدارس في أسبوط على المدارس آنفة الذكر، أو بمعنى آخر لم يقف عند حد مدينة أسبوط بوصفها قاعدة أو مركزاً للأعمال الميوطية، وإنما وُجِدت المدارس أيضاً في بعض المدن الأخرى التابعة لذلك الإقليم، وإن كنا لم نحظ في المصادر بإشارات كافية عن تلك المدارس، فيكفي للتدليل على وجودها، على سبيل المثال، ما أورده ابن دقماق<sup>(١٤)</sup> (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) في سياق وصفه لمدينة بوتيج<sup>(١٥)</sup>، التي كانت - وما زالت - إحدى المدن التابعة لأسبوط، إذ يقول عنها: 'وهي مدينة على ضفة النيل الغربية بعيدة عن النيل قليل، وبها جامع كبير قديم وبها مدارس...'

ويمكن الاستدلال من وجود تلك المدارس في مدينة أبوتيج على المكانة التي تبوأها تلك المدينة كواحدة من المراكز العلمية المهمة بصعيد مصر في العصر المملوكي<sup>(١٦)</sup>، وقد وُردت بمصادر ذلك العصر إشارات إلى أسماء علماء وفقهاء تشكّلوا بتلك المدينة وتلقوا تعليمهم بمراكزها التعليمية<sup>(١٧)</sup>.

وصفوة القول: إن وجود هذه المدارس في أسبوط وفي بعض توابعها، في العصر المملوكي، يعكس وجود حركة مدرسية، ونهضة تعليمية، واسعة النطاق داخل الإقليم الأسبوتي في تلك الأوبة.

### ثالثاً: الحياة التعليمية في مدارس أسبوط في العصر المملوكي .

كانت مدارس أسبوط، وغيرها من المدارس، في العصر المملوكي تُمثّل المرحلة العليا من مراحل التعليم آنذاك، أو بمعنى آخر كانت عبارة عن كليات إسلامية عالية، يلتحق بها الطلاب لإتمام الدراسة. ويكون الالتحاق بها، في الغالب، عقب سن البلوغ بعد الانتهاء من مرحلة

التعليم الأولى بالكتاتيب (أو الابتدائية<sup>(٩٧)</sup>). فمن الثابت والمعروف: أن الطفل كان يلتحق بالكتاب أو المكتب وعمره سبعة أعوام، وإن كان كثير من الآباء، في العصر المملوكي، يلحقون أبناءهم به في سن أقل، ليستريحوا من تعبهم، وليس من أجل القراءة<sup>(٩٨)</sup>، ويستمر الطالب في المكتب منتقلا بين حلقاته: من حفظ للقرآن، أو سماع للحديث أو تعلم للغة، أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط، حتى سن البلوغ، ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروى له، ليلتحق بإحدى حلقاتها، وإن لم يرغب فيصرف لشؤون الحياة<sup>(٩٩)</sup>.

وعندما يلتحق الطالب بالمدرسة ينخرط في حياة تعليمية مفعمة يتلقى معارف مختلفة وعلوم متنوعة، وقد شهدت المدارس بصعد مصر، بما فيها مدارس أسبوط، ذلك التنوع فيما كانت تقدمه لأبنائها من العلوم والمجالات المعرفية المختلفة، فكان يُدرس بها آنذ العلوم الدينية، كالفقه والأصول والحديث والتفسير والقراءات، فضلا عن العلوم اللغوية، كالنحو والصرف والبلاغة، كما اتسع المجال فيها لتدريس العلوم العقلية، كالفلسفة والمنطق، وكذلك العلوم العملية، كالطب والكيمياء والفلك والهندسة<sup>(١٠٠)</sup>.

ولدينا من الشواهد ما يمكن الاستناد إليه للتدليل على التنوع المعرفي داخل مدارس أسبوط المملوكية، وأول هذه الشواهد: أن المدرسة الفانزية كان يُدرس فيها، في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ الفقه على مذهب الشافعي، والأصول، والنحو، والعروض، والحكمة، والمنطق<sup>(١٠١)</sup>، والأدب والشعر<sup>(١٠٢)</sup>.

ومن الشواهد المثبتة لذلك، أيضا، أن السير الذاتية الواردة في ثنايا المصادر لبعض العلماء الذين تلقوا تعليمهم، أو بعضها منها، في أسبوط زمن المماليك، حوت في سياقها معلومات تفيد بذلك التنوع في العلوم والتخصصات التي سادت الوسط التعليمي في أسبوط وغيرها، ليس في عصر المماليك البحرية فحسب، وإنما كذلك في عصر المماليك الجراكسة، ويمكننا من خلال نظرات سريعة في مثل هذه السير، التأكد من ذلك، فعلى سبيل المثال: أورد جلال الدين السيوطي<sup>(١٠٣)</sup> في سيرة والده كمال الدين أبي بكر السيوطي أنه "ولد في أول القرن (أي التاسع الهجري) تقريباً، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، ويرع في الفقه والأصول، والنحو والصرف، والمعاني والبيان، والفرائض والحساب بأنواعه، والمنطق، والوثائق".

وبمطالعة سيرة أخرى، مثل سيرة الشريف الحسني، شخند بن أبي بكر بن أحمد بن إسحاق بن عبد الوهاب، المثقب أبوه بالنظر، يمكننا التأكيد على ما سبق، بل إن هذه السيرة تمننا بتفاصيل أدق عن التخصصات والعلوم التي كانت تُدرس بأسبوط، في العصر المملوكي، لأنها تفيد في معرفة أشهر الكتب والمؤلفات والمتمون المعتمدة أو "الكراريس" التي كان المتعلمون ملزمين بحفظها، وعرضها على مشايخهم قبل أن يأخذوا معهم في مباحثها ويسط قواعدها، إذ ورد في ثنايا تلك السيرة أن صاحبها "ولد في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الثانية سنة إحدى وعشرين وثمانمائة في نواحي الصعيد من بلاد مصر ورُبي في نواحي أسبوط من بلاد الصعيد فقرأ بها القرآن وتلا به لأبي عمرو على مؤبده الشريف محمد بن أحمد بن علي التمساني، وحفظ الصدة<sup>(١٠٤)</sup>، وأربعي النَوَوِي (في الحديث)، والرمالية (في أصول الفقه للإمام الشافعي رحمه الله)، وأكثر المختصر الفرعوني (في الفقه)، وجميع جمع الجوايب (في أصول الفقه)،

والفقيه ابن مالك (في النحو)، والملاح (في الجرمية<sup>(١٠٦)</sup>)، وتصريف العزى<sup>(١٠٧)</sup>، والرحبية<sup>(١٠٨)</sup> في الفرائض، وإيساغوجي<sup>(١٠٩)</sup> (في المنطق)، والنفحة الوردية (في النحو لصر بن الورد المتوفى سنة ٨٧٤٩/٣٤٨م)، والبيض من المفصل (في النحو للزمخشري)، والحاجبية (في النحو والصرف لابن الحاجب)، وأكثر ناظر العين<sup>(١١٠)</sup>، والصدقات في علم الهيئة (أي الفلك)، والفقيه العراقي<sup>(١١١)</sup>، والشاطبيتين<sup>(١١٢)</sup>، والمنوية<sup>(١١٣)</sup> في العروض، وأرتحل للقاهرة في سنة ثلاث وأربعين...<sup>(١١٤)</sup>.

وفي الإطّار ذاته: يمكن أن نأخذ من سيرة محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، الشمس الأسبوطي المتهاجي، شاهدا جديدا على صحة كلامنا، حيث يقول السخاوي<sup>(١١٥)</sup> في سياق تلك السيرة: «ولد كما قُل لي في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة وقيل سنة عشر بأسبوط، ونشأ بها فحفظ القرآن عند سعد الدين الواحي وغيره، والعمدة، وأربعي النووي، والشاطبية والمنهاج الفرعي والأصلي، وسطور الإعلام في معرفة الإيمان والإسلام<sup>(١١٦)</sup> للحمصي، فيما زعمه». ثم يستطرد السخاوي بعد ذلك بكلام عن هذا الرجل، فليد أنه عرض محفوظاته وتلقى تعليمه في علوم الفقه والنحو والحديث والفرائض والأدب. على مشايخ وعلماء بالقاهرة وأسبوط. وعلى كل حال، ففي ظل هذا التنوع في العلوم والمجالات المعرفية، كان الطلبة في المدارس يختارون العلوم التي يدرسونها، وكثيرا ما اعتمد هذا الاختيار على مكانة المدرس وشهرته العالية<sup>(١١٧)</sup>.

وتكشف لنا الحياة التعليمية في مدارس أسبوط، في العصر المملوكي، عن وجود مدرسين أو أساتذة ومشايخ يارزون بذلك المدارس، عكفوا على تدريس صفوف العلوم بها، وساهموا من خلال مؤلفاتهم التي وضعوها في تلك العلوم، ومن خلال قيامهم بشرحها وتدريسها، مع غيرها من مؤلفات سابقيهم من العلماء أو المعاصرين لهم، في نشر الثقافة والمعرفة بأسبوط في ذلك العصر، وتخريج جيل من العلماء المتميزين، كانوا على شاكلتهم، فجاءوا كثيرا من مدن مصر وغيرها، تاركين بها بصمات واضحة في المجالين العلمي والمعرفي، جاعلين بذلك من مدارس أسبوط ومؤسساتها التعليمية الأخرى، رافدا مهما من روافد التعليم في مصر في تلك الآونة، وليس أدل على ذلك مما أورده السيوطي في كتابه المُنَوَّن بـ «التحدث بنصّة الله»<sup>(١١٨)</sup>، عن كثير من أسماء العلماء الخارجين من أسبوط أو المنسوبين إليها، والذين يحمل كل منهم في اسمه لقب السيوطي أو الأسبوطي، فمنهم رواة للحديث النبوي ومسنونون، ومنهم أنباء ونحاة وشعراء وأولياء، وغير ذلك، ومن المؤكد أن من بين هؤلاء العلماء من دُرُس أو تَرَس بالمدارس الأسبوطية، وللتدليل على ذلك يكفينا في مجال الحديث، على سبيل المثال لا الحصر، وبون الخوض في ذكر تفاصيل أو أسماء، أن نأخذ من كلام السيوطي في هذا الصدد قوله: «وقد خرج من أسبوط ونُسب إليها خلائق من رواة الحديث... ورجل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والخلفاء».

ونعرض هنا نماذج لبعض المدرسين الذين شغلوا وظائف التدريس في مدارس أسبوط، زمن المماليك، للتعرف على جوانب من حياتهم العلمية والتعليمية، ومكانتهم العلمية الرفيعة التي وصلوا إليها، ومدى مساهمتهم في حركة التعليم ونشر الثقافة في العصر المملوكي.

وأول أولئك المدرسين: العالم المغربي نجم الدين أبو نصر الأموي، الفتح بن موسى بن حماد، المعروف بالقصري، وهو من العلماء الذين اضطلحوا بالتدريس بالمدرسة الفانزية بأسبوط، ومن قضاتها المشهورين، وتناولنا التعريف به من قبل<sup>(١١٩)</sup>، ويطوافه في كثير من بلدان العالم الإسلامي طلباً لتعلم، وانتهاء ذلك المطاف بدخوله مصر سنة ١٢٤٣هـ/١٢٤٥م، ثم استقراره في أسبوط لحين وفاته بها سنة ١٢٦٣هـ/١٢٦٥م. وبقي أن نشير هنا إلى مؤلفاته، والتي من أشهرها: نظم المفصل<sup>(١٢٠)</sup> للزمخشري في النحو، ونظم كتاب الإشارات (أي الإشارات والتنبيهات في الحكمة) لابن سينا، ونظم السيرة لابن هشام<sup>(١٢١)</sup> المسمى بـ "الوصول إلى السؤل في نظم سيرة الرسول"<sup>(١٢٢)</sup>، وهو على قافية رائية في اثني عشر ألف بيت<sup>(١٢٣)</sup>، وله أيضاً منظومة في العروض<sup>(١٢٤)</sup>.

ومن المدرسين والعلماء الأجلاء الذين درّسوا بأسبوط أيضاً: الحسن بن عبد الرحيم بن الأثير، القرشي، محيي الدين الأرمني، الفقيه الشافعي، الذي أورده الألفوي ضمن من ترجم لهم في كتابه<sup>(١٢٥)</sup>، وقال عنه: إنه كان من العلماء الصالحين الفقهاء العلماء العاملين، وتولى التدريس بمدينة أسبوط، وأقام سنين يُدرّس بها، وسافر من أسبوط، فتوفي في الطريق، وحمل إلى مصر، ودفن بسطح الجبل المقطم، وكان ممن يتهرّك الناس به ويقصدون الدعاء منه، وكانت وفاته في سنة ١٢٩٧هـ/١٢٩٧م.

ومنهم أيضاً: تقي الدين يحيى بن عبد الرحيم بن الأثير الأرمني، الذي وصفه الألفوي<sup>(١٢٦)</sup> بقوله: كان من الفقهاء الشافعية المشاركين، درّس بمدرسة أسبوط سنين كثيرة، وتولى الحكم بإطفيح<sup>(١٢٧)</sup> ومنلفوط (إحدى مزاكن أسبوط حالياً)، وسيرته فيه حميدة، وهو من بيت علم ورياسة، وجلالة ونفاسة، وحكم وعدالة، وسيادة وأصالة، وهولده سنة أربع وخمسين وستمائة، وتوفي بمدينة أسبوط سنة ثمان وسبعمائة.

وجدير بالملاحظة هنا أن الألفوي في ترجمته لتقي الدين المذكور، لم يوضح لنا في أي مدرسة كان يُدرّس، ونتوقع أنه كان يدرس بالفانزية، حيث لم تكن الشريفة أو الخضرية أنشئت بعد، وربما كانت الفانزية هي المدرسة الوحيدة في أسبوط وقت تدريسه بها، ولهذا نقرأ في كلام الألفوي عبارة "درّس بمدرسة أسبوط"، فلو كان بأسبوط مدارس غيرها ما وصفها الألفوي بأنها مدرسة أسبوط.

ومن كبار المدرسين كذلك: جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، الشريف الجعفري الزُرّيبي الأسبوطي، مدرس المدرسة الشريفة بأسبوط، وكان ممن أسند لهم الحكم أو القضاء بها مدة، وتوفي سنة (١٢٤٣هـ/١٢٤٧م). وقد سبق التعريف به في سياق الحديث عن المدرسة الشريفة.

ولا يغيب عن البال هنا: الشيخ كمال الدين أبو بكر الخضروري السيوطي (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، والد الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الذي يقول عنه ولده<sup>(١٢٨)</sup>: إنه اشتغل بالعلم ببلده أسبوط وولي بها القضاء قبل تلمذه إلى القاهرة. ونتوقع أنه درس بأسبوط بالمدرسة التي كانت مكان مسجد سيدي جلال الدين السيوطي حالياً، وهو المكان الذي تتلمذ فيه على يد القاضي سراج الدين الحمصي، كما سبق ذكره.

ومصادر العصر المملوكي المتأخرة، وما بعده، تحمل في طياتها مادة علمية غزيرة، ترجع فيها أصحابها لشخصية هذا العالم الجليل<sup>(١٢٩)</sup> ومن بين تلك التراجم نسوق مقتطفات من ترجمة ابنه له في كتاب "التحدث بنعمة الله"، ففيها الكفاية للتعرف على مشواره العلمي، ومكانته العلمية، وبالتالي؛ مكانة خريجي مدارس أسيوط، وإسهاماتهم في إثراء الحياة العلمية في العصر المملوكي.

يقول السيوطي<sup>(١٣٠)</sup> عن والده: "كان مؤيد والدي بأسيوط في أوائل القرن تقريباً ... واشتغل بالعلم ببلده، وولي بها الحكم نيابة. وقدم القاهرة سنة نيف وعشرين، فسمع صحيح مسلم على الحافظ ابن حجر، في سبع وعشرين. وكتب له الشيخ برهان الدين بن خضر<sup>(١٣١)</sup> ... ولزم العلامة شمس الدين القاباتي<sup>(١٣٢)</sup> فأخذ عنه الكثير في الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والبيان والمنطق، وأجازته بتدريس هذه الفنون كلها في سنة تسع وعشرين. وأخذ عن الشيخ بأكبر علم المعاني والبيان. وتلا على الشيخ محمد الجولاني، وبرع في الفنون وتصدى للتدريس والإفتاء زماناً. وكتب الخط المنسوب للخالق. وبلغ في فن الإنشاء والبراعة والبرس والتوثيق نهاية أذن له فيها أهل عصره قاطبة، وإنعقد الإجماع على انفرادة بهذا الفن في عصره. وكان الأكابر من أهل هذا الفن يخضعون له ويأتون إليه ... ولوالد تعاليق وحوادث ضاعت. ولم أقف عليها. ومما رأيته من تعاليقه حواشي على شرح الألفية لابن المصنف ... وحاشية على "العضد". ورسالة في إعراب قول "المنهاج": وما ضيب يذهب أو فضة". وحواش على أدب القضاء للقرني، وأجوبة اعتراضات ابن المقرئ على "الحاوي". وأخذ عن الوالد جماعة فضلاء وانتفعوا به..."

والملاحظ من خلال النماذج السابقة ومن غيرها من الأمثلة - منعا الخوف من الإطالة ذكرها هنا - لبعض المدرسين بمدارس أسيوط، في العصر المملوكي، أنهم كانوا يشتغلون بجانب وظائف التدريس وظائف القضاء والنيابة في الحكم<sup>(١٣٣)</sup>.

كما نلاحظ أيضاً: أن المدرسين بمدارس أسيوط لم يكونوا كلهم من أبناء أسيوط، وإنما كان منهم علماء من البلاد المصرية الأخرى من الصعيد ومن الوجه البحري، بل كان من بينهم علماء غير مصريين، منهم من كان من المغرب مثل الفتح بن موسى بن حماد، ومنهم من كان من الشام مثل سراج الدين الحمصي، وهذا أمر طبيعي في ظل اعتبار مدن العالم الإسلامي مدينة واحدة، بحق للعالم وللمتعلم التنقل بينها جميعاً، بل والاستقرار بأي منها، ما دام يجد بها ما يشبع شديداً من نهمة العلم على أيدي علمائها، أو تقديم ما ينفع طلاب مدارسها، فوئداً وجود عوائق أو عقبات تحول دون ذلك العطاء العلمي.

وفي ظل هذه الحرية في الحركة العلمية والتعلمية، داخل العالم الإسلامي في تلك العصور، لم يأل الطلبة في مدارس أسيوط جهداً في تحصيل العلم، سواء من المدرسين والعلماء القاطنين بها، أو حتى من العلماء وطلاب العلم الغريباء النازلين بها عبر رحلاتهم وأسفارهم، إذ كان نزول أمثال هؤلاء بالمدارس يعطى الفرصة لطلاب المدرسة لمناقشة ومناقرة القادم إليهم، ويوسع آفاق المتعلم للاطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته، ويوجب إليهم الرحلة، وكل ما يشري الحركة العلمية<sup>(١٣٤)</sup>، وفي هذا الصدد يمدنا السخاوي<sup>(١٣٥)</sup> بمثال في غاية الروعة عن:

مُحمَّد بن أحمد، الأسبوطي المنهاجي، الذي تلقى نصيباً من تعليمه بأسبوط ثم أكمله بالقاهرة، إذ يقول عنه: "وأخذ عن الشهاب المسخاوي"<sup>(١٣٦)</sup> القائم عليهم أسبوط؛ مجموع الكلاسي<sup>(١٣٧)</sup> والمنحة، وقيل الشهاب العجيمي<sup>(١٣٨)</sup> وهو الذي سمعته منه.

لكن هذا ليس معناه أن يبقى الطالب في أسبوط قابعاً في مدارسها، وإنما كان من الأمور المتعارف عليها في الحياة التعليمية آنذاك: أن يُيمم طالب العلم وجهه شطر أي بلد به عالم أو شيخ نال من الشهرة العلمية ما يستحق السفر إليه لتتله من علمه، وبناء عليه كان طالب العلم يجول في مختلف البلاد، والافتقار ليسمع من مشاهير العلماء فيها<sup>(١٣٩)</sup>.

ويمكن استخلاص بعض الأمثلة على هذا الترحال والتنقل بين البلاد طلباً للعلم ويقصد الاستفادة والإفادة العلمية، مما سطره لنا أصحاب كتب التراجم في العصر المملوكي، ومن ذلك مثلاً: ما ورد عن يونس بن أبي محمد بن أبي البركات، الأسبوطي (ت ٧٢٤هـ/١٣٢٤م)، الذي يقول عنه الألفوي<sup>(١٤٠)</sup>: "...اشتغل بالفقه في بلده وبمصر، وناب في الحكم ببيتوتج وطما"<sup>(١٤١)</sup> وغيرهما من بلاد أسبوط، ثم توجه إلى مصر واشتغل بها، ثم يستكمل الألفوي سيرته بكلام يفهم منه أنه شغل وظائف القضاء والتدريس ببعض بلاد الصعيد؛ كقوص وأرمنت وإسنا وأدفو وأسوان.

وهناك عبد الرحمن بن غير بن علي بن أحمد بن ياقوب، الزين العثماني البهوتيبي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، الذي تلقى شطراً من تعليمه الأولى بمدينة أبوتيج، ثم سافر إلى القاهرة مع أبيه في سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وعرض على بعض علمائها، في سنة ٧٩٦هـ/١٤٩٤م وأجازوا له، ثم فطن القاهرة<sup>(١٤٢)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك: أن الصلاح الحسني السبوطي، مُحمَّد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، بعد أن تلقى تعليمه الأولى بأسبوط، انتقل به والده إلى القاهرة، ليعرض كتاب "العدة" على الشيخ الزين العراقي، وبعد أن تأكد الشيخ من إمامه به، كتب له إجازة، ثم عاد مع والده إلى أسبوط، وأقام بها إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وبعدها انتقل بأهله إلى القاهرة ففطنها، ونهل من علم علمائها، ويرى في كثير من العلوم والفنون، ثم أسند له بعد سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، تدريس بعض المدارس بأسبوط، ولكن لم يتم له ذلك<sup>(١٤٣)</sup>، كما سبقت الإشارة إليه في موضع متقدم من هذا البحث.

وهناك أيضاً محمد بن أحمد، الأسبوطي المنهاجي، وكذلك جمال الدين أبو بكر الخضيري، والد الإمام جلال الدين السبوطي، اللذان تلقيا شطراً من تعليمهما بأسبوط، ثم اتجها إلى القاهرة فحصلتا كثيراً من المعارف والعلوم على أيدي علمائها<sup>(١٤٤)</sup>.

وعلى أية حال، فمن الأمور المهم نكرها هنا، والتي أماطت الحياة التعليمية في مدارس أسبوط للظلم عنها: أن تلك المدارس ضمت في نظامها التعليمي "معجدين"، بوصفهم طرفاً معلوماً للمدرسين أو الأساتذة، وهو ذلك النظام المعمول به حالياً في نظم التعليم الحديثة بالجامعات العربية والأجنبية على حد سواء. ومن الذين شغلوا وظيفة الإعادة بأسبوط، أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن، الأسفوني، السبوطي المولد والمنشأ، والذي يقول عنه الألفوي<sup>(١٤٥)</sup>: إنه كان فقيهاً فاضلاً متديناً، تولى الحكم بأبي تيج، وتولى إسنا، وأعاد بمدرسة أسبوط، وتوفي سنة

اثنين وعشرين وسبعمائة، وجد أبيه من أسفون<sup>(١١٦)</sup>، وأقام جذه بها، وانتقل إلى سيوط، وتاهل بها.

وكان هؤلاء المعهودون يقومون بدور مهم في العملية التعليمية، من خلال جنوبهم مع الطلبة قبل الدرس أو بعده، لمساعدتهم على استذكار دروسهم ومراجعتها، ليستوعبوا ويفهموها<sup>(١١٧)</sup>، فضلا عن تشجيع المتعلمين على طلب العلم وحثهم على تحصيله، والمعد بهذا يساعد المدرس في أداء عمله ويوفر عليه بذل الجهد والوقت لإعادة شرح بعض الدروس، لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، وكان القصد من قيام المعد بمهمة الإعداد: المحافظة على وقت المعلم وعلى احترامه ومكانته، وتخفيف الجهد عنه وعن المتعلمين معا، والمساهمة في إعداد المعد وتهينته للقيام بوظيفة المدرس مستقبلا<sup>(١١٨)</sup>.

وعن عملية التعلم أو طرق التدريس المتبعة في مدارس أسبوط في العصر المملوكي: فلم تسعنا المصادر في الحصول على توصيف لها، لكن يمكن القول، بوجه عام، إنها لم تخرج عما كان مألوفا أو معهودا في كافة المدارس، خلال العصر المملوكي، من النفاذ الطلبة بقاعة التدريس حول أستاذهم، في صورة مجالس أو حلقات دراسية، مستمعين لما يلقيه على مسامعهم، وما يقرأه زملائهم من الكتب المختلفة ليتم التباحث فيه<sup>(١١٩)</sup>، فمن المعروف أن التدريس بالمدارس في تلك العصور، وما قبلها، عادة ما كان يعتمد على الإلقاء والتلقين والإملاء، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه، وكان هناك تنظيم مطبق في قاعات التدريس بغية العمل والإفادة<sup>(١٢٠)</sup>.

ويخصوص مواعيد الدراسة بتلك المدارس: فمن المؤكد أنها لم تخرج عن إطار التقليد المعمول به في العصر المملوكي، والذي حددته وثائق الوقت بدقة تامة، وهو أن اليوم الدراسي كان ممتدا من طلوع الشمس إلى أذان العصر، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب إمكانات المكان، وحسب ظروفه، خلال اليوم الدراسي. أما أيام الدراسة فكانت تتراوح ما بين ثلاثة أيام وخمسة أيام، من كل أسبوع، حسب شرط الواقف، وكان هناك إجازات سنوية يحددها الواقف، وتتفق في الغالب والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة، سواء كانت فرضا أم سنة<sup>(١٢١)</sup>.

ولم تخل الحياة المدرسية في أسبوط، كشأن كلفة المدارس زمن المماليك، من ضروب الترويح عن النفس، فأقيمت بالمدارس، بين حين وآخر، حفلات لمختلف المناسبات العلمية، كختم البخاري، أو الانتهاء من تصنيف كتاب، وجرى العادة أن يقوم الداعي بإحضار الأطعمة من الحلوى والفاكهة، ويجلس الطلبة والشيوخ معهم الأعيان والقضاة، حيث يمشون بعض الوقت في أحاديث ومناقشات علمية مفيدة، وربما صرفت المدرسة على الحفل من أوقافها<sup>(١٢٢)</sup>.

وكان إذا أتم الطالب دراسته، يحصل من شيخه على إجازة (الشهادة حاليا)، وهي بمثابة ورقة كتابية يجيزه شيخه من خلالها بالفتيا والتدريس، يذكر فيها اسم الطالب ومذهبه وتاريخ الإجازة واسم مجيزها وغير ذلك<sup>(١٢٣)</sup>، وهذا النوع من الإجازات يكون غالبا في تخصص بأكمله أو أكثر، ومن الأمثلة عليها ما ورد ببعض المصادر: من تلك الإشارات التي تفيد منح الشيخ سنبلن البوتيجي<sup>(١٢٤)</sup>، المتوفى سنة ٨٧١١/١٣١١م بأسبوط- إجازات لعطاء من الصعود في

علم القراءات<sup>(١٠٠)</sup>. ولم تقتصر الإجازات آنذاك على هذا النوع، وإنما وجدت أنواع أخرى من الإجازات عرفها المعاصرون، منها الإجازة "بِعَرْضِ الكُتُب"، فإذا حفظ الطالب كتابا في اللغة أو أصول اللغة أو النحو، أو غيره من الفنون، يعرضه على أحد مشايخ العصر، فيختبره فيه، ويستقره في عدة مواضع متفرقة منه، فإن مضى فيها من غير توقف ولا تلعثم؛ استدل من ذلك على حفظه للكتاب، وكتب له إجازة بذلك<sup>(١٠١)</sup>، ومن أمثلة هذا النوع: تلك الإجازة التي حصل عليها الصلاح الحمصي السيوطي (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م)، من الشيخ، الزين العراقي، عندما عرض عليه كتاب "العدة"، وأجاز له<sup>(١٠٢)</sup>.

وهناك أيضا الإجازة بالمرويات<sup>(١٠٣)</sup> ويمكن أن نسميها الإجازة الحديثية أو إجازة الرواية، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه بالرواية عن طريقه، وتكون بالسماع، أو أن الطالب قرأ على شيخه متنا من المتن، أو كتابا من كتب الحديث، فيجيزه بروايته، وأتوقع أن ذلك النوع من الإجازات كان يمتح بكثرة في أسبوط في تلك العصور، لاسيما وأنها خرج منها ونسب إليها كثير من رواة الحديث، ورحل إليها لسماع الحديث خلق من الأئمة والخلفاء<sup>(١٠٤)</sup>. الأمر الذي يعكس معه توفر قاعدة علمية في أسبوط في هذا المجال منذ فترة قد تكون سابقة، لدرجة أن وجد بها نسما حافظات، كن يمنح مثل هذه الإجازات، نخص بالذكر منهن هنا: سث الشام بنت أبي صالح روائية بن علي بن الحسين بن ربيعة، التي عاشت في القرن السابع الهجري، وسمعت من أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن ربيعة الأرميني البغدادي للمثلي<sup>(١٠٥)</sup>، وغير ذلك، وحدثت عنه، وكانت تميز بالرواية عنها، ويُقال لها شامية<sup>(١٠٦)</sup>.

وقبل أن نطوي الحديث عن الحياة التعليمية في مدارس أسبوط المملوكية؛ بقي أن نؤكد على أن الأوقاف كانت هي مصدر التمويل الأساسي، الرصين والمستديم، لتصرف على هذه المدارس وضمان استمرار العملية التعليمية بها، فمن الثابت تاريخيا أن الأوقاف في العصر المملوكي هي التي ثبتت أركان المدرسة، ودعمت نظامها، ومكنتها من القيام برسالتها<sup>(١٠٧)</sup>، وكان الربيع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة، شهريا أو سنويا، نقدا أو عينا، هو ضمان استمرار العمل بالمدرسة، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة، بالإضافة إلى الأصناف العينية التي تصرف لهم يوميا، فضلا عن المخصصات السنوية لهم في المواسم والأعياد<sup>(١٠٨)</sup>، وكل ذلك بالطبع حسب شروط الواقف.

ونتوقع أنه: ما من مدرسة بأسبوط، زمن المماليك، إلا وأُخصصت لها أوقاف معينة من قبل مؤسسها للتصرف على شغلها، وإن كنا، لسوء الحظ، لم نعر حتى الآن على وثائق أو حجج وقف نستدل منها على ذلك الأمر، إلا أن ما ذكره السيوطي<sup>(١٠٩)</sup> عن أحد أجداده من أنه: كان في صحبة الأمير شيخو، وبني مدرسة بأسبوط، ووقف عليها أوقافا. لخبر شاهد على أن نظام الوقف على المدارس كان مصولا به، في أسبوط، في العصر المملوكي.

ومن الشواهد الأخرى على ذلك ما أورده السخاوي<sup>(١١٠)</sup> عن الشيخ الصلاح الحمصي السيوطي، محمد بن أبي بكر (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) من أنه: ولى بعد سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م تدريس مدارس بأسبوط وهي: الشرفية والغازية واليدرية والخضرية ونظرها، فلم يتم له ذلك. فمضى توليه نظر تلك المدارس، أي نظر أوقافها والإشراف عليها، وهذا يعكس أن تلك المدارس

خصصت لها أوقاف للصرف عليها، كما يعكس، معه أيضا، أن الإشراف على المدرسة لم يوضع، في كل الأحوال تحت تصرف المشرف على الوقف أو صاحبه، وإنما كان يعهد بذلك أحيانا لبعض المدرسين، فيجمع المدرس بذلك بين التدريس وبين نظر الأوقاف الموقوفة على المدرسة، أو بمعنى أدق: بين وتلقيتي الإشراف العلمي والإداري<sup>(١١٦)</sup> على المدرسة. وهذا أمر طبيعي وكان متبعاً في كثير من مدارس مصر المملوكية<sup>(١١٧)</sup>.

وختاماً: يمكن القول بناء على ذلك الطرح العلمي: إن مدارس إسبوط كانت في أوج نهضتها العلمية خلال العصر المملوكي، وإنها كانت بمثابة كليات إسلامية عالية ماهمت بشكل أو بآخر في تخريج أجيال من العلماء، كان لهم باع طويل في تنشيط الحركة العلمية والمدرسية، ونشر الثقافة العربية والإسلامية خلال ذلك العصر، وبكفي أن تلك المدارس ظلت في صيرورة عطائها كمنازل لتعلم بلاد الصعيد، خلال العصر الجراكسي، على الرغم مما منيت به بلاد الصعيد، خلال ذلك العصر، من تدهور في الحياة الثقافية وإغلاق الكثير من دور العلم بها، نتيجة الفتن والاضطرابات التي كانت تموج بها تلك البلاد من جراء ثورات العربان، فضلاً عما أصاب البلاد من مجاعات وأوبئة وطواعين، وغير ذلك من مؤثرات سلبية على الحركة التعليمية<sup>(١١٨)</sup>. والمدقق في صفحات ذلك البحث، يجد أن كثيراً من المعلومات الواردة في ثناياه، عن الحياة التعليمية وعن العلماء بتلك المدارس، إنما تعود إلى العصر الجراكسي، الأمر الذي يحمل معه التأكيد، من جديد، على النهضة العلمية بتلك المدارس طوال العصر المملوكي.

ARCHIVE

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إسماعيل عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٠م، ج ٣ ص ٤١٧. القلشندي: صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٤، ٢٠٠٥م، ج ١ ص ٤٥٨، ٤٥٩. جمال الدين الشيال: أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية. مقال منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مجلد (١١)، ١٩٥٧م، ص ١٣، ١٤. وأعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢١، ١٣٧. أيمن فؤاد سيد: المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية الذي تضمن أبحاث تدوة المدارس في مصر الإسلامية التي عُقدت بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية في أبريل ١٩٩١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١١٦، ١١٧.

Lane Poole (S.): A history of Egypt in the middle ages, London 1924, p.188.

(٢) الأدب في العصر الأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص ١٨١. الأدب في العصر المملوكي الدولة الأولى (٦٤٨هـ - ٧٨٣هـ)، الجزء الأول (ممثل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية) منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٥م، ص ١٣٣.

(٣) هو الخليفة الفاطمي نصر الله؛ عيسى أبو القاسم بن الخليفة الظاهر بأمر الله.

(٤) نصر جمعة محمد نصر: الحياة العلمية في صعيد مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٤م، ص ٩٩، ١٠٠.

(٥) الوطواط: من مباحث الفكر ومناهج البحث 'صفحات من جغرافية مصر'، دراسة وتحقيق عبد العال عبد المنعم الشامي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨١م، ص ٩٤. محمد زغول سلام: الأدب في العصر الفاطمي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٢م، ص ١١٤.

(٦) المقرئ: اتعاط الحنقا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حامي محمد أحمد، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة ١٩٩٦م، ج ٣ ص ٢٣٨.

(٧) المقرئ: اتعاط الحنقا، ج ٣ ص ٢٣٩.

(٨) المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار أو (الخطط المقرئية)، مكتبة الآداب، القاهرة (د. ت)، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(٩) هو فتوح بن موسى بن حشاد بن عبد الله بن علي بن عيسى، ولد سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م بالجزيرة الخضراء بالأندلس، وغرف بالقصري لأن والده نقله إلى قصر ابن عبد الكريم المعروف بقصر كتامة

وعمره مقدار خمس سنين، فنشأ بالقصر، فلهذا نسب إليه (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٩٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج ٢ ص ٣٢٧، ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤٩ ص ١٥٣، ١٥٤). وسوف يتم استكمال الترجمة لحياة ذلك الرجل وإسهاماته العلمية في جزء لاحق من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(١٠) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٧م، مج ٢ ص ٥١٨، ٥١٩. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وبعد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج ٨ ص ٣٤٨. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد الطيم خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٩٧٩م، ج ٢ ص ١٨٥. السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية صيدا، لبنان، (د. ت)، ج ٢ ص ٢٤٢. (١١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.

(١٢) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م، ص ٢٣٣. الحميني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٨. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج ٢ ص ٢٩. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥. السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٣٥٨.

(١٣) الضبط، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣.

(١٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨.

(١٥) ساد نظام الإقطاع مصر في عصر الأيوبيين، وصارت أراضي مصر كلها تقطع للسلطان وأمراله وأجناده، وكانت الإقطاعات توزع على المقطعين مقابل خدمات مدنية يؤديها المقطع في إقطاعه، فضلا عن الخدمات الحربية التي يلتزم بها (محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبيه والمملوكية، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٨٧، ص ٥١).

- (١٦) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ، ج ٢٩ ص ٨٥. والأصنام القوسية المذكورة كانت عملا متممعا ينتهي آخره إلى أسوان آخر الديار المصرية في البر الشرقي والغربي، ويضم عدة مدن وقرى بالصعيد الأعلى، ومقر ولايته مدينة قوص الواقعة على الشط الشرقي للنيل (العصري: مسالك الأنصار في ممالك الأنصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٣م، ج ٣ ص ٤٩٩- الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠، ٤٠١).
- (١٧) الصلدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٢٧ ص ١٦٣، ١٦٤.
- (١٨) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٩ ص ٤٥٩- المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (١٩) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٠) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٦ والملوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ص ٤٨٧ وج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.
- (٢١) اليوناني: ذيل مرآة الزمان، ج ١ ص ٨٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٨ ص ٢٢٠- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٧ ص ٥٥.
- (٢٢) ابن كثير: البداية والنهاية، دار النكوى، القاهرة ١٩٩٩م، ج ١٣ ص ٢٠١.
- (٢٣) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٣/.
- (٢٤) ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأنصار، المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠٩، ج ٤ ص ٩٢.
- (٢٥) المقرئزي: الخطط، ج ٣ ص ١٤٥.
- (٢٦) المقرئزي: الخطط، ج ٤ ص ١٩٣.
- (٢٧) مصطفى عبد الله محمد شوحة: دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة البيزنطية، بحث نُشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٤٢٦.
- (٢٨) محمد أحمد محمد بيوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٩، ٢٦٠.
- (٢٩) من مباهج الفكر ومباهج العبر صفحات من جغرافية مصر، ص ٩٤.
- (٣٠) الانتصار بواسطة عقد الأنصار، ج ٥ ص ٢٢.
- (٣١) صبح الأعشى، ج ٣ ص ٤٠٠.
- (٣٢) اعتبر الدكتور ضياء محمد جاد الكريم مبنى الغلزبة ضمن الآثار الدارسة، وأدرجه ضمن القائمة التي أعدها بهذا الخصوص في ملاحق كتاب (تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤) الآثار

الإسلامية والقيصرية)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٢٤٠) وعندما زرت المكان الذي كانت به المدرسة، تبين لي من سؤال القاطنين هناك أن ميثاها كان قائما حتى سنة ٢٠٠٦م حيث شب فيه حريق، فأهمل، ثم هدم بعد ذلك، ويعد الآن بقاؤه تحت مسمى "مجمع الغازية"، ولحسن الحظ عثرت على صور فوتوغرافية لهذا المبنى قبل أن يهدم، التقطها الشيخ حسن سيد حسن النذك، إمام الجامع الكبير (الأموي)، وحصلت منه . مشكورا . على نسخة منها، وأدرجت بعضها كملحق لهذا البحث، خشية ضياعها، خاصة وأنها لم تحظ بالنشر من قبل، وكإسهامة للفت نظر المهتمين بعلم الآثار إلى مثل تلك المعالم الأثرية المهمة، التي تحتاج عناية ودراسات متأنية لإمطاة اللثام عن كثير من جوانبها الغامضة.

(٣٣) يقع هذا الجامع في وسط مدينة أسبوط تقريبا ويطل بواجهته الشرقية على شارع المحضر، ويطل واجهته الشمالية الغربية على شارع الجامع الكبير، ويشتمل جداره الجنوبي على فتحة باب تفضي إلى الميضأة التي تطل على شارع كوم الغزاة، وأسماء ذلك الجامع تدل على أنه من أوائل الجوامع التي أنشئت بمدينة أسبوط ( ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ١٧).

(٣٤) سيد علي الطوبجي السبوطي . مجمل تاريخ حاضرة الصعيد أسبوط، ج ١ (المقال الموجز في مدينة أسبوط)، المطبعة الفاروقية بأسبوط، ١٩٤٩م، ص ٢. وعن سبب تسمية ذلك المسجد بالأموي، فلم أحظ بأية إشارة إليها في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة، والذي يتبادر إلى الذهن من تلك التسمية أنها مرتبطة ببناؤه أو تجديده في العصر الأموي، وحسب ظني أن الأمر ليس كذلك، والأرجح أنه سمي بها في العصر المملوكي، نسبة إلى العالم الجليل نجم الدين أبو نصر الأموي الذي درس زمانا بالمدرسة الغازية أمام ذلك المسجد، ثم عين قاضيا لأسبوط (اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ٢ ص ٣٢٨) ومن غير المستبعد أنه ولي إمامة ذلك المسجد والظر عليه، فاشتهر ذلك المسجد بالأموي نسبة إليه.

(٣٥) السبوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ . محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص ١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)، ص ١٣٣.

(٣٦) سيد علي الطوبجي السبوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٢ .  
(٣٧) انضوء اللاع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (د. ت)، ج ٧ ص ١٧٨ . التبر المسبوك في ذيل السلوك، المطبعة الأميرية، بولاق ١٨٩٦م، ص ٤١١، ٤١٢.

(٣٨) هو الأمير قرائنجا الحسني القاهري برقوق، رقي في الرتب إلى أن استقر به الظاهر رأس نوبة التوب في سنة ٨٨٤٢/١٤٣٨م، ثم نقله فيها إلى الأخورية الكبرى، فأقام فيها سنين، وكان ذينا متواضعا عفيفا، مات سنة ٨٨٥٣/١٤٤٩م بالطاعون (المخاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ٢١٦).

(٣٩) سيد علي الطويجي الميوطي: المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ٤. ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر العماليك الجراكمة، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤٥. كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسبوط في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، نُشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، أسبوط ٢٠٠٨م، ص ٣٢٣.

(٤٠) انظر: الميوطي: نظم العقبان في أعيان الأعيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ١٤٠، ١٤١. ابن الجنسي: حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأكران، تحقيق عبد العزيز فياض، دار النفايس، بيروت ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٦٠. خير الدين الزركلي. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م، ج ٦ ص ٥٧.

(٤١) هو سراج الدين أبو حنبل، عمر بن محمد بن علي بن فتوح، الدمنهوري، مولده بعد سنة ١٢٨٠/١٢٨١م، برع في النحو والقراءات والحديث وبلغه. وكان جامعا للطوم، دُرِسَ وأُفْتِيَ، وحُدِّث عنه أبو اليمن البصري. مات سنة ٨٧٥١/١٣٥٠م (السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٢٣. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٨ ص ٢٩٤).

(٤٢) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر بأنباء العصر في التاريخ، تحقيق حميد حبشي، المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية، القاهرة ١٩٩٨م، ج ١ ص ٢٠٧. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٨ ص ٤٦٩).

(٤٣) ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٤ ص ٢٢٣. المخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥. وعن لقب الجعفري الزينبي، يقول المقرئ: إن الشهيرة المعروفة ببني ثعلب التي نزلت بحرجة مير من أعمال سيوط، هم من الجعافرة الزينبية أولاد علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرف بنو علي هذا بالزيناوية؛ لأن أمه السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب، ويقال: فيمن هو في بني ثعلب الجعفري الزينبي (المقرئ: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مطبعة المعارف، مصر ١٩١٦م، ص ٣٩، ٤٠).

(٤٤) إنباء الضرر، ج ٤ ص ٢٢٣.

(٤٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.

(٤٦) بتبیت تلك الاستنتاج من خلال زياراتي لتلك المكان، وغرقت من الناس هناك أنه كان يوجد به فعلا مسجد أو زاوية قديمة خدمت وبني مكانها مسجد بسمونه مسجد الشريفة، وهم يعتقدون أن الشريفة هذه كانت ست صالحة، ومنهم من يقول إنها الست خضرة الشريفة، وهناك ضريح لها بغرفة أعلى المسجد، وهو من دون شك اعتقاد خاطئ، والذي يقرأ تاريخ أسبوط خلال فترات لاحقة على العصر المملوكي يمكن له تبين صحة ما توصلنا إليه من استنتاج، فعلى سبيل المثال يقول عثمان قبضي الله عند حديثه عن أسرة الخازندار: رب هذه الأسرة هو الحاج حسن الخازندار، وغين في هذه الوثيقة في عهد محمد علي باشا، وكان منزله في صقع من مدينة أسبوط كان ينزل به الحكام والأشراف ويسمى درب الشريفة (حارة الخازندار الآن) ولا يزال البيت القديم قائما إلى اليوم. أي سنة ١٩٤٠ م. (انظر: مدينة أسبوط بحث في بنيتها بين الماضي والحاضر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط ٢، ١٠، ٢٠١٠ م، ص ١٨٩).

(٤٧) المسخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(٤٨) ابن حجر العسقلاني: إنباء الضرر، ج ٤ ص ٢٢٣. المسخاوي: الثور الممبوك، ص ٨٦ والضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦.

(٤٩) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٤، ٢٤٥. قد يكون السبب الذي جعل الدكتور ماهر يقول: إنه هو جلال الدين الألبشيهي أنه تعجل في نقل أول اسم أورده المسخاوي ضمن مجموعة أشخاص حوت أسماؤهم اسم جلال الدين، وكان من بينهم ابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري مدرس الشريفة بأسبوط، فالتبس الأمر على الدكتور الكريم واعتبر أن مدرس الشريفة هو جلال الدين الألبشيهي. حيث يقول المسخاوي في ذلك: "(جلال الدين) بن الألبشيهي في الألبشيهي، وابن الأسبوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي، وابن الأمانة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عثمان، وابن الميرجي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن يوسف، وابن شرف الدين عبد الوهاب الجعفري الزينبي الأسبوطي مدرس الشريفة بأسبوط وهي من إنشاء ابن عم أبيه زين الدين، وكان قد ولي الحكم بها مرة، مات سنة سبع وأربعين، وابن الملقن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن أبي الحسن و..... و..... والخ" (الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥، ١٥٦).

(٥٠) المسخاوي: الضوء اللامع، ج ٩ ص ٢٤٤.

- (٥١) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٢) في تقديرى أن الذي حدا بالدكتور ماهر إلى القول بهذا؛ تصوره للعبارة التي اختتم بها السخاوي كلامه عن جلال الدين بن شرف الدين عبد الوهاب، في ثنايا كتابه التبر المسبوك (ص ٨٦). وكرر الكلام نفسه في الضوء اللامع، ج ١١ ص ١٥٥) والذي اعتمد عليه الدكتور ماهر في توثيق مقولته هذه، على أنها عبارة موصولة بترجمة شرف الدين شارح المنار الذي ترجم له السخاوي عقب ترجمته لجلال الدين مباشرة في الصفحة ذاتها، فتلك العبارة يقول فيها السخاوي "وكان قد ولى الحكم بها مرة- أي بأسبوط - وهنا ينتهي كلامه عن جلال الدين، وهذا هو الطبيعي، وللتحقق منه يمكن مراجعة كتاب إنشاء القصر (ابن حجر الصقلاني، ج ٤ ص ٢٢٣) وهو المصدر الذي نقل عنه السخاوي أصلاً العبارة المذكورة. لكن الدكتور ماهر قرأها موصولة بما بعدها، فصارت العبارة حسب قراءته وكأنها تقول: وولى الحكم بها مرة شرف الدين شارح المنار. الأمر الذي عكس لديه أن شرف الدين ولى التدريس بالمدرسة الشريفة، مع أن هذا أمر لم يحدث.
- (٥٣) المقصود بها إقليم شبه جزيرة القرم، وتقع جنوب أوكرانيا على البحر الأسود.
- (٥٤) أبو المحاسن: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد أمين وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤م، ج ٢ ص ١٤٢.
- (٥٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ٩٧٨.
- (٥٦) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠، ج ١٢ ص ١٠٧.
- (٥٧) محيى الدين الطعسى: الذهب المنقوط في تاريخ أعيان أسبوط، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٨م، ص ١١٩. ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٥.
- (٥٨) ضياء محمد جاد الكريم: تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، ج ٤ ص ٦٤.
- (٥٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٤.
- (٦٠) ج ٧ ص ١٧٨.
- (٦١) محمد حمزة إسماعيل الحداد: العلاقة بين النص التأسيسي والوظيفة والتخطيط المعماري للمدرسة في العصر المملوكي، بحث نشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٧٧.
- (٦٢) انظر: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢. التحدث بنعمة الله، تحقيق البزايث ماري سارتن، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٥: ١١. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٨٠، ٣٨١. نظم العقيان، ص ٩٥.

(٦٣) لأن والده هو كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان بن ناصر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الحضيري. وهذا النمب ورد في صداق لابن عم والده، نور الدين علي بن جمال الدين عبد الله بن سابق الدين أبي بكر (المسيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٥).

(٦٤) يقول ابن عبد الحق (ت ٥٧٣٩هـ/١٣٣٨م) عن الخُضيرية إنها: محنة كانت ببغداد، في الجانب الشرقي، وكانت المحنة التي يستعملونها الآن الحضرية، مجاور مشهد الإمام أبي حنيفة، ويعرف بسوق خضير. (مراسد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م، ج ١ ص ٤٧٢).

(٦٥) المسيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٦، ٥. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٦) التحدث بنعمة الله، ص ٧. حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٦٧) هو سيف الدين شبرخو العمري، استراه الناصر محمد بن قلاوون وجعله من مماليكه فعرف بالناصر، تدرج في المناصب إلى أن صار من كبار رجال الدولة، وغين في وظيفة رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م في سلطنة الناصر حسن الثانية، ولقب بالأمير الكبير، وقتل سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٣-١١٥. المسيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ١١٥، ٢٣٣).

(٦٨) يقصد بتلك المدرسة خانقاه شيخو التي بخط الصليبية خارج القاهرة تجاه جامع شيخو (المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والملوك، ج ٤ ص ٢١٩. المسيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢ ص ٢٣٣).

(٦٩) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ٢٨٣ والملوك، ج ٤ ص ٢١٩.

(٧٠) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٥.

(٧١) المقريزي: الخطط، ج ٤ ص ١١٤ والملوك، ج ٤ ص ١٩١: ١٩٤.

(٧٢) المقريزي: الملوك، ج ٤ ص ١٩٣.

(٧٣) المسيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ٧.

(٧٤) المسيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(٧٥) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٥، ٢٦١.

(٧٦) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩م. على سبيل المثال لا الحصر ورد في ذلك الكتاب (ص ٥٨٠) أن خزانة الكتب بالمدرسة التجيبية بمدينة قوص كانت تحتوي على جملة كتب، من بينها كتاب يقع في ثلاثين مجلد .

(٧٧) عثمان فيض الله: مدينة أسبوط بحث في بولتها بين الماضي والحاضر، ص ٩٢.

(٧٨) زيت المنطقة التي كانت بها المدرسة الخضيرية، ووجدت تلك المدرسة قد هُدمت، وبنى الآن مكانها مسجد يسمونه مسجد الخضري أو الخضيرى. واحسن الحظ فقد احتفظ لنا الدكتور ضياء محمد جاد الكريم بصور لمدرسة أو مسجد . على حد قوله . الخضيرية قبل أن تهدم، ونشرها في كتاب تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، وللإطلاع عليها انظر الكتاب المذكور، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦.

(٧٩) ضياء محمد جاد الكريم: المرجع نفسه، ج ٤ ص ٦٧ .

(٨٠) المسقاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨ . على مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٢ ص ١٠٧.

(٨١) المقال الموجز في مدينة أسبوط، ص ١ .

(٨٢) عثمان فيض الله: مدينة أسبوط بحث في بولتها بين الماضي والحاضر، ص ٢٠٩.

(٨٣) سيد علي الطوبجي: ملخص تاريخ فخر أسبوط الإمام جلال الدين الشيوخ عبد الرحمن السيوطي، مطبعة المنير بأسبوط، ١٤١٠ هـ، ١٩٣٣ م، ج ١، ص ١١.

(٨٤) سبط ابن العجمي: كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفلاح البكور، دار القلم العربي بحلب، سورية ١٩٩٧م، ج ٢ ص ١٦٣، ١٦٤. المسقاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٨٥) المسقاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤٠، ١٤١.

(٨٦) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ١٢٤٨-١٢٥٠/١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٨٧) المسقاوي: الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٤١ و ج ١١ ص ٧٢.

(٨٨) يقصد كتاب "المضبوط في أخبار أسبوط"، وللأسف هذا الكتاب مفقود، وعلمت أن منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين بألمانيا محفوظة تحت رقم ٩٨٤٥/ ٥٧، فراسلت تلك المكتبة عبر مواقعهم الإلكترونية، لطلب تلك النسخة، وجاءتني الإفادة أن رقم المخطوطة موجود بالفعل في الفهارس لديهم، لكن المخطوطة نفسها غير موجودة، وكان هذا ردهم نصا: "Dear Dr. Al-Kardousi,

Kardousi,

Unfortunately, this manuscript is not in the state library. In the catalog it is mentioned only as an example for other manuscripts on this subject, but in Berlin we don't have this manuscript.

With best regards, T. Hanstein"

(٨٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٦.

(٩٠) ملخص تاريخ فخر أسيوط الإمام جلال الدين الشيخ عبد الرحمن السيوطي، ص ١٠، ١١.

(٩١) التحدث بنعمة الله، ص ٥.

(٩٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر ملاطين المماليك، دار النهضة العربية،

القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٦٦.

(٩٣) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٢٤.

(٩٤) هي مدينة ومركز أبوتيج الحالية، وتقع جنوبي مدينة أسيوط، وهي من المراكز المهمة بالمحافظة.

(٩٥) ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص ٢٤٦.

(٩٦) انظر: الأنفوي: الطالع المسعود، ص ٥٣٠. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة

الثامنة، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م، ج ٤ ص ٧. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ١٢٤، ٢٥٤

وج ١١٥ و ١٨٢.

Mahamid (Hatim): Curricula and educational process in Mamluk (٩٧)

Madrasas, Education Research Journal Vol. 1(7), December 2011,

p.145, 146.

(٩٨) ابن الحاج: المدخل، بيروت ١٩٩٥م، ج ٢ ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٩٩) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، رسالة ماجستير، كلية

الشرعية والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨٨.

(١٠٠) محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٥٦.

(١٠١) السيوطي: بقية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢. محمد زغلول سلام: الأدب في العصر الأيوبي، ص

١٨١ والأدب في العصر المملوكي، الجزء الأول (مدخل في العصر واتجاهاته الفكرية والفنية)،

ص ١٣٣.

(١٠٢) الحسيني: صلة التكملة لوفيات النقلة، مج ٢ ص ٥١٩. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة

لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٥ ق ١

ص ٥٣٣.

(١٠٣) نظم العتيان في أعيان الأعيان، ص ٩٥.

(١٠٤) كتاب في فروع الشافعية، للإمام أبي بكر: محمد بن أحمد الشافعي (ت ١١١٣/٥٠٧م)، صنّفه لعدد الدين ولد المستظهر وهو: المسترشد الخليفة الفضل المتوفى سنة ٥٢٩/١١٣٥م، ثم اعتنى به العلماء فشرحه كثير منهم بعد ذلك، مثل ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢/١٣٠٢م)، وتاج الدين الفاكهاني (ت ٧٣١/١٣٣٠م)، وعلاء الدين البغدادي (ت ٧٤١/١٣٤٠م)، وابن الملقن (ت ٨٠٤/١٤٠١م)، وغيرهم (انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ج ٢ ص ١١٦٩، ١١٧٠).

(١٠٥) المقصود بها اللوحة البديرية، وهي في النحو، للشيخ أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥/١٣٤٤م)، (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٨١٨).

(١٠٦) تعرف أيضا بالمقدمة الآجرومية، ألفها أبو عبد الله بن محمد الصنهاجي المعروف بابن آجروم، المتوفى سنة ٧٢٣/١٣٢٣م، وتعتبر من أهم متون النحو العربي، وأهميتها تصدق لشرحها جهابذة العلماء والنحاة قديما (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٧٩٦).

(١٠٧) كتاب في علم الصرف لعز الدين إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني (ت بعد ٦٥٥/١٢٥٧م)، وشرحه الثغفرائي المتوفى سنة ٧٩٦/١٣٨٩م (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١١٣٨، ١١٣٩).

(١٠٨) هي أرجوزة أو قصيدة تعرف بالفرائض الرجبية أو غنية الباحث، وهي للشيخ صلاح الدين يوسف بن عبد التطيف بن الرحبي الشافعي الحموي (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٢١١).

(١٠٩) إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس: الجنس والتنوع والفصل والخاصة والعرض العام، وهو: باب من الأبواب التسعة للمنطق، وصنف فيه جماعة من المتقدمين والمتأخرين، والمشهور المتداول منه كتاب (المختصر) المنسوب إلى أثير الدين الأبهري (توفي حوالي ٥٧٠/١٣٠٠م)، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق، ويسمى إيساغوجي مجازاً من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته وله شروح وحواشي كثيرة (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٢٠٦).

(١١٠) كتاب في المنطق لشمس الدين أبو الشتاء الأصبهاني، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٧٤٩/١٣٤٨م (ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٣٢٧، ٣٢٨).

(١١١) منظومة في علوم الحديث، المسماة "التبصرة والتذكرة في علوم الحديث"، للإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦/١٤٠٣م، وهي مطبوعة الآن.

(١١٢) قصيدتان في علم القراءات للشاطبي، القاسم بن فزارة بن أحمد (ت ٥٩٠هـ/١١٩٤م)، إحداهما هي القصيدة اللامية أو "حزز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني" وهي مشهورة للغاية ولها شروح كثيرة، وتعرف بالشاطبية، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١ ص ٦٤٦). والأخرى هي القصيدة الرائية أو "عقولة أتراب القصاد في أسنى المقاصد"، وهي في بيان رسم المصحف (خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٤ ص ٣١١).

(١١٣) في علم العروض والقافية: لصدر الدين محمد بن الحسن الماوي (ت ٨٧٤هـ/١٣٤٨م)، ويوجد منها نسخة خطية بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ٣٩٥٥/ ٤١٦ من.ع.

(١١٤) السفاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٥٤، ١٥٥.

(١١٥) السفاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١١٦) يسمى هذا الكتاب أحياناً بـمطور الإعلام في مباني الإيمان والإسلام، وهو من تأليف عمر بن موسى بن الحسن، الحمصي (ت ٨٦١هـ/١٤٥٧م). ويوجد منه نسخة خطية محفوظة بقسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، تحت رقم ١٤٧١/ ٢١٤ من.ح.

(١١٧) كوثر سيد عبد العال: الحياة الطمينة والثقافية في أسبوط، نشر ضمن تاريخ أسبوط وحضارتها عبر العصور، الجزء الثاني (العصر الإسلامي)، ص ٣٢١.

(١١٨) انظر ص ١٥، ١٦.

(١١٩) وذلك في سياق الحديث عن ظهور المدارس في أسبوط.

(١٢٠) أبو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذهيل على الروضتين، ص ٢٣٣.

(١٢١) ابن المنبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٨ ص ٣٤٨. المنيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢ وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٥٨.

(١٢٢) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج ٥ ص ١٣٤.

(١٢٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٤٩ ص ١٥٤. ابن قاضي شهبه: طبقات الشافعية، ج ٢ ص ١٨٥.

(١٢٤) المنيوطي: بغية الوعاة، ج ٢ ص ٢٤٢.

(١٢٥) انطالع السعيد، ص ٢٠٦.

(١٢٦) انطالع السعيد، ص ٧٠٨. وانظر أيضاً: الصفي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م، ج ٥ ص ٥٦٦. ابن حجر الصقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٢٧) إطفيج: إحدى مراكز محافظة الجيزة، وتقع على الضفة الشرقية من النيل في مواجهة مركز العياط، وكانت في عهد المماليك، تعرف باسم الأعمال الإطفيجة.

(١٢٨) السيوطي: يتحدث بنعمة الله، ص ٨.

(١٢٩) انظر مثلاً: السخاوي: الضوء اللامع، ج ١١ ص ٧٢، ٧٣. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ٤٧٢ وحسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٨٠، ٣٨١ ونظم العتيان، ص ٩٥. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٢ ص ٢٨٩. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٩ ص ٤١٥، ٤١٦. علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١ ص ١٠٦.

(١٣٠) يتحدث بنعمة الله، ص ٧ : ١٠.

(١٣١) هو الفقيه إبراهيم بن خضر بن أحمد، الشافعي، القصورى الأصل، نسبة إلى القصور قرية بالصعيد، ولد بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م. ومات سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م (السيوطي: نظم العتيان، ص ١٥، ١٦).

(١٣٢) هو محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاتباتي، الشافعي، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، وقيل سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م. كان إمام عصره في العلوم، تولى التدريس بعدة مدارس، مات سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م (السيوطي: نظم العتيان، ص ١٥٤).

(١٣٣) كان لكل قاضي قضاة أعوان ينوبون عنه في مصر والقاهرة يسمون "النواب من الحكام" (محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، نشرت كملحق لكتاب صبح الأعشى (ج ١٥)، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٣٥٣). وبالطبع كان للقضاة بالأقاليم، ومن بينها أسبوط، أعوان ينوبون عنهم، مثل مصر والقاهرة تماماً، ويطلق على كل منهم نائب الحكم، ومن الأمثلة على ذلك فيما يخص أسبوط أن والد جلال الدين السيوطي "ولي بها الحكم نيابة" (السيوطي: يتحدث بنعمة الله، ص ٨).

(١٣٤) أمال رمضان عبد الحميد: الحياة العظيمة في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص ٢٩٥.

(١٣٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٣.

(١٣٦) هناك أكثر من شخص عرف بالشهاب السخاوي، ونرجح أن المقصود هنا هو الشهاب ابن مولى السخاوي المالكي، أحمد بن محمد بن زين، الذي برع في العربية والفقه وأصوله وغيرها وتصدى للإقراء بأبوتيج (إحدى مدن أسبوط) وكان مقيماً بها والقاهرة، وعثر بحيث جاز التسمين أو قاربها، ومات في سنة اثنتين وستين وثمانمائة (السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ٢٥٤، ٢٥٥). (٢٦٢).

(١٣٧) كتاب المجموع في علم الفرائض، للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلبي، الشافعي المتوفى سنة ٥٧٧هـ/١٣٧٥م (حاجي خليفه: كشف الظنون، ج ٢ ص ١٦٠٥، ١٦٠٦) (١٣٨) ترجم السخاوي لاثنتين كل منهما يعرف بالشهاب العجمي، أولهما أحمد بن عبد الله الشهاب العجمي الحنبلي، أحد الفضلاء الأتقياء، أخذ عن شيوخ عصره، ومهر في العربية والأصول وقرأ في علوم الحديث، ولزم الإقراء والاشتغال في الفنون، ومات عن ثلاثين سنة بالطاعون في رمضان سنة تسع بالقاهرة. أما الثاني فيقول عنه السخاوي "هو أحمد بن محمد الشهاب العجمي الصوفي بالخانقاه السرياقومية، قرأ على شيخنا الترمذي في سنة أربع وأربعين وبلغ له بالشيوخ، وكان متوددا، مات فيما أظن بعد المستكن" (انظر: الضوء اللامع، ج ١ ص ٣٧٢ وج ٢ ص ٢١٧). وإن كان المنهجي السيوطي تعلم على يد الشهاب العجمي، فأكبر الظن أنه الشهاب العجمي الحنبلي، المذكور أولا، لأن الواضح من سياق الترجمتين أن الأول منهما هو الذي اشتغل بالتعلم والتدريس.

(١٣٩) كوثر سيد عبد العال: الحياة العلمية والثقافية في أسوط، ص ٣٢١

(١٤٠) الطالع السعيد، ص ٧٢٦: ٧٢٨.

(١٤١) طما: مدينة بالصعيد، تلج غرب النيل، شمال طهطا وجنوب صدفا، وتتبع الآن محافظة سوهاج.

(١٤٢) للسخاوي: الضوء اللامع، ج ٤ ص ٧١٥.

(١٤٣) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٧، ١٧٨.

(١٤٤) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢ ص ١٣.

(١٤٥) الطالع السعيد، ص ٥١٨. وانظر أيضا: الصفاي: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٤ ص ٤١٩.

(١٤٦) قرية تسمى أيضا أصفون، وتتبع حاليا مركز إسنا في محافظة الأقصر. وكانت في العصر

المملوكي تابعة للأعمال القوصية (ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥ ص ٣٠).

(١٤٧) ابن جماعة: تذكرة المثابع والمذكّم في أدب الغالب والمُعْتَظَم، تحقيق عبد السلام عمر علي

الجزائري، مكتبة ابن عباس، سمود، مصر ٢٠٠٥م، ص ٢٦٠. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥

ص ٤٦٤.

(١٤٨) للمزيد حول طبيعة عمل المعبدية ومهامهم في العصر المملوكي، وأسماء اختياراتهم، وتوايئهم،

وتحديد أعدادهم، وإقامتهم بالمدارس، ودورهم في إثراء الحياة العلمية، وشغل بعضهم وظائف

أخرى بجانب الإعادة، وعزلهم وتنازل بعضهم عن الإعادة وأسباب ذلك، والمناصب التي شغلوها

بعد الانتهاء من الإعادة. (انظر: محمد أحمد محمد الكردوسي: الإعادة بمدارس مصر المملوكية، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٤٠)، أكتوبر ٢٠١١م، ص ٥٠: ١٥٩).  
(١٤٩) انظر: ابن جماعة: تذكرة المنافع والمفكر، ص ٢٢٩: ٢٣٢. ابن السبكي معبد النعم ومبيد النقم، دار الحديث، بيروت ١٩٨٥م، ص ٦٠٨.

(١٥٠) عفاف سيد محمد صبره: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ١٩٠.

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 148.

(١٥١) انظر: محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢٤٩: ٢٥١.

Mahamid (H.): Curricula and educational process in Mamluk Madrasas, p. 146.

(١٥٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣. محمد أحمد محمد بدوي: مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١.

(١٥٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١: ص ٣٢٢ - ٣٢٦. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٢، ١٦٣.

(١٥٤) هو سليمان بن أبي الطاهر بن أبي القاسم بن عبد الكريم البونيجي، المقريز الضير، كان مقرباً موجوداً مشهوراً بالدين والصلاح. ومات بأسيوط في آخر سنة ٨٧١/١٣٩١م أو أول السنة التي تليها (ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٥٣).

(١٥٥) الطالع السعيد، ص ٥٣٠، ٧١٧، ٧٢٠. الصلدي: أعيان العصر، ج ٤ ص ٤٩١ والوفاي بالوفيات، ج ٣ ص ١٩٨. ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٧. السيوطي: بغية الوعاة، ج ١ ص ١٥٨.

(١٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١ ص ٣٢٧. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري، ص ١٦٣.

(١٥٧) السخاوي: الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(١٥٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١ ص ٣٣٢.

(١٥٩) السيوطي: التحدث بنعمة الله، ص ١٥. من المحدثين المشهورين بطو الإسناد، الذين رحل إليهم الناس لسماع الحديث منهم بأسيوط: زين الدين عبد الرحمن بن أبي صالح روضة بن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن روضة الأنصاري الحموي الشافعي، (ت ٨٧٢/١٣٢٢م)، سمع

من جذه لأنه أبي القاسم بن راحة، وصفية القرشية (الذهبي: العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد المعيد بن يميني زغول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ٤ ص ٦٥، ٦٦ . المصري: ممالك الأبصار في ممالك الأبصار، ج ٢٧ ص ٥٢٨ . الصفي: أعيان العصر وأعيان النصر، ج ٣ ص ٢٦، ٢٧ والوافي بالوفيات، ج ١٨ ص ٨٧ . المقرئ: السلوك، ج ٣ ص ٥٦ . ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٢٨ . السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١ ص ٣٣٨).

(١٦٠) هو الحافظ أبو طاهر السلفي: أحمد بن محمد الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ/١١٨٠م)، من أهل أصبهان، رحل في طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمثال كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الخليفة الظاهر الظاهري) مدرسة في الإسكندرية سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م فأقام إلى أن توفي فيها. وكتاب الأربعين البلدانية، من تأليفه، وهو المسمى "الأربعين المستنقى بما فيه عن المعين"، وهو في علم الحديث، حققه عبد الله رابح، وطبع بمكتبة دار البيروني بدمشق سنة ١٩٩٢م.

(١٦١) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٢ ص ١٢٦.

(١٦٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٦٣.

(١٦٣) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٤٠، ١٤٦، ٢٤٠. محمد أحمد محمد بدوي:

مظاهر الحضارة في مصر العليا، ص ٢٦١، ٢٦٢.

Haarmann (Ulrich): "Mamluk Endowment Deeds as a Source for the History of Education in Late Medieval Egypt", in al-Abhath/American University Of Beirut, Vol. 28, 1980, P. 34.

(١٦٤) التحدث بنعمة الله، ص ٧ . حسن المحاضرة، ج ١ ص ٢٩٠.

(١٦٥) الضوء اللامع، ج ٧ ص ١٧٨.

(١٦٦) عفاف سيد محمد صبرة: المدارس في العصر الأيوبي، بحث نشر بكتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، ص ١٨٢.

(١٦٧) انظر على سبيل المثال، التويري: نهاية الأرب، ج ٣١ ص ٩٥ - السخاوي: الضوء اللامع، ج ١ ص ٦٣.

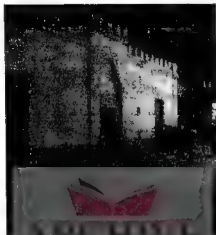
(١٦٨) ماهر أحمد مصطفى: صعود مصر في عصر المماليك الجراكسة ص ٢٤٣، ٢٤٤.

**ملحق مبارزة من مجموعة صور للمدرسة الفانزية قبل هدمها**  
**من تصوير الشيخ حسن سيد حسن اليذاك، إمام الجامع الكبير (الأموي)**

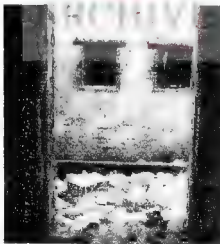
### ١- باب ومدخل الفانزية



## ٧- الفائزية من الخارج



## ٣. الفائزة من الداخل



## الصراعات الداخلية الحبشية في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية من خلال المصادر الحبشية

(٨٣٨-٩٤٧هـ/١٤٣٤-١٥٤١م)

د. محمد أحمد محمد بهنساوي (\*)

واجه أباطرة الأسرة السليمانية، في العصر الثاني لها، العديد من الصراعات والثورات الداخلية في البلاد، وذلك نتيجة فترة الاضطرابات السياسية التي جاء على خلفتها الإمبراطور زره يعقوب Zar'a Ya'qob (٨٣٨-٨٧٣هـ/١٤٣٤-١٤٦٨م) على عرش البلاد، ولقد روي قبل الخوض في هذا الموضوع: إعطاء نبذة مختصرة عن هذه الصراعات التي سادت في العصر الأول (٦٦٩-٨٣٨هـ/١٢٧٠-١٤٣٤م) من حكم هذه الأسرة.

بعد الصراع الداخلي بين أمراء الأسرة الزغاوية<sup>(١)</sup> (٣٢٩-٦٦٩هـ/٩٤٠-١٢٧٠م) أحد أهم العوامل التي أدت إلى سقوط هذه الأسرة، وليس أدل على ذلك من قيام منبحة كبيرة بين أعضاء الأسرة الحاكمة، في دبرا دامو Debra Damo. في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك أثناء حكم الملكة (جوديت - أمتر - Esthera)<sup>(٢)</sup> (٣٢٩-٣٧٠هـ/٩٤٠-٩٨٠م) اليهودية الأصل، ولقد استمرت مثل هذه الصراعات والثورات الداخلية في ظل تولي ملوك من دويلات مختلفة على رأس المملكة<sup>(٣)</sup>، لذا أنشأ الملك (لاتيبالا - Latibela)<sup>(٤)</sup> (٥٨٥-٦٢٢هـ/١١٩٠-١٢٢٥م) صرخا كبير ليحجز فيه أبناء الأسرة الحاكمة لتلافي الصراعات فيما بينهم، وهو ما أطلق عليه "السجن الملكي أو أمبا جيشن"<sup>(٥)</sup> حيث استمر هذا التقليد بين أباطرة الحبشة عامة، حتى بدايات العصر الحديث<sup>(٦)</sup>.

وعلى الرغم من وجود هذا السجن الملكي، إلا أن هناك العديد من الإشارات، في بطون المصادر الحبشية، التي تدل على استمرار وجود مثل هذه الصراعات والثورات في عصر الأسرة السليمانية عامة، تزداد حدتها بصفة خاصة عند اعتلاء كل إمبراطور جديد عرش المملكة الحبشية<sup>(٧)</sup>. فالإمبراطور (أو ملك الملوك) هو رأس الحكم، ونظامه ملكي استبدادي، يستند حكمه إلى حق إلهي ورثه بتسلسل عن مثليته الأولى (طبقاً للأسطورة المعروفة)<sup>(٨)</sup>. وهو يرث الحكم عن أبيه، ولكنه لم يكن للابن الأكبر بقدر ما كان للابن الأقوى<sup>(٩)</sup>. وربما يمكن التلليل على صحة هذا الرأي بالإشارة إلى فترة حكم يجيبا صيون Yagba soyan (٦٨٤-٦٩٤هـ/١٢٨٥-١٢٩٤م) والذي كان له خمسة أبناء اتفق معهم أن يحكم البلاد كل منهم لمدة عام بالتناوب<sup>(١٠)</sup>، إلا أن آخر أبنائه، والذي يدعى سابا أسجد Sab'a Asgad (٦٩٨-٦٩٩هـ/١٢٩٨-١٢٩٩م)

(\*) باحث حاصل علي درجة الدكتوراه.

لم يصبر حتى تنتهي نهاية فترة حكم أخيه (جين أسجد Djinn Asgad ٦٩٧-٦٩٨هـ/١٢٩٧-١٢٩٨م)، فحبر مؤامرة للقبض عليه وأخوته الآخرين، إلا أنه لم يعيش طويلاً<sup>(١١)</sup>. كما أن بجربا صيون نفسه قد وُثِرَ الحكم عن أبيه ويكونوا أملاك، برغم أنه أصغر أبنائه، حيث تمكن من سجن أخوته جميعاً<sup>(١٢)</sup>. وفي نفس الصدد أيضاً فقد استطاع ودم بن سيف أَرَدَ Wedem Sayfa Ared (٧٧٤-٧٨٤هـ/١٣٧٣-١٣٨٢م) أن يأخذ الحكم من أخيه داود Dawit I (٧٨٤-٨١٤هـ/١٣٨٢-١٤١١م) برغم صغر سنه<sup>(١٣)</sup>، وهكذا فإننا اعتلى أحدهم العرش لا يمكنه الاستمرار في الحكم إلا بمقدار قوته وقدرته على المحافظة عليه من الظلمين<sup>(١٤)</sup>.

أما في الحالات التي كان يتوفي فيها الإمبراطور دون ترك وريث ذكر، كانت القوات الملكية فور موت الإمبراطور تسرع إلى السجن الملكي لاختيار الأمير الشاب الذي يتولى عرش المملكة، والذي غالباً ما يكون أخو الإمبراطور السابق<sup>(١٥)</sup>. ويلاحظ أن انتقال الحكم من عائلة حاكم إلى شقيقه كان بعد حادثاً مهماً في البلاد يستلزم إحضار هذا الأخ من فوق جبل الأُمراء أمبا جيشن ليتوج بدلاً من الإمبراطور الراحل<sup>(١٦)</sup>.

ولم يكن موت الإمبراطور هو السبب الوحيد لوجود الصراعات بين أعضاء الأسرة الحاكمة على العرش، بل كان هناك العديد من محاولات اغتصاب العرش بالقوة أثناء حياة الإمبراطور، فهناك ثلاث محاولات لاقتزاع الحكم في أوائل حكم الأسرة السليمانية، حتى عهد الإمبراطور (داود)، فالتاء حياة هذا الإمبراطور أشارت مصادر القديسين الأحباش إلى أن القديس (ماري) St. Mary جمع حوثة العديد من رجال الدين، واستقر رأيهم على وجوب تنازل (داود) عن العرش لابنه (تيودورس)<sup>(١٧)</sup>، وقد استعان (داود) بـ (العقابي ماعات سبجاقا) Saraqa في دبر حيق، وبعض قادة الجيش الذين طلبوا العفو والسماح من القديس (ماري) الذي وافق وسامحه، بل أنه صلي من أجله، وتتفق تلك المصادر على أن (العقابي ماعات) مات في عام ١٤٠٣م، أي أن هذه الواقعة حدثت قبل هذا التاريخ الذي أدى فيها (العقابي ماعات) دوراً رئيساً في استقرار المملكة لفترة من الوقت، فقد أبقي (داود) على عرشه ما لا يقل عن سبع سنوات كاملة<sup>(١٨)</sup>.

وهكذا بنت المملكة الحبشية على شفا هاوية عندما اعتلى الإمبراطور زره يعقوب عرشها، ليقوم بأعظم عملية ترميم في بناء المملكة المتداعي في العصور الوسطى. ويبدو أنه ليس من الواقع في شيء أن تعد زره يعقوب أول الملوك المصلحين الذين عملوا على إنقاذ المملكة، إذ وجد من الذين تعاقبوا على عرش المملكة الحبشية من أحصوا بخطورة المواقف ورغبوا في الإصلاح، لاسيما الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) الذي أطلقت عليه المصادر المختلفة المؤسس الحقيقي للأسرة السليمانية<sup>(١٩)</sup>.

أما عن الصراعات والثورات الداخلية، التي قامت في العصر الثاني من حكم الأسرة السليمانية، فهي تختلف عما نقرأه في كتب التاريخ المختلفة، فلم تكن ناتجة عن تمرد الشعب بسبب قرض المزيد من الضرائب، وسوء الأحوال الاقتصادية وكثرة الحروب الداخلية، بقدر ما

كانت نابعة من الأطماع الداخلية في الاستيلاء على العرش، من قبل أعضاء الأسرة الحاكمة، وبعض كبار النبلاء ورجال الدين .

وقد اختلفت الأسباب التي أدت إلى قيام مثل هذه التمردات تبعا لأحوال كل عصر، إذ يشير النص الملكي الحبشي في عهد (زري يعقوب) إلى كثرة الارتداد والخوف الذي كان في أيامه؛ نتيجة قوة حكمه وقضائه تحت ستار الشرعية الدينية<sup>(٢٠)</sup>، حتى إن كبار القادة حين يدخلون عليه لإلقاء كلمة، كانوا يسجدون على ركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الإمبراطور<sup>(٢١)</sup>.

أما الثورات والتمردات الداخلية التي عاصرت (ينيد ماريام ٨٧٣-٨٨٣هـ/١٤٦٨-١٤٧٨م) فقد كانت على العكس من ذلك تماما، إذ كانت نتيجة مناخ الحرية الذي جاء به الإمبراطور، وأحسن به الشعب، بعد ظلم مرير إيان عصر أبيه، مما سمح للشعب بغزو الأصوات التي صممت طويلاً، بينما يشير النص الملكي الحبشي، في عهد الإمبراطور (ألكساندر ٨٨٣-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) إلى تطلع بعض رجال الدين إلى إدارة شئون المملكة<sup>(٢٢)</sup>، فضلاً عن قيام المنازعات بين كبار مسئولى المملكة، بسبب صغر سن الإمبراطور، وعدم دأريته بالحكومة وشئون البلاد<sup>(٢٣)</sup>.

وهكذا ازدادت الصراعات السياسية في ظل صغر سن أباطرة هذه الفترة، مما أدى إلى تطلع بعض رجال الدين إلى التدخل في الأمور السياسية، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في فترة حكم (عمدا صوهون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/١٤٩٢-١٤٩٣م) والتي اشتهرت - برغم قصرها - باشتعال الحروب الأهلية، وإراقة الدماء بين الأصناف وأنصار عمه الإمبراطور (تلؤود ٩٠٠-٩١٤هـ/١٤٩٤-١٥٠٨م) الذي تولي الحكم من بعده. فقد استطاع أحد رجال الدين، ويدعى (تكللا كريسوس)، إثارة الشعب ضده، وكادت الثورة أن تهلك البلاد نولا لهليته السريعة<sup>(٢٤)</sup>.

والملاحظ أن هذه الثورات اختلفت تقريباً بشكل كبير في عهد الإمبراطور لبنا دنجل، ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م، بسبب انشغال عهده بالحروب مع المسلمين<sup>(٢٥)</sup>. أما عن أحداث هذه الصراعات والتمردات، فسنتناولها بشئ من التفاصيل في الفقرات التالية :-

#### ١- في عهد (زري يعقوب ٨٢٨-٨٧٣هـ / ١٤٢٤-١٤٦٨م) :

وضع أغلبية المؤرخين والرحالة (زري يعقوب) كواحد من أقوى أباطرة الحبشة في العصور الوسطى، إذ لم يوضع أحد مقامه سوى الإمبراطور (عيزانا) كلقوي أباطرة الحبشة، وعلى الرغم من ذلك؛ فإنه يصعب تصور عدد المؤامرات والتمردات التي قامت في عهده، وقد أورد بعض الباحثين أن سبب هذه المحاولات هو: انحراف هؤلاء عن الإيمان الصحيح بالعقيدة النصرانية، لذا جيكت التمسك، وقامت الثورات من جانب أنبلائه وبناته وأزواج بناته، بالإضافة إلى رجال البلاط، وبعض رجال الدين، وذلك في محاولات عديدة لإقصائه عن عرشه<sup>(٢٦)</sup>، وذلك على النحو التالي:-

### أ- الثورات التي قامت من جانب الأسرة والبلاط الملكي :

على الرغم من أن الإمبراطور أعطي لبناته بعض المناصب السياسية والإدارية كحكم لبعض المقاطعات، إلا أنهن أرين التصرف في هذه المقاطعات وكأنها مستقلة عن البلاد، و تشير المصادر الحبشية إلى التمرد الذي قام به البحث ود (عامد مسقل) الذي دعي فيما بعد باسم (عامد الشيطان) وهو زوج ابنة (زرع يعقوب) التي تدعي (برهان زمدا)، وكانت جريمته الأساسية، وشاية وصلت إلى الإمبراطور بأنه يظلم الناس ويتمرد، إلا أن المؤرخ الملكي يروي أن جريمته الأساسية أنه تزوج سرا بامرأة أخرى، بمساعدة "الصاسرجوية" (حامل الزينة الملكية) الذي يدعي (أمخا إيسايوس)، فما كان من الإمبراطور إلا أن عقد مجلسا عسكريا، وكشف أمام قاداته جرائم (عامد مسقل) وانتهى المجلس إلى الحكم عليه بالإعدام، إلا أن مؤرخ البلاط يذكر أنه تم نفيه - (عامد مسقل) - إلى مكان لا يطعمه إلا الإمبراطور، كما تم عقاب بعض رجال الدين الذين ساعدوه على ذلك، مثل (النبورايدي نوب) - حاكم أكسوم - في دبرا دامو وأعدم معه<sup>(٢٧)</sup>.

وتشير المصادر الحبشية أيضا إلى أكبر حركة تمرد في عصر (زرع يعقوب) وهي تمرد البحث ود (إيساياس Isaias) الذي كان أيضا زوجا لإحدى بنات الإمبراطور (أدل منجشا)، وكان (إيساياس) حاكم منطقة تجري وبعد زواجه من ابنة الإمبراطور تم تعيينه في منصب البحث ود، وقد استطاع إقناع حاكم مقاطعة جني بالاشتراك معه في التمرد، ومما زاد من خطورة هذه الثورة، اتضام بعض فرق الجيش وقادته مثل (بدل ونبي) الذي كان رئيس "فرقة الشباب"، ورئيس فرقة الجان بلو، و"بدل كفت" رئيس فرقة الصرلوجيت، وقد أراد هؤلاء المتمردون تعيين بعضهم في مناصب أعلى في الحكومة الإمبراطورية، وإبعاد بعض من وصفوهم بالفاسدين عنها، إذ طلب (إيساياس) أن يكون حاكما لمقاطعتي جوجام وجني معا. وعندما رفض الإمبراطور طلباتهم، بدأت هذه القوات في إحداث عمليات شغب في أرجاء المملكة، وعلى الرغم من فشل بعض قادة القصر في التخلص منهم، إلا أن القوات الملكية استطاعت السيطرة عليهم، كما أثرت ضدهم بعض الدعاية السيئة، فراح مؤرخ البلاط يتمسب قيام زعمائهم ببعض الأعمال المتنافية للآداب، حيث يشير النص الحبشي إلى أن (بدل ونبي) قد زني بامرأة أبيه، كما كان لزوج أخته (حرب سجد) نفس العلاقة معها، وكلاهما يعقم<sup>(٢٨)</sup>.

على أن أمر هذه الدسائس والمؤامرات لم تكلف عند حد بنات الإمبراطور وأزواجهن، بل امتد ليشمل أولاد الإمبراطور الذكور، فحكى (زرع يعقوب) نفسه في كتاب "مصصف ميلاد" عن أولاده (جلانيوس) و (عامد ماريام) الذين اتجها بمساعدة أميهما إلى السحرة والعرافين، وأجبروهما على تقديم القرابين للشيطان، بل وصل الأمر إلى الاتفاق فيما بينهم على أن يأتي (جلانيوس) ببعض مؤلفات أبيه "طومار تصبنت" - مصصف برهان - لحرقها، وذلك في مقابل الاعتراف به ملكا على البلاد، وقد تم الكشف عن هذه المؤامرة، وعاقبهما الإمبراطور بالضرب بالسوط، فمتم من عاش ومتم من مات<sup>(٢٩)</sup>.

كما ثار أيضا (ينيد ماريام) ابن (زرع يعقوب) بمساعدة أمه، وذلك في السنوات الأخيرة من حكم أبيه، بعد أن شعر بطول فترة حكم أبيه وارتغبته الجامحة في تولي الحكم، إلا أن هذه

المؤامرة قد تم الكشف عنها أيضاً، و أمر الإمبراطور بربط يدي وقبض يده (هنريدي ماريام) وجلبه حتى كاد أن يهلك هو وخادمه (محاري كرسستوس Mahari Krestos) لولا شفاعته بعض رجال الدين، وعلى رأسهم كل من: رئيس دير ليهاتوس Dabra Libabos ، ودير كاسوا Dabra Kaso والأب الرحيم (أبو قير) التابع لدير انجيطن، فأطلق الإمبراطور سراحه و أتمع عليه بمنحه بعض المناصب الشرقية<sup>(٣٠)</sup>.

وهكذا ذكرت المصادر الحبشية تمرد أولاد وبنات الإمبراطور، و ذكرت أسماء من تمردوا من أبناء الإمبراطور، إلا أنها لم تذكر أسباب تمردهم بشئ من التفاصيل، كما ذكرت عقابهم أمام الناس، ثبورا بأنفسهم ماذا يفعل الملك بأبنائه من أجل المسيح، إذ يفهم من ذلك اتجاه البعض منهم لعبادة الأوثان أو لدين آخر، وهو الأمر الذي يقضي إلى عقوبة الموت<sup>(٣١)</sup>.

#### ب- تمرد بعض رجال الدين :

لم تقتصر تلك الثورات داخل العائلة الملكية فحسب، بل امتدت لتشمل بعض رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين أرادوا تخليه (زرع يعقوب) عن العرش وتولية غيره، وقد وصف مؤرخ البلاط هؤلاء «بالرجال الأشرار» الذين يدعون (تعاوق برهان) و (زرع صهيون)<sup>(٣٢)</sup>. والجدير بالذكر أن هذا التمرد اشترك فيه بعض حكام المقاطعات، وبعض الرهبان مثل الأب (أندروس Abba Indiriyas) رئيس دير دبرا ليهاتوس، والملاحظ أن كاتب النص لم يذكر معلومات دقيقة حول هذا التمرد، ربما يرجع ذلك إلى أن الطبيعة السياسية لأعمال الإمبراطور شغلت المؤرخ بما يسجل من مثل هذه الأحداث، فيذكر أن الملك وحده يعرف قصة هؤلاء الحقيقية، وفضل عدم إعلان التهمة الموجهة لهم سوى أنهم كانوا يعبدون الأوثان. كما أن أمهاتهم كن سببا في ضلالهم إلى السحر الأسود، فضلا عن ادعائهم باطلا أن الإمبراطور قام بتجنيد جيش من الجواسيس في أنحاء المملكة؛ يسكون ببعض أفراد الشعب ليحفظوا أنوفهم بمسامير حديدية ويجمعوا دماءهم في أوعية كبيرة ثم يتم غليه، وعندما يبرد يدهن به الإمبراطور جسده<sup>(٣٣)</sup>، على أن (زرع يعقوب) قد نفي عن نفسه هذه الشائعات التي وصفها بالبلهات<sup>(٣٤)</sup>.

ومن خلال سيرة حياة القديسين نلتعرف على بعض الطرق التي لجأ إليها الإمبراطور لمعالجة هذه الأزمات، من ذلك مناقشة القديس تكلا هاتريت Abba Takla-Hawaryat لعلاج أمر هذه الإضرابات، وعندما اختلف مع الإمبراطور أخلاقيا بينا رأي فيه الإمبراطور تطاولا على شخصه؛ ألقى به في السجن<sup>(٣٥)</sup>. وهكذا لجأ الإمبراطور إلى سياسية الحديد والنار لتقمع هذه الثورات جميعا، كما أنه لجأ إلى البطريك والقضاة والمطران المصري، إذ إنه نجح في إقناع البطريك (يوحنا) لاستصدار وثيقة حرمان من قبل الأب يوحنا (٨٣١-٨٥٧هـ/١٤٢٨-١٤٥٣م) تكلل من يحاول عصيان الملك أو أراد تولية غيره على عرش المملكة يكون مطروذا ومحروما بكلمة الرب<sup>(٣٦)</sup>.

ومنذ ذلك الحين، في عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م، عاش (زرع يعقوب) بحكم المملكة بيد من حديد طيلة ست سنوات، إلا أنه نتيجة هذه التمردات عاشت الحبشة، في هذه الفترة، في ارتعاد

وخوف من شدة حكم الملك، فقد كان (زرع يعقوب) يقتل من يريد من الناس ويعقو عن يريد، ويقتل من يريد ويعظمه ما دام قد نفذ مشيئة الرب وأمر الإمبراطور<sup>(٣٧)</sup>.

٢- في عهد (بنيد ماريام) (٨٧٢-٨٨٢/٨٤٦٨-١٤٧٨ م) :

رغم شدة حكم (زرع يعقوب) في قمع الثورات التي قامت في عهده، إلا أن هذه الثورات استمرت في عهد خليفته (بنيد ماريام)، ولكنها جاءت بصورة مغايرة تمامًا عن ما كانت عليه في عهد أبيه، إذ جاءت في صلب العقيدة المسيحية نفسها، ومن ذلك أنه انتشرت صورة للرسم الإيطالي (فرانسيسكو دي ليو) التي تجسد السيدة مريم العذراء وهي تحمل طفلًا صغيرًا على ذراعها الأيسر، كما درجت عليه العادة في أوربا آنذاك، إلا أن ذلك يتعارض مع الاعتقاد الشائع لدى الأحباش عمومًا بأن اليد اليسرى هي علامة الشر، بخلاف اليد اليمنى التي تدل على الخير، مما أدى إلى قيام الأحباش بثورة اعتراضًا على هذه الصورة<sup>(٣٨)</sup>.

وهكذا دخلت ثورات الحبشة طورًا جديدًا واختلقت أهدافها، إذ تحولت من الثورة على الحكم إلى المجادلات الدينية والعقلانية، من ذلك أنه احتدم النقاش بين عدد من رجال الدين في البلاط الملكي وبعض الرهبان السريانيين وإخوانهم المصريين حول طبيعة السيد المسيح. فقد رأى فريق منهم أن السيد المسيح من نفس طبيعة الأب، لأنه إله ابن إله، بينما رأى فريق آخر بأن طبيعة الابن أقل درجة من طبيعة الأب، لأن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن لكنه صنع من مادة فاتكة الوصف، فجسد المسيح لم يصنع مثل الإنسان العادي من دم ولحم وشرابين.... إلخ<sup>(٣٩)</sup>. وعلى هذا فقد أمر (بنيد ماريام) بالقبض على هؤلاء وأمر بعلقهم بالجند والقضبان الحديدية، تبعًا لدرجة عقوبتهم كل حسب درجته<sup>(٤٠)</sup>.

على أن أمر هذه المجادلات لم يقتصر على النقاش حول الأمور الدينية فقط، بل امتد إلى طريقة عمل الإمبراطور ذاته. ومن ذلك أنه أثير جدل واسع عن كثرة تنقلات (بنيد ماريام) بين مقاطعات المملكة كييفا يريد، فقد أوردت المصادر الحبشية أن الإمبراطور يقضي معظم وقته على ظهور الخيل، وأهمل المملكة وترك شلونها الداخلية، وبخاصة أمور القضاء، وأن الإمبراطور لا يعيش وفق تقاليد ومبادئ أسلافه، وأنه يلهو كما يلهو الشباب، وانتشرت مثل هذه الأحاديث بين الشعب، ويشير كولمبس إلى اشتراك بعض قادة الجيش في هذه اللواشات<sup>(٤١)</sup>. وقد أثارت مثل هذه الأحاديث حفيظة الملك، وأمر بجمع الناس ومعهم كثير من الرهبان والنيقائطاني (قاض من القضاة) واجتمع الجميع في إحدى قاعات الملك، وقال لهم "وقتكم أن منكن لا يقضي يومه في أمر القضاء، وفي شريعة الملك، بل في ركوبه الخيل - هكذا قلت، لأن هذا التقليد - ركوب الفرس وإطلاق السهام - لم يكن لدي آبائي الأقدمين من قبل" وأمر بتقديم أصحاب هذه اللواشات للمحاكمة، وإلا فالموت للجميع، ورغم إنكار الجميع لهذه التهمة؛ إلا أن الإمبراطور أمر بقطع أرجلهم وتم نفيهم إلى عدة أماكن مختلفة<sup>(٤٢)</sup>.

وعلى الرغم من شدة حكم الإمبراطور إزاء هذه المجادلات، إلا أنها تطورت ووصلت إلى الإمبراطور نفسه، فينكر النص الملكي أن التليقائطاني (يكني) اتفرد بالإمبراطور وأخبره بأن الجان مساروتش<sup>(٤٣)</sup> تمردوا عليه، وأرادوا تنفيذ مؤامرة للتخلص من حكمه، وفي اليوم التالي أمر

الإمبراطور بإحضار هؤلاء جميعاً لاستجلاء الحقيقة، وعلى الرغم من أن الجميع أقسم بكنيسة صهيون على نفيه القيام بأمر محاولة لإيذاء الملك، إلا أنه أمر بتعليق الجان مساروتش من رقابهم<sup>(١٤١)</sup>.

وهكذا اضطر (ماريام) إلى اتباع سياسة أبيه في مواجهة هذه الثورات التي حيكّت ضده، لذلك فقد دخل الرعب إلى قلوب الشعب<sup>(١٤٢)</sup> والذي ظن في بداية الأمر بأن هذا الملك يختلف عن أبيه، بدليل إصداره العفو العام عن جميع الممسجونين الذين اعتقلوا في عهد أبيه (زرع يعقوب) وأعادهم إلى ديارهم، بالإضافة إلى أنه سمح لجميع النامس بارتداء ما يشاءون من الملابس ذات الألوان المختلفة<sup>(١٤٣)</sup>. إلا أنه انتشر بين الشعب الحشنى في ذلك الوقت: أن الإمبراطور أشد قسوة من أبيه، ومما دلت على ذلك عقابه للتصاريحية الذي يدعى (جبرواحد) بحجة استخدامه ضرائب المملكة فيما لا يحق له<sup>(١٤٤)</sup>.

٢- في عهد (ألكساندر ٨٨٢-٨٩٨هـ/١٤٧٨-١٤٩٢م) :

كانت إدارة المملكة الحشنية في عهد هذا الإمبراطور تتم عن طريق (العقابي ساعات تاسفا جورجيس Tasfa - Giyoris) <sup>(١٤٥)</sup> وكل من الوزيرين: البحت وبد التيمين الذي يدعى (أمداد ميكلا Amda-Mikal el)، والبحت وبد اليسار الذي يدعى (بدالي Reda - Badia) فضلاً عن وصاية أمه، إذ كان طفلاً صغيراً<sup>(١٤٦)</sup>.

وقد انفرد بإدارة أمور المملكة (أمداد ميكلا) لكونه أكثرهم خبرة، وكان ذا قوة كبيرة منذ أيام (زرع يعقوب)، لذلك كانت له اليد الطولى في الحكومة أيام (ألكساندر) حتى إن الملكة (روماته) اختلعت تقريباً من الساحة السياسية في تلك الوقت، مما أثار حفيظة باقي كبار رجال البلاط، فتعاونوا بقيادة كل من الأب (حسيبو Abba - Hasabo) و(مايمون باسيدك Meeman Basedequs) والأب (أمدادو Abba - Amdu) لإسقاطه، وعلى الرغم من ذلك استطاع البحت وبد (أمداد ميكلا) القبض عليهم جميعاً، وقام بجلدهم عدة مرات ثم تم نفيهم جميعاً، وأثناء سيرهم إلى المنفى لقي بعضهم مصرعه<sup>(١٤٧)</sup>.

وهكذا انتصر (أمداد ميكلا) على أعدائه، ولكن بمرور السنوات ازادت المعارضة ضده وخاصة بعد أن أدرك (ألكساندر) حقيقة الأمور، فقد كان محاطاً بالعديد من رجال البلاط الذين نظروا إلى البحت وبد وكأنه عقبة تقف في طريق طموحاتهم، وقد أرادوا وضع حد لسلطته، وعلى الرغم من أن النص الملكي لا يشير، على وجه الدقة، إلى الأسباب التي أدت إلى إسقاطه، إلا أنه من الواضح أن أعداءه عزلوه عن الإمبراطور الشاب، وقاموا بالوشاية ضده أكثر من مرة، مما جعل الإمبراطور يصدر أمراً بالقبض عليه ونفيه إلى مكان مجهول<sup>(١٤٨)</sup>.

وتشير المصادر الحشنية إلى أن (أمداد ميكلا) تمكن من تجميع أنصاره مرة أخرى بالتعاون مع بعض فرق الجيش واستطاع الرجوع إلى البلاط، وزاح جنوده يعثون في البلاد سلباً ونهباً، إلا أن الإمبراطور تمكن من إلقاء القبض عليه وحكم عليه بالإعدام<sup>(١٤٩)</sup>.

كما تشير الأحداث أيضاً إلى أن الموت أدرك الملك فجأة، وهو في سن صغيرة فلم يكـد يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، فأخلعت الملكة الكبيرة (إيليني) خيراً وفاته، وأمرت بحفظ

جثته خوفاً من محاولة (زّا سليوس) اغتصاب العرش، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذه الوفاة<sup>(٥٧)</sup>.

٤- في عهد (عمدا صهيون الثاني ٨٩٨-٨٩٩هـ/ ١٤٩٢-١٤٩٣م):

على إثر الموت المفاجئ للإمبراطور (ألكساندر) اندلعت الحروب الأهلية في الحبشة، فقد زحف (زّا سليوس) بسرعة مع بعض قواته نحو جبل الملوك "أمبا جيشن" في أمهرة، واستطاع أخذ الأخ الأصغر للملك المتوفى و يدعى (تاؤود)، وأعلنه ملكاً على البلاد ثم اختفى بسرعة خوفاً من قوات رجال الحرس الملكي<sup>(٥٨)</sup>.

وعلى الرغم من إعلان (تاؤود) إمبراطوراً على الحبشة، إلا أن مجلس الوصاية بمشاركة الملكة (إيليني) وتأييد أقوى مسئولى البلاط الذي يدعى (تكلا كرسبوس Takla - Kristos) سارعا بتتويج ابن (ألكساندر) الذي يدعى (عمدا صهيون الثاني)، وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وبذلك انقسم البلاط الملكي في الحبشة بين معسكرين، معسكر أنصار (عمدا صهيون الثاني) بزعامة (تكلا كرسبوس) ومعسكر أنصار عمه (تاؤود) بزعامة (زّا سليوس)، وقد اندلعت الحروب الأهلية بين المعسكرين ووصلت إلى العديد من المقاطعات الحبشية، واستمرت هذه الحروب الأهلية ستة أشهر كاملة هي عمر الملك (عمدا صهيون) في الحكم، تمكن خلالها (تكلا كرسبوس) من هزيمة (زّا سليوس)، وسجن معظم ثوار جيشه، وعاقبهم بإفقادهم أبصارهم، وقد أعلن الحداد في بعض الكنائس الحبشية نتيجة كثرة عدد القتلى، إلا إن هذا الحداد انتهى بموت الإمبراطور، حتى أن سجل حياة وسير القديسين أعلن ارتيابه لموته، وبشر بعهد الخير والسلام بعد أن تولى (تاؤود)<sup>(٥٩)</sup>.

٥- في عهد (تاؤود ٩٠٠-٩١٤هـ/ ١٤٩٤-١٥٠٨م):

وهكذا انقضت الأوضاع في الحبشة بعد موت (عمدا صهيون الثاني)، وأصبح أعداء الأُمس هم أنفسهم أصدقاء اليوم، فها هو (تاؤود) الذي رشحه (زّا سليوس) قبل ستة أشهر فقط بتولي العرش، وكان الصراع ما زال مشتتاً على السطح في بعض المقاطعات، عندما أعاد (زّا سليوس) إعلانه للمرة الثانية (تاؤود) ملكاً في أمهرة في (ذي الحجة ٨٩٩هـ/ أكتوبر ١٤٩٤م)، وقد أدى هذا الإعلان إلى فرار كثير من حكام المقاطعات والنبلاء الذين كانوا معارضين لإعلانه إمبراطوراً، كما فر (تكلا كرسبوس) إلى إيفات عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م، وزاح بشر أهالي إيفات ضد الإمبراطور عن طريق عدد من فرسانه، إلا أن أهالي إيفات نجحوا في القبض عليه، واقتادوه مقتبداً بالسلاسل إلى الإمبراطور الذي قام بنفية، وقام بعض أفراد الحرس الملكي بلفق عنيبه أثناء ترحيله إلى المنفى<sup>(٦٠)</sup>.

ويذكر النص الحبشي أن الراهب (يوحنا) بشر بأن (تاؤود) سوف يكون عهد مليناً بالخير والهدوء والسلام<sup>(٦١)</sup>.

كما أصدر الإمبراطور قراراً بالعلو العام عن بعض السجناء، وقد سخر بعض رجال الدين من مثل هذه النبوءة، وراحوا يثيرون الفتن الداخلية ضد الإمبراطور وبعض مسئولى البلاط

وكان علي رأس هذه الفتنة الراهب (أندرو Andrew) ، وقد استطاع الملك إلقاء القبض عليه وقطع لسانه<sup>(٥٨)</sup>.

٦- في عهد (لبننا دنجل ٩٦٤-٩٤٧هـ/١٥٠٨-١٥٤١م):

اعتلى (لبننا دنجل) العرش في ٢٢ أغسطس ١٥٠٨م، بعد أبيه (تاوود)، وكان لديه أربعة أخوة هم: (فكتور) و(يعقوب) وقد ماتا في حياة أبيهم (تاوود)، بالإضافة إلى (كلوديوس) و(ميناس)، وكان اختيار وريث من بينهما أمراً صعباً، لكن الملكة الحكيمة (إيليني) نجحت بالاشتراك مع الأب (ماركوس Abuna Marcus) في اختيار (لبننا دنجل) لصغر سنه، وكان في الثانية عشرة من عمره<sup>(٥٩)</sup>.

وعلى الرغم من موافقة كبار النبلاء على هذا الاختيار، فقد وقعت بعض المواجهات بين أنصار (لبننا دنجل) وبين معارضيه، إلا أن الأمور سرعان ما انتهت لصالحه، نظراً لأن خطر المسلمين كان قد ازداد منذ أواخر عصر (تاوود)، إذ تم احتلال عاصمة البلاد لأول مرة في تاريخ الأسرة السلطانية الجديدة في عهده<sup>(٦٠)</sup>.

ولم يذكر اللص الحبشي في عهد (لبننا دنجل) أي إشارات أخرى ربما تشير إلى ظهور أي تمردات أو دسائس على حكمه، سواء من رجال الدين، أو كبار مسؤولي البلاط أو النبلاء، ورغم بدء التدخلات البرتغالية في البلاد في ذلك الوقت. بل على العكس من ذلك، فتشير المصادر الحبشية، في عهد هذا الملك إلى أنه لم يجرؤ أحد من الشعب على إحداث أي تمرد أو شغب سياسي أو ديني<sup>(٦١)</sup>.

وهكذا، فقد سادت طيئة هذه الفترة العديد من الاضطرابات السياسية، داخل وخارج البلاط الملكي، التي لم يخل عهد حاكم منها (التيهم في عهد لبننا دنجل)، فضلاً عن ثورات قوات الحدود نتيجة بُعد وضع السلطة المركزية، كل ذلك أدى إلى ضعف المملكة المسيحية، وخاصة منذ بداية عهد (الكساندر) الذي عانى من هزيمة عسكرية في سلطنة عدل، كما ازداد الضغط الإسلامي على حدود المملكة عامة، وذلك نتيجة الصراعات الداخلية بين النبلاء المسيحيين، والمذابح الدموية بين بعض رجال الحرس الملكي .

(وثيقة الحرمان)

ወመጽሐፈ ፡ ገዘትሰ ፡ ከመዝ ፡ ይባል ፡ 11 ፡ ዮሐንስ 12 ፡  
 ገብሩ ፡ ለእገዚእነ ፡ ሊዮሱስ 13 ፡ ከርስተስ ፡ ዘጸውባሂ ፡ ዝሊድልውትዮ 14 ፡  
 ለተልእኮ ፡ ዲባ 15 ፡ መንበረ ፡ ማርቆስ ፡ እፍል ፡ በስመ ፡ እገዚእነ ፡ ሊዮሱ  
 ስ ፡ ከርስተስ ፡ እንዘ ፡ ህሉ ፡ ወልድ ፡ ቡሩከ 16 ፡ ወፍቅር 17 ፡ ከቡረ 18 ፡ ህ  
 ላዊ 19 ፡ ንጉሥ ፡ ዘርሐ ፡ ያዕቆብ ፡ ዘተሰምየ ፡ ቅስጠንጢኖስ ፡ ዘንቡር ፡ ላ  
 ዕሰ 20 ፡ መንበረ ፡ ማዊት ፡ በምሕረት ፡ እገዚእብሒር ፡ ንጉሡ ፡ ነገሥት ፡  
 ዘብሒረ 21 ፡ ሊተዮሱዮ ፡ ጽኑሪ ፡ ላዕሰ ፡ ሃይማኖት ፡ ርተዕት ፡ ለርተዶከ  
 ፡ ሳዊት 22 ፡ ሊይተዓዶ ፡ ፩እመተእዛኩ ፡ ወይኩን ፡ ውእቱ 23 ፡ እገዚእ 24 ፡ ወ  
 ከቡረ ፡ ወስመዓ 25 ፡ ቃሉ 26 ፡ ወይኩን 27 ፡ ነጉሉ ፡ ንፋረ 28 ፡ ሉቱ 29 ፡ ወ  
 ነጉሉ 30 ፡ ዘተዐደወ ፡ ተእዛዘነ ፡ ዘወለነ፤ ወዘሰካዕነ 31 ፡ ወመተርነ ፡ በእነ  
 ፡ ሒሰቱ 32 ፡ ዘኮነ ፡ ከዊኖ ፡ እምውሉይ ፡ ለዓም ፡ እምላርሐስት 33 ፡ ወመኳን  
 ንት 34 ፡ ወነጉሉ ፡ ሠራዊት ፡ ንሓስ ፡ ወፀቢይ ፡ ፅድ ፡ ወላንስት ፡ ለእመ ፡ ፈ  
 ቀዱ ፡ ያንገሡ ፡ ካልሐ ፡ እንዘ ፡ ህሉ ፡ ዘርሐ ፡ ያዕቆብ 35 ፡ ዘተሰምየ ፡ ቅስ  
 ፡ ጠንጢኖስ ፡ ዲባ ፡ መንበረ ፡ መንገሥቱ ፡ ላሉሂ ፡ ወዘፈቀደሂ 36 ፡ ሢሂሉ ፡  
 መንገሥቱ 37 ፡ ውጉዝ ፡ ለይኩን ፡ በሠላስቱ ፡ ለሰማተ ፡ እገዚእብሒር ፡ ዘው  
 ሉቱ 38 ፡ ለብ ፡ ወወልድ ፡ ወመንፈስ ፡ ቀዱስ ፡ እመቤ 39 ፡ ዘተዐደወ ፡ እም  
 ዘ ፡ ወሰነ ፡ ወመተርነ 40 ፡ ዘዕለወ 41 ፡ ተእዛዘነ ፡ ለንጉሥነ 42 ፡ ዘርሐ ፡ ያዕቆ  
 ብ ፡ ዘተሰምየ ፡ ቄስጠንጢኖስ ፡ ዘንቡር 43 ፡ ዲባ ፡ መንበረ 44 ፡ መንገሥ  
 45 ተ 46 ፡ ሊተዮሱዮ ፡ ሉው ፡ ዘይፈቀድ ፡ ቀድሞት ፡ ወላንቅስቅሱት ፡ እመን  
 ብረ 47 ፡ መንገሥቱ ፡ ሉው ፡ በነቡእ ፡ ወበከሙት 48 ፡ ሉው ፡ በሥረይ ፡ ለ  
 ው 49 ፡ ዘተብረ 50 ፡ ላዕሊሁ ፡ በምክር ፡ እኩይ ፡ ውእቱ ፡ ይኩን ፡ እሱረ 51 ፡  
 ወውጉዝ ፡ በቃሉ ፡ እገዚእብሒር ፡ መታሪ ፡ ቀዳማዊ ፡ ዘውእቱ 52 ፡ ሥሉስ 53 ፡  
 ቀዱስ ፡ ለብ ፡ ወወልድ ፡ ወመንፈስ ፡ ቀዱስ ፡

## ترجمة وثيقة الحرمان

" أنا يوحنا عبد سيدنا يسوع المسيح الذي دعائي بما لا يحق لي لأخدمه فوق عرش مرقص  
أقول " :

باسم سيدنا يسوع المسيح، بينما كان الابن المبارك والمحبوب عظيم المقام الإمبراطور زره يعقوب، الذي دعي قسطنطينوس، الجالس على عرش داود برحمة الرب، ملك ملوك إثيوبيا الثابت على العقيدة الأرثوذكسية الحقّة فلا يتعدى أحد أوامره، ويكون هو السيد العظيم المسموع كلامه، ويكون الكل خاضعاً له .

وكل من تعدى أمرنا الذي حددناه وسجلناه وقضينا به، كائناً من كان من بني آدم من الرؤساء والأمراء وجميع الجنود، الصغير والكبير، الرجال والنساء. وإن أرادوا تولية غيره بينما زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس موجود على عرش مملكته، سواء هؤلاء أو من أراد أخذ ملكه ليكن محروماً بأسماء الرب الثلاثة التي هي الأب والابن والروح القدس. وإن وجد من تعدى ما حددناه وحكمنا به وعصى أمر ملكنا زره يعقوب الذي دعي قسطنطينوس الجالس على عرش مملكة إثيوبيا، أو من أراد قتله وإزاحته من عرش ملكه سرّاً أو علانية أو بلسحر. أو من اجتمع ضده بتدبير أثم. ليكن ممنوعاً ومحروماً بكلمة الرب الغاطع الأول الذي هو الثالوث المقدس : الأب والابن والروح القدس .

المصدر الأصلي :

Rossini, C : IL Libro della luce del negus zar a ya qob. (Mashafa Berhan), II (Text) pp20-21

نقلنا عن مجدي عبد الرازق سليمان : النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري

الإمبراطورين زره يعقوب وابنه بند ماريام. ص ٤٩-٥٠

## قائمة المصادر والمراجع

أولاً الوثائق الحبشية :

- 1- Jules Perruchon ( traduction) : Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia, Manuscrit Du Musee Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892.
- 2- ..... : Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Ethiopie, in Journal asiatique.ser.8, t.Xiv,1889.
- 3- ..... : Les chroniques de Zar'a ya.eqobe et de Baeda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893.
- 4- ..... : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , rois d'Ethiopie . Texte ethiopien inedit comprenant en outre un fragment de la chronique de Ba.eda- Maryam, leur Precededdeur, et traduction. In Journal asiatique.ser.9.vol.3. 1894 .319-366. Sep.-Dr. Paris, 1894 mit eigner Seitenzählung .
- 5- Manfred Kropp : ..... : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopici, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988

ثانياً المخطوطات .

مجهول .

1 - سيرة الأنبا تكلأ هيمنوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت.

ثالثاً المصادر العربية المطبوعة .

١- القرآن الكريم :

عرب فقيه : (شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان الجوزاني، الشهير بعرب فقيه، عاش في القرن السادس عشر الميلادي).

٢- تحفة الزمان وفنوح الحبشة، نشره رفيقه ياسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م .

(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .

٣- مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزاعمة و يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة لأولي، ٢٠٠١م.

(تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، ت ٨٤٤هـ / ١٤٤١م) .

٤- الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م.

### رابعاً المراجع العربية والمعرية

- ١) راشد البرلاوي : الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م.
  - ٢) زاهر رياض : كنيسة الإسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
  - ٣) —: تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م.
  - ٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.
  - ٥) عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م.
- خامساً المراجع الأجنبية :

- 1) A.H.M. Jones and Elizabeth Monroe : A history of Ethiopia, oxford university, at the clarendon press, 1974.
- 2) Budge (E .A .W) : A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia, London, 1928.
- 3) Charles F . Rey , F.R.G.S : Unconquered Abyssinia As it is To-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation, London, 1923.
- 4) Edward Ullendorff : The Ethiopians an introduction to country and people, London, oxford university ,Press Newyork.toronto, 1965 .
- 5) Elaine Murray Stone : A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia , Paulist Press , 2003.
- 6) Francisco Alvarez : The Prester John of the Indies translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961.
- 7) Hiob Ludolf : A New History of Ethiopia, the University of Michigan, (U.S.A) 1984.
- 8) J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929.

- 9) John Cameron Grant : The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards, Paris, 1901.
- 10) Mordechai Abir: Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim – European Rivalry in the Region, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980 .
- 11) Paul B . Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London , 2000.
- 12) Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter, 1985.
- 13) Richard Pankhurst : The Ethiopians , Blackwell, Cambridge , London , 1998.
- 14) .....: The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967.
- 15) Tadesse Tamrat : **Church and State in Ethiopia (1270-1527)**, Oxford, Clarendon press, 1972.
- 16) Thomas P. Ofcansky and Laverie Berry : Ethiopia A Country Study, Federal Research Division Library of Congress, 2004.

#### سادساً . الدوريات العربية

- ١) كرم الصاوي ياز : عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥ هـ / ١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م.

#### سابعاً . الدوريات الأجنبية

- 1) Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000).
- 2) Tadesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History, in(RA), 1970.
- 3) ..... : The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535. in(JES), VIII, no.1, 1970.

### قائمة الرسائل العلمية

- ١) زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السلিমانيّة في الحبشة من (يكونو أملاك) إيلي (زرع يعقوب) وعلاقة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨ م)، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٥٥ م.
- ٢) مجدي عبد الرزاق سليمان: النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرع يعقوب ١٤٣٤ - ١٤٦٨) وابنه (بليد ماريام ١٤٦٨ - ١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨ م.



## الهواميس

1 - هي الأسرة التي حكمت الحبشة قبل مجيئ الأسرة السلیمانیة و يختلف كل من عبد المجید عابدين وراشد البراوي و Edward Ullendorff في بداية حكمها، حيث يذكران أنها تمكنت من الاستيلاء علي حكم الحبشة عام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م وهو يختلف بذلك عن جميع المراجع التي بين أيدينا، كما أن هناك اختلافاً آخر بين الباحثين علي عدد ملوك هذه الأسرة، فبينما يشير البعض أنهم كانوا أحد عشر ملكاً تذكر القوائم الملكية لتلك الفترة أنهم كانوا تسعة فقط وهم - Djan Germe - Djan Seyum - Pantadem - Pantaw- Yemrehana - Na'akueto La'ab - Lalibala - Arbe - Yetbarak ، إلا أن هناك اتفاقاً عاماً بين معظم الباحثين علي أن مدة حكم الزغاوة كانت ثلاثة قرون وثلاث وأربعين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. للمزيد انظر عبد المجید عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٦٦، راشد البراوي، الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٥١، كذلك :

Budge (E.A.W): A History Of Ethiopia , Nubia & Abyssinia , London , 1928, p.277 see also Edward Ullendorff, The Ethiopians an introduction to country and people , London, oxford university , Press Newyork. toronto, 1965 , p.64.

2-جوديت: يشير بعض الباحثين انها كانت من العائلة السلیمانیة القديمة، استطاعت الوصول إلي الحكم بمساعدة بعض قبائل الأجاو وذلك بسبب موقفهم المتشدد من عدم ترشيح النساء للحكم، وقد ساعدتها ظروف البلاد في الوصول إلي العرش إذ اشتد التنافس بين اثنين من الأمراء علي الوصول للحكم وراح كل منهما يدعم موقفه بتأييد العديد من رجال الدين، مما جعل جوديت بعد وصولها للعرش تزداد في اضطهاد رجال الدين المسيحيين بل وقتل ونفي الكثير منهم، فضلاً عن احرار جميع الكنائس وإلحاق جميع أنواع الخراب بها، وتعطب المسيحيين في كل مكان، في حين يشير بعض الباحثين إلى أن هذا كان بسبب تعصبها للديانة اليهودية، وبسبب ذلك وضعها الأحباش بالاشتراك مع الإمام أحمد الجدين في قائمة وحوش التاريخ الحبشي، وعلي الرغم من ذلك فقد استطاعت حكم البلاد طيلة أربعين عاماً حققت فيها نوعاً من الاستقرار والسلام، للمزيد انظر المقرئبي : الإمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٢، أيضاً

- Paul B.Henze : Layers Of Time A history Of Ethiopia , Hurst , Company, London, 2000, pp. 53-56 & Knud Tage Andersen: The Queen of the Habasha in Ethiopian History, Tradition and Chronology, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 63, No. 1. (2000), pp.39-41.

<sup>3</sup> - أشار العديد من المراجع التاريخية إلى أن الملكة (جويت) لم تكن وحدها من ملوك الزغاوة التي تكين باليهودية، فقد أشار بعض المؤرخين إلى تقسيم ملوك الزغاوة إلى قسمين من حيث الديانة، إذ يشار إلى أن عدد ملوك القسم الأول والذي يبلغ خمسة ملوك كانوا يدينون جميعاً بالديانة اليهودية، أما القسم الثاني فكان عدد ملوكه ستة ملوك كانوا يدينون بالديانة النصرانية. لمزيد انظر

-Charles F. Rey : *Unconquered Abyssinia as it is to-day : an account of a little known country, its peoples & their customs, considered from the social, economic & geographic points of view, its resources & possibilities, & its extraordinary history as a hitherto unconquered nation*, London, 1923, p 86.

4 - اتخذ الملك لاليبالا لنفسه لقب جبرامامسال (Gebre Mesqel) ومعناها خادم الصليب، وقد عرف عنه حبه للسلام واهتمامه برجال الدين، وقد قام بترميم العديد من الكنائس وبني أكثر من عشر كنائس جديدة في جميع أنحاء البلاد ما زال بعضها باقياً حتى الآن استعان فيها بعدد من العمال المصريين بالإضافة إلى بعض الهنود، ويقال إنه قبل توليه الحكم نفي بسبب عداوة عمه Tatadim إلا أنه استطاع الهرب وقام بثورة استطاع الاستيلاء بها على الحكم في عهد أخيه الكبير لذا يعتقد أنه وصل للحكم بقوة السلاح، ويختلف الباحثون في سنوات حكمه ( ١١٨٩ - ١٢٢٩م) بينما يذكر آخرون أنها (١١٨٠ - ١٢٢٠م) وبينما نجد فريقاً ثالثاً يؤكد أنه كان معاصراً للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ( ٩٩٦-١٠٢٠م ) ولكنهم يجتمعون على أن مدة حكمه كانت أربعين عاماً انظر زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٢٦ - ١٢٧ كذلك

- Jules Perruchon ( traduction ) : *Vie De Lalibala Roi D' Ethiopia*, Manuscrit Du Musec Britannique, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1892, p.51.

5 - يقول ألفاريز إن أول من فكر ووضع أول سجن ملكي هو الملك 'يمرها Yimra' " حيث فعل ذلك بأمر إلهي وذلك لوقوع العديد من مشاكل الخلافة على العرش بين أبناء الأسرة الأجوبة ووقعها أكثر من مرة في عهد معظم الحكام، كما كان أول من فكر في بناء كنيسة على هذا الجبل هو الملك 'لاليبالا'. أما عن تنظيم "جيشن" كمسجن ملكي فربما يرجع إلى الاضطرابات التي سادت بعد وفاة (يكونو أملاك) انظر :

-Francisco Alvarez: *The Prester John of the Indies* translated by C.F. Beckingham and G.W.B Huntingford , Cambridge ; Hakluyt Society, 1961, p.165.see also Hiob Ludolf, *A New History of Ethiopia*, the University of Michigan, (U.S.A) 1984, pp. 195-197.

ولوصف جبل أمبا جيشن والمزيد من التفاصيل حول دوره في المملكة الحبشية انظر :

-Alvarez : op . cit , pp. 237-248.

6-A.H.M.Jones and Elizabeth Monroe: *A history of Ethiopia*, oxford university, at the clarendon press, 1974 , pp.26-31.

7- John Cameron Grant : *The Ethiopian A narrative of the Society of Human Leopards*, Paris, 1901, p.38.

8- تنسب الأسرة السلطانية إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وتقول الأسطورة أن ما كيدا ملكة سبا قامت بزيارته حيث أعجب بها وتزوجها وحملت منه ثم عادت إلى قومها وأنجبت ابنه حكيم، وقد شب الغلام في رعاية أمه إلى أن كبر وأراد أن يزور أبيه، فأرسلته إليه حيث فرح به سليمان كثيراً وغير اسمه إلى منليك وعلمه حكمته، ولما صمم على أن يعود إلى أمه وقومه، تمكن أن يأخذ من أبيه تابوت العهد الذي كان سليمان يحفظ فيه الألواح الإلهية التي كتبها الله للنبي موسى عليه السلام، ثم عاد به إلى الحبشة ليحكمها ومعه أسباط إسرائيل ومنه تسلسل ملوك الحبشة منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن العاشر الميلادي حين اغتصب العرش منها أسرة أخرى حكمت البلاد حوالي أربعة قرون حتى تمكن يكونو أملاك من طردها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وإعادة الأسرة القديمة إلى عرشها ممثلة في شخصه. انظر مجهول : سيرة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩ لاهوت، ورقة ٣، زاهر رياض، العصر الأول من الأسرة السلطانية في الحبشة من يكونوا ملوك إلى زرة يعقوب وعائلة المسلمين بالمسيحيين بوجه خاص (١٢٦٨ - ١٤٦٨م)، رسالة دكتوراة غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٤.

9 -Tadesse Tamrat: *Hagiographies and the Reconstruction of Medieval Ethiopian History*, in *Rural Africana*, 1970, p.105.

10 - Mordechai Abir : *Ethiopia and The Red Sea The Rise and Decline Of The Solomonic Dynasty and Muslim - European Rivalry in the Region*, Gainsborough House, London, E11.Rs, England, 1980, p. 21.

11 - Budge : op . cit . p. 287 .

12- Elaine Murray Stone : *A Saint and His Lion, The Story Of Tekla Of Ethiopia* , Paulist Press , 2003, p36.

13-Thomas P. Ofcansky and Laverle Berry : *Ethiopia A Country Study*, Federal Research Division Library of Congress, 2004, pp. 24-26 see also Jules Perruchon, *Histoire des guerres d'Amda Seyon, roi d'Éthiopie*, in *Journal asiatique*.ser.8, t.Xiv, 1889, p.xx.

14 - الجنير بالذكر أن الملك الحبشي كان يمنح ابنه الأكبر بعض السلطات السياسية والإدارية أثناء حكم أبيه، فقد أعطي يكونو أملاك ابنه بعضاً من هذه السلطات، وكذلك فعل عدا صيون الذي أعطي إدارة إقليم التجدرى لأحد أبنائه حيث منحه لقب بحر ساجاد - Bahr Sagad ، كما أضيف إلى مهامه حكم المقاطعات المجاورة للبحر الأحمر وذلك عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م، كما تذكر المصادر الحبشية أنه عندما اقترب موعد موت زرة يعقوب تم إلقاء القبض على بعض الأمراء الذين كانوا حاضرين في بلاط الملك، حيث أعلن تولي ابنه بند ماريام ملك الحبشة بمباركة من زرة يعقوب نفسه . انظر العمري،

ممالك الأbyssar في ممالك الأbyssar، الجزء الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص ١٢، مجدي عبد الرزاق سليمان، النص الملكي في تاريخ الحبشة خلال عصري الإمبراطورين (زرد يعقوب ١٤٣٤-١٤٦٨) وابنه (هنيد ماريام ١٤٦٨-١٤٧٨) ترجمة ودراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ٩٨-٩٩، زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا، ص ١٣١ وعن حكم عمدا صيون وتنظيم مملكته الداخلية. انظر، كرم الصاوي باز، عمدا صيون وإصلاحاته الداخلية في الحبشة (٧١٤-٧٤٥هـ/١٣١٤-١٣٤٤م)، مجلة دراسات أفريقية، نشرة خاصة محكمة، ٢٠٠٠م، ص ص ٨-١١، انظر أيضا

-Jules Perruchon : Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam, Rois d Ethiopie de 1434 A 1478, Paris, 1893, pp124-125.

15-Tadesse tamrat : Church and State in Ethiopia (1270-1527), Oxford, Clarendon press, 197., p. 282.

16- زاهر رياض: كنيسة الإسكندرية في أفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ص ٥٣.

17-Tadesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction of Medieval, p.106

18 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 282-283.

19- Peter Schwab : Ethiopia : politics, economics and society, Published London Pinter, 1985, p.211.

20- وكان في أيام ملكا زرد يعقوب خوف عظيم وذعر بين كل أهل أثيوبيا، بسبب قانون حكمه وشنته انظر:

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.4.

21 - "وحين يدخل هؤلاء القادة- حيث يوجد الملك- لإلقاء كلمة، يسجد الجميع بركبهم، ويقبلون الأرض خوفاً وارتعاداً كلما سمعوا صوت الملك " انظر :-

- Perruchon : op, cit , P.33.

22 - Tadesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p.292.

23 - " وبالنسبة للملك لم يكن يعرف لا الحكومة ولا شئون الحبشة- لأنه كان وقتاً طفلاً صغيراً انظر - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od , pp.353-354.

24 - " وتآمر مع أصدقائه وقاموا بثورة ضد الملك " انظر - Perruchon : Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od, p.364.

- 25- Manfred Kropp : Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopici, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988,, p.5.
- 26- عرب فقيه : تحفة الزمان وقنوج العبدية، نشره رينيه باسية، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ص ١٣٢، انظر ايضاً
- Taddesse Tamrat : op, cit , P.282.
- 27 - 'حين سمع الملك عنه أمر ظم كثير وتمرد ..... وقد فعل خطيئة أخرى حين تزوج سراً امرأة- وهو زوج لإسرائيلية- وهبه إياها الصابرسجويه أمقا إياسوي ليتزوجها. وبمجرد أن سمعت زوجته برهان زمدا، أخبرت أباه الملك ' انظر
- Perruchon: Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda Maryam, pp.10-11. see also, J. B. Coulbeaux: Histoire politique et religieuse d'Abyssinie ("The Political and Religious History of Abyssinia"), Paris, 1929, p.138.
- 28 - مجدي عبد الرزاق سليمان : المرجع السابق، ص ص ٤٦-٤٧
- 29 - 'وفي تلك الوقت جمع الملك الكثير من الناس، وأظلمهم علي عقوبات أولاده ومحاكماتهم القاسية قليلاً : انظروا كيف فعلنا بأولادنا حين أجروا علي الرب، وغيرة له لم نرحمهم' انظر
- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.99.
- مجدي عبد الرزاق سليمان، المرجع السابق، ص ٤٤.
- 30- 'وحمل الرمحل الذين أرسلهم بنيد ماريام إلي القديسين بشارة هؤلاء القديسين : من دير نيباتوس، ودير كاسو، ومن الأب الرحيم أبو قير التابع لدير إندجيطن' انظر
- Perruchon :Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.108.
- 31- مجدي عبد الرزاق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨
- 32- 'وفي تلك الوقت قام أشرار من الناس يدعونهم : تعاقى برهان، وزرع صهيون بعد أن وضع الشيطان في عقولهم شرّاً، فافقدوا ظلماً علي هؤلاء الأمراء وغيرهم من الناس' انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.98.
- 33 - Coulbeaux: op, cit, p.137.
- 34 - مجدي عبد الرزاق سليمان : المرجع السابق، ص ٤٨
- 35 - Taddesse Tamrat : Church and State in Ethiopia, p. 241
- 36 - انظر وثيقة الحرمان في الملاحق.
- 37 - 'وهناك (في دير برهان) قُتل الكثيرين من الناس وتُلي البعض حين اقتروا علي الرب ومسيحه، وأقبر الكثيرين وعظمهم، ممن نفذوا مشيئة الرب، وأمر الملك' انظر
- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.73.
- 38 - Budge : op, cit , p.304.

39 - تعد هذه المشكلة من أكبر المشاكل التي واجهت الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إذ قسمت العالم المسيحي إلى قسمين وتأثرت البغضاء الدينية والسياسية فيما بينهم لمدة طويلة، ذلك أنه حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة بالأسكندرية حول تحديد هذه العلاقة، فقال أريوس -وهو كاهن سكندري مثقف- أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الابن، ولما كان المسيح الابن مخلوقاً للإله الأب فهو إذاً دونه ولا يمكن بأي حال أن يعادل الابن الإله الأب في المستوى والقدرة . وبعبارة أخرى فإن المسيح مخلوق لا إله بمعنى هذه الكلمة المطلق، وإلا فإن المسيحيين يصبحون متهمين بعم التوحيد وعبادة إلهين. أما أنتاسيوس فقال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساوياً للإله الأب تماماً في كل شيء بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه، هذا وإن كانا شخصين متميزين . ومن الواضح أن المذهب الأريوسي كان يتلقى ومنطق المثقفين لأنه أراد أن يفهم العقائد المسيحية على أساس من المنطق والتعقل، في حين كان المذهب الأنتاسيوسي يستقيم وتفكير عامة الناس من المسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم. ولم يلبث أن ساد المذهب الأنتاسيوسي في بلاد الغرب اللاتيني في حين أصبحت الغلبة في الشرق النهائي للمذهب الأريوسي. هذا فضلاً عما نلاحظه من أن معظم المفكرين والفلاسفة والأدباء كانوا أريوسيين موحدين، في حين كانت معظم الطبقات الوسطى والدينا التي انتمى إليها رجال الدين من الأنتاسيوسيين . للمزيد انظر سعيد عبد الفتاح عاشور- تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٣٩-٤١ .

40-Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal Chronicles, Oxford university press, London, 1967, p. 45.

41 - Coulbeaux: op, cit, p.166.

42 - Richard Pankhurst : The Ethiopian Royal, p.47see also Perruchon , op, cit, p. 128.

43 - التجان مساروتش: جمع مفرد نكتمة (جان مساريه) وهو صاحب المراسم الخاصة بالملك، والمسلول عن تقديم الأجانب في حضرة الملك' انظر مجدي الرازي سنمان، المرجع السابق، ص ١١٢.

44 - "وفي اليوم التالي أمر الملك أن يجمعوا جميع التجان مساروتش، وأن يأتوا بهم إلى القصر . وحين أدخلوهم إلى القصر في الفجر أخذوا كل واحد منهم وخلفوه بمفرده، حتي اضطرب وأرتعد جداً كل الذين شاهدوهم... بينما ظلوا مطبقين من رقباهم في ذلك اليوم من الفجر حتي الساعة التاسعة" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, pp.162-163.

45 - "ولهذا السبب دخل الرعب في قلب كل الشعب حتي تحدثوا فيما بينهم بأن هذا الملك أشد من أبيه" انظر

- Perruchon : Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda - Maryam, p.129.

- 46 - "وفيما بعد نادي المنادي قائلًا : من الآن فصاعدا ارتدوا جميعكم ما يحلو لكم (من الملابس) سواء (كانت) بيضاء أو حمراء. وأنتم أيها السجّانة، يا من كنتم عن قرب أو عن بعد عودوا إلى منازلكم" انظر - Perruchon : *Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda* - Maryam, p. ١٦٨, see also Richard Pankhurst : op, cit, pp.43-44.
- 47 - "وقد أمر ملكنا ثلثية بأن يجعلوا في ملابسهم زيتاً ويدهنوه كثيراً، ويشعلوا ناراً، ويأخذوا ملابسهم التي ذهبت بالزيت، ويحرقوه مريوطاً مصلوباً ورأسه إلى أسفل" انظر Perruchon : *Les chroniques de Zar'a Ya'qob et de Ba'eda* - Maryam, p. ١٦5.
- 48 - أحد أبرز الذين حاربوا البهت ودد أماد ميكلًا وقد أنصت عليه الكنيسة بلقب " - Makbiba Beta - Kristiyan وهو لقب أعلي من لقب "العقابي ساعات" لكثرة إنعامه علي رجال الدين، إذ يرد هذا اللقب في قداس ديني عن طريق القديس تكلّا ايمبوس مو . انظر - Taddesse Tamrat: *The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535*, in(JES), VIII, no.1, 1970, pp .109-111.
- 49 - "ووالدته رومانة والعقابي ساعات تأسفا جورجيس والبهت ودد أمادا ميكلًا اتفقوا فيما لا اعتراض بينهم ولا في المداولات ولا في الأوامر التي أصدروها" انظر - Perruchon : *Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od*, p.353.
- 50 - "ولكن سرعان ما بدأت العداوة بين كل من الأب حسيبو والأب أمادا ميكلًا ومأمون باسيدك ضد البهت ودد أمادا ميكلًا عندما أدركوا إليه الحاكم الوحيد لأثيوبيا" انظر - Perruchon : *Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od*, p.353.
- 51 - Coulbeaux: op, cit,p. 171.
- 52 - Perruchon : *Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od*, p.354.
- 53 - Budge : op, cit ,p.322.
- 54 - Taddesse Tamrat : *Church and State in Ethiopia*, pp.290-293.
- 55-Richard Pankhurst : *The Ethiopians* , Blackwell, Cambridge , London , 1998, p. 36
- 56 - "ووصل إلي محافظة إيفات وسعي أن يضم إلي عمله اللطام كل جنود الشوا الذين كانوا في هذه المحافظة ولكن هؤلاء وهم عارلون بتكويره تركوه بسبب خيانتة وقيدوه بالسلاسل واقتادوه إلي الملك" انظر - Perruchon : *Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od*, p.364.
- 57 - " حيث كانت كل البلاد هادئة وقد قص أحد الكهنة واسمه يوحنا قبل مجيئة ما يلي " لقد سمعت صدًى من السماء يقول " نازود بحكم ممتدخاً ومختللاً " انظر - Perruchon : *Histoire d'Eskender , d'Amda-Seyon II et de Na'od*, p.363.
- 58 - Budge : op, cit ,p.323.

59 - " تهبوا هذا الملك الحكم وهو في عمر الثانية عشر" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.3.

60 - Budge : op, cit ,p . 324

61 - "وفي عهده لم يقم متمرّد ثائر ولم يثبت أحد حيفاً.... لأن العدل والقسطن قد باتا زينة عرشه،  
وعم كل أقطار مملكته استقرار وسلام" انظر

- Manfred Kropp : op, cit , p.5.





## التنظيمات العسكرية والخطط الحربية في دولة الإيلخانيين (٦٦٣ : ٧٢٦ هـ / ١٢٦٥ - ١٣٢٥ م)

د. محمد سيد كامل (\*)

من أوائل الإصلاحات الإدارية التي اهتم بها الإيلخانيون<sup>(١)</sup> في دولتهم: التنظيمات العسكرية والخطط الحربية، نظراً لأهمية الجيش في تعزيز مكانة الدولة، والقضاء على الفتن والثورات الداخلية، فضلاً عن درء الأخطار الخارجية، والتوسع في البلدان المجاورة. لقد أدرك المغول الإيلخانيون<sup>(٢)</sup> أهمية الاتحاد كقوة عسكرية، بين أفراد القبائل التتارية والمغولية، في إعداد جيشهم وتنظيمه، فبعد أن اتحدوا بدأوا مهاجمة المناطق الشرقية للعالم الإسلامي كقوة موحدة، فنجد "جنكيزخان" يجهز قواته تجاه "خوارزم"<sup>(٣)</sup> ويقضي على دولة "خوارزمشاه"، ويجبر السلطان "جلال الدين منكبرتي" على عبور نهر الهند مستغرقاً بلاد الهند، مع عدد قليل من رجاله لاجئاً إلى السلطان "شمس الدين ألتمش" طالباً منه تخصيص منطقة من أملاك دولة المماليك الأتراك ليقوم عليها هو وأتباعه، بعد هزيمته المنكرة على يد "جنكيز خان"<sup>(٤)</sup>.

لقد اهتم المغول اهتماماً كبيراً برفع كفاءة جنودهم إلى أعلى درجة ممكنة، منذ عهد "جنكيزخان"، وقد اكتملت قوة وكفاءة هذا الجيش في عهد "هولاكوخان"<sup>(٥)</sup>، الذي أثر تأثيراً كبيراً في تاريخ الأمم والشعوب الواقعة في أواسط آسيا وجنوب شرقي أوروبا، وأصاب المستعمون بالكثير من الأضرار، وخاصة بعد إسقاط الخلافة العباسية في بغداد وقتل الخليفة "المستعصم" سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م<sup>(٦)</sup>.

وبالرغم من إغارة "هولاكو" على بغداد بحملة استطلاعية قوامها "توماتين"<sup>(٧)</sup>، وما تعرض له العالم الإسلامي على يد المغول من تخريب ودمار وسفك للدماء، إلا أن "هولاكو" وأبناءه من بعده أسسوا دولة حاكمية أطلق عليها في التاريخ: الدولة الإيلخانية التابعة للخان الأعظم في عاصمته "قراقورم" بالصين، في عدة مناطق من "أذربيجان" و"فارس" و"خوارستان" و"كباريك" و"خراسان" و"بلاد الروم"<sup>(٨)</sup> وغيرها، حيث ارتبطوا بهذه البلاد التي توارثوا حكمها، وجعلوا تبريز<sup>(٩)</sup> عاصمة لملكهم، ومن ثم تأثروا بالحضارة الإسلامية، وشيئاً فشيئاً اعتنقوا الإسلام، وتلاشت تدريجياً صلتهم بمغول الصين<sup>(١٠)</sup>.

### أولاً: نبذة عن مغول الإيلخانيان

حكم مغول الإيلخانيان في "فارس" و"العراق" و"كباريك" عقب وفاة "هولاكوخان"، في الفترة ما بين سنة ٦٦٣ هـ: ٧٥٦ هـ / ١٢٦٤ م: ١٣٥٥ م، وتعاقب على حكمهم ستة عشر حاكماً،

(\*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة المنيا.

وتقتصر هذه الدراسة على دور ثمانى أباقلخان منهم حتى عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م، أي حتى نهاية عهد السلطان أبو سعيد خان، مركزاً على دورهم العسكري والحربي.

يعتبر أباقلخان أول حكام الإيلخانية في الفترة ما بين ٦٦٣هـ - ٦٨٠هـ / ١٢٦٤م، الذي سادته الأمراء وكبار القادة وإحدى السيدة "دوقوزخاتون" حتى وصل للعرش. طبقاً لأحكام الياسا الجنكيزية<sup>(١)</sup>، وفي عهده تحركت جيوش الإيلخانية في عدة اتجاهات، منها جيش الأمير "شموت" أخو الإيلخان إلى "درند"<sup>(٢)</sup>، ضد "توقاي" حاكمها، فسيطر "شموت" على نواحيها وعلى "شروان" و"موغان" حتى حدود "التان"، كذلك سبر الأمير "كوبسين" إلى "خراسان" و"مازندران" حتى ضفاف نهر "جیحون"<sup>(٣)</sup>. كذلك خرج أباقلخان بنفسه، في سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م، لمحاربة "براق" في بلاد ما وراء النهر، الذي أغار على "ختن"، راعياً في مهاجمة "منكو تيمور" - وهو أخ آخر للإيلخان - في "قايدو"، حيث أعد كميناً فأوقع الهزيمة بجندهم وقتل وأسر الكثير منهم، ثم حصل على غنائم وافرة، إلا أن جيش أباقا أنزل به الهزيمة وردة عن ما وراء النهر<sup>(٤)</sup>.

وفيما تجدد الإشارة إليه: أن أباقلخان خرج بنفسه على رأس عدة حملات عسكرية، منها تجاه بلاد الروم، حيث فرض الجزية السنوية على أهلها وهي حوالي أربعمائة ألف دينار، وعزل سلطاتها "غيث الدين" - من سلاجقة الروم - وعين بدلاً منه ابنه "زكن الدين"<sup>(٥)</sup>. هذا ومن أهم حملات أباقا العسكرية موقعة "ألمستين"<sup>(٦)</sup>، حيث التقى مع سلطان مصر المملوكي "الظاهر بيبرس"، والذي كان أمراء بلاد الروم، وعلى رأسهم الأمير "ابن الخطير" والأمير "معين الدين البروانه" قد راسلوه لتتصدى لجيش أباقا، الذي رغب في التوسع في داخل بلاد الشام، معزلاً بجيش أخيه "منكو تيمور"، والذي سار إلى حلب. وقد انتهت هذه المعركة بقتل أمراء بلاد الروم<sup>(٧)</sup>، وإنزال الهزيمة بجيش المغول، ففضل أباقا تجنب القتال مع المماليك، حتى يتفرغ لجهة "أرمينا" و"القبجاق"<sup>(٨)</sup>، وقد قيل إن القائد "منكو تيمور" مات كمداً، متأثراً بتلك الهزيمة التي حلت به في حلب<sup>(٩)</sup>.

خلف الإيلخان أباقا على العرش أخاه "تكوادر" بن "هولاكو" فترة قصيرة، من ٦٨٠هـ - ٦٨٣هـ / ١٢٨٠ - ١٢٨٣م<sup>(١٠)</sup>، وذلك وفقاً لتعاليم الياسا الجنكيزية التي تنص قواتها وشروطها على: أنه إذا مات الحاكم لا يجلس بدلاً منه إلا أكبر الأمراء سنأ<sup>(١١)</sup>، وهذا الشرط كان ينطبق على "تكوادر"، ولا ينطبق على "أرغون" بن أباقا. وقد واجه "تكوادر" عقبة أخرى في سبيله لاعتلاء العرش، حيث إن مجلس "القرينتاى"<sup>(١٢)</sup> اختلف في أمر تعيينه حاكماً على الإيلخانية، بسبب اعتناقه الدين الإسلامي<sup>(١٣)</sup>، وإطلاق اسم أحمد على نفسه<sup>(١٤)</sup>.

لقد نتج عن دخول أحمد "تكوادر" الإسلام عدة نتائج من أهمها، عدم إرسال الخان الأعظم فرمان التولية له<sup>(١٥)</sup>، وكذلك خروج أحد الأمراء عليه ومحاربه، وبذلك اضطر أحمد "تكوادر" إلى تجريد جيش ضده بقيادة "ألباق" نائبه، ثم اضطر للخروج بنفسه على رأس جيش قوامه أربعين ألف فارس تجاه خراسان، فأنزل الهزيمة به وأسر<sup>(١٦)</sup>. ولابد أن نشير هنا إلى أن أحمد "تكوادر" قام ببذل الأموال والعطايا، وأغدق من أموال الخزان على أخوته وأمرائه وقادة

جيوشه لكي يستأنوه ، لدرجة أنه أطلق سراح 'أرغون' منافسه على العرش في محاولة منه لاستمالة<sup>(٢٧)</sup>.

ومن الطبيعي أن يبحث تكودار<sup>٢٨</sup> عن حليف قوى يؤازره ويقف إلى جانبه، لذا أرسل سفارة على رأسها الشيخ كمال الدين عبد الرحمن<sup>(٢٨)</sup> إلى سلطان مصر 'المنصور قلاوون' تحمل رسالة يوضح فيها مدى حبه للدين الإسلامي<sup>(٢٩)</sup>، إلا أن هذه السفارة لم تؤت ثمارها، نتيجة لأن مجلس القوريلتاي والجيش انقسم على نفسه، وتحالف عدد من القادة مع 'أرغون'، مثل الأمير 'قرنغرتاي' القائد على جيش بلاد الروم، والأمير 'اليناق' قائد جيش 'الكرجي' والأمير 'يوغا' والأمير 'طغاجار' الذين رغبوا في تسير جيش ضد بلاد الشام والمماليك في مصر، وقد انتهى الموقف بقتل 'أحمد تكودار' وتولية الحكم لـ'أرغون'<sup>(٣٠)</sup>.

واستمر حكم 'أرغون' حتى سنة ٦٩٠هـ/ سنة ١٢٩١م، وكان من المتوقع أن يرسل جيشاً لبلاد الشام، إلا أنه أرسل جيشاً تجاه جبال 'هكتار' بكرستان، لقتال الأكراد الذين كانوا يقطعون الطرق ويثيرون الفتن ، قوام هذا الجيش ستة عشر ألف فارس وعلى رأسه عدد من الأمراء منهم الأمير 'مازون' و'القوشجي' و'تورين'، كما تحرك 'أرغون' عندما وصلت الأخبار من خراسان بتقدم ثلاثين ألفاً من الفريسان من جند 'قلايد' ومقدمهم 'بيسون نويان'، وعبورهم 'البنجاب' ونهبهم جهات 'بلخ' و'مرو'، فصددهم 'أرغون' في سنة ٦٨٧هـ/ سنة ١٢٨٨م<sup>(٣١)</sup>. كذلك تصدى في ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م لتمرّد الجنود في ناحية 'دريند'، وقتل منهم ما يقرب من ثلاثمائة فارس وأمر عدداً آخر، والجدير بالذكر أن 'أرغون' لم تكن في عهده أي حملات خارج إيران، فلم يتقدم تجاه بلاد الشام التي كان المماليك همها يهدفون إلى تصفية بقايا الصليبيين بالشام، وبذلك كانت الفتن الداخلية في الإيلخانية بمثابة معاول تعمل على إضعاف الدولة<sup>(٣٢)</sup>.

وفي ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م توفي 'أرغون' متأثراً بمرض ألم به، فتولى بدلاً منه العرش 'كيخاتو بن أباقا'، حتى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م<sup>(٣٣)</sup>، والذي عمل على تحصين أوضاع البلاد المالية عن طريق استبدال العملة الذهبية بالعملة الورقية المسماة 'الجاو'<sup>(٣٤)</sup>، ولابد أن نشير هنا إلى أنه في عهد 'كيخاتو' ظهرت عدة فتن داخلية، منها فتنة 'الفراسياب' حاكم 'تومستان' وثورة 'الطور'<sup>(٣٥)</sup>، إلى جانب ثورة التركمان واليونان في بلاد الروم، لذا صمم 'كيخاتو' على الخروج بنفسه لمحاربتهم، فأسند شئون البلاد لثالبه الممسمي 'شيكاتور نويان'، وزحف على بلاد الروم وقضى على الفتنة بمساعدة عنصر 'الكرج'<sup>(٣٦)</sup>.

وبرغم هذه الإنجازات، إلا أن أمراء الإيلخانيين تأمروا على 'كيخاتوخان' بسبب ضعف شخصيته، واتقياده لقائد جيشه الأمير 'طغار'، الذي ألقعه بالمسير لمحاربة الأمير 'غازان' في خراسان، ثم ما لبث أن تركه وانضم إلى صفوف معارضيه، وبذلك دارت الدائرة على 'كيخاتو' فتم قتله في ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م<sup>(٣٧)</sup>.

تعتبر فترة حكم 'غازان' الذي تولى الحكم سنة ٦٩٤هـ- ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م، والذي اتخذ لنفسه اسم محمود، بعد اعتناقه للإسلام وإعلانه ديناً رسمياً للبلاد، من أهم الفترات التي ظهرت فيها التوسعات الخارجية، بعد ازدياد قوة الخلاف بينه وبين السلطان 'الناصر محمد بن قلاوون'، بسبب قرار العديد من المغول المؤيدين لساس ملك الإيلخانيين الأمير 'بايدو' من

إيران ويقدّر عددهم بعشرة آلاف فرد - إلى الديار المصرية، وترحيب سلطان مصر بهم، وإتزانهم في ساحل بلاد الشام، وإحضار رؤسائهم لاستقباله في مصر. فزحف "غازان" بنفسه على رأس ثلاث حملات حربية لغزو بلاد الشام، تمكن في الحملتين الأولى والثانية من الاستيلاء على عدة مدن، فالتصر في "مرج المروج" سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م<sup>(٣٨)</sup>.

وفي الحملة الثانية، سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، سار الأمير "قتلغ شاه" على مقدمة جيشه<sup>(٣٩)</sup>، ثم تقدم "غازان" تجاه الفرات ومنها إلى حلب، ومن اللافت أن سلطان مصر لم يخرج بجيشه لصد الإيلخانيين، وقد قيل إنه خرج بجيشه حتى "حماه" دون أن يتم الاشتباك بين الطرفين<sup>(٤٠)</sup>. هذا وقد قيل إن السبب الرئيس في زحف "غازان" هو رغبته في التوسع<sup>(٤١)</sup> أولاً، ثم استنجا بعض أمراء المماليك به، وهم "سيف الدين قبيق"، والأمير "قارس الدين البيكي"، وسيف الدين بكتمر السلحدار، الذين زبنوا له مهمته لغزو الشام<sup>(٤٢)</sup>، والذين كانوا على خلاف مع سلطان مصر، نتيجة لذلك فقد كافأ "غازان" الأمير "سيف الدين قبيق" بتعيينه حاكماً على المنطقة الشامية، ومن ثم عاد "غازان" إلى تبريز<sup>(٤٣)</sup>.

تجددت مسيرة "غازان" للمرة الثالثة على بلاد الشام، في ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، حيث زحف "قتلغ شاه" بجيش قوامه مائة ألف شخص، ومعهم أعوانهم من "الكرج والأرمن"، فخرج "الناصر محمد" من مصر، مصطحباً الخليفة "المستوفي بالله العباسي"، وتركز القتال في "مرج الصفر" على مقربة من حمص، فدارت الدائرة على "غازان" وجنوده. ففر قائد جيشه وغرق كثير من جنده، ومات آخرون في الصحراء من شدة الجوع والعطش<sup>(٤٤)</sup>، وبذلك حلت الهزيمة بالإيلخانيين، وأصيب "غازان" بحالة من الانهيار، وأمر بمحاكمة قواد جيشه المهزومين، فأعدم منهم اثنين، وأمر بضرب اثنين آخرين، وهما "قتلغ شاه" و"جويان"، ضرباً مبرهاً<sup>(٤٥)</sup>، وسرعان ما أصابته حالة نفسية سيئة مات على إثرها في ٧٠٣هـ/١٣٠٣م<sup>(٤٦)</sup>.

خلف "غازان" في عرش الإيلخانية أخاه "أولجايتو بن أرغون"، الذي بويع بالعرش بحضور الأمراء والوزراء، إلا أن القلند العام للجيوش "هرقدائق" كان ميالاً إلى تولية الأمير "الأفرنگ بن كيخاتو"، ولكن "أولجايتو" تمكن من القضاء على معارضيه والوصول إلى الحكم، واستمر طوال الفترة ما بين ٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م<sup>(٤٧)</sup>.

اعتنق "أولجايتو" الإسلام على المذهب السني، وتسمى "محمد"، وشرع في بناء مدينة "السلطانية"، الذي خصص لها نخل بعض الولايات لصد نفقات البناء، حيث استمر العمل في بنائها حوالي عشر سنوات، حتى عام ٧١٣هـ/١٣١٣م<sup>(٤٨)</sup>.

أما عن نشاطه الحربي: فقد بدأ "أولجايتو" حياته العسكرية بغزو منطقة "جيلان" بأربعة جيوش إيلخانية، أجبرت أمرائها على دفع الجزية التي كانت عبارة عن كميات من منسوجات الحرير<sup>(٤٩)</sup>، كذلك فتح في سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م مدينة "هراة"، التي فرض عليها الحصار الشديد الذي أدى إلى ظهور مجاعة شديدة مع قلة الأقوات والأطعمة، فاستسلم أهلها، وبالتالي كان سقوطها فرصة كبيرة للإيلخانيين، حتى يتمكنوا من فرض سلطتهم على إقليم خراسان ككل<sup>(٥٠)</sup>.

وبذلك فقد أظهر "محمد أولجايتو" نشاطاً عسكرياً كبيراً، وفتح عدة مناطق وأحمد أكبر تمرد في "هراة" ولكن محاولته فتح "مازندران" باءت بالإخفاق، بسبب سوء الأحوال الجوية وارتفاع

درجة الحرارة في المنطقة<sup>(٥١)</sup>، كذلك جهز حملة على بلاد الشام في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، بعد فرار عدد من أمرائها إليه، وعلى رأسهم الأمير "قراسنقر" حاكم دمشق، فزين له مهاجمة بلاده، فتقدم إلى الموصل وحاصر الرجبة، إلا أن حاكمها رفض تسليمها إليه وأبلى بلاء حسناً في الوقوف في وجهه، ومن ثم أصدر الإيلخان أمره بفك الحصار والانسحاب إلى إيران<sup>(٥٢)</sup>.

تولى "أبو سعيد بهادرشاه" الحكم في خراسان ولياً للعهد، في سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م، ولم يكن عمره يتعدى التاسعة، حيث أسند والده "أولجايتو" إلى الأمير "مونغ" الأتابكية عليه<sup>(٥٣)</sup>. ولما توفي "أولجايتو" رفع إلى العرش، وقد تعرض في بداية حكمه إلى عدة ثورات، منها ثورة "الجغتايون" في خراسان الذين تقدموا إلى "مازندران"، وكذلك لفئته "أوزبك خان" ملك صحراء "الغجاق" الذي تقدم إلى "أران" و"أذربيجان" على رأس جيش كبير، هذا إلى جانب هجوم جيش مصر على حدود ديار بكر<sup>(٥٤)</sup>، ولكن "أبو سعيد" بمساندة أتباعه تمكن من القضاء على تلك الفتن والثورات. كما تمكن، في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، من الدخول في مفاوضات صلح وعلاقات طيبة مع "الناصر محمد بن قلاوون"، نتج عنها عقد معاهدة صداقة وود بين الدولتين<sup>(٥٥)</sup>.

دخلت الدولة الإيلخانية في فترة ضعف عقب وفاة "أبو سعيد"، وتولى حكمها عدد من الإيلخانات، منهم "موسى خان" حفيد "بابدو"، الذي اتجه بجيش تجاه إقليم أذربيجان، وألحق الهزيمة بآريخان ووزيره "غوث الدين محمد"، وقتله سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م<sup>(٥٦)</sup>. ونتيجة لضعف حكام الإيلخانية، فقد استطاع الأمير حسن كوجاك بن جويان من تأسيس الدولة "الجلانرية" في حدود سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، والقضاء على آخر الإيلخانات وهو "أوشورين العادل"<sup>(٥٧)</sup>.

### ثانياً- التنظيمات العسكرية في الدولة الإيلخانية

اعتمد الإيلخانيون على العديد من التنظيمات العسكرية في الحروب والقتال، فالفترة التي حكم فيها الإيلخانات إيران تعد من أخطر فترات تاريخها، وأكثرها اضطراباً، وأشدّها فتكاً وإيلاماً بالنسبة لشعبها، نتيجة لما ارتكبه المغول من مجازر ومذابح وتدمير، ولم يوقفهم عند حددهم إلا دخولهم الإسلام، الذي هذب نفوسهم فتركوا قوانينهم وعاداتهم المغولية. واتبعوا الشريعة الإسلامية، وهي الفترة الثانية من حكمهم، والتي تبدأ من عهد "غازان" إلى نهاية دولتهم<sup>(٥٨)</sup>. ومن أهم هذه التنظيمات العسكرية :

#### ١- اعتماد المغول على العامل النفسي والتعبئة الروحية لجنودهم.

اعتمد الإيلخانات على العامل النفسي في تسيير جنودهم للقتال، فحرصوا على زيارة المنجمين في محل إقامتهم، وأخذ رأيهم في نتيجة الحرب، ثم نشرها بين الجنود والقادة، فقد كانوا لا يعنون الجيوش أو يدخلون حرباً إلا بعد الرجوع إلى كهنة البوذيين، والأخذ بموافقتهم، فبلى جانب الاستعداد المادي للحرب، كان هناك التعبئة الروحية، وهي ضرورة لازمة لتكسب الحرب، لأنها تعنى بالشعور وتقوى العزيمة وتمد المحاربين بالقوة المعنوية، وتعلمهم الصبر والثبات وتهون عليهم الصعاب<sup>(٥٩)</sup>. كذلك لجأ بعض حكامهم إلى الاعتقاد في السحر والشعوذة والنجوم،

فقد كان أرغون خان، مثل أغلب سلاطين المغول الأوائل، يعتمد عليهم في تحركاته، ووصل القائلون على تلك الأمور إلى منزلة كبيرة في الدولة<sup>(١٠)</sup>.

أما في عهد إيلخات المسلمين، فإن روح الإسلام طغت عليهم، فكانوا يؤتون ركعتين قبل بدأ المعركة مثلما حدث في سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، عندما سار "غازان خان" إلى مدينة حمص بالشام، حيث صنى "غازان" مع جميع رجالات جيشه ركعتين، ثم ركب وواجه السلطان "الناصر محمد بن قلاوون" بما جمع له من الجنود والقادة<sup>(١١)</sup>، وذلك تقرأياً لله تعالى، طالبين النصر والتأييد منه تعالى.

هذا التغير في الفكر العسكري ظهر بصورة واضحة كذلك في عهد "محمد أولجايتو"، الذي حاول كسب وتأييد الأهالي عن طريق الاختلاط بالرموز الصوفية، فتراه يكرم مولانا قطب الدين الشيرازي، ويجالس "سیدی سیف الدین علی الرفاعي"، ويطلب منه التأييد الروحي لجيشه وتجهيزاته العسكرية<sup>(١٢)</sup>.

## ٢ - الاهتمام بوضع قواعد وقوانين تحكم العمليات العسكرية للجيش

ومن أهم التنظيمات العسكرية في دولتهم أن يخرج الجنود والقادة بحسب تقاليد وقواعد منظمة مرعية فيما بينهم، مشابهة لترتيبات رحلات الصيد الجماعي وقنص الفريسة، وكان لهذا قواعد وشروط موجودة في الياسا الجنكيزية. فقد كانوا يقومون بتحريك أنف شخص، طبقاً لقواعد الحرب نفسها، من ميمنة وميمرة وقطب، وإذا فلتت فريسة أجريت التحقيقات، وكانوا يعتبرون ذلك من الواجبات، وقد يقتل المتسبب في قتل ذلك<sup>(١٣)</sup>. وفي حقيقة الأمر فإن الإيلخانيين اهتموا اهتماماً كبيراً بتعليم صفراء الأمراء فنون الفروسية والصيد، لكي يأهلهم لقيادة جيوش دولتهم<sup>(١٤)</sup>.

لقد جرت العادة على تعبئة الجيوش وإعدادها (إعداداً دقيقاً)، من حيث استدعاء آلاف الجنود المدربين على استخدام أدوات الحرب والقتال، مثل المنجنيق وقناصات النقط والسهام، وتجهيز الأعداد الكبيرة من الجنود حتى تشاع الرهبة والرعب منهم.

أما في حالة تفهقر الجيش، أو فرار الجنود والقادة، فكان يعقد مجلس أعلى لمحاكمة القائد العام للجيش والقواد القارين، يتم في هذه المحاكمة سماع أقوالهم ومعاقبتهم بقدر جرمهم، مما يترتب عليه خشية الجنود والقادة محاولة الفرار أو التفهقر من ساحة القتال، مثلما حدث في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م، عندما عقدت محاكمة للقائد "قشغ شاه" والأمير "جويان" وغيرهما من القادة، الذين فروا من موقعة "مرج الصفر" في عهد الإلخان "غازان". وقد ترتب على هذه المحاكمة أن استمر الاستجواب يومين كاملين، وأعدم اثنين من القادة، وحكم على كل من "مولاي" و"قشغ شاه" و"جويان" بالضرب المميت بالهراوات دون أنتى شفقة أو رحمة<sup>(١٥)</sup>.

وهكذا كانت عادة الإيلخات هي: عقد مجالس لمناقشة أي أخطاء في أثناء القتال ومحاسبة المقصر، وبالتالي مكافأة المنتصر والفائز<sup>(١٦)</sup>.

## ٣ - قيادة الجيوش

اهتم الإيلخانيون بقيادة جيوشهم، واختيار الأمراء بعناية كبيرة، فقد كان تعيين قيادة الجيش يتم بواسطة الإلخان نفسه، فهو صاحب الحق الأول والأخير في اختيار القادة

وترشيحهم لمهامهم، وكانتشارات القيادة والإمارة هي البوق والعلم والطبل، حيث تقرر الطبول على يابه صباحاً ومساءً، بالإضافة إلى أن هناك عدداً من الحراس على يابه<sup>(١٧)</sup>.

لقد اهتم الإيلخانيون بتلك القيادة التي هومت على مقدرات الجنود وتحركاتهم، والتي عملت على خلق جيوش قوية تحمل الولاء التام لحكامها، والتي تنزل الرهبة في قلوب الأعداء، وتدل على مقدرة فذة في فن تنظيم الرجال ودعم قوتهم بالعتاد والسلاح، والسيطرة النفسية على جنودهم، فكانت حياة الجندي هي المهيمنة على مقاليد الأمور، لدرجة إطلاق المقولات التي تشير إلى أن جيش المغول قوة لا تقهر.

جرت عادة القيادة العامة للجيوش الإيلخانية أن تركز السلطة في الجيش، في أغضب الأحياء، في يد الأسرة الإيلخانية نفسها، فقد تولى معظمهم قيادة الجيوش بأنفسهم، حيث اعتبر القائد الأعلى للجيش والمحرك الأول له، وفي هذه الحالة يكون موضعه في القلب. وللحقيقة فقد قاد أباقاخان جيشه ضد بلاد الروم، واستطاع أن يفرض الجزية السنوية عليهم<sup>(١٨)</sup>. وفي عهد كيخسروخان خرجت الجيوش، وعلى رأسها الإيلخان، للتصدي لفتنة أفراسياب حاكم "توستان" وغورة "النور"، وفتنة التركمان واليونان في بلاد الروم، والذي استطاع أن يتصدى للفتن ويقضى على الثائرين، وذلك في سنة ٦٩٠هـ/ ١٣٩٠م<sup>(١٩)</sup>. كذلك خرج "غازان" على رأس جيوشه في ثلاث حملات على الشام، ضد دولة المماليك في عهد "التناصر محمد"، لتتصر في حملتين سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، وسنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، وهزم في الحملة الأخيرة في "مرج الصفر" سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م<sup>(٢٠)</sup>. حيث تأثر بما حل بجيوشه فقامت "غازان" متأثرة بتلك الهزيمة<sup>(٢١)</sup>.

هذا وقد أظهر "أولجايتو" نشاطاً حروبياً كبيراً بفتح منطقة "جيلان" وسيطرته عليها، ونجح "أولجايتو" في فتح مدينة "هراة"، إلا أنه أخفق في حملته على بلاد الشام، ومحاصرتها للربحية، فاضطر للعودة إلى عاصمته من جديد<sup>(٢٢)</sup>.

أما في عهد السلطان "أبي سعيد" والذي قاد عدة حروب، وكان على رأس جيوشه وفي قلب تشكيل الجيش، فقد خرج بجيشه ضد ديار بكر وحكامها، وأبدى الإيلخان صموداً منقطع النظر، حتى لقب "ببهادرخان" - أي الخان البطل - هذا اللقب الذي أصبح من الألقاب المحببة إليه، لدرجة أنه أمر بكتابه في الترميمات والمراسيم الرسمية التي تصدر عن دولته<sup>(٢٣)</sup>، تشبهاً بجده "جنكيزخان" الذي كان يحمل لقب ملك العالم أو فاتح العالم<sup>(٢٤)</sup>.

ومن البديهي ألا يفهم من كلامي السابق أن قيادة الجيوش قاصرة على الإيلخان فقط، فإن قيادة الجيوش أيضاً كانت بيد أمراء "الألواس"، وهم أربعة أكبرهم بربته "الباكلاوى بلك" وإليه أمر قيادة الجيوش، ثم يليه أمراء "الألواس" الثلاثة ويقال لكل منهم "النوين"، وهو أمير عشرة آلاف ويعبر عنه بأمير "التويمان"، ثم هناك أمير ألف، فأمر مائة، وأخيراً أمير عشرة<sup>(٢٥)</sup>.

ومن أهم قيادات الجيوش القائد العام للجيش، أو ما يطلق عليه لقب أمير الأمراء، ومن أبرز من تولوا هذا المنصب الأمير "يشموت" والأمير "منكوتمور" - أخوان أباقاخان<sup>(٢٦)</sup>، كذلك نرى القائد "قرنقرتاي"، في عهد "أرغون"، يعتبر من أمراء "الألواس"<sup>(٢٧)</sup>. أما في عهد "غازان" فهناك الأمير "قتغ شاه" القائد العام للجيش الذي كان مقره في العاصمة تبريز، وعليه شئون الجيوش وتجهيزهم بالأسلحة ونفقاتهم، ثم أسند "غازان" منصب أمير الأمراء والإشراف العام على

الجيش للقائد حاجي نوزيك<sup>(٧٨)</sup>، كذلك كان الأمير "جويان" في عهد "أولجايتو"، هذا إلى جانب قائد عام الجيوش في عهده الأمير "هرقداق"<sup>(٧٩)</sup>.

ولابد أن نشير إلى أن الجيوش الإيلخانية كان لها قواد صغار يتبعون القائد العام لهذه الجيوش، وذلك من منطلق أن جيوشهم كانت تقسم إلى ميمنة وميسرة وقلب، لذا كان لكل قسم من هذه الأقسام قائد براسها، ويتعاون الجميع في تنفيذ الخطة العسكرية بإشراف وتوجيه القائد العام، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٣٧٥م، خرج الجيش في عهد "أبالقخان" إلى بلاد الشام متجهاً إلى منطقة "أبلستان"، وذلك في جيش جرار عليه عدة أمراء، مثل "طوقرين إيلكاي نويان"، والأمير "كرغتو" وتودان بن سونوم"، ومع كل واحد منهم جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل<sup>(٨٠)</sup>.

وفي ختام كلامنا عن قيادة الجيوش؛ لابد أن نشير إلى أن الجيش لا يبقى عاطلاً في أوقات السلم، بل يعمل في ميادين الصيد<sup>(٨١)</sup>، الذي خصص له مبالغ كبيرة لتربية وتدريب فهود وكلاب الصيد، فالصيد فرصة كبيرة لتدريب الجنود، وتعوديهم على الشجونة، وتوفير الطعام من صيدهم للجنود. وكذلك يعتبر ترفهها للقادة.

#### ٤- التنظيمات المتبعة في تحريك الجيوش لساعات القتال.

من الثالث تاريخياً أن المغول، بعد أن ثبتوا حكمهم في إيران وغيرها من البلدان بأساليبهم الإرهابية، ركبهم الرور والفتوسة، ونظروا إلى غير بنى جنسهم على أنهم أقل منهم، وأنهم السادة والصفوة وما دونهم خاضعون لسيادتهم<sup>(٨٢)</sup>، وعلى الرغم من ذلك: فبأنهم اتبعوا نظاماً واحداً في تحريك جيوشهم في ساحات القتال، وكانت أولى خطواتهم التنظيمية هي: إرسال قوة صغيرة لا تتجاوز ما بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف، بقوة طلبية استطلاعية على رأسها قائد، إلى الجهة التي يرغبون في اقتحامها. هذه القوة الاستطلاعية لها عدة مهام رئيسية من أهمها: استطلاع الطرق والمسالك، وجمع أسرار وأخبار الجنود وتبليغها للقيادة الرئيسية في جيوشهم، وكشف بعض نقاط الضعف وعورات الجيش المعادي، ففي سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، قاد الأمير "كزاي" قوة استطلاعية من ثلاثة آلاف فارس مجهزين تجاه بلاد الشام، فتصدى لهم حاكم دمشق الأمير "منقر الأشقر"، وذلك في عهد "أبالقخان"<sup>(٨٣)</sup>.

كما جرت العادة في عهد "غازان"، على إخراج قوة استطلاعية أمام جيوشه، مثل ما حدث في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، عندما أرسل قوة طلبية بقيادة "قتلغ شاه"، فعبر نهر الفرات، ووصل إلى حلب، ثم تجاوز حماه، ونزل بمحاذاة مدينة "السامرية"<sup>(٨٤)</sup>.

لم تكن القوة الاستطلاعية يقتصر خروجها على الحملات الخارجية، فقد كانت أيضاً تخرج في الفتن والثورات الداخلية في الدولة، ففي سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، في أثناء فتنة الأمير "توروز"<sup>(٨٥)</sup>، سير "غازان" قوة استطلاعية على رأسها الأمير "قهرتو" لاستطلاع الأخبار، فعادوا بأخبار مهمة هي زحف توروز على رأس جيش كبير تجاه العاصمة "تبريز"، مما أدى إلى قضاء جيش غازان عليه وقتله<sup>(٨٦)</sup>.

كذلك أتقنت القوة الاستطلاعية جيش "أرغون خان" من الهزيمة المحققة، لوصول الأخبار عن طريق الطليعة بأن الأمير "إلنقاي" الشار على الإيلخان؛ قد سار من "موغان" إلى

الرى وقزوين وخراسان، وبذلك حشد أرغون جيشه، وأسرع إلى هذه المناطق، وتصدى لهذا الثائر، واقتصر عليه، وذلك في صفر سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م<sup>(٨٧)</sup>.

ومن أهم التنظيمات العسكرية لدى الإيلخانيين: تقسيم جيوشهم في ساحة القتال إلى عدة أقسام وهي الميمنة والميسرة والقلب، والقلب يعتبر من أهم أقسام الجيش، ويكون فيه الإيلخان في القلب، أو على رأسه القائد العام للجيش. وقد أشار معظم المؤرخين الذين تحدثوا عن حروب الإيلخانيين إلى هذا التقسيم، ففي حرب "أباخان" ضد الأمير "براق"، جعل الخان ميمنة جيشه إلى الأمير "تشنين أغول"، وكان معه للمساعدة الأمير "سماغار" والأمير "هندويان"، وعلى الميسرة أخيه "شموت"، ومعه للمساعدة الأمير "سولناي" والأمير "أرغون آقا"، أما القلب فقد أسند إلى القائد العام "أيتاي نويان"<sup>(٨٨)</sup>، شريطة أن تقوم تلك التقسيمات كلها بمهاجمة قوات العدو في وقت واحد، مما يؤدي إلى تشتيت انتباه قوات العدو وعدم تركيزها في جبهة واحدة.

صار تقسيم الجيش الزاحفة على أعداء الإيلخانية سعة من سمات الجيش، وتنظيمها عسكرياً لابد من اتباعه في معظم حروبهم، سواء تم لهم النصر أو عكس ذلك، ففي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م قسم "غازان خان" جيوشه على نفس الطريقة، ووضع "قتلغ شاه" و"مولاي" على ميمنة جيشه، و"كروغا بهادر" ويسانده أربعة قادة آخرين على الميسرة، وفي القلب كان الإيلخان بنفسه يسانده الأمير "جويان"<sup>(٨٩)</sup>. وهو نفس النظام الذي اتبعه الإيلخان في موقعه "مرج الصفر"، وحشد بخمسين ألف مقاتل، وأسندت قيادة الجيش لعدد من القادة الكبار، مثل "قتلغ شاه" والأمير "جويان"، و"مولاي"، والأمير "تبيان" و"سونتاي"، وبرغم هذه التنظيمات العسكرية، وتقسيم الجيش على النحو السابق المتبع في تنظيمات الإيلخانات، فإن هذا لم ينقذ الموقف وحلت الهزيمة بالقوات، وبسقط عدد كبير منهم أسرى، ففر عددهم بحوالي عشرة آلاف جندي<sup>(٩٠)</sup>.

#### ٥- نظام تعبئة الجيوش وتجهيزها بالعتاد

اتبع الإيلخانيون نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز قواتهم، وفق الظروف التي خلقتها هزيمتهم في عين جالوت<sup>(٩١)</sup>، من منطلق الحفاظ على جنودهم وعدم تعرضهم لأية هزيمة جديدة، خاصة وأن هؤلاء الجنود امتازوا بالشجاعة في القتال وأنهم لا يفرّون أبداً من ساحة الوغى<sup>(٩٢)</sup>، ومن المعروف عنهم أنه إذا سقط منهم أحد في الأسر، إنما يصل بكل الوسائل على قتل نفسه أو التخلص من أسره بأية طريقة كانت، مع انتشار مقولة مؤداها: أن الجيش المغولي لا يقهر.

هذا وقد كان ضبط الجيش وتنظيمه كما نصت عليه قواعد الياسا الجونكيزية بأن على الأمير أو القائد أن لا يتريد إلى باب أمر آخر، ولا يغير المكان المخصص له، وأن يقوم الجنود بعرض آلاتهم الحربية على أمرائهم كاملة عند التحرك إلى القتال، وكان على الجندي أن يطيع قائده طاعة عمياء، وإذا أخطأ أحد الأمراء فإن عليه أن يسلم نفسه لرسول الإيلخان، حتى لو كان من أخس وأحقر الناس، وأن يلقي نفسه بين يديه تكللاً، ليأخذه بموجب خطائه، ولو كان فيه للقتل<sup>(٩٣)</sup>.

ومن هذا المنطلق فإن "ألباخان"، بمجرد أن خلف والده "هولاكو" على العرش، بلدر إلى العمل على إعادة سمة المغول الحربية إلى سابق عهدها، فمار على سياسة مناوأة المعاليك ومصادقة الصليبيين، ومحاولة التوسع في بلاد الشام<sup>(١١٠)</sup>، وفي بداية عهده نجح في إنزال الهزيمة بجيوش "مغول القبايق" بقيادة "بركة خان بن جوجي"، و"مغول التركمستان" بقيادة "براق خان"<sup>(١١١)</sup>، فتنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وعلى القائد المحنك أن يضع في فكره عامل الوقت، وعدم القتال في جهتين في آن واحد، والقضاء على الفتنة في مهبدا. وفي حقيقة الأمر فإن نظام تعبئة الجيش يتم بتقديم لواء الأحمال الثقيلة وخيام الطعام والأطفال والنساء، ويعرف هذا باسم "عزوق"، وإقامة منازل للقوافل لإمداد الجيوش بالعطف والطعام والشراب<sup>(١١٢)</sup>، وكانت تصدر الأوامر من الإيلخان بتعبئة الجيش، ويسند هذا الأمر إلى أمير الإشراف، الذي يشرع في إصدار أوامره للجنود بنقل الغلال من المخازن، التي يأتون منها في أثناء تنقلاتهم ويضمون دوابهم، ولابد أن تكون تلك الغلال كثيرة وكافية قدر الإمكان<sup>(١١٣)</sup>.

هذا عكس ما كان متبعاً مع المقاتل المغولي قديماً، الذي كان يحمل كل ما يحتاجه أثناء الحرب، فحمل آلات تشد رماحه، ويحمل الإبرة والخيوط لاستعمالها عند الحاجة، ولا يأخذ معه من المؤن إلا خيراً من اللبن وأنية من الفخار، لوطهي فيها طعامه، وخيمة صغيرة وآلة لحفر الأرض، وقبضاً من الجلد يحمل فيه ملابسه، ويستعمله في عبور الأنهار<sup>(١١٤)</sup>.

ولم يكن لرواتب الجنود وقواد الجيش نظام ثابت قبل عهد "غازان خان"، فقد كان بعض القادة يحصلون على كمية محددة من الغلال، فحدد "غازان" رواتب للجنود يزيد معدلها سنوياً، وقد أصدر مرسوماً بتحديد إقطاعات للجنود أطلق عليها اسم: "الياسا الغازانية"<sup>(١١٥)</sup> على غرار الياسا الجنكيزية.

ومن أهم التنظيمات التي اعتنى بها الإيلخانات نظام استعراض الجنود والاطمئنان على معداتهم وأسلحتهم ولوازمهم، حيث كان الإيلخان يقوم بمهمة استعراض الجنود بنفسه، كذلك الاهتمام باستعداداتهم العسكرية، وخاصة قبل المسير إلى ساحة القتال، فعلى سبيل المثال: كان غازان يستعرض جنوده بنفسه قبل المسير للقتال في حربه على بلاد الشام<sup>(١١٦)</sup>، وكذلك حتى لا يقصر أحد في أمر من أمور الجيش.

كذلك أقاموا على ديوان الجند رئيساً أطلق عليه اسم: العارض أو رئيس ديوان العرض<sup>(١١٧)</sup>، المختص بشئون الجيش ونفقاته، وجميع فرقته وإمداداته، وأشهر من عمل في هذا المنصب "ضياء الملك" في عهد "غازان"<sup>(١١٨)</sup>. ومن هنا نستنتج أن من أهم مهام العارض: استعراض الجنود في المواعيد قبل الخروج للقتال، وفي المناسبات العامة، والاطمئنان على حالة الجند واستعداداتهم العسكرية، وصرف أرزاقهم، فقد بسط "غازان" يده وأغلق على القواد في خمسة عشر يوماً ثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، وعشرين ألف خنعة، وخمسين منطقة مرصعة، وثلاثمائة تومان من العملات الذهبية، كذلك أمر بتعيين الكتاب والفرق، وكتابة أسماء الجنود وربطهم في السجل، وهم مطالبون بالعرض في كل شهر، لتفقد عتادهم وعددهم من فرسان ومشاة، بموجب الضبط والقانون<sup>(١١٩)</sup>.

كذلك عمل "أرغون" على إحضار الأموال من عاصمته، وقسمها على الجنود، حتى تستقر الأوضاع ويأخذ الجنود أرواقهم<sup>(١٠١)</sup>. وقد اهتم الإيلخاتيون اهتماماً كبيراً بمخصصات الجنود ورواتبهم، وخير دليل على ذلك أن "أحمد تكودار" أمر بفتح الخزائن، وقسمها على الخواتين - نساء القصر - والأمراء وقادة الجيوش، وأعطى كل واحد منهم مائة وعشرين ديناراً<sup>(١٠٢)</sup>، كذلك قام أبو سعيد، وهو حاكم على خراسان، بمطالبة "أولجايتو" بإرسال الأموال لدفع مرتبات الجند<sup>(١٠٣)</sup>.

**والخلاصة:** أنه كان هناك فرق كبير بين المغول في عهدهم الأول في معاملتهم لجنودهم، لدرجة أنه كان لا بد من إبقاء الجنود في حالة من الفقر والاحتياج حتى يحرصوا على النصر، وبين عهد الإيلخاتيين، الذين اهتموا بتنظيم الإنفاق على الجنود، وإقطاعهم الإقطاعات في المدن والقرى.

### ثالثاً الخطط الحربية

بعد التخطيط الحربي الجيد مفتاح النصر في المعارك، وعلى القيادة المحنكة أن تضع نصب عينيها أن يكون هناك عدد من الخطط التي تسير عليها في تحريك جيوشهم، فمن مبادئ الفكر العسكري للمغول: عدم تغيير الفكر التخطيطي لهم في حروبهم، فكان التهديد والوعيد من أساليبهم، ومن وسائلهم العمل على جذب عناصر من البلاد الراغبين في غزوها إلى صفوفهم، من أمثال الأمير "منقر الأشقر" حاكم دمشق<sup>(١٠٤)</sup>، الذي سهلوا له مهمة الفرار إلى عاصمة الإيلخاتيين تبريز<sup>(١٠٥)</sup> والاستقرار بها، لكي يفشي أسرار الجيوش المملوكية والأوضاع السياسية في الشام ومصر، وذلك في عهد "أبا قاخان".

أما في عهد "غازان" فقد تمت الخطة نفسها بأن رغب الإيلخان بالأمراء الفارين من بلاد الشام في عهد السلطان "الناصر محمد" إلى سلطنته، وهم الأمير "سيف الدين فبجق"، والأمير "فارس الدين ألكي" والأمير "سيف الدين بكتمر الملبدار"<sup>(١٠٦)</sup>. وقد نتج عن ذلك انتصار "غازان" في موقعه "مرج المروج" في سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م<sup>(١٠٧)</sup>.

هذا وفي محرم سنة ٧١١هـ/١٣١١م، فر الأمير "شمس الدين قراسنقر" نائب المنطقة بحلب إلى الإيلخاتية، ولحق به كل من الأمير "جمال الدين أقبوش الأقرم الدوادري" نائب طرابلس إلى "أولجايتو" ملك الإيلخاتية، فأكرمهم ورفع من قدرهم، وقد استمر هناك حتى وفاتهم<sup>(١٠٨)</sup>.

ومن البديهي أن تشير إلى استمرار الإيلخاتيين، في نهاية عهدهم في عهد "أبي سعيد"، على نفس النهج والخطط الحربية، وهي جذب العناصر الناقصة على أعدائهم المماليك في مصر والشام، فترى في معاهدة الصلح التي تمت بين الإيلخان و"الناصر محمد" أن أحد شروط المعاهدة تشير إلى أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم "قراسنقر"<sup>(١٠٩)</sup> الفار، وألا يكلف القداوية الإسماعيلية بأي مهام في ممالك الإيلخاتية<sup>(١١٠)</sup>.

لقد كان دأب المغول استخلاص بعض العناصر الناقصة على الحكم في بلادها، للاطلاع منها على أسرار الجيوش، ولم يظهر هذا في حروبهم ضد المماليك فقط، بل في حرب "أبا قاخان" الأمير "برلق خان" حاكم ما وراء النهر، في سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م، وذلك بأن استعان "أبا قاخان"

برجل هندي لكي يبلهم على أسهل الطرق لعبور نهر "جيحون"، وتوصيهم إلى حاضرة "براق" في ضواحي كبودجامة"، وبالتالي أكرمه "أباقا" ومنحه لقب ترخان<sup>(١١٣)</sup>.

ومن خططهم الحرية: إرسال وفد من الرسل محملين برسائل تحمل التهديد والوعيد للبلدان الراغبين في حريها، حيث تعتبر الرسائل من أنظمة جيوش المغول التي اتبعتها في حروبهم، فعندما عزم "أباقا" على التمسير إلى بلاد الشام. أرسل رسولا إلى الظاهر بيبرس حاملا رسالة على سبيل التهديد والتخويف فيها: أن جيوشنا مستعدة لقتالك..... وإذا امتدت أيدينا في الشام، فإنها بلا ريب سوف تأتي على كل ما لكم فيها... لأن الله قد وهب جنكيزخان وذريته بلاد العالم<sup>(١١٤)</sup>، ويضيف قواد الصياد<sup>(١١٥)</sup> إلى هذا الخطاب أنه ذكر: "وأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا..."، واتهمه بأنه عهد مملوك، مما يدل على احتقاره والتكليل من قِبله.

كذلك عمل "أرغون خان" على إرسال الرسائل والمسافرات إلى الغرب الأوربي واليابا "هنريوس الرابع"، لخلق تحالف مع الغرب لردم خطر المسلمين المماليك، يقترح فيها على اليابا توجيه حملة مشتركة لغتسال المماليك، فبالأ: إذ تقع بلاد الشام بيننا وبينكم فسوف نطوقهما<sup>(١١٦)</sup>، إلا أن هذه الرسائل لم تسفر عن شيء ذي بال، وبذلك أخفق "أرغون" في تحقيق آماله في غزو الشام وضمها إلى ممتلكاته.

وعلى نفس النمط أرسل "غازان خان" رسله إلى السلطان "الناصر محمد" قبل خروجه بحملته على بلاد الشام، وقد تلقى الإيلخان الرد، وكانت رسالة "غازان" تحمل التهديد والوعيد، وأنه أولى برعاية الإسلام والمسلمين من "الناصر محمد"، ولكن سلطان المماليك رفض التلبية، ولم يجب على طلبات الإيلخان بذكر اسمه في الخطبة والدعاء له على منابر المساجد<sup>(١١٧)</sup>، وبذلك لم تحقق رسائله وسفارته هدفها ولم تسفر عن شيء اللهم إلا تبادل التهم والترشق بالالفاظ والتهديد والوعيد.

وقد سار الإيلخانيون على نفس سياستهم في حربهم ضد حاكم "هراة" الملك "لخر الدين" في عهد "أولجايتو"، حيث أرسل قائده العام على الجيوش "دانشمند بهادر" سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، برسالة بها تهديد ووعيد يطالب فيها بالإسراع إلى تلبية مطالب الإيلخان، والدخول تحت طاعته، والا فسوف ينتزع منه الملك والحكم قهراً وفوراً بناء على أوامر "أولجايتو"<sup>(١١٨)</sup>.

ومن أهم الخطط الحرية المستخدمة في الإيلخانية: اكتشاف كل صغيرة وكبيرة عن تحركات أعدائهم وكشف نقاط ضعفهم ومراكز قوتهم، وهي استخدام التجسس والجواسيس، التي وضعت قواعد متعددة لنظامهم، والتي لم يحد عنها المغول طوال فترة حكمهم، وكان من أهمها الأمر بقتل الجاسوس الذي يفشل في مهمته، وإجزال الهبات والعطايا للجاسوس النشط لتحفيزه على النجاح في أعماله ومهامه، فقد أرسل "أباقاخان" في سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م جاسوساً هو "قيرتو بهادر" للاستطلاع والتجسس على الأمير "براق خان"، فلم يستطع الاقتراب من خطوط العدو، وبالتالي تم القضاء عليه، وأرسل الإيلخان جاسوساً ثانياً هو "تويجاق بهادر" ويسانده الأمير "تيكباي بهادر" مع مائة فارس، فعادوا وقد شرحوا الأحوال التي كان عليها أمور العدو<sup>(١١٩)</sup>.

وفي حقيقة الأمر فإن المغول درجوا على إرسال جواسيسهم إلى بلاد العدو، فيجمعون لهم الأخبار من هنا وهناك، ويستقصون حالة الجيوش والحصون، ثم يعولون بهذه المعلومات فيقطعون عليها القادة<sup>(١٢٠)</sup>، لقد أرسل "أرغون" سنة ١٢٨٧هـ / ١٢٨٨م جواسيس إلى منطقة هكتار في كرمانستان قبل الخروج إليها، لذا عاد الجواسيس يحملون أخباراً بأن جنود الملك "قيو" ببلاد ما وراء النهر تعدادها ثلاثين ألفاً<sup>(١٢١)</sup>، وبذلك كانت مهمة القائد "طغاجار" سهلة وحقق النصر عليهم.

لقد اشتهر عن "غازان خان" أنه كان يحث قواده على إرسال الجواسيس والأئمة والعرفان بالدروب قبل التحرك، مع بذل كل الجهد للحفاظ على النظام والانضباط في جيشه<sup>(١٢٢)</sup>، ولم يكن استخدام الجواسيس قاصراً على حروبهم الخارجية، بل تعداه إلى استخدامهم ضد الأمراء وأفراد الأسرة نفسها، فنرى "غازان" يوعز إلى "صدرجهان"<sup>(١٢٣)</sup> بإرسال جاسوس من قبله إلى الأمير "طغاجار" لكي يحاول الإيعاز له بضمه إلى صفوف "غازان"، وترك مساعدة "بايدو خان"<sup>(١٢٤)</sup>.

وفي عهد "ألباقخان" قدم عليه جاسوس هو "مسعود بن محمود يلوچ" -الذي كان حاكماً إدارياً في بلاد ما وراء النهر- من قبل الأمير "براق" منك "أولواس جغتاي" على هيئة سفير، وكانت مهمته في الظاهر توطيد أواصر الصداقة بين العاهلين، ولكن في الباطن التجسس على تعداد الجيوش وجمع المعلومات، ومن ثم اكتشف "ألباق" أمره، ولكن بعد أن عاد إلى بلاده<sup>(١٢٥)</sup>. ومن عادة الإيلخانيين استغلال الجواسيس لمرسلين إلى بلادهم في عمل عكسي لصالحهم، ففي سنة ١٢٦٨هـ / ١٢٧٠م، عندما علم "ألباق" بوجود ثلاثة جواسيس في بلاده<sup>(١٢٦)</sup>، أمر باعتقالهم ثم استجوبهم، وأمر بقتل اثنين منهم، وأطلق الثالث لكي يحمل الأخبار التي يريد توصيلها إلى عدوه، وهي أخبار غير صحيحة، ومن الملاحظ أنه بمجرد وصول الجاسوس إلى الأمير "براق" أعلن قولته: "أن عددهم الكثير من الأسلحة والدواب، ولكن ليس في الأمراء والقادة شجاعة أو قوة"، وبذلك انخدع "براق" بهذه المعلومات واستبشر بالنصر، فنزلت به الهزيمة<sup>(١٢٧)</sup>.

وفي حقيقة الأمر؛ فإن سقوط جاسوس تابع للإيلخانية في يد أعدائهم كان يترتب عليه قتله فوراً، ففي أثناء حملة غازان الثالثة على الشام قبض على رجل من أمراء حلب جنّده المغول للعمل تحصيلهم، فقبض عليه، وأمر السلطان "الناصر محمد" بتسميره على خشبة والظواف به على حمل في مدينة دمشق وضواحيها، جزاء ما قدمه من التجسس على بلاده<sup>(١٢٨)</sup>.

كذلك يعتبر من أهم الخطط الحربية للمغول اهتمامهم بالجسس الخاص، ذلك الحرس الذي أتمنى في عهد "جنكيز خان"، وأطلق على أفرادهم اسم "كشيكي" <sup>(١٢٩)</sup>، وهم عبارة عن ثمانين حارساً لحراسته بالليل، وسبعين لحراسته بالنهار، بالإضافة إلى فرقة من صفوة المقاتلين عددها ألف أطلق على كل منهم اسم "بهادر" وتعنى المبارز الشجاع، عوّ من طلائع حرس الجيش المغولي، وهؤلاء الحرس لم يدينوا بطاعة إلا طاعة أوامر الحاكم، وتوافر تحت أيديهم جنود يطيعون أوامرهم طاعة عمياء، وينفذونها تنفيذ الآلة لأمر صاحبها<sup>(١٣٠)</sup>.

استمر اعتماد الإيلخانيين على فرقة الحرس في تسيير شئون الحراسة الخاصة بالمتنشآت الحيوية، مثل السدود والخنادق، مثلما أمر "ألباقخان" بعض حرسه بحماية

الخنادق<sup>(١٢١)</sup>. ومن مهامهم أيضاً مراقبة المقبوض عليهم والثائرين على الإيلخان، مثلما حدث مع الأمير أرغون<sup>(١٢٢)</sup>، عندما وضعت عليه حراسة مشددة مقدارها أربعة آلاف جندي لحراسة خيمته، حتى لا يستطيع الفرار من سجنه، وذلك في عهد أحمد تكودار<sup>(١٢٣)</sup>.

عمل "غازان" على رفع شأن فرقة الحرس العسكرية، وذلك بأن اشترى عدداً كبيراً من أولاد المغول، الذين يباعون في أسواق النخاسة بعد أسرهم<sup>(١٢٤)</sup>، ويكون منهم حرسه الخاص، وعين لهم المرتبات والمؤن وأنزلهم في ولاية "المرغة"، وعهد بإمارة كتيباتهم المكونة من عشرة آلاف جندي إلى القائد هولاء جينكسانك<sup>(١٢٥)</sup>، هذا وأوكل إلى هولاء الحراس مهمة حمايته والسهر على حراسة خيمته أثناء نومه، وحراسة آلات الحرب وأسلحته من أي إغارة<sup>(١٢٦)</sup>.

على عكس ذلك، فقد عامل المغول أسراهم معاملة تتطوى على القسوة والوحشية، فكانوا يضعونهم في مقبسة الجيش حتى يتلقوا السهام المنهالة عليهم، وليمهدوا الطريق للجيش، ويكفوا بحفر الخنادق ونصب أدوات الحصار والأعمال الحربية العتيقة الشاقة<sup>(١٢٧)</sup>، ففي سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧١م، قام "اباقا" بإرسال قائده توكي بهادر<sup>(١٢٨)</sup> مع عشرة آلاف مقاتل، فقام بالقتل والنهب في أهل بخارى، وحملوا كثيراً من الأموال والأسرى، فخرت بخارى عن آخرها<sup>(١٢٩)</sup>.

وفي عهد أرغون<sup>(١٣٠)</sup> سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، هوجمت ناحية "تريند"، فأصدر الإيلخان أمره بزعف الأمير توكال<sup>(١٣١)</sup> و"شيكور نويان" بقواتهم لقتالهم فقتل ثلاثمائة فارس، وأسر نقرأ منهم كان من جملةهم الأمير "حريكشاي"<sup>(١٣٢)</sup>، الذي سيق إلى سوق النخاسة، فبيع هناك. بينما يشير الهمذاني<sup>(١٣٣)</sup> إلى "غازان" وعطفه على الأسرى من "هراة" ونسائهم وأطفالهم، بحيث إنه أمر بإطلاق سراح بعضهم، ويزيد على ذلك بأنه طيب خاطرهم، وإن كان ذلك غير معهود في حروب المغول مع البلاد التي يغزونها.

وقد دارت الدائرة على جيش المغول، في سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، عندما هاجم "غازان" للمرة الثالثة بلاد الشام، فانتصر عليه السلطان الناصر محمد<sup>(١٣٤)</sup>، وأسر عدداً كبيراً منهم بقدر سائر ومائمائة مغولي، ومائة وثمانون من جنود الأرمن، وسوقوا أسرى إلى الديار المصرية<sup>(١٣٥)</sup>.

ومن أهم ما يميز الخطط الحربية التي اتبعتها الإيلخانيون في حروبهم: اعتمادهم على عدة أجناس معينة التي تعددت في جيشهم، ويمكن حصر تلك الأجناس في عدة عناصر رئيسية يأتي في مقدمتها الاعتماد على العنصر المغولي<sup>(١٣٦)</sup>، وهم من أهم عناصر الجيش، منهم قادة الجيوش والقائد العام عليه، وهم المقربون من الإيلخان<sup>(١٣٧)</sup>، أما المرتبة الثانية من عناصر الجيش فهو عنصر الأتراك، الذين كانت لهم اليد الطولى في ذلك، فقد فرضت طبيعة الدولة العسكرية أن يقوموا بشراء القلمان العبيد الأتراك، وتربيتهم تربية عسكرية، حيث امتاز الأتراك كجنس عسكري بمميزات كثيرة، من أهمها الشجاعة والفروسية والإقدام، ففي عهد أحمد تكودار<sup>(١٣٨)</sup> أخطر الأتراك جيوش الأعداء بالسهم<sup>(١٣٩)</sup>، هذا وكان أكثر من نصف جيش "هولاكو" يتألف من الأتراك<sup>(١٤٠)</sup>.

ومن العناصر التي اعتمد عليها الإيلخانيون في حروبهم أهل "جورجيا". فقد مالوا إلى استخدامهم بسبب قدرتهم العسكرية الكبيرة وصبرهم على النزال والحرب<sup>(١٤١)</sup>، هذا إلى جانب

استخدام عنصر المسلمين والأرمن والكرج، فقد أعد "أحمد تكودار" أكثر من مائة ألف فارس من صفوف هذه العناصر مجهزين بالعدد والآلات وسيروهم، في سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٤م<sup>(١١٦)</sup>، لمحاربة "أرغون" - التطامع في العرش - كذلك كان جيش أبا قاخان يضم ثلاثة آلاف من الكرج، قتل منهم ألفان في معركة "أليستين"، وكانت قوة "أبا قا" في حربه ضد "الظاهر بيبرس" ثمانين ألف جندي منهم ثلاثين ألف من حشود وجموع من أجناس مختلفة مثل الكرج والأرمن والعجم<sup>(١١٧)</sup>.

ولابد من الإشارة إلى أن التشكيلات العسكرية في عهد الإيلخانيين كانت تتكون من صنفين رئيسيين هما، الفرسان وهم ما يطلق عليهم كشيوكجي<sup>(١١٨)</sup>، وهم عماد الجيش الذي يكونون حرس الإيلخان الخاص، الذي يتحرك إلى ساحات القتال بأمره، ويكون مواليهم في القلب حوله، والذين كانوا يحملون الرماح والسيوف، ويلبسون الدروع<sup>(١١٩)</sup>، كما شكلت الخيول أهمية كبرى في استخدامهم، وخاصة الخيول العربية بالذات<sup>(١٢٠)</sup>، فقد قر الأمير "أرغون" من سجنه في عهد "أحمد تكودار" على جواده عربي، وكان للقائد "عليناق" قائد عام الجيوش فارس عربي أصيل<sup>(١٢١)</sup>.

أما الصنف الثاني من الجيوش الإيلخانية فهم الرجالة - أي المشاة - الذين ينحصر دورهم في الحروب المحلية، وأثناء الحصار، وكانت أهم أسلحتهم الدروع والمسهام، وكان على كل أمير أو جندي أن يحمل جعبة من الجلد أو الخشب، لا ينزعها إلا وقت الصلاة، يضع فيها مجموعة من المسام<sup>(١٢٢)</sup>، يتراشقون بها عند الفتحام الطرفين في القتال<sup>(١٢٣)</sup>، هذا ولابد أن نشير إلى أن هناك فرقة من الرجالة مهمتها ضرب الطبول في بداية القتال، وفي حالة الانتصار على الأعداء<sup>(١٢٤)</sup>، وهو ما يطلق عليه اسم فرع الطبول، لإثبات الرهبة والخوف في صفوف الأعداء. هذا ومن عادة المغول رفع الأعلام البيضاء في حالة استسلام العدو<sup>(١٢٥)</sup>، كما حدث في عهد "أبو سعيد" ضد الأمير "أيرنجين" حاكم ديار بكر، وولدت السيدة "كفتشاه خاتون" زوجة الإيلخان، التي رفعت الرايات البيضاء عند استسلام الأمير<sup>(١٢٦)</sup>.

**وخلاصة الأمر فإن الدولة الإيلخانية دولة عسكرية، اعتمدت على جيوشها في فرض نفوذها وتوسيع ممتلكاتها، منذ أن غزا "جنكيز خان" أراضي الدولة الخوارزمية، وأسقط "هولاكو" قلاع الإسماعيلية والخلافة العباسية في بغداد، هذا وإن الإيلخانيين اتبعوا نهجاً خاصاً في تعبئة وتجهيز جيوشهم، خاصة وأن تنظيم الجيوش هو مفتاح النصر، وأن القضاء على الفتنة في مهادها يحقق النصر في المعارك، وأن استعراض الجنود والتأكيد على سلامة أسلحتهم ودوابهم من أهم لوازم القتال. هذا وقد اتبع الإيلخانيون نفس مبادئ وقوانين التباسا الجنكيزية في تحريك جيوشهم، ومنها إرسال القوة الاستطلاعية وإرسال الوفود والرسائل، إلى جانب الجواسيس لإبلاغهم بالمعلومات القيمة عن جيوش أعدائهم، هذا إلى جانب اعتمادهم على عناصر وأجناس معينة في جيشهم على رأسها: المغول والأتراك والجورجانيون والكرج والأرمن والمسلمين وغيرهم.**

## ملحق رقم (١)

أسماء إيلخانات إيران (٦٥١ هـ - ٧٥٦ هـ / ١٢٦٢ : ١٣٥٥ م)

- ١- هولاكو خان بن تولوي بن جنكيز.
  - ٢- أباقا بن هولاكو.
  - ٣- أحمد نكودار بن هولاكو.
  - ٤- أرغون خان بن أباقا.
  - ٥- كيخانو بن أباقا.
  - ٦- باندوخان بن طوغاي بن هولاكو.
  - ٧- غازان خان بن أرغون.
  - ٨- أولجايتو خدابنده بن أرغون.
  - ٩- أبوسعيد بهادر خان بن أولجايتو.
  - ١٠- أرياجاوت بن أرتوينا بن تولوي.
  - ١١- موسى خان علي بن بايدو.
  - ١٢- محمد خان بن منجو تيمور بن هولاكو.
  - ١٣- ساني بيك ابنة أولجايتو.
  - ١٤- شاه جهان تيمور بن آلاؤنك بن كيخانو.
  - ١٥- سليمان خان بن يشموت بن هولاكو.
  - ١٦- طغاتيمور خان.
  - ١٧- أتوشيروان العادل.
- من ٦٥١ هـ إلى ٦٦٣ هـ  
من ٦٦٣ هـ إلى ٦٨٠ هـ  
من ٦٨٠ هـ إلى ٦٨٣ هـ  
من ٦٨٣ هـ إلى ٦٩٠ هـ  
من ٦٩٠ هـ إلى ٦٩٤ هـ  
من جمادي الأولى ٦٩٤ هـ إلى ذي القعدة ٦٩٤ هـ  
من ٦٩٤ هـ إلى ٧٠٣ هـ  
من ٧٠٣ هـ إلى ٧١٦ هـ  
من ٧١٦ هـ إلى ٧٣٦ هـ  
من ٧٣٦ هـ  
من شوال إلى ١٤ ذي الحجة إلى ٧٣٦ هـ  
من ذي الحجة ٧٣٦ هـ  
من ٧٣٦ هـ إلى ٧٤٠ هـ  
من ٧٤٠ هـ إلى ٧٤١ هـ  
من ٧٤١ هـ إلى ٧٥٣ هـ  
من ٧٥٣ هـ إلى ٧٥٦ هـ<sup>(١)</sup>

(٢) عباس إقبال : تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان ، ص ٣٥٨ : ٣٥٩ ، زامباور ، معجم الأنساب والأسماء للحكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣٦٢ : ٣٦٣ .

## المصادر

- ١- انظر ملحق رقم (١) الخاص بأسماء الحكام الإيلخانيين.
- ٢- الإيلخان: كلمة مغولية الأصل ، تتكون من مقطعين "إيل" بمعنى الخاضع أو التابع، و"خان" بمعنى الحاكم وبذلك يصير معنى الإيلخان الخاضع للحاكم ، وذلك لأن هولاكو كان تابعاً لأخيه الخان الأعظم منكوقاً أن في الصين عندما زحف علي بغداد ( قواد عبد المعطي الصبياد : الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين - أسرة هولاكو خان ، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنشائية قطر سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٨).
- ٣- خوارزم : أكثر ضياع مدنها ذات أسواق وخيرات وبكاهن ، ومن النادر أن تكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمانينة تامة ( ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج ٢ ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٣٩٦).
- ٤- الجويني : تاريخ جهانگشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم . ترجمة وتحقيق محمد التونجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى دار الملاح للطباعة والنشر، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١٠، ٤٨ ، السلطان شمس الدين التمش من حكام سلطنة دلهي المملوكية ببلاد الهند ، وهو في الأصل من العبيد المغوليين من تركستان ، ترقى في المناصب الإدارية حتي وصل إلي حاكم مدينة **بداون ( الجوزجاني )** طبقات ناصري ، جلد أول ، به تصحيح ومقابلة وتحشيه وتعليق عبد الحى حبيبي **قندهار** ، كابل ، سنة ١٣٤٣ هـ . ش ، ص ٢٤١ ) ؛ حكم ما بين سنتي ٦٠٧ هـ : ٦٣٣ هـ / ١٢١٠ م : ١٢٦٦ م . وتصدى للسلطان جلال الدين منكبرتي عندما طالبه بموضع في دلهي لإقامة فيه هو ورجاله ، فكان رد السلطان التمش عليه قاطعاً بأن هواء دلهي لا يصلح لإقامة الخوارزمية ، ثم أرسل جيشاً بقيادة ناصر الدين قباچه للتصدي له ( النصوي . سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشره و ترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي سنة ١٣٧٤ هـ / سنة ١٩٥٣ م ، ص ١٦٥ ) ؛ اتصف التمش بالحزم والقوة ومال إلي العلم والعلماء ، وأنشأ المدرسة الشمسية في دلهي ، وأهتم بنسخ المصاحف الشريفة . (Husan Qureshi :The Administration of the sultanate of Delhi , P. 179 , ( Delhi , 1944)
- تعاقب علي حكم دلهي من بعده خمسة من أبنائه ، وهم ركن الدين فيروزشاه ، ورضيه وعضر الدين بهرامشاه وعلاء الدين مسعود وآخرهم ناصر الدين محمود( الجوزجاني : طبقات ناصري، ج ١ ، ص ٤٥٤ ) .
- ٥- هولاكو : أخو الخان الأعظم منكوقاًن ، الذي أمره بإعداد حملة عسكرية وأمده بكثير من الجنود وزحف بجيشه إلي إيران ، فالتزم إليه حاكمها أرغون وحاكم ما وراء النهر مسعود بك ، ثم عبر نهر جيحون واستولي علي قلاع الإسماعيلية في فارس ( رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ - الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من أبائاً خان إلي كيخانو خان ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وقواد عبد المعطي الصبياد ، مراجعة يحيى الخشاب ، وزارة الثقافة والإرشاد ، ص ٣٤٠ ) ، توفي هولاكو سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م . ( م . الرمزي : تلغيق

- الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزوين وبلغار وملوك التتار ، مجلد ١ . طبعة المطبعة الكريمة والحسينية ببلده أوريغورج ، ص ٣٦١).
- ٦- أبو القداء : المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حسين ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٩٩ م ، ص ٢٣٣.
- ٧- التومان قرقة عسكرية يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل ( القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م ، ص ٤٢٣).
- ٨- القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة : البليسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م ، ص ١٣ برتولد شوبلر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة ، دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٥٩.
- ٩- تبريز : أشهر مدن أذربيجان ، وهي مدينة عامرة ، ذات أسوار محكمة مبنية بالآجر والجص ، في وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها ، والفواكه بها رخيصة ( ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣).
- ١٠- البناكتي : روضة أولي الأناب في سيرة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة القاهرة ، سنة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٤٥٨.
- ١١- الياسا الجنكيزية : "اليسق والتورا" واليسق هو الترتيب ، والتورا : المذهب باللغة التركية وأصل اليسق : سي يما . وهي لفظة تركية من كلمتين سي بالعجمي ، بها بالتركي . لأن بالعجمي ثلاثة ، وياسا بالمعنى الترتيب (بيبرس النوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك ، تحقيق زبدة محمد عطا ، ج ٩ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م ، هامش ص ١٥٦) هي القرارات والتعليمات التي وضعها جنكيز خان لحكام المغول للمسير عليها في سياستهم بمعنى السياسة والقانون الذي يقضي باحترام المجتمع المغولي وتقواه على غيره من المجتمعات وذلك في سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م (محمد أحمد محمد : إسلام الإلخانيين ، شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص ١٧) تنص الياسا الجنكيزية في شأن تولية العرش أن تتولي زوجة الخان المتوفي إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين حاكم جديد (ابن العربي : تاريخ مختصر الدول . وضع حواشيه الأب أنطون صلحاني اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨ م ، ص ٢٨٥ ؛ شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران في العصر المغولي ، طبعة سوهاج ، سنة ١٩٩٦ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٠).
- ١٢- دريشد : هي من بلاد ما وراء النهر ، وتسمى باب الأبواب والنسب إليها الدريدي ( ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٤٩).
- ١٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ج ٢ ص ١٢ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩.

- ١٤- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، ج ٩ ، ص ١٣٢،  
خوالدمير : دستور الوزراء ، ترجمة حربي أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٣٢.
- ١٥- ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم المعروف بملجوقنامه، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، طبعة  
دار الثقافة العربية بالقاهرة ، يناير ١٩٩٤ م، ص ٧٩ ، أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر،  
ج ٤ ، ص ١١١ عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتي قيام الدولة التيمورية،  
ترجمة عبدالوهاب غلوب، المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ٢١٧.
- ١٦- أيلستان: وتكتب أيلستين، وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم (بالقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١،  
ص ٩٧).
- ١٧- ابن بيبي : ملجوقنامه، ص ٧٩ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ص ١١٥٨ ابن نساي:  
الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة  
العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٨١.
- ١٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ، أبو الفداء : المختصر، ج ٤ ، ص ٢٣ ،  
**Howarth: History of the Mongols, Vol. 3, P.270 (London, 1975).**
- ١٩- الثوري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور مراجعة محمد مصطفى  
زيادة و فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ،  
ص ٣٩٢ : ٣٩٣ ، ٣٩٦.
- ٢٠- زامبارو : معجم الأمرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن  
أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ،  
ص ٣٦٢.
- ٢١- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٣٣.
- ٢٢- القوريشتاي : هو مجلس شوري المغول ، يجتمع فيه الأمراء وقادة الجيوش والخواتين - نساء  
الطبقة الحاكمة - لدراسة أحوال الدولة ، وفي بداية عهد الإيلخانية كان يعقد في قراقورم عاصمة  
المغول في الصين (الجويني : تاريخ جهاتكشاي ، ج ١ ، ص ١٧٥).
- ٢٣- اعتنق أحمد تكودار الإسلام وهو صغير السن علي يد أحد المتصوفة الذي ينسب إلي الطريقة  
الأحمدية ( عبدالله الشيرازي : تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبد المحمد آيتي ، بناد فرهنك إيران،  
تهران، ص ١١٠٥ م. الرمزي : تلخيص الأخبار ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، رجب محمد عبدالحليم :  
انتشار الإسلام بين المغول ، طبعة دار النهضة المصرية ، ص ١٧٨ ، وقد قام أحمد تكودار  
بتحويل المعابد البوذية والكنائس إلي مساجد(خوالدمير : حبيب المسير في أخبار أفراد البشر ، جلد  
سوم ، جزء أول ، انتشارات كتبخانه خيام ، ص ١١٩).
- ٢٤- البناتكتي : تاريخ البناتكتي ، ص ٤٦٧.
- ٢٥- شعبان طرطور : موجز تاريخ إيران ، ص ٤٢ ، لقد أشار المؤرخ **Howarth** إلي أن أحمد  
تكودار اعتنق المسيحية في بداية حياته وتسمي بنقولا ( ، **History of Mongols , Vol. 3 , P. 270** ).

٢٦- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٤

D'O'Hsson : Histoire des Mongols depuis tchingiuz khan, Vol.III,

P.535 ( Amsterdam, 1834 )

- ٢٧- البناتكي : تاريخ البناتكي ، ص ٤٦٨ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٣٥.
- ٢٨- ابن القوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، ص ٤٣١.
- ٢٩- أبو القدام : المختصر ، ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ عباس إقبال : نفس المرجع السابق والصفحة.
- ٣٠- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ النوبري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤٠٣ ؛ ٤٠٤ ؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد : مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ، ص ٦٠.
- ٣١- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ ١٣٨ ؛ استعان أرغون بأحد اليهود في إدارة دولته وهو سعد الدين اليهودي (خواندمير) دستور الوزراء ، ص ٢٦٠) الذي أسند حكم الولايات إلى بني جلدته من اليهود ، مثل فارس وديار بكر ، ونقل الحراسة من بغداد إلى داره (ميرخواند) روضة الصفا ، ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ ، هـ. ش. ص ١٧٣.
- Howarth History of Mongols , Vol. 3 , P. 350 ).
- ٣٢- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي في عهد الإلخانيين ، ص ٢٠٠.
- ٣٣- زامبارو : معجم الأسرات الحاكمة ، ص ٣٦٢.
- ٣٤- الجاو : عبارة عن قرطاس مكتوم بخاتم الملك يتعامل به في جميع بلاد الخطا بالصين ، بدلاً من الدراهم ، وأما عملتهم النقدية فهي الباشي - السبك - التي تصل إلى الخزانة ، وفي سنة ١٢٩٣هـ / ١٢٩٤م. أظهروا الجاو في مدينة تبريز وروجوه ، وكانت الأوامر تقضي بقتل كل من لا يتعامل به في الحال ( الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨١ ؛ ١٨٢ ).
- ٣٥- برتولد شپولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ص ٧١.
- ٣٦- فؤاد عبدالمعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨.
- ٣٧- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٢٨٤ ؛ خواندمير : حبيب السيرة ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٤٠.
- D'O'Hsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P.115
- ٣٨- ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٦٠م ، ص ١٢٢ ؛ ابن دقماق : الجواهر الثمينة ، ص ٢٧٩ ؛ اعتنق غازان الإسلام على يد الأمير نوروز وبحضور الشيخ صدر الدين إبراهيم حموية ، وبذلك أعلن الدين الإسلامي ديناً رسمياً للبلاد ، وأطلق علي غازان اسم محمود ، واتبعت العسائم بدلاً من القلائص ، وأمر بتحويل الكنائس ، والمعابد إلى مساجد (رشيد الدين الهمذاني: تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ ، دراسة وترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر القاهرة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٢٧ ؛ للبناتكي : تاريخ البناتكي ، ص ٤٨٥ ، البجليسي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٥٠م. م. الرمزي : تلويح الأخبار ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ رجب محمود : انتشار الإسلام ، ص ٢٨٨ ؛ فؤاد الصياد :

- الشرق الإسلامي ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ؛ كذلك أصدر غازان عملة إسلامية نقش عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأمر بنقش اسمه على العملة وذكره في الخطبة دون الخان الأعظم ، وطرد نائبه من بلاده ، وألقي لقب أيلخان أي نائب الملك ، واتخذ لنفسه لقب خان ( رجب عبدالحليم : انتشار الإسلام ، ص ١٩٣ ، محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧٢ ) .
- ٣٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٦٧ ؛ ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٧ .
- ٤٠- لقد أطلق العيني علي غازان اسم قازان ( عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك - حوادث وترجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٢٨ ) .
- ٤١- ابن حبيب : تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنه ، ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦ ، ص ٢١٠ ؛ العيني : نفس المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .
- ٤٢- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ؛ البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٩ ؛ ابن حبيب : تذكرة النبوة ، ج ١ ، ص ٢١١ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨ .
- ٤٣- ابن دقماق : الجوهر الثمين ، ص ٣٣١ ؛ عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٢٠٩ .
- ٤٤- العيني : عقد الجمال ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ؛ ج ٤ ، ص ١٢٨ ، ١٣٣ ؛ خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٣ ، ج ١ ، ص ١٧٧ ؛ البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ ؛ عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ؛ شعبان طرطور : موجز ، ص ٥٥ .
- ٤٥- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٦ : ٣٠٧ .
- ٤٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٩٥ ؛ ابن أبيك الدوادري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٤٦ ؛ Sykes : History of Persia , Vol. II , P.234 , (London,1958)
- ٤٧- عبدالله الشيبازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ ؛ فؤاد الصياد ، الشرق الإسلامي ، ص ٣٤٧ : ٣٤٨ .
- ٤٨- عبدالله الشيبازي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٧٧ ؛ البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٢٠ ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والتوزيع والنشر بالقاهرة ، ص ٤٧٧ .
- ٤٩- جيلان : ولاية صغيرة تمتد من حدود أرميني وغلخان حتى حدود كلارست ومنطقة مازاندران (فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤) ؛ وفي جيلان قوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحي لصطخر فنزلوا بطرف من البحرين فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بني عجل ( ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ) .
- ٥٠- ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٤٥٤ .

- ٥١- برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ : ٧٧ .
- ٥٢- ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٨٧ ، عبدالله الشبرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ .
- ٥٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٢٠ .
- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 115.
- ٥٤- فؤاد المعطي الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤١١ ، ٤١٤ .
- D'OHsson : Histoire des Mongols , Vol.III,P. 600 – 601.
- ٥٥- تقرر سفر سفير من إيران لإبرام معاهدة مع مصر واستقبل من قبل سلطانها الناصر محمد بالود والتكريم وتم عقد المعاهدة ، ومن أهم بنودها ما يلي :
- ١- ألا يكلف سلطان مصر الفدائيين الإسماعيلية بأي مهام في الممالك الإيلخانية.
  - ٢- ألا يطالب أي من الجانبين بترحيل رعاياه ممن يلجئون إلى أرضه.
  - ٣- ألا يحرض سلطان مصر أعراب البادية والتركمان على مهاجمة الممالك الإيلخانية.
  - ٤- ترسيخ علاقات الود بين الدولتين وتمكين التجار من حرية التجارة والحركة.
  - ٥- حرية حركة قوافل الحجيج السنوية من العراق إلى مكة على أن ترفع علمين أحدهما باسم سلطان مصر ، والآخر باسم إيلخان إيران أبوسعيد.
  - ٦- أن يصرف سلطان مصر النظر عن تسليم الأمير قزاسنقر الفار إلى دولة الإيلخان (عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢).
- ٥٦- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، مقدمه وحواشي وتعليقات خاتبا بياتي ، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٨ ، انظر الملحق رقم ١ ، الخاص بأسماء الإيلخانيين.
- ٥٧- البديلمي: شرفنامه ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٣٨ ، انظر الملحق رقم ١ ، الخاص بأسماء الإيلخانيين.
- ٥٨- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٨٤ ، عباس إقبال : نفس المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .
- ٥٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٩ .
- ٦٠- فؤاد الصياد : مؤرخ المغول الكبير ، ص ٦٤ .
- Howarth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 90.
- ٦١- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .
- ٦٢- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٥٠١ .
- ٦٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٨ : ١١٩ .
- ٦٤- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٨٢ .
- ٦٥- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٤ .
- ٦٦- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٣ .
- ٦٧- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٩٥ .
- ٦٨- ابن بيبوي : سلجوقنامه ، ص ٧٩ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار ، ج ٤ ، ص ١١ .
- ٦٩- فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٢٠٨ ، برتولد شبولر : العالم الإسلامي ، ص ٧١ .
- ٧٠- ابن أبيهك الدوادري : كثر الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٢ ، النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ ، البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢ ، ابن

- حبيب: تذكرة النبيه ، ج ١ ، ص ٢١٠ ؛ ابن دقماق : الجواهر الثمين ، ص ٢٧٩ ؛ العيني : عقد الجمان ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ؛ البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٧ .
- ٧١- Sykes : History of Persia , Vol II , P. 234
- ٧٢- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٥٥٦ ؛ ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ١٥٤ ؛ لؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٥٤ ؛ برتولد شوبنر : العالم الإسلامي ، ص ٧٦ .
- ٧٣- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .
- D'O'Hasson : Histoire des Mongols , Vol.III, P. 600.
- ٧٤- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ١٦ .
- ٧٥- الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ .
- ٧٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج ٤ ، ص ٢٣ ؛ Howorth : History of Mongols , Vol.3 , P. 270.
- ٧٧- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ص ٢٥٥ ؛ لؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٦٠ .
- ٧٨- الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ؛ البديلي : شرفنامه ، ج ٢ ، ص ١٦ .
- ٧٩- عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٤٧٠ .
- ٨٠- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٤ .
- ٨١- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١١٩ .
- ٨٢- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، ص ٧١ .
- ٨٣- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٦ .
- ٨٤- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ .
- ٨٥- فتحة نوروز : لقد كان نوروز أتابكا لغازان في أثناء حكمه علي خراسان ، ثم تولي منصب أمير الأمراء ، وتم اعتناق غازان للدين الإسلامي علي يديه (عبدالله الشيرازي : تاريخ وصاف ، ص ٣٢٢ ؛ خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٠٧ ؛ ٣٠٨) ؛ ولكن نتيجة للصراع الذي قام بين الوزير جمال الدين المستجرواتي ونوروز والاتهامات التي قيلت بتكبير مؤامرات مع بعض الأمراء ضد غازان ، وإتهامات الوزير صدر الدين الزغاني له بمراسلة سلطان مصر ، وأنه سوف يسلم البلاد للمماليك ، فإن غازان أمر بالقبض عليه وعلي أتباعه وأمر بإعدامهم ، هذا وقد نزلت الهزيمة بنوروز وقواته بالقرب من نيسابور ، فالتجأ إلى هراة ، لاندأ بحماية ملكها فخر الدين كرت ، الذي أسرع بتسليمه إلي غازان في شوال سنة ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦ م ( الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١٢٣ ؛ ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٤ ؛ خواندمير : حبيب السير ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ١٣٥ ؛ لؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٧٨) .
- ٨٦- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٦ .
- ٨٧- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٥٢ ؛ عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٤١ .
- ٨٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ٤١ ؛ ٤٢ .
- ٨٩- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٠ .
- ٩٠- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٣ ؛ ٢٨٤ .

٩١- عين جالوت : مولاعة عظيمة بين الملك المظفر قطز مملوك المعز أبيك ومعه الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الأفضل وبين التتار بقيادة كتيبة نائب هولاء وكان النصر فيها لقوات قطز وكانت في رمضان سنة ٦٥٨ هـ (أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ، ج ٣ ، ص ٢٤٥).

Howarth : History of Mongols , Vol. 3 , P. 91

-٩٢

٩٣- القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣١١ : ٣١٢.

٩٤- عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٥٤.

٩٥- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ١ ، ص ١٢ ، شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٣٣.

٩٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ١٢٤.

٩٧- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ١١١ : ١١٢.

٩٨- عبد السلام فهمي : تاريخ الدولة المغولية ، ص ٢٧.

٩٩- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٣٨ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٤.

١٠٠- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٧.

١٠١- خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٣٧٩.

١٠٢- البديسي : شرقنامه ، ج ٢ ، ص ٢٧.

١٠٣- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٧ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٥.

١٠٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٥.

١٠٥- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٨ : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٤٢٥.

١٠٦- شعبان طرطور : موجز تاريخ ، ص ٦٨.

١٠٧- دار النزاع بين الأمير منقر الأسفر والسلطان قلاوون علي تولية العرش ، وبالتالي تم تبادل الرسائل بينه وبين أباخان للمأذنة والوقوف إلى جانبه ضد قلاوون وجيشه ( فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٩٧ ).

١٠٨- التنويري : نهاية الأرب ، ج ٢٧ ، ص ٤١١ : البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٨٧ ، ابن كثير :

البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢ : ابن حبيب : تذكرة النبوة ، ج ١ ، ص ٢١١.

١٠٩- المعيني : عقد الجمان ، ج ٤ ، ص ٢٨١ : ميرخواند : روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ٣٩٨.

١١٠- ابن حبيب : تذكرة النبوة ، ج ١ ، ص ٣٧.

١١١- لقد خرج الأمير شمس الدين فراسنقر ملتجأ إلى الإيلخان أولجايتو ، وقد أرسل إليه الإيلخان أميراً مغولياً هو سوتاي علي رأس عشرة آلاف جندي ، لاصطحابهم إلى داخل الإيلخانية ( ابن أبيك الدواداري : كنز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ ، أبو المحاسن : التجرد الزاهرة في مملوك مصر والقاهرة ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٦٤ ).

١١٢- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٤٢.

- ١١٣- الهمذاني : جامع التواريخ، مجلد ٢، ج ٢، ص ١١٦ ترخان : لقب يفقد امتياز حامله بالإعفاء من كل التكاليف ، فهو لا يدفع تصيباً مما يقع في الحرب ، ويدخل على الملك وقت ما شاء ، وترخان اسم قبيلة جغتائية كذلك، (الهمذاني: نفس المصدر السابق والجزء ، هامش ص ١٧).
- ١١٤- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ٦٣ : ٦٤.
- ١١٥ - الشرق الإسلامي، ص ٧٥.
- ١١٦ - فؤاد الصياد : نفس المرجع السابق، ص ١٩٢؛ محمد أحمد محمد: إسلام الإيلخانيين، ص ٦٨.
- ١١٧ - أبو المحاسن : الهجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٤٥: ١٤٣؛ كان علي رأس تلك السفارة كل من القاضي نصير الدين التبريزي والشيخ قطب الدين الموصلني (البليوسي: سرفنامه، ج ٢، ص ١٩).
- ١١٨ - فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٦١.
- ١١٩ - الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٤.
- ١٢٠ - فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠ م ، ص ٣٦٤.
- ١٢١ - فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ١٨٩ : ١٩٠.
- ١٢٢ - الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٥٣ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٨٨.
- ١٢٣ - الأمير صدر جهان : اسمه صدر جهان أحمد الخالدي الزنجباني وزير غازان ، وهو أحد أبناء قضاء ولاية زنجان ، والتحق بالخدمة للأمير طغاجار . ولما أصبح طغاجار أميراً للأناضول في عهد أرغون جعل صدر جهان أحد مسؤولي تنظيم أسواق البلاد . فنظم أعماله تنظيمًا كاملاً (خواندشير : دستور الوزراء ، ص ٣٦٦ ، عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٤٦٢ ، فؤاد الصياد : مؤرخ المغول ، ص ٦٨).
- ١٢٤ - الهمذاني : تاريخ غازان خان ، ص ٥٣ : ٥٥.
- ١٢٥ - خواندشير : دستور الوزراء ، ص ٣٣٢.
- ١٢٦ - البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦١.
- ١٢٧ - الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٧ : ٣٩.
- ١٢٨ - فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٣.
- ١٢٩ - كشكجي : كلمة مغوبة معناها التوبة ، وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس ، مكونة من ألف رجل هم نخبة المحاربين لا يخرجون إلى الحرب إلا إذا كان الإبلخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال ( فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٠ ).
- ١٣٠ - عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩٠ : ٣٩١.
- ١٣١ - البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ ؛ خواندشير : حبيب السير ، ج ١ ، ص ١٠٨.
- ١٣٢ - عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٢٤١.
- ١٣٣ - عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٠٥.
- ١٣٤ - الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٣٤٨.
- ١٣٥ - الهمذاني : نفس المصدر السابق ، ص ٩٣.

- ١٣٦- فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، ص ٣٦٦ .
- ١٣٧- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٦٣ .
- ١٣٨- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٥٤ : ١٥٥ .
- ١٣٩- تاريخ غازان ، ص ١٠٤ ويشير الهمذاني في موضع آخر في تاريخه بأن غازان كان رجلاً مع أسراه ، وأنه أمر بأن يحضروا من خزائنه قباء وقنصوة ومنطقة - حزام وجذاء - وألبسوا الأمير هذه الأثياب وهو الأمير أرسلان أغول ، ثم أركبوه جواداً من جياد الخفصة ، كما أمر غازان بإحضار جرحى المعركة ، وصار يضع الأدوية على جروحهم ، مما يدل على مدى رحمته وإسلامه ( تاريخ غازان ، ص ١١٥ : ١١٦ ) .
- ١٤٠- أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٥٨ عباس إقبال : تاريخ إيرلن ، ص ٤٦٢ ، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٣٠٠ .
- ١٤١- أبو القدام : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٥ .
- ١٤٢- الهمذاني : تاريخ غازان ، ص ٤٢ .
- ١٤٣- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
- ١٤٤- برتولد شپولر : العالم الإسلامي ، ص ٥٧ .
- ١٤٥- برتولد شپولر : نفس المرجع السابق ، ص ٦٩ .
- ١٤٦- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٣ ، فؤاد الصياد : الشرق الإسلامي ، ص ٤٤١ .
- ١٤٧- أبو القدام : المختصر ، ج ٤ ، ص ١٥٠ : ١٥١ ، عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٢٢٧ .
- ١٤٨- عباس إقبال : تاريخ إيران ، ص ٣٩١ .
- ١٤٩- ابن أبيك الدواداري : كلز الدرر ، ج ٩ ، ص ٢٣٥ .
- ١٥٠- الهمذاني : جامع التواريخ ، مجلد ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
- ١٥١- الهمذاني : نفس المصدر السابق ، والجزء ، ص ١٠٦ ، ١١٥ .
- ١٥٢- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ٢١٠ .
- ١٥٣- البناكتي : تاريخ البناكتي ، ص ٤٥٩ .
- ١٥٤- البناكتي : نفس المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، ٤٧١ .
- ١٥٥- حافظ أبرو : ذيل جامع التواريخ رشدي ، ص ١٤٨ .
- ١٥٦- عباس إقبال : تاريخ المغول ، ص ٣٣٠ .

## أسماء المصادر والمراجع

### أولاً المصادر والمراجع العربية

- ١- ابن أبيك الدوادري ( ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ) : أبوبكر بن عبدالله المنصوري. "كنز الدرر وجامع الغرر" المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ج ٩ ، تحقيق هانس روبرت رويمر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٠م.
- ٢- بيبريس الدوادري ( ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ) : ركن الدين المنصوري المصري. "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك" ، ج ٩ ، تحقيق زبدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، سنة ٢٠٠١ م.
- ٣- ابن حبيب ( ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ) : الحسن بن عمر. " تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنه " ج ١ ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٦م.
- ٤- ابن دقماق ( ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م ) : إبراهيم بن محمد بن أحمد العلالي. "الجواهر الثمينة في سير الخلفاء والملوك والسلاطين" ، تحقيق سعيد عاشور وأحمد دراج ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
- ٥- رجب محمد عبدالحليم : " انتشار الإسلام بين المغول " ، طبعة دار النهضة المصرية.
- ٦- م.م. الرمزي : " تلخيص الأخبار وتلخيص الآثار في وقائع قرآن وبلغار وملوك التتار " ، مجلدا ، طبعة المطبعة للكرمية والحسينية ببلدة أورينلورج.
- ٧- شعبان طرطور : " موجز تاريخ إيران في العصر المغولي " ، طبعة سواهج ، ١٩٩٦ م / ١٩٩٧ م.
- ٨- عبدالمعالم عبد العزيز فهمي : " تاريخ الدولة المغولية في إيران " ، طبعة دار المعارف ، سنة ١٩٨١م.
- ٩- ابن العربي ( ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٦ م ) : غريغوريوس المنطبي أبو الفرج بن اهرن " تاريخ مختصر الدول " ، وضع حواشيه الأب انطون صلحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٥٨م.
- ١٠- العيني ( ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ) : بدر الدين محمود " عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك " ، حوادث وتراجم ، ج ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.
- ١١- أبو الفداء ( ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ) : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي " المختصر في أخبار البشر " ، ج ٣ ، ج ٤ ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، يحيى سيد حمدين ، طبعة دار المعارف ، ١٩٩٩م.
- ١٢- فؤاد عبدالمعطي الصباد : " الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين ، أسرة هولاكو خان " - منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ، جامعة قطر ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
- ١٣- \_\_\_\_\_ : " المغول في التاريخ " ، ج ١ ، دار النهضة العربية للطباعة بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٠م.

- ١٤- \_\_\_\_\_ : " مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، الطبعة الأولى ، الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م.
- ١٥- ابن الفوطي ( ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ) : كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق : " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة الثامنة " ، تعليق مصطفى جواد مشكور ، المكتبة العربية ، بغداد ، سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م.
- ١٦- التللكشندي ( ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ) . أبو العباس أحمد بن علي : " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " ، ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، يناير ٢٠٠٥ م.
- ١٧- ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) : الحافظ بن كثير : " البداية والنهاية " ج ١٤ ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ببيروت ، لبنان ، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.
- ١٨- أبو المحاسن ( ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م ) : محمد جمال الدين يوسف بن تغري بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، ج ٨ ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- ١٩- محمد أحمد محمد : إسلام الإيلخانيين ، شركة النصف للطباعة والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٩٨٩ م.
- ٢٠- النويري ( ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م ) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب : " نهاية الأرب في فنون الأدب " ج ٢٧ ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة محمد مصطفى زبادة ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٤٢٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢١- ياقوت الحموي ( ت ٦٢٦ هـ / ١٣٣٩ م ) : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي : " معجم البلدان " ٥ أجزاء ، طبعة دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

### ثانياً المصادر والمراجع الخارجية :

- ٢٢- البديليسي ( ت بعد ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ) : شرف خان " شرقنامه " ، ج ٢ ، ترجمة محمد علي عوني ، راجعه يحيى الخشاب ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، سنة ١٩٦٢ م.
- ٢٣- البناكتي ( ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م ) : أبو سليمان داود بن أبو الفضل محمد " روضة أولي الألباب في معرفة النواربخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي " ، ترجمة وتقديم محمود عبدالكريم علي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
- ٢٤- ابن بيبس ( ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ) : ناصر الدين يحيى بن محمد " تاريخ سلاجقة الروم المعروف بسلاجقة " ، ترجمة محمد غلام الدين منصور ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، يناير ١٩٩٤ م.
- ٢٥- الجوزجاني ( ت ٦٩٨ هـ / ١٣٠٠ م ) : أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين " طبقات ناصري " جلد أول به تصحيح ومقابلة وتحشيه وتعليق عبدالحى حبيبي قندهار ، كابل سنة ١٣٤٣ هـ

- ٢٦- الجويني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٨٩ م) : علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين بن محمد الجويني : تاريخ جهاتكشاي المعروف بتاريخ فاتح العالم ، تحقيق محمد التوتجي ، المجلد الثاني ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولى ، دار الملاح للطباعة والنشر ، سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٢٧- حافظ أبرو (ت ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن لطف الله : " ذيل جامع التواريخ رشدي ، مقدمة وحواشي وتعليقات خاتمايباتي ، شركت تضامني علمي تهران ١٣١٧ هـ . ش.
- ٢٨- خواندمير (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) : غياث الدين بن همام الدين : " حبيب المسير في أخبار أفراد البشر " جلد سوم جزء أول ، التشارات كتهخانه خيام.
- ٢٩- \_\_\_\_\_ : " دستور الوزراء " ترجمة حري أمين سليمان ، تقديم فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٨٠ م.
- ٣٠- رشيد الدين الهمذاني (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م) : رشيد الدين فضل الله : " تاريخ غازان خان المعروف بجامع التواريخ " دراسة وترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣١- \_\_\_\_\_ : " جامع التواريخ - الإيلخانيون تاريخ أبناء هولاكو من أبغا خان إلى كيخانو خان " ، المجلد الثاني الجزء الثاني ، ترجمة محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوي ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، مراجعة يحيى الخشاب وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٣٢- عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتي نهاية الدولة القاجارية " ترجمة محمد علاء الدين منصور . مراجعة السباعي محمد السباعي ، طبعة دار الثقافة والنشر والتوزيع بالقاهرة.
- ٣٣- \_\_\_\_\_ : " تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتي قيام الدولة التيمورية " ترجمة عبدالوهاب غلوب ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، الإمارات العربية ، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ٣٤- عبدالله الشورازي (ت ق ٨ هـ / ١٤ م) : شهاب الدين عبدالله بن فضل الله . تحرير تاريخ وصاف ، بقلم عبدالمحمد آيتي ، بنهاد فرهنگ ، إيران ، تهران.
- ٣٥- ميرخواند (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) : محمد بن خواند شاه . " روضة الصفا " ج ٥ ، طبعة طهران ، ١٣٣٩ هـ . ش.
- ٣٦- التمسوي (ت ق ٧ هـ / ١٣ م) : محمد بن أحمد : " منيرة السلطان جلال الدين منكبرتي " ، نشره وترجمة حافظ حمدي ، طبعة دار الفكر العربي ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٣ م.

### ثالثاً المراجع الأجنبية والمترجمة

- ٣٧- برتولد شپوار : " العالم الإسلامي في العصر المغولي " ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار حسان للطباعة والنشر دمشق ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

٣٨- زامبور : معجم الأسماء والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمه وأخرجه زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرون ، طبعة دار اليرالد العربي ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

39- D'Ohsen : Histoire des Mongols depuis tchingluz khan, Vol.III ( Amesterdam, 1834 )

40- Howorth : History of Mongols , Vol. 3 , ( London , 1975 ).

41- Husan Qureshi : The Administration of the sultanate of Delhi, (Delhi, 1944 ).

42- Sykes : History of Persia , Vol. II , ( London , 1958 ).



## التحصينات الدفاعية في الأندلس عصر بني الأحمر

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

د. حسام محمود المحلاوي (\*)

### المقدمة

يقصد بالأندلس، في عصر بني الأحمر، مملكة غرناطة الإسلامية منذ قيامها في عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها في أيدي القوى المسيحية في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، وفي تلك الفترة، كانت دولة بني الأحمر تمثل الكيان الإسلامي الذي تدخل تحت لوائه كل البلاد والمدن الإسلامية؛ التي لم تكن القوى المسيحية قد نجحت في الاستيلاء عليها .

وقد استمرت دولة بني الأحمر قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان، تطلحن من أجل البقاء وسط أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها، التي كانت تتحين الفرصة من الحين لآخر لالتفصاض عليها والاستيلاء على أملاكها، وطرد المسلمين نهائيا من بلاد الأندلس، وهو ما تحقّق لها في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م .

ولأن الاستحكامات الدفاعية كانت أهم أسباب بقاء مملكة غرناطة واستمرارها قرنين ونصف من الزمان، كان لزامًا دراستها والتعرف على طرقهم في تحصين دولتهم وحدودها الخارجية، وكذلك كيف أنعم الله سبحانه وتعالى، على أهل مدن مملكة غرناطة بتحصين بلادهم بموقعها المتميز والفريد .

وقد انشغل سلاطين بني الأحمر بتشييد الاستحكامات الدفاعية طوال عمر دولتهم، فعدوا إلى تشييد الحصون، والرباطات، والأسوار، والأبراج، وغيرها من المنشآت الحربية المهمة والتي نقيت اهتمام سلاطين الدولة، وكذلك عصور المسلمين في بلاد الأندلس في تلك الفترة، وبخاصة في المناطق الحدودية .

### الأندلس عصر بني الأحمر :

بعد ضعف دولة الموحدين في بلاد الأندلس، عقب هزيمتهم في معركة العقب Las Navas de Tolosa<sup>(١)</sup> في ١٥ صفر سنة ٦١٩هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م، وبدأت ثورة بعض القادة الأندلسيين ضد الموحدين وإعلانهم الاستقلال عنهم، وكان منهم محمد بن يوسف بن هود<sup>(٢)</sup> الذي بدأت ثورته في شرق الأندلس، ثم نجح في إقامة دولته بالأندلس والتي استمرت عشر سنوات، من عام ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، وحتى وفاته عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. كما التف الكثيرون

(\*) حاصل علي درجة بكثورة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة المنصورة.

حول القائد محمد بن يوسف بن نصر<sup>(١٢)</sup> المعروف بابن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة، وعقدوا عليه الآمال في جمع شمل المسلمين في الأندلس، وبايعوه في يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٣٤هـ / ٢٩ أبريل ١٢٣٧م<sup>(١٣)</sup>. وبعد وفاة ابن هود في عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م<sup>(١٤)</sup>، تهيأت الأوضاع لسيطرة ابن الأحمر، وثار أهل غرناطة ضد حاكمهم من قبل ابن هود، عتبة بن يحيى المغيلي، وقتلوه، وأعلنوا بيعتهم لابن الأحمر، واستدعوه، فدخل غرناطة في أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ / أبريل ١٢٣٨م<sup>(١٥)</sup> واتخذها عاصمة لدولته، وأعلن قيام مملكة غرناطة التي استمرت قرابة القرنين ونصف القرن من الزمان.

#### التحصينات الطبيعية للمملكة :

وهب الله سبحانه وتعالى جنوب بلاد الأندلس الإسلامية، وهو موقع مملكة غرناطة، موقفاً فريداً، كان ذلك الموقع بمثابة حماية طبيعية منحها الله إياها، فكانت أحد أهم الأسباب التي حفظت حدودها كثيراً، ورثت عنها أعداءها مرات عديدة، لذا وجب التعرض لتناول هذا الموقع المحصن طبيعياً، وما أهم ملامح تحصينه.

فمملكة غرناطة كان يحيط بها ويخترقها عدة جبال، كانت لوعورتها وإرتفاعها، عاملاً وحصناً طبيعياً لها. فقد كانت سلسلة الجبال العالية، التي تحيط بغرناطة العاصمة، تشكل سوراً طبيعياً منيعاً أمام الهجمات الكثيرة التي تعرضت لها، وأهم هذه الجبال جبل شيلر (ضمن سلسلة جبال تعرف باسم سيرا نيفادا *Sirra Nevada*) وهو تحريف للاسم اللاتيني القديم *Solorius* أي جبال الثلج، لشدة لمعانه لانتعاش أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج. ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ متراً<sup>(١٦)</sup>. ويذكر الزهري أنه لا ينبت في قممه نبات ولكن الثبات ينبت على سفحه<sup>(١٧)</sup>.

كما أن وجود جبل طارق *Gibraltar* (تسمية إلى طارق بن زياد) بمثابة حصن طبيعي للمملكة من ناحية الجنوب، وخاصة بعد أن أنشأ الموحدون على سفحه مدينة الفتح، لتكون مركزاً للعمليات الحربية (لذلك سمي جبل الفتح). وقبل الفتح الإسلامي أطلقت عليه أسماء عديدة، أهمها الاسم الفينيقي *Calpe* ومعناه تجويف، حيث كان يطلق على مغارة كبيرة في هذا الجبل. أما عن مضيق جبل طارق، أو بحر الزقاق، فهو ممر مائي ضيق، يبلغ عرضه في أضيق جهاته حوالي ١٥ كم، وهي مسافة ساعدت على عبور المغاربة إلى بلاد الأندلس<sup>(١٨)</sup>، وهو بوابة الأندلس إلى بلاد المغرب والعكس، وعنه يذكر ابن الخطيب:

هو الباب إذ كان التزاور والتلقا وغوث وغوث للصربخ وللصفا

فإن تترك الأيام فيه بحادث وأعز به كل السلام على الدنيا<sup>(١٩)</sup>

كما أن جبل فارة (يتشدد الرء وضهما) *Gibralearo* الذي يشرف على مرسى مدينة مالقة *Malaga*<sup>(٢٠)</sup> كان بمثابة حصن طبيعي للميناء<sup>(٢١)</sup>.

وكما كانت الجبال تحمي المملكة، كانت الأنهار التي تخترقها بمثابة أحد عوامل التحصين الطبيعي لها، وعاملاً مساعداً لوقوفها في وجه أعدائها. فقد كان يخترقها عدد كبير من الأنهار، منها نهر الوادي الكبير الذي يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس، وتتفرع منه عدة أنهار أخرى، أهمها نهر شنيل *Genil*، وهو النهر الذي تقع عليه العاصمة غرناطة، وينبع من

جبل سيرانيقادا<sup>(١٢)</sup>، وهو يؤمن المدينة من ناحية الجنوب<sup>(١٣)</sup> ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب العاصمة غرناطة.<sup>(١٤)</sup> كما يوجد نهر حدة Derra ( بفتح الحاء والراء ) والذي يتحد من جبل قرب مدينة وادي آش Guadix<sup>(١٥)</sup> شرقي جبل شيلر، وينتهي إلى غرناطة العاصمة ويمر شرقها، ويلتقي بنهر شنول خارج المدينة، وطوله ١١ كم<sup>(١٦)</sup> كما أن نهر وادي المنصورة واتدى بسميه العرب وادي بيرة- لأنه يصب في البحر المتوسط عند بلدة بيرة- كان بمثابة حصن طبيعي لغرناطة<sup>(١٧)</sup>.

ولوجود الجبال والأنهار، سائلة الذكر، باتت بعض المدن الأندلسية محصنة طبيعياً، فكانت بمثابة حماية طبيعية لها للتصدى لهجمات الممالك المسيحية، وبخاصة التي عاصرت بني الأحمر. ومن هذه المدن مدينة مالقة ذات الموقع المتميز، فهي تقع على البحر المتوسط في وادي عميق، يحد هذا الوادي من الشمال المرتفعات الشاهقة، ومن جنوبيه منطقة وعرة كلها جرداء<sup>(١٨)</sup>. ومدينة وادي آش التي تطل من الشرق على نهر الوادي الكبير، ومن الغرب على صخرة منيعة عالية تشرف على واديهما الأخضر، وتبدو من بعده جبال سيرانيقادا الشاهقة على بعد اثني عشر كيلومتراً منها.<sup>(١٩)</sup>

كذلك كانت مدينة المرية Almeria<sup>(٢٠)</sup> محصنة بجبل شمالاً والساحل جنوباً، ومن الشرق والغرب واديان ضحلان.<sup>(٢١)</sup>

وبذلك، فإن الناظر لحدود مملكة غرناطة، يجد أنه يحدها من الشمال مرتفعات جبال سيرانيقادا ونهر الوادي الكبير، ومن الجنوب والشرق البحر المتوسط، ومن الغرب ولاية قادس وأرض الغرناطية<sup>(٢٢)</sup>

#### اهتمام المسلمين بتحصين المملكة :

كان لوجود مملكة غرناطة الإسلامية في مكان تحيط به الممالك المسيحية المترصة بها من كل جانب، وبخاصة مملكتا قشتالة وإراجون، بالغ الأثر في اتشغال الغرناطيون حكومة وشعباً بإقامة التحصينات الحربية التي تساعد في عملية الدفاع عن البلاد، والمدن التابعة للمملكة، إذا ما تعرضت لهجوم القوى المسيحية في أي من الأوقات. وسادت حالة فريدة من التعاون بين الحكومة الغرناطية والشعب الغرناطي في مسألة إقامة التحصينات اللازمة لحماية البلاد والمدن. ويذكر المؤرخ المغربي: أن الدولة الغرناطية كانت تحت رعاياها الأندلسيين على المساهمة في إقامة التحصينات الدفاعية لأن أموال الدولة كانت تصرف في أوجه مختلفة أخرى، من شراء أسلحة وإتفاق على الجيش، لذلك كان الملوك يظنون من الرعية المشاركة في إقامة الحصون والأسوار والأبراج للحماية<sup>(٢٣)</sup>

وقد استجاب الغرناطيون لرغبة ملوكهم فشاركوا في تشييد الاستحكامات الدفاعية لمنهم، خشية وقوعها في أيدي القوى المسيحية، وتزعج الطماء هذه الحركة، ومنهم أبو البركات بن الحاج البلقي (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) - من أشهر العلماء المجاهدين في عصر بني الأحمر - وقد شارك في تحصين بلدته خشية الوقوع في قبضة النصارى، فشارك في بناء الأسوار وحفر الآبار، بل قام بتشيد سور حول أحد الحصون، وكان ذلك من ماله الخاص.

وفي ذلك يقول أبي البركات بن الحاج :

وانتقال التراب والجيار  
وجص والطوب والحجار  
ورأسي ولحيتي بالغبار<sup>(٢٥)</sup>

في افتتاح الأساس والآبار  
وقعودي ما بين رمل وأجر  
وامتهان بُردى بالطين والماء

كما أن سكان المناطق الحدودية كانوا يقومون بنقع ضراب مخصصة لإقامة التحصينات الدفاعية وبخاصة الأسوار لحماية البلاد من هجمات القوى المسيحية، وقد وافق العديد من فقهاء غرناطة على فرض هذه الضريبة، وذلك لما بها من مصلحة عامة تعود على المسلمين في بلاد الأندلس<sup>(٢٦)</sup>.

كما اهتم المرينيون<sup>(٢٧)</sup> بتحسين المدن الأندلسية التي كانت خاضعة لسيطرتهم، وقاموا بتشييد العديد من الحصون والأسوار والأبراج بها، علاوة على الاهتمام ببناء مخازن الأسلحة والخيرة. ويذكر المؤرخ ابن مرزوق: أن السلطان المريني أبو الحسن على<sup>(٢٨)</sup> قام بتحسين مدينة ردة وعملوا على إنشاء عدد كبير من المنشآت الحربية بها، وعن ذلك يذكر "... وفي بلدة ردة من آثار البناء المحدث عن أمره والمعاني المحصنة والأبراج الشامخة..."<sup>(٢٩)</sup>

ويعد أن نجح المسلمون، أندلسيون ومغاربة، في استرداد جبل طارق من أيدي القوات القشتالية في عام ٧٤٣هـ/١٣٤٣م<sup>(٣٠)</sup> اهتموا بإقامة تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون الهجوم عليه مرة أخرى، منعتهم التحصينات من الاستيلاء عليه. وأشرف على هذه التحصينات القائد أبو مالك بن السلطان المريني أبي الحسن علي. وقام المسلمون ببناء حصن بالجبل، كما عملوا على إحكام السور حوله، وبناء مسجد جامع به، ومراشلي برية وبحرية. واستخدم المسلمون في هذه التحصينات المون والعداد اللازم لذلك، والذي أرسله السلطان المريني أبو الحسن على لإقامة تلك التحصينات<sup>(٣١)</sup>.

## أهم المنشآت الحربية .

### الحصون

الخصن في اللغة: من حصن المكان يَحصُنُ حصائهُ، فهو حصين: متع، وأخصنته صاحبه وخصنته. والخصن كل موضع حصين لا يُوصَل إلى ما في جوفه، والجمع حصُون. <sup>(٣٢)</sup>

وكان بنو الأحمر مثلهم مثل أسلافهم حكام الأندلس، يعمدون إلى بناء الحصون لحماية البلاد الإسلامية من هجمات القوى المسيحية، وهذه الحصون تتقدم الأسوار لحمايتها وقت الهجوم، والحصن في غالبه عبارة عن بناء ذي متاريس مستنّة، له عدة أبواب متداخلة، عادة ما تكون في أحد زواياه. ويذكر ابن الخطيب أن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول<sup>(٣٣)</sup> (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) قام ببناء حصن على أحد الجبال المطلة على ميناء ملقة مباشرة، والمسمى جبل قازة لحماية الميناء من أي هجوم مسيحي متوقع، وعن ذلك يذكر

أن: "..... وفي أيامه ..... بنى الحصن السامي الذروة، المبنى على القدرة، في الجبل المتصل بقصبة مائقة، فُعلِمَ به الفخر، وجل الذكر..."<sup>(٣٤)</sup>

كما أن السلطان الغرناطي محمد الخامس<sup>(٣٥)</sup> (٧٥٥هـ/١٣٥٤م-١٣٩١م) قلم بتجديد هذا الحصن، وأصدر بعض الظهائر إلى رعيته من أهالي مائقة بضرورة الاهتمام ببناء الحصون القوية على هذا الجبل حماية للمدينة وإعانة للمسافرين<sup>(٣٦)</sup>. ويعد حصن جبل قارة: صرخاً إسلامياً يشهد على عظمة العساة الإسلامية في تلك الفترة، وقد اختار المسلمون لبنائه ريو عاتية تشرف على البحر، ويقع على مسافة صغيرة من القصبة ويفصل الحصن عنها رقعة خضراء، ويرتبطان بطريق مسور، وأسوار الحصن الخارجية مشيدة من الآجر الأحمر، وبه برج رئيسي أبيض اللون، مستدير الوجهة، ويشرف الحصن على المدينة من ارتفاع شاهق، وأمام الحصن من الناحية الأخرى منحدر الجبل، وكان للحصن أربعة أبواب كبيرة في سوره الأسفل، أحد هذه الأبواب يؤدي إلى قصبة المدينة.<sup>(٣٧)</sup> وقد سقط الحصن في أيدي الملكين الكاثوليكين عام ١٤٨٧/٨٩٢م، بعد حصار دام أربعين يوماً<sup>(٣٨)</sup>، وما زال الحصن يحتفظ حتى الآن بطابع الطراز الإسلامي، فقد تبقى منه اليوم أسوار السياجين وجزء من البرج الأعظم<sup>(٣٩)</sup>

ومن أشهر حصون مملكة غرناطة: حصن العقاب، على مقربة من غرناطة، وحصن شلويتانية وهو حصن بحري، وحصن البهول Bael<sup>(٤٠)</sup>، كما أنه بالقرب من غرناطة العاصمة، وعلى بعد اثنين وثلاثين كيلو متراً شمال غربي المدينة، كان يوجد حصن موكلين المنيع، على ريو عاتية هرمية الشكل، وتشرف من ارتفاعها للشاهق على سائر البسائط المجاورة، وفي أسفل الحصن تقع قرية موكلين، وقد لعب حصن موكلين دوراً بارزاً في حرب غرناطة الأخيرة، وكان من أمتع خطوط الدفاع الشمالية عن المدينة، وكان سبباً في رد القشتاليين عن غرناطة في شعبان ٨٩٠هـ/يونيه ١٤٨٥م، بعد هزيمتهم هزيمة فادحة على أعقاب هذا الحصن<sup>(٤١)</sup>. وقد حرص سلاطين بنى الأحمر على تشييد العديد من الحصون ووضعوا عليها الأبراج بطول ساحل المرية لحماية مينائها من الهجمات المسيحية المتكررة على الموانئ الإسلامية، بهدف السيطرة على الموانئ والمدن<sup>(٤٢)</sup>.

### الأربطة.

تعددت الوظائف التي تقوم بها الأربطة، بين حربية ومدنية ودينية، حيث كانت في البداية قد نشأت حربية، واستخدمت للعبادة والتصوف، كما استخدمت أيضاً كمحطات تجارية، ومستودعات لحفظ المواد التموينية والغذائية، وأيضاً محطات بريدية، كما أشرفت على أمن الطرق، بالإضافة إلى حفظ الخيول والمواشي، وأيضاً حفظ المياه في الخزانات والصحاري. ولقد ظلت الأربطة تؤدي دورها الحربي طوال عصر بنى الأحمر، ومثال ذلك: سلسلة الرباطات التي كانت تحيط بمدينة المرية مثل الرباط المسمى "رباط القبطة Cabo de Gata" على ساحل المدينة، والذي تم تشييده في عهد السلطان محمد الخامس، لحماية الساحل من أي هجوم

مسيحي محتمل <sup>(٢٧)</sup> . كما كان هناك رباط بجانة <sup>(٢٨)</sup> القريب من ميناء المرية أيضا، وكذلك رباط عمرو بن رباط الخشنى <sup>(٢٩)</sup> .

وفى رحلته: تعرض ابن بطوطة لذكر الرباطات الأندلسية، فيذكر أنه فى طريقه إلى مالقة مر برباط سهيل، والذي قضى فيه ليلته <sup>(٣٠)</sup> . كما أنه يذكر أنه فى زيارته لمدينة غرناطة العاصمة توجه مع الشيخ الولي الصالح أبى عبد الله محمد بن المحروق لزيارة رابطة الخطاب، وزاوية بنى المحروق، ويذكر أن الخطاب جبل مطل على خارج غرناطة <sup>(٣١)</sup> .

## الأسوار:

كانت عمليات تحصين المدن والأحياء السكنية الكبرى الغرناطية تبدأ بتشييد الأسوار المرتفعة والمتينة، وكانت هذه الأسوار مزودة بأبراج على طول مسارها، لحمايتها إذا ما قامت القوى المسيحية بشن الهجوم عليها فى أى من الأوقات . وفى عهد السلطان الغرناطى يوسف الأول: تم تشييد السور الأعظم الذى كان يحيط بأكثر المناطق السكنية فى مدينة غرناطة العاصمة، وهو ريبض البيازيين <sup>(٣٢)</sup> .

والسور الغرناطى مثله مثل العديد من الأسوار فى البلاد والمدن الإسلامية، فى تلك الفترة، فهو فى الغالب يتألف من درب فى أعلاه، يمسير عليه المحاربون، يطلق عليه فى الغالب ممشى السور، وفى السور شرفات يُقذف منها بالسهم، كما يضم السور بعض الدورات التى تستخدم فى الاحتباء <sup>(٣٣)</sup> .

وما يزال بعض أجزاء من سور مدينة غرناطة قائما حتى اليوم، وشهد على متانة بنائه وعظمة تشييده، وأغلب الأجزاء الباقية من السور تلك التى تقع فى الجهة الشمالية الغربية، وتمتد نحو كيلو متر، كما بقيت بعض أجزاء من سور الجهة الشرقية، واتى تشييد على متانة التحصينات الغرناطية. <sup>(٣٤)</sup>

كما أن الحمراء <sup>(٣٥)</sup> كان يحيط بها سورٌ حول قصورها كلها، وكان السلطان الغرناطى محمد بن الأحمر قد أنشأ بعض أسوار الحمراء، كما قام ابنه محمد الثانى النقيب، فى أواخر القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى، باستكمال بعض أجزاء السور، والعمل على تحصينه <sup>(٣٦)</sup> . وتوالى الإنشاءات فى السور بعد ذلك حتى اكتمل حول الحمراء كلها فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول، كما أتم بناء أبراجه وبواباته <sup>(٣٧)</sup> . وتكتمل هذه الأسوار القصبة فى ناحية الغرب، وهذه الأسوار كانت منيعة ومشيدة بالحجارة الصلبة، ويتألف السور من جدار واحد فقط، وكانت هذه الأسوار شاهقة الارتفاع <sup>(٣٨)</sup> .

كذلك كان جبل طارق يحيط به سور قام السلطان محمد الخامس الغنى بالله فى عام ١٣٥٥/٧٥٦م بعمل تغطية له، وإصلاح الأجزاء المتهاكلة به. <sup>(٣٩)</sup>

كما أن أسوار مدينة المرية يرجع بناؤها إلى مؤسسها عبد الرحمن الناصر، وكان قد أقامها في عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م<sup>(٩١)</sup>، إلا أنها شهدت على مدار تاريخ المدينة منذ تأسيسها وحتى سقوطها في أيدي القشتاليين عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م<sup>(٩٢)</sup> عدة تجديدات وتحصينات، الزادت في عصر بني الأحمر، عندما اشتمت وطأة الممالك المسيحية على البلاد الإسلامية<sup>(٩٣)</sup>. وللمدينة سور كبير منيع عال من ناحية البحر لتحصين المدينة، وسور آخر بُني حول روضها الشرقي لحمايته، كما كان روضها الغربي محصناً بسور كبير أيضاً، وكانت مدينة المرية قد تعرضت لهجوم شديد وحصار قوي من جانب القوات الأراجونية في عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م<sup>(٩٤)</sup> ورغم أن آلات الحصار الأراجونية كانت حديثة وقوية، فإنها لم تتمكن من اقتحام أسوار المرية المتينة، فاضطرت إلى رفع الحصار عنها<sup>(٩٥)</sup>.

### الأبراج

البرج في اللغة : تباغذ ما بين الحاجبين، وكل ظاهر مرتفع فقد برج، وإما قول للبرج بروج لظهورها وبيئاتها وارتفاعها، والجمع أبراج<sup>(٩٦)</sup>.

والأبراج بناء حربي قد يأخذ شكل المربع، أو المثلث أو المستدير أو غير ذلك من الأشكال، وتكون في موضع بارز فوق الأسوار، وكانت من أهم الاستحكامات الدفاعية في العمارة الحربية الإسلامية، وبخاصة في بلاد الأندلس، لرد أطماع الممالك المسيحية المجاورة لها. فقد قام السلطان الغرناطي محمد الثالث<sup>(٩٧)</sup> (٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢-١٣٠٩م) بإنشاء خمسة أبراج على مشارف حصن غرناطة لحماية أهل الربيع وقت هجوم التتار عليهم<sup>(٩٨)</sup>، ويذكر ابن الخطيب: أن عدد أبراج مملكة غرناطة بلغ أربعة عشر ألفاً<sup>(٩٩)</sup>، ووقت استيلاء حملة قشتالة على ملقة وجدوا عدد أبراجها وقد بلغ ألف وثلاثين<sup>(١٠٠)</sup>.

وكان نور الأبراج المراقبة، فيذكر ابن بطوطة في رحلته إلى بلاد الأندلس: أنه توجه من مدينة مريلة إلى مدينة سهيل، ويذكر أنه بعد دخوله في حوز مدينة سهيل، رأى برجاً للمراقبة هو برج الناظور، وقال في نفسه "... لو ظهر ها هنا عدو لأنذر به صاحب البرج..."<sup>(١٠١)</sup> وبينما هو كذلك حتى شن أربعة أجهان<sup>(١٠٢)</sup> للنصارى على المدينة، ولم يكن الناظور بالبرج، ولم يطمع أحد بالغارة، وكانت النتيجة أن قتل فارس مسلم وتم أسر عشرة، ونجح فارس في الفرار<sup>(١٠٣)</sup>.

كما قام سلاطين بني الأحمر ببناء الأبراج المختلفة حول المدن للدفاع عنها فمدينة ملقة كان بها عدد كبير من الأبراج، والتي شُبهت أبراجها ببرج السماء في كثرتها وضيائها<sup>(١٠٤)</sup>، واستمرت هذه الأبراج حتى كان تدمير أغلبها على أيدي الحملة التي عمدت إلى الاستيلاء عليها، في عام ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م، وكانت عتبة كبيرة في وجه الحملة القشتالية، إلا أن تفوق سلاح المدفعية القشتالية، الذي نجح في تدمير هذه الحصون، كان سبباً في نجاح تلك الحملة<sup>(١٠٥)</sup>.

كذلك غرف من الأبراج الغرناطية، في تلك الفترة، أبراج الطليعة أو المراقبة Torres Atalaya، وهي مأخوذة من الكلمة العربية الطليعة وهي أبراج قام المسلمون بتشييدها على ارتفاع كبير حتى يمكن من خلالها مراقبة تحركات القوى المسيحية، وتقوية الاستحكامات حول المدن والمناطق الحربية في المملكة ومنها السواحل والموانئ. وكانت هذه الأبراج ملاذاً آمناً للمسلمين إذا ما شنت القوى المسيحية هجوماً مباغتاً عليها<sup>(٧١)</sup> ومن أشهر أبراج الطليعة: الأبراج التي شيدت حول المدن المهمة كغرناطة والمرية ومالقة، علاوة على مدينة جيان Jaen<sup>(٧٢)</sup> التي عن طريقها كانت تكثر الغارات القشتالية على الأراضي الإسلامية<sup>(٧٣)</sup>.

وقد عمد سلاطين بني الأحمر إلى تشييد أعداد كبيرة من هذا النوع من الأبراج، لما لها من دور حيوي في حماية المدن الإسلامية، ففي عهد السلطان الغرناطي يوسف الأول؛ شيد الحاجب أبو النعيم رضوان، عدداً كبيراً من أبراج الطليعة بطول الساحل الغرناطي، بلغ عددها أربعين برجاً، بهدف تأمين الساحل الغرناطي.<sup>(٧٤)</sup> وكانت أبراج الطليعة تلقى اهتمام العديد من القيادات المسيحية، في حريهم ضد البلاد والمدن الإسلامية، فكان القادة المسيحيون حريصين حرصاً شديداً على تدمير أبراج الطليعة، في البلاد الإسلامية، وخاصة الحدودية، لأنها كانت تعوق حركتهم وتمنع تقدمهم في الأراضي الإسلامية مرات عديدة، لما تقوم به من إبصار المسلمين بقوات التصاري عند تقدمها<sup>(٧٥)</sup>.

وقام المسلمون في غرناطة بتشييد أنواع أخرى من الأبراج، كانت مربعة الشكل، تقام بين مسافة وأخرى، وكثير تشييدها في غرناطة والمرية ومالقة كما قاموا بتشييد أبراج مستديرة الشكل، وكان الهدف من هذه الأبراج هو زيادة الاستحكامات الدفاعية على المدن الإسلامية<sup>(٧٦)</sup>. وكان البرج يتألف من نصفين: نصف أدنى مصمت، ونصف علوي تشغله غرفة، وينفتح سطحه مع سور الممشى، وتطلو جدرانه العليا شرفات، وقد تشغله غرفتان الواحدة فوق الأخرى. تخصص عادة للحماية. وتزود جدران البرج، في الغالب، بمنافذ للسهم تفتح فيه، ويغطي الغرفة في الغالب قبوات نصف كروية<sup>(٧٧)</sup>.

وعرف في عصر بني الأحمر البرج المسمى والمثبت والمتعدد الأضلاع، وهو ليس ابتكاراً إسلامياً، وإنما كان معروفاً في العمارة الرومانية والبيزنطية<sup>(٧٨)</sup> وتأثرت العمارة الموحدية والمرابطية بالعمارة الرومانية والبيزنطية، وشيدوا أبراجاً مستديرة الشكل. كما شيد الموحدون الأبراج المثلثة الشكل، وكذلك الأبراج متعددة الأضلاع، ونقل عنهم بنو الأحمر هذه الطريقة<sup>(٧٩)</sup>.

كما شيد الغرناطيون الأبراج المربعة الشكل التي استخدموها في الدفاع، ومن أهم الأمثلة تلك الأبراج المربعة الشكل الموجودة في قصر الحمراء، والناظر إلى هذا النوع من الأبراج يجده من الداخل على شكل فراغ مكعب الشكل، ويكون في الغالب جزءاً من قصر، ويدل هذا النوع من الأبراج على تداخل فن العمارة العسكري مع فن العمارة المدنية، ومنها الأبراج التي كانت تشكل جزءاً من قصر برج قمارش Comares وبرج معشوقة Machucas وبرج العقائل

Damas وكانت بعض أبراج الحمراء تشكل قصورًا كاملة، مثل برج هوميناخ Homenaje، وبرج الأسيرة Cantiva، وبرج الأميرات Infantas<sup>(٨٠)</sup>.

وشيد الغرناطون الأبراج البرتالية، وهي ابتكار موحدى الأصل، والهدف منها تدعيم السور الخارجى للمدينة أو الحى، والبرج البرتالى يرتبط بالسور الأصلى عن طريق ستارة ثاقوبة، تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء فى أضيق مناطق السور. ومن الأبراج البرتالية ما هو مربع الشكل وما هو ثمانى<sup>(٨١)</sup>. ومن أشهر هذه الأبراج: برج السيدات، وبرج الأسيرة، وبرج مخدع الملكة، وبرج الأمراء وبرج قمارش.

وتشهد أسوار المرية على قوة تحصين المسلمين لبلادهم، فقد شيد بنو الأحمر عدد من الأبراج على أسوار المرية لحماية المدينة ضد أى هجوم مسيحي محتمل، ويذكر الدكتور السيد عبد العزيز سالم: أن الأبراج التى شيدها بنو الأحمر على أسوار المرية، كانت فى غالبيتها اسطوانية الشكل، ويرى أن تاريخ بنائها يعود إلى القرن التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى.<sup>(٨٢)</sup>

### الأبواب

كما أن أبواب المدن، والأحياء السكنية الكبيرة، كانت ضمن اهتمامات المسلمين بتحصين مدنهم فى العصور المختلفة، وبخاصة فى عصر بنى الأحمر، وكانت أبواب المدينة تلعب دورًا مهمًا فى إحكام خلق حلقة الدفاع، إذا ما حاول العدو الاقترب من المدينة، واتحامها، فهى جزء أساسى من الأسوار وتستخدم فى الدفاع والهجوم. لوجود سقطات وفتحات لرمى السوائل المحرقة وفتحات لرمى السهام على المهاجمين، ولذلك اهتم أهل الأندلس بنظام بناء أبواب المدن الإسلامية، وهى بجانب دورها الدفاعى كانت منافذ للدخول إليها والخروج منها، وكانت هذه الأبواب، فى الغالب، تسمى بأسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق مباشرة بينها وبين المدينة التى تقابلها.<sup>(٨٣)</sup> فمدينة غرناطة العاصمة كان يسورها أكثر من عشرين بابًا ما زالت حالة بعضها مقبولة، ومن أهم الأبواب باب البيرة Puerta de Elvira، والذى يقع شمال غربي المدينة، ومنه يبدأ شارع البيرة، الذى ما زال يحمل اسمه العربى حتى الآن. وكان ارتفاع هذا السور حوالى اثنى عشر مترًا، ولا يزال باقيا حتى اليوم<sup>(٨٤)</sup>.

كما أن أسوار مدينة المرية كانت تحتوى على العديد من الأبواب التى كانت تمثل مداخل المدينة، أهمها باب موسى، وربما يرجع إلى أحد أعلام المدينة، وباب بجاعة، وباب السودان، وباب المرمى، وباب دار الصناعة، نسبة إلى دار الصناعة، وباب العقاب، وباب الزياتين، وباب البحر<sup>(٨٥)</sup>.

ومن أهم الأمثلة لأبواب الأحياء السكنية الكبيرة: أبواب حى الببازين أكبر أحياء مدينة غرناطة، والذى شيد المسلمون حوله سورًا لحصانيته، به ثلاثة أبواب كبرى محصنة أيضًا، وهى

باب البيزتين **Puerta de Albaicin** ويقع في نهاية السور، وباب فحص التلوز أو فج التلوز **Puerta de Fajalauza** وباب الزيادة **Puerta de Las Pesas**<sup>(٨٦)</sup>.

### القصبات

علاوة على الحصون والأسوار المشيد عليها العديد من الأبراج لحمايتها؛ عمد سلاطين بني الأحمر إلى بناء وتشيد العديد من القصبات بالمدن الأندلسية، وتجديد القصبات التي تحتاج إلى تجديد وترميم، وهذه القصبات تعتبر بمثابة ملاجئ في المدن الكبرى المأهولة بالسكان، مثل المرية ومالقة ووادي آش، علاوة على العاصمة غرناطة. فيذكر المؤرخ ابن الخطيب: أن السلطان الغرناطي محمد الخامس الغني بالله، عمل على تجديد القصبات في مدن الأندلس، فيذكر أنه عمل على "إطلاق البني للمدة القريبة والزمان الضيق باتنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو . والمشاركة الحدود، مع أراضي المزمالية النيران لقرب جوابه منها ثغر أرجدونة المستولى عليه الخراب، أنفق في تجديد قصبته، واتخاذ جُبه ما يناهز عشرين ألفاً من الذهب فهو اليوم شجي العدو ... وحصن آش وما كان من تحصين جبله بالأسوار والأبراج على بعد أقطاره ... ثم ختم ذلك بتجديد حصن الحمراء، رأس الحضرة، ومغل الإسلام ومقرع الملك ومعد الأبدى وصوان المال والذخيرة، بعد أن صار قاعاً صفصفاً، وخراباً بلقعا...<sup>(٨٧)</sup>. وفي غرناطة العاصمة توجد قصبة الحمراء، وهي ثلاثة أقسام: للقصبة الجديدة أو القسم العسكري شمالي شرق القصر، وهي عبارة عن قلعة تحرس الحمراء، ولها برجان عظيمان أحدهما يسمى برج الشمعة أو الحراسة الذي يسهر على رقاد المدينة، وفي وسط الحمراء يقع القصر الملكي، ثم الحمراء العليا التي تضم مجموعة من البيوتات كانت مخصصة للخدم والحرفيين علاوة على المسجد، ودار السنكة.<sup>(٨٨)</sup>

وتعد قصبة وادي آش، التي ما تزال باقية حتى الآن، تشهد على عظمة بناتها من المسلمين، فهي تقع فوق ربوة عالية بل هي أعلى مكان في الربوة، بها برج كبير، وبرجان صغيران قبالتها، يتصلان لسور ذي مشارف عريضة، كما يوجد برج رابع في زاوية منعزلة منها، وهذه الأبراج تشرف على المدينة كلها، وربما كانت القصبة هي أعلى بناء للمسلمين بوادي آش.<sup>(٨٩)</sup>

كما أن قصبة مالقة الحصينة، والتي لا زالت أجزاء عديدة منها باقية، تشهد على حصانتها، وهي تقع على منحدر صخري قريب من البحر، وأقيمت القصبة في المرة الأولى في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، ثم جددت هذه القصبة وأعيد بناؤها في عصر باديس بن حبوس حاكم غرناطة في عصر الطوائف<sup>(٩٠)</sup> ثم شهدت قصبة مالقة عدة تجديدات في عصر بني الأحمر، على مرات متفاوتة، منذ أواخر القرن السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين، ولعبت قصبة مالقة دور كبيراً في تحصين المدينة أثناء حصار القشتاليين لها غداة سقوطها في أيديهم عام ١٤٩٢هـ/١٤٨٧م، وتضم القصبة عدة مباني منها الأبراج والأسوار، وكذلك بها أبنية سكنية، وكل هذه الإنشاءات تعود إلى عصر بني الأحمر<sup>(٩١)</sup>. وكانت

أسوار القسبة شاهقة الارتفاع، مزودة بأبراج ضخمة مربعة الشكل، تمتد من مسافة أخرى<sup>(١١)</sup>. وكان بها اثنا عشر باباً، ومائة وعشرة أبراج كبيرة عدا الصغيرة<sup>(١٢)</sup>. كما كان بالقسبة قصر فخم يسمى قصر باديس مؤمنه، علاوة على مجموعة من الدور الصغيرة، لا تقل أهميتها عن القصر، ويرى الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها ربما كانت مخصصة لكبار الزوار.<sup>(١٣)</sup>

كما أن مدينة المرية كان بها قسبة منيعة لحمايتها تقع في الجزء الشمالي من المدينة، على ريوه جبل عالية صخرية، يبلغ ارتفاع الجبل عن سطح الأرض خمسة وستين متراً، ويصعب ارتفاعه نوعيته، وهو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر أندرش وتشرف القسبة على ميناء المرية<sup>(١٤)</sup>. ووقوع القسبة على الجبل المرتفع حتى يتسنى الإشراف منها على الثغر، وتمتد القسبة من الشرق إلى الغرب بطول ٥٣٠ متر، وكان يصل القسبة بوسط المدينة باب، كما كانت مزودة بباب شرقي يخرج من أسوار المدينة، وكان بها مسجد جامع لا تزال آثاره باقية حتى الآن<sup>(١٥)</sup>، وإهتم المسلمون بتلك القسبة ومبانيها وأسوارها وعملوا على تحصينها بالأبراج، حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية في تلك الفترة<sup>(١٦)</sup>.

أما عن صورة قسبة المرية فهي: عبارة عن ثلاثة مرتفعات غير متساوية، يفصل بين كل منها سور، والمرتفع الأول وهو الأعلى يقع غربي القسبة، ويتصل بسور ريش الحوض في خط يتفق مع طريق قاتم اليوم، وهذا الجزء من القسبة هو سطلها المنيع، وأبراج هذا الجزء أسطوانية الشكل، أما المرتفع الثاني فيكاد يكون مربعاً متبسطاً في سطحه، وكان يشغله القصر وملحقاته، ويتصل سور ريش المصلى، والمرتفع الثالث طويل للغاية، كانت في موضعه بساتين وحدائق. وتشتمل أسوار القسبة على عدد كبير من الأبراج لحمايتها.<sup>(١٧)</sup>

## الخاتمة

خلص الباحث من هذا البحث بعدة نتائج منها:

**أولاً :** الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة: كان من أهم التعم التي من بها الله سبحانه وتعالى على أهل تلك البلاد فكانت محصنة طبيعياً إلى حد كبير، فكانت كل مدينة من مدن الأندلس تتميز بميزة في موقعها إما أن تكون محصنة من ناحية البحر فيتم إقامة سور على البحر في تلك الجهة فيأمن المسلمون شر الهجوم على منهم من ناحية البحر، أو أنها تطل على أحد الجبال التي يحميها من الهجمات المسيحية أيضاً، أو أن نهراً من الأنهار تطل عليه المدينة فتكون في مأمن من تلك الجهة .

**ثانياً :** تشييد الاستحكامات الدفاعية في عصر بني الأحمر: لم يحظ باهتمام سلاطين بني الأحمر فحسب بل شارك فيه الأندلسيون كافة، وعمل الطعام والفقهاء في تلك الفترة على بث روح التعاون فيما يخص هذا الأمر، فضرب المسلمون في بلاد الأندلس أروع المثل في ذلك. كما أن سلاطين بني مرين كانت لهم بصمة في بناء الاستحكامات الدفاعية في بلاد الأندلس، وهذا فكل من كثير قدمته دولة بني مرين لدولة بني الأحمر، وكان من حسن طالع دولة بني الأحمر أنها تأسست في نفس الفترة التي قامت فيها دولة بني مرين في بلاد المغرب .

**ثالثاً :** تشهد العمارة الأندلسية، في عصر بني الأحمر، على أحد أهم الفنون الإسلامية وهو: فن العمارة الأندلسية التي تطورت ووصلت إلى أوج ازدهارها في بلاد الأندلس في تلك الفترة فكانت خبرة المسلمين قد ازدادت وتبلورت فضربوا أروع المثل في أعظم مبانيهم وهو: قصبة وقصور الحمراء التي لا تزال تشهد على عظمة المسلمين وروعة فنهم في تلك الفترة.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر العربية.

- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م)  
 - النفحة النصرية واللمحة المربنية - تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، دار سعد الدين للنشر، ط٢، ١٩٩٢م.
- الإبريسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبي (ت حوالي ٥٤٨ هـ / ١١٥٤م)  
 - نزهة المشتاق في اختراق الأفاق - القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٨م)  
 - رحلة ابن بطوطة - بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٩٢م.
- الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت ٩ هـ / ١٥م)  
 - الروض المطار في خبر الأقطار - تحقيق إسماعيل عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م)  
 - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٧٤م.
- أعمال الأعلام فيمن بيع قبل الاحتلام من مثوك الإسلام - تحقيق ثعلبي بروفانسان، بيروت، دار المكشوف، ط٢، ١٩٥٦م.
- خيرة الطوف في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٠م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط٢، ١٩٨٣م.
- مغامرات مائة وسلا - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م.
- ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).  
 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - تحقيق خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت بعد عام ٧٢٦ هـ)  
 - الأنيس المطرب بروض القرطاس - الرباط: دار المنصور، ط١، ١٩٧٣م.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢م.
- الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت في أواسط ق ١٢ هـ / ١٢م)  
 - كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صانق، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- العمرى: شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م)

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتب مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، مجلة البدر، ١٣٤١هـ.
- المراكشى: عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٧م)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار الفرجاني، ١٩٩٤ م.
- مجهول:
- أخبار العصر في انقضاء دولة بنى نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩١م.
- ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩م)
- المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق مازيا خوسيو بيغرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية، ١٩٨١م.
- المقرئ: شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٥٣١م)
- نفاح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب - تحقيق د/ إسمان عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)
- لسان العرب - تحقيق عبدالله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م)
- معجم البلدان - بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ.

### ثانياً المراجع العربية والمخرجة

- أحمد محمد الطوشى: مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٩٧م
- أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس - الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م.
- صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس - الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م
- أندرية جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية - ترجمة محمد مزالي، تونس، الدار التونسية، ١٩٧٨م
- أولغ غرايار: نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإسبانية - ضمن الحضارة للعربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- جويلين نوز: فنون الأندلس - ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٨م.
- السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمريد، ١٩٧٥م
- البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس - بالاشتراك مع د. أحمد مختار العبادى، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٦٩م.
- تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس - القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٩م
- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨١م.

- الصارة الإسلامية في الأندلس وتطورها - مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٧م
- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية: شباب الجامعة، ١٩٨٩م
- عبد الحكيم الذنون : أفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م
- محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المعرة الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية: دار المعرفة، ١٩٩٦م.
- محمد عبد الله عثان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٩٧م
- دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م
- محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب العربي والأندلس في العصر المريني - الكويت: دار القلم، ١٩٨٥م.
- محمد كمال شبانة : يوسف الأول سلطان غرناطة - القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م
- محمد ياسين الحموي : الأسطول العربي - دمشق: مطبعة للترقي، ١٩٤٥
- مونتغمري وات : في تاريخ أسبانيا الإسلامية - ترجمة محمد رضا المصري، بيروت، شركة المطبوعات، ط ١، ١٩٩٢م
- واشنطن إفريج: - أخبار سقوط غرناطة - ترجمة هاني يحيى نصر، بيروت، الانتشار العربي للنشر، ٢٠٠٠م
- يوسف شكرى فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر - بيروت، المؤسسة الجمعية، ط ١، ١٩٨٢م.

#### المصادر والمراجع الأجنبية

- Ahmad Muhtar Al-Abbadi . El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973
- Arie: (Dr. Rachel): L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides( 1232-1492) - Paris, 1973
- El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992.
- Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953
- Harvey: (L. P.): Islamic Spain (1250 - 1500) ~ London, 1990.
- Luis Seco de Lucena: : El Hāṣib Ridwān, la Madraza de Granada Y las murallas del Albayzin - (AlAndalus, Madrid Y Granada), Vol. XXI, 1956
- Mackay: (Angus):-La Espana de la Edad Media (1000-1500) - Madrid, 1977.

## الهوامش

- (١) معركة الطاب Las Navas de Tolosa: سميت بذلك نسبة إلى قرية الطاب التي تقع بين جيان ولقعة رباح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين. الإسلامي بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحي تتزعمه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfonso VIII، وضم أيضا قوات من أراجون والبرتغال ونافار وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. ولتمزيد عن معركة الطاب انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، دار القرجانين ١٩٩٤م، ص ١٢٦٥، ٣٤٣.
- (٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي، ينتمي إلى أسرة بني هود الذين حكموا سرقيطة زمن ملوك الطوائف. وهو أول من ثار على الموحدين في الأندلس ولقب بأمير المسلمين، والمتوكل على الله، وسيف الدولة، ويسميه الأسبان ذاالودلا Zafadola. كانت بداية ثورة ابن هود في مرسية، ويوبع له بها في عام ٦٢٥هـ/١٢٢٨م. ودعا للخليفة المستنصر العباسي. دخلت في طاعته معظم مدن وقواعد الأندلس بعد ذلك مثل مدينة قرطبة، وبطليوس وغرناطة. وحاول الغلفاء الموحدين القضاء على دولته لكنهم فشلوا في ذلك. وقد دامت دولته بالأندلس عشر سنين (٦٢٥ - ٦٣٥هـ/١٢٢٨-١٢٣٨م). عن ابن هود ودولته انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام فمن يوبع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - القسم الثاني، تحقيق لطفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ط ٣، ١٩٥٦م، ص ٢٧٨، الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عثمان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ص ١٢٨-١٣٢، ابن خلدون: المعبر وديوان المبدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - تحقيق خليل شحانة، بيروت، دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٧، ص ص ٢٥١-٢٥٢.
- (٣) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري، ويلقب بالغالب بالله، ويعرف أيضاً بالشيخ، يعود نسبه إلى سعد بن عباد سيد الخزرج، فهو بذلك من أعرق البيوت العربية، ولد في بلدة أرجونة Arjona التابعة لمدينة قرطبة، في عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، وهو عام موقعة الأرك، ونشأ في تلك البلدة. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٩٢، اللوحة البدرية في الدولة النصرية - تحقيق لجنة التراث العربي، لبنان، دار الآفاق الجديدة، ط ٣، ١٩٨٠م، ص ٣٣.
- (٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٩٤.
- (٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٨١-٢٨٢، الإحاطة، ج ٢، ص ص ١٢٩-١٣٢.
- (٦) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٢٨٦-٢٨٧، الإحاطة، ج ٢، ص ١٩٨، اللوحة البدرية، ص ٤٧.
- (٧) أبو عبد الله الزهري: كتاب الجغرافية - تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ٩٦، الحميري: الروض المطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٨٤، ص ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٨) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٩٦.

- (٩) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار - ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادي، الإسكندرية: شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٧٤-٧٥؛ أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٦٨م، ص ٤٠٣-٤٠٤.
- (١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ٧٤-٧٥.
- (١١) مالقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق-م في عهد الفينيقيين، والذين أعطوها اسم مالقة Malako أي المملج، نسبة إلى الأسماك المملحة التي كانت تحفظ فيها، وفي عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مالقة عاصمة الحمويين الأدراسية من ملوك الطوائف. انظر: ابن الخطيب : مغامرات مالقة وسلا- ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٨٧ - ٨٩؛ الحميري : الروض المعطار، ص ١٧٧-١٧٨؛
- Guillén Robles, F: Málaga Musulmana - Málaga, 2ed, 1957, Vol., I, pp.30-31.
- (١٢) أحمد مختار العبادي : صور من حياة العرب والجهاد في الأندلس - الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠م، ص ٢٤٧.
- (١٣) الزهرى : كتاب الجغرافية، ص ٩٨ .
- (١٤) ابن الخطيب: الأحاطة، ج١، ص ٩١.
- (١٥) العمري: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك - تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس: مجلة الهدى، ١٣٤١هـ، ص ٣٧.
- (١٦) وادي آث Guadix: مدينة قريبة من شرطاطة يقع في الشرق منها جبل شبلر أو جبل الشج وتقع على ضفة نهر ينبع بالقرب من الجبل. مشهورة بكثرة التزروع والثمار المتنوعة خاصة التوت والأعاب والزيتون. انظر الحميري: الروض المعطار، ص ٦٠٤-٦٠٥؛ المقرئ: فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق إحصان عباس، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٤٨.
- (١٧) الزهرى : كتاب الجغرافية، ص ٩٣-٩٤؛ أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر - الإسكندرية: شباب الجامعة، ١٩٩٧م، ص ٥١.
- (١٨) ابن الخطيب: خطرة الطوب في رحلة الشتاء والصيف - ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، شباب الجامعة، ط١، ١٩٨٣م، ص ٣٦.
- (١٩) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية الباقية في أسبانيا والبرتغال-القاهرة، مكتبة الخالجي، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٢٤٢.
- (٢٠) نفس المرجع، ص ٢١٥.
- (٢١) المرية : تقع على الساحل الشرقي للأندلس، جنوب شرقي بجاية، على حافة البحر المتوسط، وهي مدينة برية بحرية، وكانت عاصمة ولاية المرية في زمن بني الأحمر. شيدها الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (الناصر) في عام ٩٥٦/٣٤٤م، لتكون قاعدة بحرية. بينها وبين مالقة ٢٢٢ كم، انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ١٠١؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ٥٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٣٧-٥٣٨.

(٢٢) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي - الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٩٦م، ص ١٤٠.

(٢٣) أرض الفرنجية: هي بسط قرطبة وإشبيلية وبلنسية وجيان، أخذها من جوف شمال الجزيرة من الغرب إلى الشرق، ومعناها بالأسبانية الحدود الفاصلة بين دولتين. انظر: ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٢٩.

(٢٤) المقرئ: نفع الطيب، ج٩، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٢٥) نفس المصدر، ج٥، ص ٤٧٢.

(26) Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada en la Época de Muhamad V- Madrid, 1973, p.132.

(٢٧) بنو مرين فخذ من أفخاذ قبيلة زناتة تولى زعامتهم في عهد الموحدين أبو بكر بن حماسة، ثم خلفه أبو خالد محيو بن أبي بكر، الذي أصيب في موقعة الأركاء عام ٥٩١هـ/١١٩٥م إصابة كانت سبباً في وفاته، وعندما دب الضعف في دولة الموحدين استقل أبو محمد عبد الحق المريني بمكناسة وتآزر، ثم تدعت أركان الدولة في عهد أبي سعيد عثمان بن عبد الحق. وفي عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م تمكن الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني من إنهاء حكم الموحدين والاستيلاء على العاصمة مراكش. انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القوطان - الرباط دار المنصور، ١٩٧٣م، ص ص ٢٧٨-٢٩٠؛ ابن الأحمر: النخبة النصرية واللمحة المرينية - تحقيق عدنان محمد آل طه، دمشق، دار سعد الدين للنشر ط٢، ١٩٩٢م، ص ص ٣١-١٣٥؛ محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب والأندلس في العصر المريني - الكويت دار التلم، ط٢، ١٩٨٧م، ص ص ٣٦٩-٣٧٠.

(٢٨) هو السلطان علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يكنى أبا الحسن، ولد في عام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م، وتولى في ذي القعدة سنة ٧٣١هـ / أكتوبر ١٣٣١م بعد وفاة والده السلطان أبي سعيد عثمان، وتوفي السلطان أبو الحسن في عام ٧٥٢هـ / ١٣٥٢م. عنه انظر: ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريّا خوسويس بيجيرا، الجزائر، مكتبة الشركة الوطنية ط١، ١٩٨١، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢٩) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ٣٩٢.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides( 1232-1492) - Paris, 1973, p.159.

(٣٠) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ الإضافة، ج١، ص ١٥٣٧ التلمحة البدئية، ص ٩٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ٣٣٧.

Crónica de Don Alfonso XI, ed, Rosell, Madrid, 1953, pp. 266-268.

(٣١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ص ٣٩١-٣٩٢؛ ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ١٢٥٦ المقرئ: نفع الطيب، ج١، ص ٤٥١.

Arie R.:L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides( 1232-1492) - Paris, 1973, p.159.

- (٣١) ابن منظور : لسان العرب - تحقيق عبد الله على الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، دت، المجلد الثاني، ج ١١، ص ٩٠٣.
- (٣٢) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الغرناطي، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل، وكان عمره وقتها خمسة عشر عاماً، وثمانية أشهر. تولى في عام ١٣٥٤/هـ، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. عنه النظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق ٢، ص ص ٣٠٤-١٣٠٦ الإحاطة، ج ٤، ص ص ٣١٨-٣٢٠، محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة-القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩م، ص ص ٣٠-٥٠.
- (٣٤) ابن الخطيب: الملحمة البدرية، ص ١٠٩ .
- (٣٥) السلطان محمد الخامس: هو محمد بن السلطان أبي الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ هـ / ٢١ يناير ١٣٣٨م وتولى في عام ١٣٥٤/هـ ١٣٥٤م وتولى في عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م. عنه النظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ١٣.
- (٣٦) المقرئ: نفع الطيب، ج ٩، ص ١١٠ .
- (٣٧) محمد عبد الله عثان: الآثار الإسلامية، ص ص ٢٤٦ ٢٤٨.
- (٣٨) عن حملة سقوط مائقة النظر : مجهول : أخبار العصر في القضاء دولة بني نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩١، ص ص ٩٧ - ٩٨ : مؤتغمرى وات : تاريخ أسبانيا الإسلامية ترجمة محمد رضا المصري، لبنان، شركة المطبوعات ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٥٩.
- Arié, R.: El Reino El Reino Nasri de Granada (1232-1492) - Madrid, 1992, pp. 95 - 96.
- (٣٩) السيد عبد العزيز سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ١٣٨.
- (١٠) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ١٠٧.
- (١١) محمد عبد الله عثان: الآثار الإسلامية، ص ص ٢١٨-٢٢٠.
- (١٢) يوسف فرحات : غرناطة في ظل بني الأحمر- بيروت، المؤسسة الجامعية، ١٩٨٢، ص ٧٢.
- (١٣) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس - بيروت، دار النهضة العربية، ط ١، ١٩٦٩، ج ٢، ص ٣٠٥ .
- (١٤) بجاة Pechena: يفتح الباب ويدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون وهي مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضاً ألش اليمين لأن الأمويين أنزلوا قبيلة بني سراج القضاة في هذه المنطقة وألزمهم بحراسة الساحل، بينها وبين المرية خمسة أميال . انظر : الحميري : الروض المعطار، ص ص ٧٩-٨٠.
- (١٥) أحمد مختار العبادي : صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ٢٤٧.
- (١٦) ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة، بيروت، دار الكتب الطغمية، ط ٢، ١٩٩٢، ص ٦٦٩.
- (١٧) نفس المصدر، ص ٦٧٢.
- (١٨) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.

- (١٩) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس - القاهرة، دار النهضة، ط ١، ١٩٦٩، ص ١٣٦.
- (٢٠) محمد عبد الله عنان: الآثار الإسلامية، ص ١٧٥.
- (٢١) بعد دخول محمد بن الأحمر غرناطة في عام ١٢٣٨/١٢٣٨م وإعلان قيام دولته، واتخاذ من مدينة غرناطة عاصمة له، رأى أن يقدم حصناً أو قلعة تكون حامية له، فاختار الحمراء، ويقع قصر الحمراء في الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة، ويعود تاريخ إنشاءه إلى بداية دولة بني الأحمر، حيث أمر ابن الأحمر بإنشائه بعد استقرار الأمر له في غرناطة، وفي عهد هـ تم إنشائه القصر، وبعض الأبراج المنيعه، وأنشأ سوراً حولها، ثم أمر ابنه محمد الثاني الفقيه باستكمال الحصن. والقصر الملكي، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبي لإنشاء قصر الحمراء، ثم أكمله ابنه محمد الخامس. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة ج ١، ص ٢٩٦ النحلة البدرية، ص ١٤٣ السيد عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس - الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥، ص ص ٢٠٤-٢٠٦، أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ص ٦٠-٦٣.
- (٢٢) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس - القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧، ج ٧، ص ٢٨٩.
- (٢٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٣١٨.
- (٢٤) عبد الحكيم النون: آفاق غرناطة - دمشق، دار المعرفة، ١٩٨٨م، ص ٨٠.
- (٢٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٤، ص ٣١٣.
- (٢٦) التبريسي: نزعة المشتاق في الخرق الكفالي - القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ج ٥، ص ٥٦٢ المصيري: الروض المطار، ص ص ٥٣٧-٥٣٨.
- (٢٧) عن سلوطة المرية انظر - مجهول - أخبار العصر، ص ١٠٠.
- L.P. Harvey: Islamic Spain 1250-1500-London, 1990., p. 304; Arié, R: El Reino Nasri, p. 100.
- (٢٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ١٤٣.
- (٢٩) عن تفاصيل الحملة الأراجونية على مدينة المرية انظر: ابن الخطيب: النحلة البدرية، ص ١٧٥ ابن خلدون: العبر، ج ٧، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (٣٠) ابن الخطيب: النحلة البدرية، ص ٥٦.
- (٣١) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، ج ٣، ص ٢٤٣.
- (٣٢) هو السلطان محمد بن محمد بن محمد بن نصر ثالث ملوك بني نصر، كان ضعيف البصر، لمواصله السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، باشر السياسة في حياة والده، وكان شاعراً، يقرض الشعر، ويصفى إليه. تولى في يوم وفاة والده في يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ/الثامن من أبريل ١٣٠٢م، وتوفي في آخر شهر شوال سنة ٧١٠هـ/مايو ١٣٠٩م. والمقلب بالمخلوع لأنه خلع من الحكم عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ص ٥٤٣-٥٤٤ النحلة البدرية، ص ٦١.
- (٣٣) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢١٩.

- (٦٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ١٢٤.
- (٦٥) واشنطن إيرفينج: أخبار سقوط غرناطة- ترجمة هاني يحيى نصرى، بيروت، الانتشار العربى للنشر، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٣.
- (٦٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (٦٧) والجمع أجفان، وهى سفينة حربية وتجارية. ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجلان الغزوية. وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجلان التجارية المقرى: نفع الطوبى، ج ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى: الأسطول العربى- دمشق، مطبعة التراثى، ١٩٤٥، ص ٤٤.
- (٦٨) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٩.
- (٦٩) أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٧.
- (٧٠) واشنطن إيرفينج: أخبار سقوط غرناطة، ص ٢٨٣-٢٨٤. ويضيف أن المسلمين المدافعين عن الأبراج والمتحصنين بها استعملوا فى الدفاع عنها، ولكن تمكن القائد القشتالى فرنانيسكو دى مادريد قائد قوات المدفعية من التسلل إلى البرج الأول ووضع تحته عبوة كبيرة قابلة للاشتعال، ولما نجح فى إشعال التيران فيها ألجج البرج محدثاً صوتاً قوياً ففرغ المسلمون لذلك، فاستولى النصارى على البرج ثم تقدموا نحو الأبراج الأخرى المعوزة له، حتى تمكنوا فى النهاية من دخول المدينة بعد سقوط الأبراج فى أيديهم. انظر: واشنطن إيرفينج: أخبار سقوط غرناطة، ص ٢٨٣-٢٨٤.
- (٧١) أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحصار فى الأندلس، ص ٢١٩.
- (٧٢) مدينة جيان Jaen: تنطق بالفتح ثم التشديد وأخره نون، مدينة الدلمية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة إلبيرة Elvira. بينها وبين بياسة مسافة تفكر بعشرين ميلاً انظر: الحموى: الروض المطار، ص ١٨٣-١٨٤.
- (٧٣) أحمد مختار العبادى: صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٤٥.
- (٧٤) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ١، ص ٥١٧.
- (٧٥) أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢١٩.
- (٧٦) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس- مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل- مايو- يونيو ١٩٧٧م، ص ١٢٨.
- (٧٧) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
- (٧٨) السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الإسلامى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمadrid، ص ١٩٧٥م، ص ١٥٢.
- (٧٩) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية وتطورها فى الأندلس، ص ١٢٨.
- (٨٠) جيريلين دودز: فنون الأندلس- ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشره: منسى الخضراء الجبوشى، مركز بيروت، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٨٨٥.
- (٨١) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها، ص ١٢٨-١٢٩.
- (٨٢) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة العربية الإسلامية، ص ١٤٤.
- (٨٣) محمد أحمد أبو الفضل: العربية، ص ١٤٨.
- (٨٤) يوسف شكرى فريحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨١-١٨٢.

- (٨٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج ٢، ص ١٩٢ المرقى: نلج الطيب، ج ١، ص ١٠١ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، ص ١٢٥.
- (٨٦) محمد عبد الله عفان: الآثار الإسلامية، ص ١٦٨.
- (٨٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج ٢، ص ٥١-٥٢.
- (٨٨) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٨٩؛ محمد عبد الله عفان: الآثار الإسلامية، ص ١٨٤ أولغ غرابار : نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامى فى شبه الجزيرة الإيبانية - ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس، نشر د. سلمى الخضراء الجيوشى، لبنان، دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٨٥٠-٨٥١.
- (٨٩) محمد عبد الله عفان : الآثار الإسلامية ، ص ٢١٦.
- (٩٠) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩١) محمد عبد الله عفان : الآثار الإسلامية، ص ٢٤٣-٢٤٤.
- (٩٢) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩٣) محمد عبد الله عفان : الآثار الإسلامية ، ص ٢٤٦.
- (٩٤) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٢.
- (٩٥) محمد أحمد أبو الفضل: المرية، ص ١٤٢-١٤٣.
- (٩٦) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.
- (٩٧) الحمورى : الروض المغطار، ص ١٨١ المرقى : نلج الطيب، ج ١، ص ١٥٣.
- (٩٨) السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٤٠.

## موقف ابن إياس من العثمانيين

د. محمد أسامة زكي زيد (\*)

بسم الله الرحمن الرحيم  
وبه نستعين

الحمد لله مالك الملك على الدوام، الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بالتمام،  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى نهاية  
الزمان.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا إلا وأنتم مسلمون  
وامتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف  
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها  
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) [آل عمران ١٠٢، ١٠٣].

ثم أما بعد... المؤرخ الكبير أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، الذى توفى  
عام ١٥٢٤هـ/١١٠٢م<sup>(١)</sup> هو شيخ مؤرخى مصر فى زمانه. ولا تكون قد ذهبت بعيداً إن قلنا أن  
كتابه (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) الذى ينتهى بأحداث عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م، هو أهم  
مصدر لتاريخ سلطنة المماليك بعد وفاة المؤرخ الكبير أبو المحاسن جمال الدين ابن تفرى برى،  
صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) الذى توفى عام ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.

ولابن إياس مصنفات أخرى منها (نزهة الأسم فى العجائب والحكم)، (تشق الأزهار فى  
عجائب الاقطار) (عقود الجمال فى وقائع الزمان)، (الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة)<sup>(٢)</sup>. وبالرغم  
من مكانة ابن إياس العظيمة إلا أن من خلفه من المؤرخين لم يهتموا بالترجمة له فى كتبهم، فلم  
يترجم له نجم الدين التفرى فى (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)، ولم يترجم له عبد القادر  
العبدروس فى (التور السافر عن أخبار القرن العاشر)، ولم يترجم له ابن العساد الحنبلى فى  
(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب)، لذلك فنحن لا نعرف عن ابن إياس القليل، ومن ذلك ما ين  
برقوق، وأما والذى فاته عاش من العصر نحواً من أربع وثمانين سنة وجاءت من الأولاد خمسة

وعشرون كتبه هو عن نفسه في ذكر خبر وفاة والده في شعبان عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م فقال ما نصه<sup>(٢)</sup>: (وفي يوم الجمعة ثالث عشره توفي والدي المرحوم الشهابي أحمد بن المرحوم إياس الفخري من جنود، وكان أصله من مماليك الظاهر برفوق، وقرر دوادار ثانی في دولة الناصر فرج ولدا ما بين ذكور وإناث غير المسقوط، وعاش له من ذلك ثلاثة صبيان وبنات وكان كثير العشرة للأمراء وأرباب الدولة رحمة الله عليه، وكان من مشاهير أبناء الناصر)<sup>(٣)</sup>.

وقد عاصر ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وشهد زوال السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م. ووثق الوقائع والأحداث بتفصيلاتها في الجزء الخامس من تاريخه (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، وكان آنذاك في العقد الأخير من عمره وقد بلغ مبلغاً من الحكمة والعلم وسعة الإعراف، وقد ذم ابن إياس الفتح العثماني لمصر والشام، وحم السلطان سليماً الأول خاصة، ورجال الدولة العثمانية عامة بغير حق في كثير من الأحيان، فمن يطالع الجزء الخامس من كتابه المذكور بعناية وتدقيق نظر سبتين له أن ابن إياس الذي بدأ كتابة تاريخه وفقاً لمنهج يتسم بالحياد وحسن التحقيق وكمال التدقيق، استصعبه حتى نهاية الجزء الرابع، قد فقد شيئاً من حياده وإنصافه في تدوينه للجزء الخامس المتعلق بوقائع الفتح العثماني لمصر والشام، والسنوات الأولى من الحكم العثماني في مصر. ولست أدري ما إن كان ابن إياس مدركاً لحال العالم الإسلامي آنذاك، ومدركاً لضرورة وحتمية ما قام به السلطان سليم الأول من إعادة توحيد بلاد المسلمين لمواجهة الأخطار الثلاثة التي تكاثرت عليهم في آن واحد، أم أنه كان غافلاً عن ذلك فظن أن الفتح العثماني لمصر والشام ما هو إلا بغى وعدوان غاشم !! وقيل أن أقيم الأئمة على تعامل ابن إياس على العثمانيين ينبغي توضيح حال كتب العالم الإسلامي قبيل الفتح العثماني لمصر والشام، والذي دفع السلطان سليماً للقيام بغتواته.

فيجب أن استولى الإسبان والبرتغال على الأندلس وطردوا المسلمين منها توجهت أنظارهم إلى سائر بلاد المسلمين وطمعوا فيها وعزموا على أخذها، ففي عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤م تم توقيع إتفاقية (توردي سيللاس) بين إسبانيا والبرتغال برعاية البابوية في روما لاقتسام أجزاء من بلاد المسلمين بينهما ثلثا يختلصوا، فقد حصلت إسبانيا على المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، وحصلت البرتغال على المغرب الأقصى والساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي وبموجب ذلك شن الإسبان والبرتغال حروباً على تلك البلاد طالت سنوات عديدة، ولم تكن الروح الصليبية غالبية عن الأوروبيين يومئذ، بل كانت أهدافهم تنطلق من تلك القاعدة، وقد أرسل كريستوفر كولومبوس رسالة إلى ملكي إسبانيا فرناند وإيزابلا عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م يطلب منهما تجهيزه بحملة عسكرية للاستيلاء على بيت المقدس<sup>(٤)</sup>. وكان الإسبان والبرتغال آنذاك أقدر دولتين في أوروبا على الاضطلاع بمهمة تجهيز الحملات الصليبية على المسلمين لأتباعها أكثر تطوراً بفضل ما آل إليهم من تراث المسلمين في الأندلس. ولكن بفضل من الله وإسباب باعته جهودهم بالفشل، وتلاشت أحلامهم، وتحطمت تلك الموجة العاتية من الحملات الصليبية على صخرة آل عثمان بفضل من الله الكريم المنان .

وفقاً للاتفاقية المذكورة قام الإسبان بالاستيلاء على بجاية<sup>(١)</sup> ثم وهران<sup>(٢)</sup> في عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ثم على طرابلس الغرب<sup>(٣)</sup> عام ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، وقد عمدوا إلى التصدير الجماعي أو الإبادة الجماعية لأهل تلك البلاد، وقد نقل (شارل فيرو)<sup>(٤)</sup> نص خطاب فرناند ملك إسبانيا إلى الكونت (يترودى تافارا) وهو في طريقه إلى الاستيلاء على طرابلس، وقد جاء فيه: (سبق وأن ذكرت لى فى خطابتكم مراراً أننا إذا ما أردنا أن نحافظ على وجودنا فى إفريقيا، فبإيه يتحتم علينا أن نحقق مدن وهران وبجاية وطرابلس، وفى حالة احتلالنا لهذه الأخيرة يتوجب علينا أن نحررها بمرمتها بالنصارى وإلا فإن المغاربة بما أنهم يسودون بقية مناطق البلاد، إذا ما سمحنا لهم بالسكن فى مدن الساحل فإتبه سيستول علينا أن نحفظ بما احتلناه وقتنا طويلاً. وإذا فإن انتظراً لما هو أفضل، يتحتم أن نعبسك فى المدن الثلاث المذكورة حامية كبيرة من النصارى وألا يسمح لأى مغربى أن يظاها). وقد علق فيرو على ذلك بقوله: (وتبعاً للبرنامج الملكى الذى وضعه فرناند ملك إسبانيا والذى سبق لجانب منه أن نفذ باحتلال مدينتى وهران وبجاية فإن جميع الطرابلسيين قد طردوا من مدينتهم وهدمت فيها المنازل والمباني العلية كئيبة)<sup>(٥)</sup>. قلت: ولا ريب أن الإسبان كانوا بخططون لمد ملكهم إلى بنى غازى، ثم الإسكندرية، ثم دمياط ثم العرش وربما لأبعد من ذلك.

أما البرتغال فبعد اكتشافهم لطريق رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م أصبحوا ملوكاً على الساحل الإفريقى للمحيط الأطلنسى، كما أسسوا لهم قواعد فى الساحل الغربى للهند المسمى ساحل ملبار وتعرضوا للمسلمين وتكلموا بهم وسبوا دينهم وبعثوا قوافل الحج من الخروج، وأحرقوا المساجد والمصاحف، وكل ومن كان يتصدى لهم من المسلمين لا يناله إلا التعذيب أو القتل<sup>(٦)</sup> ثم استولوا بعد ذلك على جزيرة سقطرى<sup>(٧)</sup> عند مدخل خليج عدن، ثم امتد نشاطهم إلى الخليج العربى فاستولوا على قلهات<sup>(٨)</sup> ومسقط<sup>(٩)</sup> وهرمز<sup>(١٠)</sup> فى عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م<sup>(١١)</sup>. واستولوا على جزيرة سقطرى لخلوا البحر الأحمر وتعرضوا لسفن المسلمين وهاجموا سواحل الحجاز، كما أصبح بإمكانهم إغلاق البحر الأحمر إغلاقاً تاماً ومنع السفن القادمة من الهند من الدخول فيه، وقد ذكر ابن إياس فى عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م أن البضائع لها ست سنوات لم تصل من الهند إلى جدة<sup>(١٢)</sup>. ثم استولى البرتغال على جزيرة كمران<sup>(١٣)</sup> فى جنوب البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب عام ٩١٩هـ/ ١٥١٣م. وكانت الدولة العثمانية آنذاك تقدم المساعدات العينية والغنية للمملوك حتى يتمكنوا من التصدى للهجمات البرتغالية، وقد استمر ذلك الدعم العثمانى لعدة سنوات فى عهد السلطان بايزيد الثانى<sup>(١٤)</sup>، وابنه السلطان سليم الأول إلى السلطان المملوكى قاتصوه الغورى، كما سيأتى بياحه، ولكن الغورى وإن كان قد حقق انتصارات فى بداية الأمر إلا أنه أخفق فى النهاية فى طرد البرتغال من البحر الأحمر، ولعل السبب فى ذلك أن دولة المماليك كانت قد بلغت آنذاك حدّاً من التدهور والانهيار لا تجدى معه أى محاولات لإصلاحها والنهوض بها، وأياً كانت الأسباب فإن الأمر لم يكن خطراً على السلطنة المملوكية فحسب بل على العالم الإسلامى كله، إذ جرى تطويق بلاد المسلمين من الشمال والجنوب.

وفي نفس الوقت كان هناك خطر ثالث يحدق بالعالم الإسلامي لا يقل عن الخطر الأوروبي ذي الدوافع الصنيبية، ألا وهو خطر الرافضة<sup>(٢٠)</sup> في فارس فقد ظهر الشاه إسماعيل الصفوي<sup>(٢١)</sup> وإستولى على تبريز<sup>(٢٢)</sup>، ثم فرض فيها عقيدة الشيعة الاثني عشرية على الناس قهراً، وسعى لتشرها خارج فارس، فاجتاح العراق ودخل بغداد عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م<sup>(٢٣)</sup>. وقد قال عنه التهرتالي: (كاد أن يدعى الربوبية، وكان يسجد له صكره ويأترون بأمره وقتل خلقاً لا يحصون ويتوف على ألف ألف نفس، بحيث لا يعدد في الإسلام ولا في الجاهلية ولا في الأمم السابقة من قتل ما قتله شاه إسماعيل، وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق أحداً من أهل العلم في بلاد المعجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم لأنها مصاحف أهل السنة، وكلما مر بقبور المشايخ نبشها وأخرج عظامهم وأحرقها)<sup>(٢٤)</sup>.

وفي عام ٩١٧هـ/١٥١١م. أشعل الشاه إسماعيل تمرداً في الأراضي العثمانية في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يسمى شاه قولي، جمع حوله بعض الأساقف والرعا من استجابوا لدعوته، وصاروا يهجمون على البلاد يقتلون وينهبون ويمسكون من لا يستجيب لعقيدتهم الفاسدة، وقد تصدى لهم وحدات من الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم على باشا، فانتصر عليهم إلا أنه قتل في المعركة، وبعد بضعة أشهر رعى الشاه إسماعيل تمرداً آخر في الأناضول بزعامة أحد أتباعه يدعى نور علي خليفة، ومعه بعض الأساقف والرعا فقطعوا كما فعل سلفهم<sup>(٢٥)</sup>.

فهذه الأخطار الثلاثة: الخطر الإسباني من الغرب، والخطر البرتغالي من الجنوب، والخطر الصفوي الرافضي من الشرق، تكاثبت على قلب العالم الإسلامي في نفس الوقت - انظر الخرائط في آخر البحث- والأُنكى من ذلك أن الصفويين تحالفوا مع البرتغالي في عام ٩٢١هـ/١٥١٥م عن طريق دي البوكيرك نائب ملك البرتغال في المستعمرات الهندية الذي كان مقيماً بالهند آنذاك<sup>(٢٦)</sup>. الأمر الذي مكن البرتغال من إحكام الحصار على قلب العالم الإسلامي بإغلاق طرق التجارة الثلاثة :

أولاً: طريق البحر الأحمر الذي كان عماد الاقتصاد لدولة المماليك، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى السويس عن طريق البحر الأحمر ثم تنقل برّاً إلى القاهرة، ثم تنقل عبر النيل إلى الثغور على البحر المتوسط كرشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية<sup>(٢٧)</sup>. وكانت سفن البنادقة والجنوبية تحمل البضائع من تلك الموانئ وتعود بها إلى أوروبا الغربية وكذلك كانت السفن العثمانية تحمل تلك البضائع إلى موانئها في اليونان وأوروبا الشرقية. فإغلاق البرتغال للبحر الأحمر سدّ ذلك المنفذ التجاري الهام.

ثانياً: طريق الخليج العربي، فقد كانت البضائع الهندية تصل إلى البصرة عبر الخليج، ثم تحمل عبر نهري دجلة والفرات، ثم تحمل برّاً إلى الثغور الشامية على البحر المتوسط، ثم تحملها سفن

البنافذة والجنوبية والعثمانية على النحو الذي سبق، أو كانت تبحر في نهر الفرات إلى جنوب الأناضول. وهذا الطريق قد أغلقه البرتغال أيضاً بقايعتهم في هرمز وتحالفهم مع الصفويين.

**خاتمة:** الطريق البري من الهند إلى الثغور المملوكية في الشام و الثغور العثمانية في الأناضول فقد أغلقه الصفويون من أرض فارس وأذربيجان<sup>(٢٨)</sup>.

هكذا حوصر اقتصادياً أكبر وأهم دولتين في العالم الإسلامي آنذاك، السلطنة المملوكية والسلطنة العثمانية، وبالطبع لم تكن السلطنة المملوكية قادرة على التصدي لملك ذلك الحصار لما أصابها من وهن وضعف وتدهور، وما كانت تستطيع أن تقود المسلمين لمواجهة تلك الموجة من الحملات الصليبية، فكانت السلطنة العثمانية هي المعول عليها في ذلك الشأن، وكانت الدولة العثمانية في عهد السلطان بايزيد تقدم الدعم العيني والفني للإخوة عروج وخضر وإسحاق وحسن، في تصديهم للسفن الإسبانية في البحر المتوسط، وكان يتولى ذلك الأمر الأمير قورقد بن بايزيد الذي قدم لهم سفينتين حربيتين عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م فتمكنوا من من إحراز انتصارات كبيرة<sup>(٢٩)</sup>. كما قدمت السلطنة العثمانية في عهد السلطان بايزيد الثاني وابنه السلطان سليم الأول مساعدات كبيرة للسلطنة المملوكية للتصدي للبرتغال في البحر الأحمر وفي البحار الهندية. ففي عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م قال ابن إياس : (حضر إلى الأبواب الشريفة شخص يقال له كمال من خواص جماعة ابن عثمان، وقد ترجموا كمال هذا بترجم عظيمة بأنه لا بكل ولا يمل من الجهاد في الفرنج ليلاً ونهاراً حتى أعوى الفرنج أمره، وأنه رأس المجاهدين المرابطين في الإسلام)<sup>(٣٠)</sup>.

**قلت:** وكمال المذكور هو الرئيس كمال، أحد أشهر رجال البحرية العثمانية. وهو أول من ثبت المدافع بعيدة المدى على السفن، وصاحب المعارك البحرية الشهيرة في المورة، وصاحب الغارات على السواحل الإسبانية، ولا ريب أن حضوره إلى مصر كان لتقديم النصيح والمشورة للبحرية المملوكية في حروبها ضد البرتغال. وفي عام ٩١٦هـ/١٥١٠م قام السلطان بايزيد بإرسال المساعدات العسكرية التي طلبها السلطان الغوري، فقد قال ابن إياس : (فكان من جملة ذلك سكاكل سبقيات العدة ثلاثمائة وثشابه ثلاثين ألف سهم، وبارود مطيب أربعمائة قنطاراً ومقانيف خشب العدة ألف مقدار، وغير ذلك من نحاس وحديد وعجل وحبال ومسلب ومراسي حديد وغير ذلك مما تحتاج إليه المراكب فشكره السلطان "الغوري" على ذلك، وكان السلطان أرسل مالا على يد يونس العادلي إلى بلاد ابن عثمان ليشتري له أخشاباً ونحاساً وحديدًا، فلما بلغ ابن عثمان ذلك رد عليه المال وجهز ما ذكرناه من عتده تقدمة للسلطان)<sup>(٣١)</sup> وقد قال السلطان بايزيد : (هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة)<sup>(٣٢)</sup>.

وبعد أن توفي السلطان بايزيد الثاني ظل الدعم العثماني للمماليك قائماً، فقد ذكر ابن إياس في أحداث رمضان من عام ٩١٨هـ/١٥١٢م أي بعد سبعة أشهر من ولاية السلطان سليم الأول : (حضر إلى الأبواب الشريفة الرئيس حامد المغربي، وكان السلطان "الغوري" أرسله إلى

بلاد ابن عثمان ليشتري أخشاباً وحيالاً ومكاحل نحاس، فلما بلغ ابن عثمان مجيئه أكرمه وأرسل صحبته إلى السلطان عدة مكاحل ونحاس وحنيد وأخشاب وحيال وغير ذلك أشياء كثيرة في مراكب موشقة<sup>(٣٣)</sup>.... وفي صفر عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري ذهب إلى السويس لمتابعة خروج الأسطول لقتال البرتغال فقلل ابن إياس : (وكان جماعة ابن عثمان هناك نحواً من ألفي إنسان... وكان الرئيس سلمان العثماني هو الشاد على عارة تلك الأغرية وهو المشار إليه)<sup>(٣٤)</sup>. لعل في تلك النقول عن ابن إياس ما يبطل قول بعض أساتذة التاريخ أن السلطان سليماً لما تولى السلطنة منع المساعدات التي كان يرسلها أبوه للمماليك.

وبالرغم من تلك المساعدات العثمانية الكبيرة للسلطنة المملوكية إلا أنها لم تفلح في دفع الخطر البرتغالي، والأُنكى من ذلك هو تحالف المماليك مع الصفويين، فلما توجه السلطان سليم الأول لقتال الشاه إسماعيل الصفوي في عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م، قام على دولات أمير دلفار<sup>(٣٥)</sup> التابع للمماليك والذي يتولى إمارته بتقليد من السلطان المملوكي بقطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني، وقد ذكر ابن زنبيل الرمال أن السلطان الغوري شكر على دولات على ذلك وأرسل إليه يقربه على قتال السلطان سليم<sup>(٣٦)</sup>، كما ذكر ابن إياس وغيره أن على دولات اشترك مع فرقة من الجيش العثماني ونهب ما معهم<sup>(٣٧)</sup>، كما ذكر ابن إياس أن السلطان الغوري أرسل ألبالاً إلى الشاه إسماعيل سر<sup>(٣٨)</sup>، وذكر آخرون أن قطع طريق الإمدادات على الجيش العثماني كان بأمر السلطان الغوري نفسه<sup>(٣٩)</sup> ومن جهة أخرى عثر رجال السلطان سليم على جواسيس تحمل الرسائل بين الغوري والصفوي بما يفيد التحالف بينهما لقتال السلطنة العثمانية، قال ابن طولون الدمشقي عن السلطان سليم : (أنه إطلع على مطاعن من سلطاننا "الغوري" إلى الخارجي إسماعيل الصفوي يستعينه على قتل ملك الروم سليم خان على يد البهلوان أحد جماعة سلطاننا)<sup>(٤٠)</sup>. وقد ذكر د. محمد حرب أن الخطاب موجود حالياً في متحف طوب قيو في إصطنبول<sup>(٤١)</sup>.

هنا أدرك السلطان سليم الأول أنه ينبغي عليه أن يتصدر لمواجهة كل تلك الأخطار التي تحقّق بقلب العالم الإسلامي منفرداً، كما أدرك أنه لا سبيل لذلك إلا بإعادة توحيد بلاد المسلمين، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتم إلا بإزالة دولة المماليك. والمقام هنا لا يتسع للتفصيل في تلك المسألة، وقد أفردت مبحثاً بعنوان: (لماذا وجب إزالة دولة المماليك) في كتابي منهل الظمان لإتصاف دولة آل عثمان (٢٦١/٢-٢٨١) فليرجع إليه من شاء التفصيل.

وقد تلقى السلطان سليم رسائل استغاثة من بعض بلاد المسلمين، فقد أرسل إليه شيوخ العشائر الكردية في شرق الأناضول رسالة جاء فيها : (نرجو قيامكم بمساعدتنا نحن المخلصين لكم. إن بلدنا قريب من ديار "قرل باش"<sup>(٤٢)</sup> وهم جيران لنا بل بلدنا مختلط، وكم من سنوات مضت قام هؤلاء الملحكون فيها بهدم بيوتنا وبالقِتل معنا كل ذلك بسبب محبتنا لسلطان المسلمين، ونحن ننتظر من عطفكم ومن شغلقتكم القيام بإقضاء هؤلاء الناس الصادق الإيمان من هؤلاء الظالمين ومن دون مساعدتكم لا نستطيع وحدنا الوقوف في وجه هؤلاء ومقاومتهم)<sup>(٤٣)</sup>

كما أرسل وجهاء وأعيان حلب، منهم القضاة الأربعة، رسالة إلى السلطان سليم، وأصلها موجود في متحف (طوب قيو) باصطنبول برقم ١١٦٣٤ جاء فيها : (... وجميع أهل حلب مستعدون لمقابلتكم واستقبالكم بمجرد أن تضع أقدامكم في أرض عينتاب<sup>(١٤)</sup>) خلصنا أيها السلطان من يد الحكم الجركسي احمنا أيضاً من يد الكفار قبل حضور التركمان، ولنعلم مولانا السلطان أن الشريعة الإسلامية لا تأخذ مجراها هنا...<sup>(١٥)</sup>.

فبدأ السلطان سليم بضم بلاد الأكراد في شرق الأناضول، وانتصر انتصاراً ساحقاً على الشاه إسماعيل الصفوي، ثم ضم الشام ومصر، وإبان إقامته بمصر جاعته البيعة من الحجاز، كما دخل في طاعته جزء من اليمن، كما أرسل السلطان سليم مساعدات عسكرية للأخوين عروج وخضر في الجزائر، الذين كانوا يتصدیان للحملة الإسبانية هناك فتمكن خضر من صد هجوم الإسبان على الجزائر وأعلنها تابعة للسلطنة العثمانية، كما تمكن السلطان سليم إبان إقامته بمصر من طرد سفن البرتغال من البحر الأحمر وأعاد الملاحة إليه<sup>(١٦)</sup> بعد توقف دام تسع سنوات منذ عام ٩١٤هـ/١٥٠٨م<sup>(١٧)</sup>. وفي عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل أهالي الجزائر رسالة إلى السلطان سليم، وقع عليها القاضي والخطيب والأعيان، وهي محفوظة بمتحف طوب قيو في ااصطنبول برقم ٦٤٥٦<sup>(١٨)</sup> يطالبون فيها أن تكون الجزائر إيالة عثمانية حماية لها من الإسبان، وقد جاء في تلك الرسالة : (نحن نود أن نكون من أتباع الدولة العثمانية وأن تبقى ضمنها كولاية. وإذا كان من الممكن فنرجو أن تعينوا خضر رئيس واليّا علينا). فاستجاب السلطان سليم لذلك ومنح خضر الذي أصبح يسمى خيرالدين رتبة باشا ورفع الجزائر من لواء إلى إيالة. وجعل خير الدين أمير أمرائها، وأرسل له مدداً من عتاد حربي، وألقى جندي وأربعة آلاف من متطوعة الأناضول<sup>(١٩)</sup>، ثم بدأ رحمه الله في تجهيز حملة بحرية لفتح جزيرة رودس التي كانت تحت حكم فرسان القديس يوحنا (الإسبانية) آنذاك وكانت مركزاً للصليبيين للهجوم على سفن التجار والحجاج المسلمين، إلا أن الموت ثم يمهل وتوفي رحمه الله عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م. وكان ابنه السلطان سليمان خير خلف له فآتم جهاد أبيه وفتحها عام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م، كما أسس قاعدة بحرية في جزيرة كمران عند باب المندب في جنوب البحر الأحمر لصد أي هجوم بحري عليه، وقد أشرف عليها الرئيس سلمان وأسند قيادتها إلى الرئيس صفر<sup>(٢٠)</sup>، وتوالت بعد ذلك الانتصارات البحرية على البرتغال والإسبان والبناتقة في البحر المتوسط والبحار الهندية، مصحوبة بانتصارات برية في البحر والنعسا وفارس والغوقاز على مدار القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة /السادس عشر والسابع عشر للميلاد.

فمن هذا المنطلق يمكن أن نقطع بأن المعاليم الحربية للسلطان سليم التي أثمرت توحيداً لمساحات شاسعة من بلاد المسلمين ظلت قروناً مديدة تنبثق إليه، قد هيأت الساحة للتصدي لتلك الموجة الجديدة من الحروب ذات النزعة الصليبية على المسلمين، وقد انتصر المسلمون فيها لتتصارات ساحقة تلحق انتصاراتهم في موجات الحملات الصليبية الأولى. ولو لم يقم السلطان سليم بذلك لتجحت مخططات الصليبيين واختنق العالم الإسلامي كله من الحصار

التجاري الذي فرض عليه، وتسقطت بلاد المسلمين في أيديهم واحدة تلو الأخرى، ولاستولى الإسبان على شمال مصر، وربما امتد نفوذهم إلى الساحل الشامي واحتلوا بيت المقدس، ولاستولى البرتغال على جنوب مصر وشرقها وعلى الحجاز أيضاً، ولاستولى الصقليون على الشام والأناضول، وأما ما تبقى من السلطنة العثمانية فكان سيقتسمه الأوروبيون فيما بينهم، ولتغير مجرى التاريخ كله، وربما بقيت أجزاء من بلادنا تحت الاحتلال الأوروبي حتى الآن، فإن ميناء 'سيبته' المغربي الذي استولى عليه البرتغال عام ٨١٧هـ/١٤١٤م<sup>(٢١)</sup> ثم تنازلوا عنه بعد ذلك للإسبان مازال تحت الاحتلال الإسباني حتى الآن، 'نساء الله أن يردها علينا'. وعلى هذا فإن فتوحات السلطان سليم الأول قد أجلت سقوط الكيان السياسي للإسلام المتمثل في الخلافة الإسلامية مدة أربعة قرون كاملة، فكان سقوطها في القرن الرابع عشر الهجري/الشرقي الميلادي عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م، واستولت الدول الأوروبية على البلاد الإسلامية بعد سقوط الكيان السياسي الذي كان يجمعها، ومنذ بدأت مراحل نقض عرى الإسلام كما نبأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَتَنْقُضَنَّ غَزَى الْإِسْلَامِ غَزْوَةً غَزْوَةً، فَكَلِمَاتُ أَنْقَضَتْ غَزْوَةً نَشَبَتْ النَّاسُ بِأَلْسِنَتِهَا فَأُولَئِكَ نَفَضُوا: الْخُفْمَ وَأَخْرَفُوا الصَّلَاةَ)<sup>(٢٢)</sup>.

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه في هذا البحث، هل كان ابن إياس مدركاً لحقيقة حال العالم الإسلامي آنذاك؟ هل كان مدركاً لتلك الأخطار المحدقة به، ومدركاً لعجز سلطنة المماليك عن التصدي لها؟ بل هل كان مدركاً أن وجود سلطنة المماليك في حد ذاته كان عقبة كبرى في سبيل التصدي لتلك الأخطار؟. لأنك ترى أن ابن إياس شن الغارة على العثمانيين وعلى السلطان سليم بصفة خاصة بسبب فتحه مصر والشام، مع العلم أن ذلك لم يكن موقف سائر المؤرخين المعاصرين له من رعاية السلطنة المملوكية نفسها، كابن طولون الدمشقي، وأحمد بن الحمص، وأحمد بن زنبيل الزمالي، وغيرهم كعلي بن محمد الأشبلي. ففي سرد ابن إياس لتلك الوقائع ترى أنه قد فقد حياده وإنصافه المعهود عنه. فهل كان ابن إياس غير مدرك لمدى خطورة الأمر، فاعتبر الفتح العثماني لمصر والشام وإزالة دولة المماليك، عدواناً مجرداً من السلطان سليم ليس له ما يبرره، وأنه محض طمع ورغبة في السيطرة والاستحواذ؟ أم أنه كان مدركاً لخطورة الأمر ولكنه تصبب لأبناء جلدته تصبباً ألقاه حياده وإنصافه؟.

والحق أننا لن نستطيع أن نجيب على هذا السؤال لأنه أمر متعلق بالتوايا والتوايا محلها القلوب ولا اطلاع لأحد عليها، ولكن ما نستطيع أن نقطع به هو أنه فقد الإنصاف والحياد في تدوينه لوقائع تلك الفترة، فمن يقرأ الجزء الخامس من تاريخ ابن إياس يظن أنه كان شديد التحامل على العثمانيين، إلى حد أنه لم يتوان عن تكوين أي شائعة تدنيهم أو تحط من قدرهم دون أن يتأكد من صحتها، فإن كثيراً من الأخبار التي سجلها عليهم كان يصدرها بقوله (أشيع)، (أقبل)، أو كان يخيلها بقوله (هذا ما أشيع واستفاض بين الناس والله أعلم بصحة ذلك) أو بقوله: (ولم تتأكد صحته) فأغلبها شائعات ولم يكن هذا منهج ابن إياس في كل تاريخه بل

فى تلك الجزء الأخير فقط، وهو المتعلق بالفتح العثمانى لمصر والشام فيحتمل أن يكون بقضه للعثمانيين قد جعله يقبل على تدوين أى شائعة تدوينهم، ولكن أماتنه الطمينة أبت عليه إلا أن يذكر صراحة أنها شائعة أو خبر لم يتأكد من صحته، ولكنه بذلك أوقفنا فى إشكال كبير، لأن كثيراً من الباحثين ينقلون عنه تلك الشائعات على أنها حقائق تاريخية، وهذا ظلم بين بلا شك، لذلك فإن المؤرخين الذين جاءوا من بعده كابن أبى العزور البكرى (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) قد تجنبوا ذكر كثير من الأخبار التى أوردها ابن إياس فى تاريخه أما إبراهيم بن عامر العبدى (ت ١٠٩١هـ/١٦٨٠م) فعندما تعرض للفتح العثمانى أثر أن ينقل رواية ابن زنبيل رغم ما فيها من تحيز للمماليك، فقد قال العبدى : (وأحببت أن أخلص ما ذكره صاحب القانون العلامة أحمد بن زنبيل وإن هو مغرض لجانب الجراكسة، وكاد تعبيره ينصرهم)<sup>(٢٠)</sup>، وكان العبدى بنيه أحياناً على الأباطيل ويلقدها.

### أدلة تعامل ابن إياس على العثمانيين :

أولاً : أنه كان يذكر كثيراً من الأقوال المتناقضة دون أن يبالى، ومن ذلك قوله فى ذم السلطان سليم : (ولما طلع ابن عثمان إلى القلعة احتجب عن الناس، ولم يظهر لأحد ويتصف الظالم من المظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرائه كل يوم مظلمة جديدة من قتل وأخذ أموال الناس بغير حق، وكان هذا على غير القياس، فإنه كان يشاع العدل الزائد عن أولاد ابن عثمان وهم فى بلادهم قبل أن يدخل سليم شاه إلى مصر فلم يظهر لذلك نتيجة)<sup>(٢١)</sup>.

قلت : هذا الكلام ذكره ابن إياس واتهم فيه السلطان سليم بجفاف العدل وعدم الفصل فى الخصومات بالرغم من أنه هو نفسه فى مواضع أخرى من كتابه قد دون عدة وقائع تنفى ذلك عن السلطان سليم وعن وزرائه منها :

١- قال ابن إياس : (قبض الوالى على شخص من العثمانية قول أنه اختطف امرأة من السوق وبنى بها، فلما بلغ ابن عثمان ذلك أمر الوالى أن يقطع رأسه، فقطع رأسه فى الحال وظاف بها فى القاهرة وهى على رمح، فظهر من ابن عثمان فى ذلك اليوم بعض عدل، فلعل أن يعتبروا بقية عسكره ويقلوا عن الأذى)<sup>(٢٢)</sup>.

٢- ازداد عدوان العريان على قرى الشرقية، فأرسل السلطان سليم عدداً من الجنود على رأسهم الأمير المملوكى جان بردى الغزالى<sup>(٢٣)</sup>، وفى ذلك دلالة على أن السلطان سليماً كان يهتم بأمر العامة ويحرص على مصالح الرعية ولا فإنه كان يوسع أن يترك العريان يعتدون على القرى، فأى ضرر يعود على جنوده من ذلك ؟، وقد روى ابن إياس نفسه تلك الواقعة وفى ذيلها ما يؤكد أيضاً حرص السلطان سليم على الرعية، إذ أن جان بردى الغزالى لما دخل الشرقية أفسد فيها وأسر بنات وصبيان وأبقار وأغنام، وباعهم فى القاهرة بأبخس الأثمان، فكان الذى حال دون ذلك هو يونس باشا الصدر الأعظم للسلطان سليم، قال ابن إياس : (ثم إن يونس باشا نادى فى القاهرة بأن كل من اشترى من نهب بلاد الشرقية شيئاً من الأبقار والأغنام يرده على

أصحابه وكذلك أولاد الفلاحين ولام جان بردى الغزالي على قطعه في الشرقية<sup>(٤٧)</sup>. فإن قيل : إن كان السلطان سليم عادلاً حقاً فكان ينبغي عليه معاقبة جان بردى الغزالي، وأن لوم يونس باشا له غير كاف، يقال : إن السلطان سليماً كان في حاجه إلى هؤلاء الأمراء المماليك لاستخدامهم في إدارة البلاد كمرحلة انتقالية من الحكم المملوكي إلى الحكم العثماني، لأن مصر بلد كبير لها نظام مالي وإداري معقد الأمر الذي حتم على العثمانيين أن يستخدموا المماليك في إدارة البلاد إلى أن يستوعبوا نظام البلاد وأسرار إدارتها وسيأتي الحديث عن ذلك بمزيد تفصيل في نهاية البحث.

٣- بعد شهر من خروج السلطان سليم من مصر عادلاً إلى اصطنبول تم ضبط خمسة من الجنود العثمانيين يتعرضون للناس في الطرقات ويخطفون النساء والصبيان، فتم توقيع العقوبة الشديدة عليهم قال ابن إياس : ( فلما قبض عليهم، رسم سنان باشا أحد أمراء ابن عثمان بأن يشنقوا، فشنع منهم اثنان على باب زويلة، وواحد على باب الشعرية، وأما الاثنان الآخزان فقد شنع فيهما من الشنع ذلك اليوم فسجننا<sup>(٤٨)</sup>).

فإن قيل إن استثناء اثنين من العقاب أمر يجافي العدالة، يقال إن الجريمة المذكورة تستوجب حد العراية لأنها تدخل تحت قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُخَابِرُونَ اللَّهَ وَيَسْأَلُونَ وَيَسْتَفْتُونَ فِي الْأَرْضِ مُنَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلَابٍ أَوْ يَنْقَلُوا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جُزْءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [ المائدة ٣٣ ]. وقول جمهور العلماء في الآية أن ( أو ) هنا للتويع على حسب الجريمة، فمن قتل وأخذ المال يقتل ويصلب ومن قتل دون أن يأخذ المال يقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل تقطع يده ورجله من خلاف، ومن خاف المسيل ولم يأخذ المال ينال من الأرض، والإنفى هو الحبس في أحد القولين. ففعل الاثنين الذين سجننا كما من الصنف الأخير.

٤- الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي كان مقيماً بالقاهرة وأخذه السلطان سليم إلى اصطنبول، قام ذلك الخليفة بحرمان أولاد عمه خليل من نصيبهم في إقطاع الخلافة فرفعوا أمره للسلطان سليم، فأرسل قاصداً ( مندوباً ) من عنده إلى القاهرة ليقسم إقطاع الخلافة بينهم بالعدل، وقد سجل ابن إياس نفسه هذه الواقعة فقال عن السلطان سليم : ( فحقق من الخليفة ورسم بأن يكون إقطاع الخلافة وجهاتها تقسم بينهم ثلاثة أثلاث من الجميع بالمسوية. فأرسل هذا القاصد يحاسب لهم عن ذلك، فلما حضر القاصد رسم على مباشري الخليفة وعلى دوايره برد بك وقال لهم : فيموا لنا حساب معلوم أولاد خليل من حين مات أبوه وإلى الآن، واستمر هذا القاصد يضيق على المباشرين وجماعة الخليفة بسبب ذلك، وانتصفت أولاد خليل على الخليفة غيرة الإنصاف<sup>(٤٩)</sup> ). وهناك وقائع أخرى يضيق المقام عن ذكرها، ولكنها تليد اهتمام السلطان سليم ووزرائه بالرعية وبالفصل في الخصومات وإشاعة العدل وقد أوردها ابن إياس نفسه في تاريخه، ومع ذلك يعد في كثير من الأحيان إلى وصف السلطان سليم خاصة،

ورجال دولته عامة بالظلم والتعدي، وعدم الحرص على إشاعة العدل بين الناس، فتعجب من ذلك التناقض.

**خامساً :** ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن ينسب إليهم تأمين طريق الحج. بعد أن كان محطوفاً بالمخاطر في أيام السلطان المملوكي قاتصوه الغوري، إلى حد أن تم منع خروج قوافل الحج من الشام أربعة أعوام متتالية<sup>(١٠)</sup>، أما قوافل الحج من مصر فقد منع خروج النساء فيها لبضعة أعوام، وفي أحد الأعوام لم يخرج الحج أصلاً لا رجالاً ولا نساء، وكان ذلك بسبب الفتن في مكة وتعديات العريان على الحجاج<sup>(١١)</sup>. فقد كانت السلطنة المملوكية آنذاك قد بلغت حداً من التدهور والانهيار لم تعد قادرة معه على تأمين قوافل الحج، أما في العصر العثماني فكان الأمر بخلاف ذلك، فعن موسم الحج في عام ٩٢٥هـ قال ابن إياس : (دخل الحاج إلى القاهرة صحبة المحمل الشريف، وأمير الحاج الأمير برسمباي، وقد أثنوا عليه الحجاج خيراً فيما فعله في طريق الحجاز وأخير الحجاج أن كان معهم الأمن والرخاء بطول الطريق)... وفي موسم حج عام ٩٢٦هـ قال : (دخل الحاج إلى القاهرة مع الأمن والسلامة صحبة الأمير جاتم أمير ركب المحمل... وتعرضت لهم جماعة من العريان في الطريق، فاتفقوا مع الأمير جاتم أمير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة. فرجع الحاج وهم راضون عن أمير الحاج جاتم، وأثنوا عليه كل جميل، وشكروا له الزيارات النبوية في بركة الحاج) وفي موسم عام ٩٢٧هـ قال ابن إياس: (ولما رجع الحاج أثنى على الأمير جاتم أمير الحاج بكل جميل في حفظه للحجاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من أنواع البر والمعروف)<sup>(١٢)</sup>.

أما عن الحج الشامي ففي عام ٩٢٤هـ تمكن أمير الحج من الانتصار على العريان الذين تعدوا على الحجاج بسبب حسن تجهيز الجنود، قال ابن طولون النمشقي : (العرب من آل دغيم وقفوا للحاج بعد أن حملوا من تبوك عند مقابر القلندرية، وقصدوا أن يحلوا بين الحاج وبين الأخيضر، فتحاربوا هم وإياهم نهائياً، ثم انتصر الحاج عليهم وأخذوا منهم ثلاثة من أعينهم وعدة من الخيل بسبب رماة التندق<sup>(١٣)</sup> التي معهم، ويقال عدتهم مائة، ثم توجهوا إلى الأخيضر سالمين ففقت البشار لذلك بمشقي)<sup>(١٤)</sup>.

الشاهد من ذلك أن ابن إياس رأى بعينه وكتب بيده أخبار عودة الحجاج سالمين من مكة دون أن يتعرض لهم أحد بأذى، وبالرغم من ذلك لم يحمده للسلطان سليم ولا عده من مناقبه، ولا نسب الفضل فيه للعثمانيين، وكان الأجدر به وهو يدون عودة الحجاج سالمين آمينين، ويدون ثناءهم على أمراء الحج أن ينكروا بما كان يلاقيه الحجاج في أيام السلطان الغوري من قتل وهتك للأعراض ونهب للأموال على يد العريان، فكان يجدر به أن يشير إلى ذلك ويثني على السلطان سليم الأول، لكنه تغافل عن ذلك كما لو كان يأبى أن ينسب للسلطان سليم تلك المنقبة العظيمة. ومما تجدر ملاحظته أن أمراء الحاج المذكورين كانوا من المماليك !. فما الذي يدل أحوال الحجاج من الخوف والرعب إلى الأمن والاطمئنان ؟ إن الذي تبدل هو الحكم والإدارة بانتقالها من المماليك إلى العثمانيين، وهذا يدل على أن الأزمة في أيام الغوري كانت

أزمة إدارة وحسن تجهيز، فقد كانت بلغت الدولة المملوكية في تلك الفترة مبلغاً من العجز الإداري إلى حد عدم القدرة على تأمين طريق الحج !. فلما جاء بنو عثمان أعادوا الأمور إلى سابق الزمان.

**خاتمة :** ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه وصفهم بأبشع الصفات التي لا يمكن أن يصدقها العقل فقال : (كانوا جوعائين العين، أنفسهم قذرة، يأكلون الأكل وهم راكبون خيولهم في الأسواق، وعندهم عفاشة في أنفسهم زائدة وقلة دين، يتجاهرون بشرب الخمر في الأسواق بين الناس ولما جاء عليهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلي في الجوامع ولا صلاة الجمعة إلا قليل منهم، ولم يكن عندهم أدب ولا حشمة، وليس لهم نظام يعرف، لا هم ولا أمراؤهم ولا وزراءهم، وهم هجج كالبيهايم)<sup>(١٠)</sup>.

**قلت :** هذا كلام لا يمكن لعائل أن يصدق، ومع الأسف نقله كثير من أساتذة التاريخ في كتبهم وهو باطل بلا ريب عقلاً ونقلاً، فإما من جهة العقل فلا يمكن لجيش هذه صفته أن تقوم دولة عالمية عظمى على اكتافه أبداً! من الممكن أن يحقق جيش كهذا انتصارات كاسحة مؤقتة كانتصارات جيش جنكيز خان على سبيل المثال، لأن نواحي القصور في النظام كان يجبرها وجود قائد عسكري فذ مثله، ولكن لما مات **جنكيز خان** سقطت دولته، وكذلك جيش تيمورلنك فقد حقق انتصارات كاسحة شرقاً وغرباً وأسس دولة عظمى، فلما مات تلاشي أمرها كان لم تغن بالأمس، ومن قبل هؤلاء الإسكندر المقدوني حقق انتصارات عظمى فلما مات انقسمت إمبراطوريته إلى دويلات صغيرة. أما السلطنة العثمانية العظمى فهي إحدى دول الإسلام، فلم تكن دولة فرد وإنما قامت على منهج حفظ لها الاستمرار قروناً طويلة تنتقل من نصر إلى نصر، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بجيش نظامي خال من تلك النقائص، ومعلوم لكل من درس التاريخ العثماني أن دولة بني عثمان قامت على أساس الجهاد في سبيل الله، وكان ذلك هو باب النصر لها على مر العصور، ولا يمكن لرجل لا يصلي ولا يصوم ويشرب الخمر أن يكون مجاهداً في سبيل الله أبداً.

أما من جهة النقل فقد شهد العدو قبل الصديق بحسن نظام الجيش العثماني، وحسن إسلام أفرادها وتدينهم، وأنا لن أتذك بنقول من المصادر الإسلامية نلنا يقول قاتل إتهم يزكون أنفسهم أو يداخون حكامهم، بل سأذك بما قاله المؤرخون الغربيون من ألد أعداء العثمانيين في عصور مختلفة، فمنهم القس اللاتيني (ليوناردو الفيومسي) الذي كان شاهداً على فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح عام ١٤٥٣م فقد قال في تقريره الذي رفعه لبلبا روما : (وتودى في معسكر السلطان بأنه يجب إيقاد النيران في الأيام الثلاثة السابقة على يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو، وأن يتوجهوا فيها بالدعاء إلى ربهم علاوة على صيامهم أيضاً، وأن يعدوا أنفسهم للقتال من أجل الهجوم التريومفي على المسيحيين... يا إلهي! إذا سمعت تلك الأصوات وهي ترتفع إلى عنان السماء، وهي تصيح (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهي تعني أن الله موجود وسوف يستمر إلى الأبد، وأن محمداً هو خاتمه. لا بد أن لمساتك سوف ينطق

وتصاب بالدهشة والذهول لما جرى... وصنعوا طوال اليوم ولم يقرؤوا الطعام حتى الليل، وأخذوا يحبون ويودعون بعضهم البعض ويتبادلون الطاق والقبالات<sup>(١٦٦)</sup>.

وقال المستشرق الألماني كارل بروكلمان نقلاً عن المصادر الأوروبية، واصفاً جيش السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول الذي تولى الحكم في الفترة من (١٤٩٦هـ/١٥٢٠م وحتى ١٥٦٦هـ/١٥٦٦م) : (والحق أن جميع المصادر الأوروبية حافظة بإطراد روح النظام التي تكشف عنها الجيش العثماني، فلم يكن فيه مكان للخمر أو القمار أو البغاء وهي آفات لم تسلم منها في يوم من الأيام جيوش أوربه لذلك العهد، وكانت الحرب ضد الكافرين لا تزال تعتبر واجباً دينياً، ولقد كان لذلك أثر كبير في ضمان الغلبة على التنصاري يوم كان الجيش العثماني في أوج قوته)<sup>(١٦٧)</sup>.

وقال الراهب النصاركي (أولوف إيلجسون) الذي كان أسيراً عند العثمانيين، فلما أطلق وعاد إلى بلاده كتب مذكراته، ونشرت في أوائل القرن ١٦هـ/١٧م، فقد جاء فيها : (كان الطعام الذي يقدم لنا نحن الفورسا " الأسرى المحبسون " من نفس الطعام الذي يقدم للضباط الأتراك في مقصوراتهم، وشيء آخر وهو أن الأتراك كانوا يقدمون للفورسا الراغبين البيرة الشراب والبراندى، رغم أنهم لا يشربون المشروبات عدا الماء)<sup>(١٦٨)</sup>.

والكاتب الإنجليزي (وليم كونجريف) كتب مسرحية *The Way of the World* عام ١٧٠٠م جاء فيها أغنية تقول : (الشرب خاصة لصلواتية. لا يعرفها التركي. دع المحمديين يعيشون ملتزمين بقواعدهم. ولكن دع الإنجليز يقرؤوا ويشربون. على صحة الملك. وأف للسلطان والصفوية)<sup>(١٦٩)</sup>.

هذا وصف الجيش العثماني في عصور مختلفة كما جاء على ألسنة أعدائهم، فليست أرى من أين جاء ابن إياس بتلك الأوصاف البذيئة، وجدير بالذكر أن تلك الأوصاف الشنيعة قد تصدق على بعض الجنود، فهذا وارد في كل زمان لكن ابن إياس لم يستطع أن يمنع نفسه من تعميم ذلك على الجيش العثماني كله، مما يدل على شدة تحامله على العثمانيين فجافى الإنصاف في وصفه إياهم، لاسيما أن أقرانه من معاصريه لم ينكروا شيئاً من ذلك ولا حتى أشاروا إليه.

**وابها :** ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه أغفل أن يذكر للسلطان سليم أحد أهم مناقبه، وهي طرده البرتغال من البحر الأحمر، من خلال المعارك البحرية التي قادها الرئيس سلطان العثماني إبان وجود السلطان سليم في مصر، ففتح البحر الأحمر من جديد، وعانت السفن تبحر فيه بفضل الله بعد تسع سنوات من إغلاق البرتغال إياد، وفقاً لما ذكره ابن إياس نفسه كما قدمنا. فمن العجيب أن المؤرخ الهندي زين الدين المعبري الذي كان بعيداً عن البحر الأحمر يذكر ذلك في كتابه قائلا : (قارسل الأمير سلطان وراهم " البرتغال ".....<sup>(١٧٠)</sup> فريهما ثلاثون رجلاً فأخذوا منهم غراياً صغيراً "مركباً" في كمران وفيه اثنا عشر نصرانياً ووصلوا بهم إلى

جدة، ثم إن الملاحين توقفوا في كمران لانقطاع الموسم الهندى، ثم رجعوا إلى كوهه<sup>(٧١)</sup> خائبين بإذن الله تعالى، وذلك من فضل الله<sup>(٧٢)</sup>... فهاهو المورخ المقيم بالهند يصف تفاصيل المعركة أما ابن إياس المقيم بالقاهرة، فلا يذكر ذلك ! ولا حتى أشار إليه إشارة ١. وإنما اكتفى بذكر خبر عودة الرئيس سلمان إلى القاهرة لمقابلة السلطان سليم فقال : (ولما حضر الرئيس سلمان أحضر صحبته جماعة من الفرنج الذين كان أسرهم من بحر الهند ممن كان يتبعه به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذين يمرون هناك)<sup>(٧٣)</sup>... ولم يذكر ابن إياس أن الرئيس سلمان طرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل حتى أنه انسحبوا من كمران وعادوا إلى الهند. ولا نذكرنا ابن إياس أن الملاحة عانت إلى البحر الأحمر على يد السلطان سليم بعد تسع سنوات من التوقف التام، ولا شك أن ابن إياس كان على علم بطرد البرتغال من البحر الأحمر بالكامل لأنه ذكر أنه في عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م تم إرسال كسوة الكعبة وأموال الصنفاة للحرمين الشريفين عن طريق البحر عبر ميناء جدة<sup>(٧٤)</sup> ولاشك أن في ذلك دليلاً على أن الملاحة في البحر الأحمر كانت آمنة تماماً من أى تواجد للسفن البرتغالية، ولا شك أن إغفال ابن إياس لذكر ذلك صراحة فيه تحامل شديد على العثمانيين، كما لو كان يكره أن ينسب لهم أى مكربة!

**خامساً :** وصف ابن الفتح العثماني لمصر بأوصاف فيها مبالغة شديدة، فشبّهه باستيلاء بختنصر البابلي على مصر قبل الميلاد، ويهدوان هولاء على بغداد ولا يخفى ما في ذلك من المبالغة الشديدة، فقد قال ابن إياس : (ولم تقاس أهل مصر شدة مثل هذه قط إلا أن كان في زمن البخت نصر البابلي لما أتى من بابل وزحف على البلاد يصادره وأخربها وهدم بيت المقدس، ثم دخل إلى مصر وأخربها عن آخرها وقتل من أهلها مائة ألف ألف إنسان حتى أقامت مصر أربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافع نار، فكان النول يطلع وينقرش على الأرض ويهبط فلا يجد من يزرع الأراضي عليه ولا ينفع به. ولكن هذه الواقعة لها فوق الألفى سنة، قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فترة هولاء منك التتار، لما زحف على بغداد وأخربها، وأحرق بيوتها، وقتل الخليفة المستعصم بالله وقتل أهلها فاستمرت من بعد ذلك خراباً إلى الآن، فوقع لأهل مصر ما يقرب من ذلك)<sup>(٧٥)</sup>.

**قلت :** لا مجال إطلاقاً للمقارنة بين السلطان سليم وبختنصر أو هولاء، لاختلاف الدوافع والأهداف بالكنية، كما أن من سقطوا من قتلى وجرحى خلال عملية الفتح العثماني لمصر، سواء من الجوش العثماني أو من الجيش المملوكي قد سقطوا في إطار عمليات حربية حتمتها الظروف السياسية والمصلحة العامة للمسلمين كما تقدم بيانه، فلم تكن أعمالاً انتقامية لمجرد التتكيل بالناس كأعمال بختنصر أو هولاء. كما أنه لا يخفى ما في قول ابن إياس من مبالغة شديدة فلا يمكن أن يكون قد قتل من أهل مصر في غزو بختنصر هذا العدد الضخم (مائة مليار إنسان) ! إن سكان العالم كله في زماننا هذا سبعة مليارات فكيف بالحال قبل الميلاد ! ثم هل وقع من السلطان سليم مثل ما وقع من بختنصر ؟! هل قتل كل هؤلاء ؟! هل عذمت مصر الناس أربعين عاماً ؟! ثم إن تشبيهه السلطان سليماً بهولاء فيه تجاوز شديد أيضاً فقد قال

شمس الدين الذهبي عن دخول هولاكو بغداد : (فدخلوا السيف في بغداد واستمر القتل والمسي في بغداد بضعا وثلاثين يوماً، ولم ينج إلا من اختلف، فبلغا أن هولاكو أمر بعد ذلك بعد القتل فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف ومصر والأصمح أنهم بلغوا ثمانمائة ألف، ثم نودي بعد ذلك بالأمان ويظهر من كان قد تخبأ وهم قتل من كثير)<sup>(٧٦)</sup>.. وقال ابن كثير عن دخول هولاكو بغداد : (ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايع والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقتلوا الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويخفون عنهم الأبواب، فتفتحتها التتار إما بالكسر وإما بالنار ثم يدخلون عليهم فيهرسون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجرى الميازيب من الدماء في الأزقة فبأ الله وإنا إليه راجعون)<sup>(٧٧)</sup>.

قلت : من المتفق عليه بين الجميع بمن فيهم ابن إياس نفسه أن السلطان سليماً لما دخل مصر لم يحدث من جنوده ريع معشار ما حدث من جنود هولاكو، ثم إن ما وقع من قتل على يد الجيش العثماني كان في إطار عمليات حربية سقط فيها قتلى وجرحى من الطرفين، وهي عمليات حتمتها المصلحة العامة للمسلمين، وليس انتقالاً وتكديلاً ورغبة في إغناء الشعب كالذي فعله هولاكو، فتشبيه ابن إياس السلطان سليماً بيهولاكو، خطأ فادح وقع فيه ابن إياس. وإنما يدل على تحامله الشديد على العثمانيين ويغضه لهم إلى حد ألفه صوابه، فراح يقول مثل هذا الكلام الذي يناقض ما كتبه هو نفسه بخط يده من وقائع الفتح العثماني لمصر.

**سادساً :** ومن مظاهر تحامل ابن إياس على العثمانيين أنه لما أمر به السلطان سليمان بن سليم من توحيد القضاء في مصر على المذهب الحنفي، بعد أن كان هناك قاض لكل مذهب من المذاهب الأربعة وبالرغم من أن ذلك كان عملاً جليلاً انتظم به القضاء في مصر، إلا أن ابن إياس بالغ في نومه؟! فإن الأصل في مصر منذ أن دخلها الإسلام أنه كان بها قاض واحد يستتب عنه نواباً في الأقاليم، وظل الأمر كذلك حتى زمن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس إذ جعل قاضياً لكل مذهب من المذاهب الأربعة في عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م<sup>(٧٨)</sup>، ولا يخفى ما في ذلك من المفاسد كالاختلاف وتفرق الكلمة فطوبى أن اختلاف الآراء قد يكون مفيداً ولكن بشرط وجود قيادة تحسمه، وكانت تتمثل تلك القيادة في منصب قاضي القضاة، ولكن منذ عهد الظاهر بيبرس أصبح هناك أربعة كل منهم قاضي القضاة لمذهبه وقد ذكر ابن حجر الصفحاني في أحداث عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م أن القضاة الأربعة في حلب اختلفوا فيما بينهم، واتسع الخلاف، فأرسل كل منهم محضراً إلى السلطان يسق الآخرين فعزلهم السلطان جميعاً<sup>(٧٩)</sup>.

فلا ريب أن تلك البدعة التي ابتدعها الظاهر بيبرس حملت معها كثيراً من المفاسد، وقد قال المقرئ : (زاني السلطان بيبرس بعد موته في التوم قيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما رأيت شيئاً أشد علي من ولاية قضاة أربعة وقيل لي فرقت الكلمة)<sup>(٨٠)</sup>.

ومما يدل على فساد نظام القضاة الأربعة الذي أحدثه الظاهر بيبرس أنه لما أراد أن يفعل ذلك في دمشق رفض بعض قضائتها ذلك، فقد رفض المالكي والحنبلي قبول المنصب حتى أئزماه السلطان به فقبلاً بشرط عدم الحصول على راتب. قال المقرئبي : لم يقبل المالكي ولا الحنبلي. وقبل الحنفى فورد مرسوم السلطان بإئزماه بذلك وأخذ ما بأياديهما من الوظائف إن لم يفعلوا فأجابا. ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورد المرسوم بإئزماه فأجاب، وامتنع هو والحنبلي من تناول جامكية (مرتب) على القضاء، وقال بعض أبناء دمشق لما رأى اجتماع قضاة، كل واحد منهم لقبه شمس الدين :

أهل دمشق استرأوا	من كثرة الحكام
إذ هم جميعاً شمويس	وحالهم فى ظلام <sup>(٨١)</sup>

وقد علق ابن كثير على تلك البدعة بقوله : (وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم واستقرت الأحوال على هذا المنوال)<sup>(٨٢)</sup>.

ومن جهة أخرى كان نظام القضاء في أواخر عهد السلطنة المملوكية قد اعتراه فساد كبير، وكان القضاء ينفون مبالغ كبيرة للسلطان ليوليهم منصب قاضي القضاء، ومن ذلك ما ذكره ابن إياس في أحداث عام ١٥٠٥هـ/١١٠٥م من أن القاضي جمال الدين القلقشندي تقلد قضاء الشافعية ثلاث مرات بتلك الطريقة، كانت آخرها بثلاثة آلاف دينار، فلما دفع القاضي ابن النقيب للسلطان الغوري خمسة آلاف عزل القلقشندي وولاه مكانه، قال ابن إياس : (أخضع السلطان \* الغوري \* على قاضي القضاء الشافعي محي الدين عبد القادر بن النقيب، وأعادته إلى قضاء الشافعية عوضاً عن جمال الدين القلقشندي، فكانت مدة جمال الدين القلقشندي في القضاء نحواً من ستة أشهر، وقد سعى فيها بثلاثة آلاف دينار ثم سعى عليه ابن النقيب بخمسة آلاف دينار، وغرم نحواً من ألفي دينار للذي سعى له من الأمراء وغيرهم وكان الساعي له الأمير أزمير الدوادار وغيره من خواص السلطان، وهذه ثالث ولاية وقعت لابن النقيب بمصر، وقد نفذ منه مال له صورة على ولاية القضاء، ولم يبق بها في الثلاث مرات إلا ممدداً يسيرة ويعزل عنها)... وقد ذكر ابن إياس في أحداث عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أن القاضي محي الدين يحيى الدميري تولى قضاء المالكية بألفي دينار<sup>(٨٣)</sup>.

ولا ريب أن تلك المبالغ كانوا يجيئونها من الناس بالرشوة، وذكر ابن إياس نفسه أن مما قاله الأمير المملوكي خضقدم للسلطان سليم عن فساد أحول مصر (أن قضاة مصر قاطبة يأخذون الرشوة على الأحكام الشرعية)<sup>(٨٤)</sup>.

وقد ظل القضاء يتولون القضاء بالرشوة حتى أبطل ذلك السلطان طومان باي عندما كان السلطان سليم في طريقه إلى مصر، قال ابن إياس : (ولم يأخذ السلطان من القضاة الذين ولاهم

الدرهم الفرد ومنع القضاة أن لا يسعوا في منصب القضاء بمبلغ وقيل لهم : أنا ما أقبل رشوة في ولاية أحد من القضاة فلا تأخذوا أنتم رشوة من الناس أبداً<sup>(٨٥)</sup>.

لا ريب أن مؤسسة قضائية تدار على هذه الشائكة إنما هي مؤسسة فاسدة، وقد روى ابن إياس واقعة مؤسفة تدل أبليغ دلالة على ذلك في عام ٩١٩هـ/١٥١٣م مضمونها أنه تم ضبط قاض من نواب قاضى القضاء الشافعى متلبساً بالزنى بمحصنة، فرفع الأمر إلى السلطان الغورى فتم الحكم عليهما بالرجم بعد أن أقر ذلك الحكم القضاة الأربعة فى نفس المجلس، ولكن رجع القضاة الأربعة عن حكمهم تعصياً للزنى لأنه من نواب القضاء، وأوجدوا لذلك تأويلات شرعية، فغضب عليهم السلطان غضباً شديداً واستدعاهم ولكنهم أصروا على ما قالوه، فقال لهم: (إننا الأربعة قوموا ولا ترونى وجوهكم قط) ثم عزل بعضهم<sup>(٨٦)</sup>.

فكان ينهض على ابن إياس الذى علم ما آلت إليه المؤسسة القضائية فى أواخر العصر المملوكى من فساد، أن يظن إلى أن توحيد القضاء بمصر فى زمن السلطان سليمان القانونى على يد القاضى سيدى جلى، إنما يعد من أجل الأعمال التى صلح بها حال الناس من وجهين:

الأول : أن وجود أربعة أنواع من المحاكم فى بلد واحد يفسد مصالح الناس.

الثانى : أن المؤسسة القضائية فى مصر كان الفساد ضارياً أظنابه فيها، فكان يجب أن تزال، لاسيما وأن قاضى القضاء الشافعى كمال الدين الطويل، وقاضى القضاء المالكي محى الدين الدميرى الذين كانا فى منصبيهما عندما صدر فرمان المملطاني بتوحيد القضاء، كانا يتوليان هذين المنصبين فى واقعة القاضى الزانى المذكورة آنفاً. ثم إن السلطان سليمان لم يهمل عمل القضاء الأربعة بالكلية، وإنما جعلهم نواباً للقاضى العثماني، من كل مذهب نائب، وأن تكون عقود الوصايا والأوقاف والأنتحة وغيرها منوطة بالقاضى العثماني دون غيره، وأظن أن السبب فى ذلك هو فساد نواب القضاء فى مصر آنذاك، والدليل على ذلك أنه فى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م إبان وجود السلطان سليم فى مصر، وبالرغم من أنه أمر ألا يعقد أحد من النواب عقداً إلا عند القاضى العثماني فى المدرسة الصالحية، إلا أن نواب القضاء لم يلتزموا بذلك وباشروا كتابة العقود، حتى أن أحدهم باشر عقد زواج أرملته قبل أن تكمل عتبتها، فعاقبوه وأشهره فى القاهرة<sup>(٨٧)</sup>. ولو أردنا أن نفصل فى مظاهر فساد القضاء فى مصر فى أواخر العصر المملوكى لطال بنا الكلام ولخرجنا عن مقصدنا، ولكن نكتفى بذكر أسباب توحيد القضاء كما جاءت فى القانون الصادر بها من قبل السلطان سليمان القانونى ابن السلطان سليم :

(أنه فى الزمن القديم عندما يقترب أحد القرويين ذنباً ما ويفصل فى أمره، تبرأ منه تماماً ولكن الكشاف كانوا يعيدون ويقضون على هؤلاء مرة أخرى ويحدثون عليهم بأنواع الإيذاء المختلفة... وعندما كانت تحدث بعض المخاصمات بين بعض الرعايا من العوام، كانوا يتوجهون لحل منازعاتهم عند والى المدينة بدون أن يرجعوا إلى مجلس حاكم الشرع " القاضى " فى شيء

من ذلك، حيث كان الوالى يقوم بالفصل فى مثل هذه الخصومات بنفسه بدون وجه حق، كما كان بعض القضاة فى مصر يقومون ببيع محاكمهم ووظيفة العمل بها لبعض النواب كمقاطعة<sup>(٨٨)</sup>.

خلاصة الأسباب التى لأجلها تم توحيد القضاء إما ضعف القضاء أمام الكشاف والولاة أو ضادهم، وبالتالي فإن النظام القضائى الذى وضعه السلطان سليمان بعصر، حتى وإن ترتب عليه تقليل عدد نواب القضاء وفقدان بعضهم لوظيفتهم إلا أننا إذا نظرنا إلى الصالح العام سنرى أنها إصلاحات عظيمة، فكان يجب أن تكون تلك الإصلاحات محل تقدير من ابن إياس، لكنك تجد العكس من ذلك فإنه قد اعترض على توحيد القضاء، وسب القاضى العثماني ونعمه لا بسبب ظاهر ولكن بسبب بغضه للعثمانيين بصفة عامة كما يبدو، فهو لا يرى لهم حسنات أبداً وإن كانت واضحة مثل قلى الصبح، فقد قال ابن إياس تعليقاً على ذهاب القاضى العثماني إلى مكة : (خرج قاضى العسكر من مصر أراح الله تعالى المسلمين منه فما حصل منه لأهل مصر خير، فعزلت القضاء الأربعة بسببه وأخرج عنهم الأنتظار، ومنع الشهود من الجلوس فى المجالس القلابة وأسمر دكاكينهم، ومنع نواب القضاء الأربعة من الأحكام الشرعية، ولم يبق منهم غير من تقدم القول عليه، وضيق على الناس بسبب عقود الأتكة وقرر عليهم ما تقدم نكره من المبلغ، وصار لا يعد عداً إلا فى المدرسة الصالحية)<sup>(٨٩)</sup>.

نلاحظ هنا أن كل ما نقمه ابن إياس على القاضى العثماني أنه قام بعملية تنظيم صارمة وضيق على طرق الفساد وهذا أمر عجيب جداً من ابن إياس، ولكن الأعجب منه ما قاله هو نفسه بعد ذلك ببضعة أسطر عن ذلك القاضى العثماني نفسه مناقضاً ما قاله أولاً، قال : (فلما سافر قاضى العسكر جعل القاضى صالح العثماني نائباً عنه، يحكم فى المدرسة الصالحية إلى أن يحضر من الحجاز، وكان قاضى العسكر قبل أن يسافر ولى ستة وعشرين نائباً من نواب القضاء الأربعة، وجعل منهم من هو فى بولاق وفى مصر العتيقة، وفى جامع ابن طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الأماكن، وجعل فى كل مجلس من مجالس القضاء أربعة نواب من المذاهب الأربعة يقضون بين الناس بالحق)<sup>(٩٠)</sup>.

قلت : إن كان ابن إياس نفسه يقر بأن القاضى العثماني لم يبطل عمل القضاء الأربعة ونوابهم بالكلية بل عين منهم ستة وعشرين نائباً، وأنهم فى كل مجلس يحكمون بين الناس بالحق، وأن الأمر لم يتعد سوى وضع تلك المؤسسة القضائية الفاسدة تحت الرقابة المباشرة للدولة، فإيم القضب والضيق والحق على القاضى العثماني...؟ فربما أن ابن إياس أبى نفسه عليه أن يرى العثمانيين يحكمون على أبناء جنسه من الجزاكسة، فراح يطعن فيهم بغير حق.

سابعاً : ومن مظاهر تعامل ابن إياس على العثمانيين، هو ما نقمه على قاضى العسكر العثماني بدون حق عندما أمر بمنع النساء من الخروج إلا للضرورات، ولعل كثيراً من الناس ليعلمون أن عدداً ليس بالقليل من نساء مصر فى الزمن المملوكي كن قد افتقدن الحشمة والوقار، فانتشر الفساد فى البلاد فلما جاء القاضى العثماني ورأى ذلك، وضع ضوابط لخروج

النساء وركوبهن للحمير والبغال لإعادة الحشمة والوقار إلى الشارع، وكان الذي حمل القاضى على اتخاذ ذلك القرار أنه رأى جماعة من النساء يتحدثن مع جماعة من الفرسان الأتراك فى وسط السوق، فغضب لأجل ذلك غضباً شديداً، قال ابن إياس : (التقى أن قاضى الصكر طلع إلى القلعة فرأى نسوة يتحدثن مع جماعة من الاصبهانية <sup>(١١)</sup> فى وسط السوق فعز ذلك عليه، فلما طلع إلى القلعة قال لملك الأمراء <sup>(١٢)</sup> : " إن نساء أهل مصر أقسدت عسكر الخونكار <sup>(١٣)</sup> ولا بقى ينفع للقتال قط. وقص عليه قصة النسوة مع الاصبهانية، فتغير خاطر ملك الأمراء على النساء قاطبة ورسم للوالى بأن ينادى بأن امرأة لا تخرج من بيتها مطلقاً، ولا تركب على حمار مكارى مطلقاً، وكل مكارى ركب امرأة شتى من يومه من غير معاودة فى ذلك .... ثم خفف القاضى بعد أيام من غلواء ذلك الحكم. قال ابن إياس : (ثم تكلم الناس مع قاضى الصكر فى أمر النساء، وأن لا يمنعا من طلوع الترب وبخول الحمام وزيرة الأقارب، فأذن لهن فى ذلك، وأن المرأة لا تخرج الطريق إلا مع زوجها، وأن لا يدخل الأسواق إلا العجائز فقط، فسمح لهن قاضى الصكر بذلك وأنهن لا يركبن إلا الخيل أو البغال دائماً) <sup>(١٤)</sup> .... ثم قال ابن إياس : (باعت المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها أكفيس وشدها بنصف رجل، وصارت النساء يركبن عليها بسجادة والمكارية قائد لجام الأكديش، واستمروا على ذلك، وبطل أمر الحمير المكارية من القاهرة) <sup>(١٥)</sup>.

**قلت :** الأكديش هو البرزون <sup>(١٦)</sup>، وقال الشيخ الهوى المرقى : (قال المطرزي : البرزون هو التركي من الخيل وهو خلاف العرب) <sup>(١٧)</sup>. الشاهد أن القاضى استاء من مظاهر الخلاعة مثل ركوب النساء على الحمير بصحبة المكارية، وخروج النساء إلى الأسواق واختلاطهن بالرجال لغير حاجة، فأمر بمنع ذلك وألزم النساء بركوب الخيل بعد شدة بنصف رجل، لكى يكون اختلاطها بالمكارية فى أضيق الحدود فلا شك أن هذا عمل جليل من أعمال القاضى، فهو بذلك حسم مادة الفساد، وضيق على اختلاط الرجال بالنساء، وأحبى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو أسيد الأنصارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ امتأجلن فجأة لهن لئن كن أن تحففن الطريق عليكن بخافات الطريق فقاتت المرأة تلتنصق بالجذاب حتى إن ثوبها ليرتقى بالجذاب من لمصوبها به ﴾ <sup>(١٨)</sup>.

هذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهم أظهر الناس قلوباً وأعظم عن المنكرات وقد قالت أمنا عائشة رضى الله عنها : ﴿ لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ما أحدثت النساء لمتعهن المنسجد فما منعت نساء بتي (سراويل)، قال : فقلت لعنزة : أئساء بتي (سراويل منبغ المنسجد ؟ قالت : نعم ﴾ <sup>(١٩)</sup>.

**قلت :** وما عسى أن يكون قد أحدثه النساء فى زمن عائشة رضى الله عنها. ١٩. التطبيب. ٢٠. إظهار الحنى. ٢١. فكيف الحال بمجتمع ظهر فيه الفساد على النحو الذى ذكره المؤرخون فى أواخر العصر المملوكى، فقد حدثنا المقرئى عما كان يحدث فى يوم وفاء النيل عند فتح الخليج،

فقال عن ( بركة الرطني ) : ( وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصري فتدور بها تحت البيوت وهي مشحونة بالناس، فتقر هناك للناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس في المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات، واختلاطهن بالرجال من غير إتكاف<sup>(١٠٠)</sup>... وفي الخليج الناصري كان يحدث مثل ذلك، إلى أن تم منع دخول مراكب التزفة فيه في زمن السلطان الأشرف شعبان، ثم عاد الفساد إلى ما كان عليه. قال المقرئ : ( ولم تزل مراكب الفرجة ممتعة من عبور الخليج إلى أن زالت دولة الظاهر برفوق في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فأذن في دخولها وهي مستمرة إلى وقتنا هذا<sup>(١٠١)</sup>... كما يحدثنا المقرئ في أحداث سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م أن شاطئ النيل كان يجتمع عنده الرجال والنساء ويحدثون المنكرات. قال المقرئ : ( ركب الأمير سون قرأ صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرد الناس ومنعهم من الاجتماع فبتهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمر ونحوها من المسكرات واختلاط النساء بالرجال من غير استئثار، فعندما طردهم الحاجب اضطربوا ونهب بعضهم بعضاً فذهبت أموال عديدة<sup>(١٠٢)</sup>.... كما يحدثنا المقرئ أنه في عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م لما تفضى الطاعون في مصر، أن السلطان استلقى الطعام في ذلك، قال المقرئ : ( فسأل من حضر من القضاة والفقهة عن الذنوب التي إذا ارتكبتها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة إن الزنا إذا فشا في الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين في الطرقات ليلاً ونهاراً في الأسواق، فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشي في الأسواق، وإنزاعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطي حاجتها، وجروا في ذلك على عادتهم في معارضة بعضهم بعضاً فمال السلطان إلى منعهم من الخروج إلى الطرقات مطلقاً<sup>(١٠٣)</sup>.

وقد ذكر ابن تغري بردي أنه لما وقع بسبب ذلك ضرر كبير لكثير من النساء اللاتي ليس لهن من يقوم على شلونهن فسمح السلطان بخروج الإمام لقضاء حاجات موالينهن<sup>(١٠٤)</sup>... وفي عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م في أيام السلطان الظاهر جقمق وقع مثل ذلك أيضاً، قال المقرئ : ( نودي بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى فامتنعن. ثم نودي لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة<sup>(١٠٥)</sup>).

الشاهد من ذلك أن الأحوال في مصر في أواخر العصر المملوكي كانت فاسدة من حيث تبرج النساء وخروجهن ليلاً ونهاراً واختلاطهن بالرجال في الأسواق وفي المنزهات دون إتكاف إلا عند المصائب فعندئذ ينتبه الطعام والسلاطين ويتخذون إجراءات صارمة للتصدي له، وابن إياس نفسه لم يكن غافلاً عن ذلك، فقد ذكر في تاريخه أن الفساد إذا خرج عن حده كانت تتخذ إجراءات صارمة مشددة، فقال في أيام الظاهر برفوق في عام ٧٩٤هـ/١٣٩٢م : ( نادى الأمير كمشغباً نائب الغيبة بأن امرأة لا تخرج من بيتها، وأن أحداً لا يخرج إلى المتبرجات قاطبة، وأن لا امرأة تلبس قميص بأكماع كبار، وكانوا قد أفضحوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد<sup>(١٠٦)</sup>. قلت: فهذا هو ابن إياس نفسه يذكر أن الأمور لما خرجت عن الحد في عهد السلطان برفوق تم اتخاذ

إجراءات مشددة لمواجهتها، ولم يعارضها ابن إياس بل إن لحن قوله يظهر منه الرضا والإقرار. فلم أنكر على القاضي العثماني ما اتخذه من إجراءات ١٩. فإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على مبلغ تحامله على القاضي وعلى العثمانيين بصفة عامة. بل والأكثر من ذلك قوله عن القاضي العثماني : (وضيق على النساء في ما تقدم ذكره من الخروج إلى الأسواق ومن ركوب الحمبر. فلما خرج من مصر \* إلى مكة \* صنعت النساء رقصاً فقللوا : قوموا بنا نقحب ونسكر فقد خرج عنا قاضي الصكر)<sup>(١٠٧)</sup>.

**قلت :** لا ريب أن تلك الرقصة كانت من تصنيف الثقباء و أسافل النساء، ويتعجب من ابن إياس أن يحتج بقول هؤلاء وينحاز لهن ويتقص من قدر قاضي الصكر إلى هذا الحد، بالرغم من أنه نفسه قد ذكر في تاريخه ما يفيد أن الفساد إذا خرج عن الحد كانت تتخذ إجراءات مشددة لمنع.

لعل فيما قدمناه دليلاً على تحامل ابن إياس الشديد على العثمانيين مما يحتم على ذوي الأبواب من الباحثين أن يتحرروا اللقطة ويحذروا عند نقل الوقائع التي ذكرها عن العثمانيين، وانفرد بها دون سائر المؤرخين المعاصرين وكذلك عند نقل رأيه الشخصي في السلطان سليم أو في العثمانيين بصفة عامة. وبالرغم من أن سبب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أمر متطوّل بالتواهي، لا اطلاع لأحد عليه، إلا أنه يمكن أن نظن أن أسباب تحيزه تكمن في أمرين :

**الأول :** أنه كان من نفس جنس المماليك، فجدّه هو الأمير إياس الفخري، كما تقدم ذكره، أما أبوه فكان من الوجهاء وكان كثير الاختلاط برجال الدولة، وهم من الأمراء المماليك أيضاً، بل إن ابن إياس نفسه كان من أصحاب الإقطاع كما ذكر هو عن نفسه<sup>(١٠٨)</sup> لعله قد ورثه عن أبيه. فبالقطع قد آلمه أن يشهد تصدع وزوال الدولة التي كان يعد من وجهائها، كما أنه شهد مصرع أصحابه وأصحاب أبيه ورأى الأراذل والتكالي واليتامى من أبنائهم، الأمر الذي حجب عنه رؤية الصورة كاملة، فلم يدرك أن الأمر أكبر من أي اعتبارات شخصية أو انتماءات قبلية، فمستقبل الإسلام كله كان في خطر كبير، وما كانت أعمال السلطان سليم إلا لإفقاد من ذلك الخطر ، وقد قاتل السلطان سليم في رباعياته ما ترجمته :

إن خشيته من الاختلاف والفرقة ستظل تقلقى حتى وأنا في الغير

إن تحدنا فضولة الدولة تستطيع دفع الأعداء فإن لم تتحد الأمة فلا راحة لي<sup>(١٠٩)</sup>

**الثاني :** أنه يقرب على ظني أن أحد أهم أسباب تحامل ابن إياس على العثمانيين هو أن الحكم العثماني في الخمس سنوات الأولى التي شهدها ابن إياس قبل وفاته - المرحلة الانتقالية - لم يختلف كثيراً عن الحكم المملوكي باستثناء تنظيم القضاء وتأمين الحج، فلقد بقيت الإدارة في يد

المماليك، إذ أن السلطان سليماً قد عهد إلى الأمير المملوكي خاير بك الذي كان نقيب حلب في عهد السلطان الغوري بأن يكون نائبه في مصر، وأمره أن يقبل كل من جاءه طالباً من أمراء المماليك ويكرمه<sup>(١١٠)</sup> فبقيت المناصب في يد المماليك كما كانت، مثل الأمير جاثم الحمزاوي الذي أصبح فيما بعد من أرباب الحل والعقد، والأمير جاثم الصفي كاشف القبوم وأمير الحج، والأمير قاربتاي اتودادار، والأمير برسباي الخازندار، وقاصدو العدالي كاشف الشرقية، حتى وظيفة المحتسب تولّاها الزينى بركات بن موسى<sup>(١١١)</sup> وهو الذي كان يتولاها في زمن السلطان الغوري، ثم عزله خاير بك في عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وولّاها للقاضي عبد العظيم<sup>(١١٢)</sup>. حتى القضاء الأربعة قد أبقاهم السلطان سليم في مناصبهم<sup>(١١٣)</sup> إلى أن تم تنظيم القضاء بعد بضع سنوات في عهد السلطان سليمان بن سليم كما تقدم، لذلك فإنك ترى أن تلك السنوات الخمس كان يحدث فيها من المظالم مثل ما كان يحدث في زمن المماليك، من مصادرات الناس والتعدي على الرزق الأحباسية والأوقاف وغير ذلك.

وقد يتساءل البعض لماذا لم يول السلطان سليم ولاية من عهده إن كان حقاً يريد إشاعة العدل؟! بهب بعض أساتذة التاريخ ليقولوا أن السلطان سليماً ولى خاير بك على مصر مكافأة له على خيائه للمماليك وتعاونيه مع السلطان سليم وهذا الكلام فيه نظر لأن السلطان سليماً عهد أول الأمر بولاية مصر إلى صهره الأعظم يونس باشا، ثم عزله بعد مدة وولى عليها خاير بك<sup>(١١٤)</sup> وذلك بعد أن فشل يونس باشا في إدارة البلاد، فمصر بلد كبير ولها نظام إداري ونظام مالي خاص، لا يعرفه إلا أمراء المماليك وأعواسهم من الكتبة. قال د. سيد محمد السيد : (عندما أراد الحكام الجدد من العثمانيين أن يتعرفوا على كيفية إدارة المماليك للبلاد، فكان هؤلاء الكتبة يخفون دفاترهم ويطلعون العثمانيين على دفاتر ذات شفرة مالية خاصة، فيعطونهم بذلك معلومات غير صحيحة عن الإدارة في البلاد. مما أوقع الإدارة العثمانية في مصر في حالة من الاضطراب الشديد)<sup>(١١٥)</sup>.

فالحقيقة أن السلطان سليماً لم يجد بداً من أن يعهد بإدارة البلاد إلى حكامها القدامى مؤلفاً إلى أن يتعرف العثمانيون على أسرار حكمها المالية والإدارية، فوقع اختياره على خاير بك، لأجل درايته بتلك الأمور، ولأجل أن يكون واسطة بين السلطان سليم وبين الأمراء المماليك الفارين لاستمئنتهم للدخول في الطاعة، لأن بقاءهم مشربين قد ينتج عنه ما لا يحمد عقباه، قال ابن زنبل الرمال : (السلطان أمر خاير بك بأن كل من جاءه من الجراكسة الهاربين وطلب منه الأمان أن يقبله ويبقيه على منصبه، وأوصاه وأكد عليه في ضبط البلاد والإنصاف بين العباد)<sup>(١١٦)</sup>.... وقد ذكر ابن إياس أن السلطان سليماً أرسل إلى خاير بك من اصطنبول بوصيه بالمماليك الجراكسة خيراً<sup>(١١٧)</sup>. فبقاء الإدارة المملوكية في مصر كان أمراً حتمته الظروف في الخمس سنوات الأولى من الحكم العثماني، وربما كان قد وقع فيها من المظالم مثل ما كان يقع في العهد المملوكي، ومن جهة أخرى كان الجنود العثمانيون لا يوافقون خاير بك، ولم تكن له مهابة في نفوسهم، فكان بعضهم يتعدى على الناس بغير وجه حق، قال ابن إياس : (وكانت

العثمانية الذين بمصر كثر منهم الأذى في حق أهل مصر من حين رحل ابن عثمان عنهم، وصاروا لا يسمعون لخاير بك كلاماً ولا له عليهم حرمة)... وكان قاضى العسكر العثماني يحاول منع ذلك قدر الإمكان ففي المحرم عام ٩٢٤هـ / ١٥١٨م ذهب إلى خاير بك في القلعة وقيل له: (انظر في أحوال المسلمين وإلا تخرب مصر عن آخرها، فقد فسدت الأحوال جداً ومتى بلغ الخنكار هذه الأخبار يرسل يضرب أعناقنا، ويقول لنا كيف كنتموا على أخبار مصر، وغفلتوا عن أحوال المسلمين حتى جرى فيها ما جرى)<sup>(١١٨)</sup>

ولا أظن أن الجنود العثمانيين كانوا سيوفرون أى أمير مملوكى أو بهايونه، فقد كانوا بالأمن القريب يقاتلونهم ويطاردونهم ويأسرون منهم، فهذه طبائع النفوس وتجريد الإنسان من طباعه ممتنع، ولم يكن ذلك غائباً عن السلطان سليم إلا أنه كان مضطراً لذلك كما تقدم بيناه، وكان يبذل قصارى جهده لإقرار العدل فكان يتابع الأخبار من مقره فى اصطنبول بصفة دائمة، فقد أرسل إلى خاير بك يأمره بأن يعاقب الجنود بشدة، قال ابن إياس : (ثم أشهروا المناداة فى القاهرة على لسان الخنكار حسبما رسم، بأن لا أحد من الاتكشارية)<sup>(١١٩)</sup> ولا من الإصبهانية يشوش على الرعية وكل من شوش منهم على أحد من الناس يمسكه من طوقه ويتوجه به إلى عند خير الدين نائب القلعة أو قرا موسى). ثم إن السلطان سليماً أرسل فى طلب كمشيغا وإلى القاهرة بعدما وصلتته شكواى من ظلمه وتعديه على أموال الناس فسافر إلى اصطنبول، ولم يذكر ابن إياس ما حل به هناك<sup>(١٢٠)</sup>.

هكذا اضطر السلطان سليم لأن يهتمل سوء الإدارة المملوكية فى مصر مؤقتاً، حتى يتعرف رجاله على أسرارها ومن ثم يتولونها بأنفسهم، فابن إياس لم ير من الحكم العثماني إلا هذه السنوات الخمس فهو لم يعش ليرى تنظيم أحوال مصر على يد إبراهيم باشا فى عصر السلطان سليمان القانوني، وهو لم يعش ليرى صلاح أحوال القضاء بعد توحيده، وهو لم يعش ليرى أمن الفلاح بعد رفع المظالم عنه، وهو لم يعش ليرى أمن البلاد من الفتن الداخلية والصراعات على السلطة التى كانت سمة لعهد المماليك الجراكسة. لكن إن كنا نستطيع أن نلتئم العذر لابن إياس للأسباب التى تقدم ذكرها، فأى عذر عسافاً نلتئمسه لأساتذة التاريخ الذين نقلوا عنه هذا الكلام وأذاعوا به دون أن يقيموا وزناً لسانر المصادر المعاصرة للأحداث؟.

ويناء على ما تقدم فليس لنا أن نعتمد على تاريخ ابن إياس كمصدر وحيد بحجة أنه مصدر معاصر مع التغافل عن سائر المصادر المعاصرة، ولا ينبغي لأحد أن يفهم من كلامى هذا أننى أدعو على هجر كتاب ابن إياس !! كلا، فليس هذا من فعل العطاء، فابن إياس مؤرخ له مكانة رفيعة وأثار بدیعة، وهو ممن ألفوا أعصارهم فى تدوين التاريخ وكتابه كما ذكرت أنفاً أهم مصادر تاريخ السلطنة المملوكية فى الفترة التى عاشها، ولكنى أدعو إلى تناول بعض الروايات التى وردت فى الجزء الخامس من كتابه بحذر وبتحقيق نظر، لاسيما فى الوقائع التى تورد بنكرها دون سائر المؤرخين المعاصرين له، أو فى آرائه الشخصية. كما ينبغي دراسة المصادر المتأخرة نسبياً والتى شهدت الحكم العثماني على حقيقته كتواريخ ابن أبى السرور البكرى، ومرعى بن

يوسف الكرسي، وإبراهيم بن عامر العبيدي وكذلك المصادر التركية التي عاش مؤلفوها في مصر مثل (توادر التواريخ) لعبد الصمد بن سيدي علي بن داود الديار بكري الذي تولى قضاء دمياط عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م، ثم أصبح مشيراً لداود باشا أمير أمراء مصر و (تاريخ مصر) لرضوان باشا زاده، و (تاريخ مصر القاهرة) لمحمد بن يوسف الحلاق، عسى الله أن يمن علينا بأساتذ في اللغة التركية ليترجم لنا هذه المصادر لينير لنا بها البصائر، فإن أكبر محضلة تواجه الباحث في التاريخ العثماني هي أن مصادر التاريخية سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة فهي باللغة التركية العثمانية، التي كانت تكتب بالأحرف العربية وكان آخر جيل من المؤرخين الذين كتبوا باللغة العربية عن التاريخ العثماني من واقع المصادر التركية هم محمد فريد بك والميرالاي إسماعيل سرهنك، وإبراهيم بك حليم في الربع الأول من القرن العشرين، لأن اللغة التركية كانت شائعة بين الباحثين في البلاد العربية آنذاك شيوخ اللغة الإنجليزية في العصر الحالي، وكذلك فإن اللغة العربية كانت شائعة بين الباحثين الأتراك آنذاك، ثم بعد ذلك وقع الانقصاص التام، فلم يعد العرب يعرفون التركية ولا الأتراك يعرفون العربية إلا قليلاً منهم، ثم إن الأمر ازداد سوءاً في ثلاثينيات القرن العشرين عندما أمر كمال أتاتورك بأن تكتب اللغة التركية بالأحرف اللاتينية، كما أمر بأن تحذف منها الكلمات العربية والفارسية، مما يعد أكبر عملية هدم ثقافي شهدتها التاريخ فقد ترتب على ذلك أن الأتراك أنفسهم الآن لا يستطيعون قراءة مصادرهم التاريخية إلا بعد تعلم مخارج الحروف وكيفية نطقها والكلمات العربية والفارسية التي حذفت منها.

وقد أعمل في مصر وسائر البلاد العربية تدريس التاريخ العثماني في المؤسسات التعليمية لعمود طويلة ومازال هذا الإهمال قائماً حتى الآن، فالتاريخ العثماني لا يدرس إلا في بضع جامعات فحسب، وهو لا يدرس في المدارس على الإطلاق، فإن قيل أنه يتم تدريس التاريخ العثماني من خلال دراسة تاريخ العالم العربي الحديث أو تاريخ مصر في العصر الحديث، أقول هذا منهج سقيم جداً في التدريس، فمصر كانت إقليماً من أقاليم الخلافة العثمانية، صحيح أنها كانت إقليماً مميزاً، ودرّة السلطنة كما اصططلحوا على تسميتها إلا أن ذلك لا يغير من حقيقة كونها إقليماً، لا يمكن الاستغناء بدراسة تاريخه عن دراسة تاريخ الدولة المركزية، فدراسة تاريخ مصر في العصر العثماني لا تعدو عن كونها دراسة للأحوال الداخلية لأحد أقاليم الدولة، ولا يمكن أن ينبتنا أبداً عن حال الدولة المركزية وعلاقاتها الدولية فهل يصح مثلاً أن يستغنى بتدريس تاريخ الإسكندرية مثلاً أو أسبوط أو أي محافظة من محافظات مصر عن دراسة تاريخ الدولة المصرية نفسها؟! ولا يخفى على كل ذي لب أن التاريخ العثماني ليس مما يمكن تجنبه أو إهمال دراسته وإلا فلن يتمنى لنا فهم تاريخ العصر الحديث فهماً صحيحاً، لأن السلطنة العثمانية كانت قلب العالم وأهم محور للأحداث العالمية في ذلك العصر، ولكن للأسف الشديد يحصل أغلب أساتذة التاريخ على جل معلوماتهم من خلال المراجع الأوروبية التي لا تخلو من دسائس وأكاذيب، وشبهات وأباطيل، ولعل أبرز مثل على ذلك هو أقوال أكابر أساتذة التاريخ عن أسباب الفتح العثماني لمصر والشام، وعن دوافع حروب السلطان سليم ضد الصفويين والمماليك،

فقل ما كتبوه في هذا الشأن لا يعدو عن كونه نقلاً لرؤية المؤرخين الأوروبيين من أمثال (بيتر هولت)، (فيليب برايس) (كارل بروكلمان) (أرنولد توينبي) وجل ما كتبوه إما باطل أو قاصر، لأن المؤرخ الأوروبي حتى وإن كان من المنصفين مثل (أرنولد توينبي) فتن يتمكن من فهم أهداف مثل تلك الحروب وبواقعها فهماً كاملاً، لأنها ترتبط بثقافة غريبة عليه، مهما اجتهد في دراستها فتن يمسك مقاليدها، وإن يملك ناصيتها، وقد فصلت الكلام عن تلك المسألة وفندت أقوالهم في كتابي (منهل الظمان لإتصاف دولة آل عثمان) (٢٠١١/٢). وجدير بالذكر أن اللوم والتثريب هنا لرس على المؤرخين الأوروبيين، بل على كل أستاذ في التاريخ سمح لنفسه بالنقل عن كتبهم وكأنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتغالل عن مصادرنا التاريخية وزهد في أقوال مؤرخينا الأقدمين كأننا أمة أمية ما كان عندنا علماء ولا مؤرخون ١١. كما يقع اللوم والتثريب على كل أستاذ في اللغة تقاعس عن أداء المهمة الحضارية المنوطة به من ترجمة المصادر التاريخية التركية والفارسية، بل واللاتينية والبيزنطية أيضاً إلى اللغة العربية، كل في تخصصه.







## حواشي البحث

- (1) حاجي خليفة : كشف الطون عن أسامي الكتب والعلوم، نسخة إلكترونية ( الموسوعة الشاملة ) لإصدار الثاني، ج ١ ص ٢٢٩.
- (2) حاجي خليفة : كشف الطون عن أسامي الكتب والعلوم ج ٢ ص ١٩٤١، ١٩٥٢، إسماعيل باشا البغدادي : هدية المعارف أسماء المؤلفين واثار المصنفين، وكالة المعارف الجليلية اصطنعول ١٩٥١م. ج ٢ ص ٢٣١.
- (3) لقد نقلت نص كلام ابن إياس على ما فيه من أخطاء نحوية، حرصا على عدم للتبديل.
- (4) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ج ٤ ص ٤٧.
- (5) رسالة كرسنوفر كولومبس إلى فرديناند وإبريلا لنش حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١. ترجمة حاتم الطحاوي، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٢٧٦، ٢٨١.
- (6) بجاية، بكنر الباء وفتح الجيم، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا والمغرب، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٩ وتقع حاليا في شمال الجمهورية الجزائرية شرق العاصمة الجزائر .
- (7) وهران، بفتح الواو وسكون الهمزة، وهي مدينة على شاطئ البحر الأعظم من مصر، بينها وبين تلمسان مسرى ليلة. انظر ياقوت الحموي . معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٥ وتقع حال في شمال غرب الجمهورية الجزائرية.
- (8) أصلها : أطرائس، بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء وضم الياء واللام. وهي مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض إفريقية. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ١ ص ٢١٧ وهي حاليا عاصمة الجماهيرية الليبية، وتقع في شمال غربية على ساحل البحر المتوسط.
- (9) قنصل فرنسا في طرابلس عام ١٨٧٨م، وصاحب كتاب : الحوايات الليبية.
- (10) شارل فيرو : الحوايات الليبية، ترجمة محمد عبد الكريم الوالي، جامعة قريونس، بني غازي ١٩٩٤م. ص ٧٤، ٧٦، ٧٧. وأصل الخطب موجود في دار محفوظات بلدة سيمانكس الإسبانية.
- (11) زين الدين المصري : نحة المجاهدين في بعض أخبار البرتنانيين. طبع تحت عناية للحكيم السيد شمس الله القادري، مدير مجلة للتاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣١م. ص ٢٨.
- (12) سطرطري، بضم السين والفتاح وسكون الطاء، جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تتراوح عن جنوبها عنها انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صاندر بيروت، ١٩٩٥م. ج ٣ ص ٢٢٧.
- (13) قلّعات، بفتح القاف وسكون اللام، مدينة بعمان على ساحل البحر إليها ترقا أكثر سفن الهند، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٣.
- (14) منقط، بفتح الميم وسكون السين وفتح القاف (( مدينة بواحي عمان )) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥ ص ١٢٧. وهي عاصمة سلطنة عمان حاليا.

- (15) هَرْمُز : يضم الهاء وسكون الراء وضمة الميم (( مدينة في شجر.. على در فارس وهي فرخنة كرمس إليها ترفاً المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمس وسجستان وخرمس )) انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٥ ص ٤٠٢. قلت : هرمز جزيرة في مصيق هرمز تنبع إليز حالياً.
- (16) عبد القادر العيخروس : النور المسافر في أبحر القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ص ٥٨، ج. ح. نوريمر : دليل الخليج. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. بدون تاريخ. ج ١ ص ١٣٠، ١٢.
- (17) ابن إلياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٠٩، ٣٥٩.
- (18) ابن إلياس بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٣١. وكمرس، بفتح الكاف والميم والراء وهي جزيرة قبالة ريد باليمن. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان. ج ٢ ص ١٣٩. وتقع في جنوب البحر الأحمر.
- (19) هو السلطان بايزيد ابن السلطان محمد الفاتح، وقد تسلط من عام ٨٨٦هـ/١٤٨١م وحتى عام ٩١٨هـ/١٥١٢م.
- (20) هي إحدى عرق الشيعة ولا يعترفون بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنهما وأغلب الصحابة صلوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال أنهم سموا ربيعة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين تبعوه وسمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأبكر ذلك علي من سمعه منه، ففرق عنه الذين تابعوه فعاد بهم فعضموني؟ قالوا : نعم. فيقال : إنهم سموا ربيعة لعزل زيد بن علي لهم فعضموني انظر . بن توميه : منهاج السنة للنووية في الرد على الشيعة والمقدرة ج ٣ ص ١٠٠
- (21) إسماعيل بن حنيد بن جند، وسمى باسمه نسية إلى جده، الأكر التتبع صفى الدين الأزدبيلي صاحب زلوية صوفية في أربيدل، والرافع من أنهم كانوا جميعاً من أهل السنة إلا أن الشاه إسماعيل هو أول من تشبه اعتنق الرافض، واجتمع حوله كثير من الناس فخرج من كيان مجموعته سنة ٩٠٥هـ/١٥٠٠م واستطاع أن يستولى على كثير من بلاد العجم حتى سقطت في يده تبريز مقر سلطنة (( آق قويونلي )) انظر أخباره عند حسين خوجه بن علي : بشار أهل الإمامي بفترحات آل عثمان. مخطوط في دار الكتب والوثائق القومية رقم ٢١١٦ تاريخ طلعت، ورقه ١٢١.
- (22) تبريز، بكسر ثاء وسكون الباء وكسر الراء. قال ياقوت : (( هي أشهر مدن أذربيجان )) انظر ياقوت للحموي : معجم البلدان. ج ٢ ص ١٣. وتقع حالياً في شمال غرب الجمهورية الإيرانية، وتنتطق بفتح التاء.
- (23) ابن إلياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٤٣.
- (24) النهروسي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. ليبرج، ألمانيا ١٨٥٧م. ص ٢٧٥.
- (25) حسين خوجه بن علي : بشار أهل الإمامي بفترحات آل عثمان ورقة ١٠٥، ١٠٧، بلمار لوريتونا : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان. مؤسسة الفصيل للتنميط. اصطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١١.
- (26) ج. ح. نوريمر : دليل الخليج. القسم التاريخي. مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر. ج ١ ص ١٤.
- (27) كانت للصانع تنقل إلى الإسكندرية عبر خليج يربط فرع رشيد بالإسكندرية أو كانت تنقل برا.

- (28) أنزيجان، بعد الهزيمة وفتح الذال وسكون الرءاء وفتح الشاء وسكون اليااء، في لحد الأكوال. قال ياقوت: (بعد أنزيجان من برودة مشرقاً إلى أرزيجان مغرباً... ومن مشهور مدلتها تبريز). انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان. ج ١ ص ١٧٨ طبع في المطبوع جهورية أنزيجان الحالية، بل هي الأراضي الواقع حالياً شمال غرب إيران وجنوب شرق تركيا.
- (29) إسماعيل سرهنگ: حقائق الأخبار عن دول البحار. المطبعة الأميرية. بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م. ج ١ ص ٣٥٩، ٣٦٠، يلماز أورتونا: تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٢٤١ - ٢٥٤. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مغلقة عليها. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م. ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٥. أحمد آق كوتندر وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية. اصطبلون ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. ص ٢٢٠.
- (30) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ١١٩.
- (31) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٠١.
- (32) يلماز أورتونا: تاريخ الدولة العثمانية. ج ١ ص ٣٢٤.
- (33) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٢٨٥.
- (34) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٣٦٥، ٣٦٦.
- (35) إمارة صغيرة في جنوب الأناضول تابعة للسلطنة اسموكية ومن مركزها ملطيه وبلستين. انظر القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول تحقيق أحمد حطيطه دهمى سعد عالم الكتب، بيروت. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م. ج ٣ ص ٩٨.
- (36) ابن رنبل: واقعة السلطان المعزى مع سبيم العثماني تحقيق عبد المصم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٢.
- (37) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٤ ص ٤٥٨، ابن الحمصي: حواشي الزمان ووفيات الشيوخ والأقوال. تحقيق عبد العزيز هياض حروفوش. دار النفائس. بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م. ص ٥١٣، العبيدي: فلايد العقبان في مغامر آل عثمان. مخطوط بمكتبة الإسكندرية ميكروفيلم رقم (٤٦٧٨). ص ٤٥.
- (38) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٥.
- (39) التتروالي: الإسلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٧٧)، القرني: نزعة الناطرين وأخبار الماسين في تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلطين العادلون. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفيلم رقم ٥٢٩٨. ورقة ٦٥، البكري: المنح الرحمانية في الدولة العثمانية. تحقيق ليلى الصباغ. دار البشائر. بدون تاريخ. ص ٧٣.
- (40) ابن طولون: مفاتيح الخلال في حواشي الزمان. وضع حواشيه خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. ص ٣٣٣.
- (41) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة. المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٢٥.

- (42) وهو لقب أطلقه العثمانيون على الصغويين، لأنهم كانوا يلبسون غطاء رأس أحمر. انظر: البكري: الملح الرحمانية في الدولة العثمانية، ص ٧٣، حسين خوجه بن علي: بشائر أهل الإيمان بغوثات آل عثمان. ورقة ١٢٠، وتطلق (( كَزْلُ بَاش )) بكسر الكاف والزاي وسكون اللام وفتح الباء، مع تفخيم جميع الحروف، وهي كلمة تركية من مقطعين (( قول )) : أحمر، (( باش )) : رأس. والمعنى ذو الرأس الحمراء.
- (43) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ص ٢١٦.
- (44) وتكتب أيضا (( غُزَن تَاب )) بفتح الغين وسكون الياء. وهي قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية. انظر والقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ص ١٧٦. كانت آنذاك من أعمال حلب تابعة للمماليك، وهي الآن في جنوب تركيا.
- (45) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ١٤٠، أحمد فؤاد مقلبي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م، ص ١٣٤.
- (46) المبري: تحفة المجاهدين في بعض أخبار الأيرتاليين، ص ٣١.
- (47) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ١٢٩، ٣٥٩.
- (48) الرسالة محفوظة برقم ٦٤٥٦ منتخب طوب قبو باسطنبول، وقد نشرها عبد الجليل النعمي في بحث بعنوان (( أول رسالة من أهالي مدينة الحرير إلى السلطان سليم الأول سنة ١٥١٩ ))، المجلد التاريخي المغربية تونس، العدد السادس، يوليو تموز ١٩٧٦. نقلته من عبد العزيز الشافعي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها، ج ٣ ص ١٨٤.
- (49) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ص ٢١٦، ٢٣٠.
- (50) يلامز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج ١ ص ٣٢٥.
- (51) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج ٦ ص ٣٦٨، ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المتحجج الطوي الحسني الحصري، وساعده فيه سلطان محيي الدين كامل. تحت إشراف محمد عبد الحميد خن منير دائرة المعارف العثمانية بالهند دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج ٧ ص ١٥٢.
- (52) رواء أحمد ( ١٨٥٠/٣٦ )، أبو بكر بن الخلال في السنة ( ١٢٧/٤ )، ابن حبان في صحيحه ( ١١١/١٥ )، الطبراني في الكبير ( ٩٨/٨ )، البيهقي في الشعب ( ٢٧/١٠ )، وصححه الألباني في صحيح الجامع ( ٩٠٥/٢ ) .
- (53) العبيدي: تاليد الحفان في مفاخر آل عثمان. ورقة ٤٤.
- (54) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١٦٢.
- (55) ابن إلياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١٧٩.

- (56) هو أحد أمراء المماليك وكان نائب حماء في عهد السلطان قانصوه الغوري، ثم دخل في طاعة السلطان سليم مع فتحه مصر.
- (57) محمد بن إياس النجدي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٦٨.
- (58) محمد بن إياس النجدي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢١٩.
- (59) محمد بن إياس النجدي : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣١٨، ٣١٧.
- (60) شمس الدين بن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان. ص ٢٢٣، ٢٧٦.
- (61) وقائع تلك الفتن يطول ذكرها لمن شاء التوصل لم يرجع إلى ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٥٤، ٦٢، ٨٠، ٨٩، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢٨.
- (62) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٤٣١.
- (63) صلاح الدين أقبله السلطان سليم في مصر ولم يكن المماليك يستحسنونه. انظر ابن زبيل : واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني. ص ٧١.
- (64) ابن طولون : مفاكهة الخلال في حوادث الزمان. ص ٣٨٧.
- (65) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٨.
- (66) ليوئيل بن الحبيب : تقرير لنبأ روما عن سقوط القسطنطينية، كرسثوفورو روشيرو : الاستيلاء على القسطنطينية، ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية ترجمه حاتم الطحجوى. عن للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م ص ١٦١، ٣١٥ واطر أيضا ببولو ملهازو : يوميات الحصار العثماني. ترجمة حاتم الطحجوى. عن للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م. ص ١٦٣.
- (67) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين فارس. منير الملبكي، بيروت ٢٠٠٥م. ص ٤٦٨.
- (68) بلمار أوزتونا : تاريخ الدولة العثمانية. ج ٢ ص ٤٣٦، انظر أيضا برنارد لويس : الإسلام والعرب. دار الرشيد دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م. ص ٦٨.
- (69) برنارد لويس : الإسلام والعرب. ص ٦٨.
- (70) كلمة مطموسة بالأصل، أطلقها : مركبين.
- (71) ثغر في الساحل العربي للهند.
- (72) المبحر : تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرغاثيين. ص ٣١.
- (73) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣.
- (74) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٧٧.
- (75) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور. ج ٥ ص ١٥٧.
- (76) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام التتيمري. دار الكتب العربي. بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. ج ٤٨ ص ٣٦.

- (77) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق على شبري، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ١٣ ص ٢٣٥.
- (78) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج ٤٩ ص ٢١، الدين القسندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ج ٤ ص ٣٦، المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ٢٨.
- (79) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ٢ ص ١٦٢.
- (80) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ١٠٧.
- (81) المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٢ ص ٣١.
- (82) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص ٢٨٦.
- (83) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٩١، ٤٧٧.
- (84) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٤٧١.
- (85) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١١٧.
- (86) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٤ ص ٣٤١ - ٣٤٥.
- (87) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ١٦٥، ١٨٤، ٤٥٣.
- (88) سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني، القرن ١٦ مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٣٨٧.
- (89) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٧٩.
- (90) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦٩.
- (91) المقصود الفرنسي، وهي تحريف للكلمة العارسية (( منبأ )) وتكتب بحرف الهاء المثلثة، وتطلق (( P )) بمكون السين وفتح الباء وكسر الهاء، مع تخفيف جميع الحروف، وتحتي قافين.
- (92) خاير بك، الذي ولاه السلطان سليم الأول واليا على مصر.
- (93) من ألقاب السلطان العثماني.
- (94) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٧.
- (95) ابن أبياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ٥ ص ٤٦٢.
- (96) ابن شاهين: الإشارات في علم العبارات، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج ١ ص ٨٠٤.
- (97) العمومي المقرئ: المصباح المير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية بيروت، ج ١ ص ٤١.
- (98) رواء أبو داود ( ٣٦٩/٤ )، الطبراني في الكبير ( ٢٦١/١٩ )، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ( ٢٢١/١ ).
- (99) رواء مسلم ( ٣٢٨/١ )، أبو داود ( ١٥٥/١ )، أحمد ( ١٢٥/٤٣ )، أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ( ١٥٦/٢ )، البيهقي في السنن الكبرى ( ١٩٠/٣ )، عبد الرزاق في مصنفه ( ١٤٩/٣ )، الطبراني في المعجم الأوسط ( ٤٨/٧ )، أبو عروبة في المستخرج ( ٣٩٧/١ )، ابن حزيمة في الصحيح ( ٩٨/٣ ).

- (100) المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. ج ٣ ص ٢٨٧
- (101) المقرئى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. ج ٣ ص ٢٦٧، ٢٦٨.
- (102) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٦ ص ٤١٣.
- (103) تقي الدين المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ٧ ص ٣٥.
- (104) بن تهرى بردى : الهجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٨م ج ١٥ ص ٩٤.
- (105) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك. ج ٧ ص ٤٦٣.
- (106) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ١ ص ٤٤٨.
- (107) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٤٦٩.
- (108) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٤ ص ١٣٦.
- (109) أحمد آق كوشر وسعيد أورورك : الدولة العثمانية المجهولة. ص ٢١٨.
- (110) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧ ابن ربيع : واقعة السلطان العورى مع سليم العثماني ص ١٨٤.
- (111) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٣٤، ٣٩٤، ٣٩٥.
- (112) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣.
- (113) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣.
- (114) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٠٣، حسين حوجه بن علي : بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. ورقة ١٣٩.
- (115) سود محمد السود : مصر فى العصر العثماني فى القرن ١٦. ص ٣٦.
- (116) ابن زيل : واقعة السلطان العورى مع سليم العثماني. ص ١٨٤.
- (117) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٤٤، ٢٩٧.
- (118) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٢٢٣.
- (119) هو تحريف للصلة التركية (( بكى جرى )) بحرف الجيم المثناة، وحرف الكاف المثناة فينبقى عندئذ نونا فينبقى اللفظ كاملاً (( ينى تشرى ))، بفتح التاء وكسر النون، وسكون التاء وكسر الشين والراء، وهى كلمة من مقطعين، وتسمى العسكر الجديد وهى إحدى لشهر وحدات الجيش العثماني. انظر محمد أسامة ريد : مهمل الطمأن لإتصاف دولة آل عثمان. دار ابن رجب. القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. ج ٢/ ص ٤١٤.
- (120) ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور. ج ٥ ص ٣٢٩، ٣٣٨.

## قائمة المصادر

- ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر ( ت ٢٣٥هـ/٨٤٩ م )
- ١- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشيد، الرياض ١٤٠٩هـ.
  - ابن أبياس : محمد بن أحمد بن أبياس الحنفى ( ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣ م ).
  - ٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفى زهادة. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
  - ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المعاصى يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله ( ت ٨٧٤هـ/١٣٧٢ م ).
  - ٣- اللجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
  - ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ( ت ٣٥٤هـ/٩٦٥ م )
  - ٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق شعيب الأرنؤاذ. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
  - ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر المصقلاني ( ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨ م )
  - ٥- إنباء الضر بأبناء الضر. تحقيق عبد الله بن أحمد بن محمد المديح الطوى الحسنى الحضرمي ومساعدة فيه سلطان محيي الدين قامل تحت إشراف محمد عبد المعذ خان مدير دائرة المعارف العلمية بالهند. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
  - ابن الحمصى : أحمد بن محمد بن عمر ( ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧ م ).
  - ٦- حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق عبد العزيز فياض حروفش. دار النفايس، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
  - ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي ( ت ٣١١هـ/٩٢٣ م )
  - ٧- صحيح ابن خزيمة. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
  - ابن زبيل : أحمد بن زبيل الزمال ( ت بعد ٩٦٠هـ/١٥٥٢ م ).
  - ٨- واقعة السلطان الغورى مع سليم العثماني. تحقيق عبد المنعم عامر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٧م.
  - ابن شاهين القاهري : غريس الدين خليل بن شاهين ( ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨ م ).
  - ٩- الإشارات في علم العرفان، دار الفكر، بيروت.
  - ابن طولون : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ( ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦ م ).
  - ١٠- مفاهمة الخلان في حوادث الزمان. وضع حواشيه خليل المتصور. دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
  - ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن ضوء بن كثير القيسى الدمشقي ( ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢ م )
  - ١١- البداية والنهاية. تحقيق علي شكري. دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد السجستاني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م)
- ١٢- سنن أبي داود. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩ م)
- ١٣- مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق د. محمد عبد المجيد التركي. دار هجر، مصر. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م.
- أبو عوادة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الأسفراييني (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨ م)
- ١٤- مستخرج أبي عوادة. تحقيق أيمن بن عارف التمشقي. دار المعرفة، بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م
- أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلّي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩ م)
- ١٥- مسند أبي يعلى الموصلّي. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق. ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥ م).
- ١٦- مسند الإمام أحمد. تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م.
- إسماعيل باشا سرفك (ت بعد ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦ م).
- ١٧- حقائق الأخبار عن دول البحار المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤ م.
- إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم البابائي البغدادي (ت ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١ م)
- ١٨- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. وكالة المعارف الجليّة، أصفهون ١٩٥١ م.
- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م)
- ١٩- الجامع الصحيح. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م.
- البكري: محمد بن أبي السرور البكري (ت ٨٧-٨١هـ/ ٦٧٦ م)
- ٢٠- المنح الرحمانية في الدولة الشمانية. تحقيق لبنى الصباغ. دار البشائر
- البهقي: أحمد بن الحسين بن على بن موسى الحسروجردي الخراساني البهقي (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥ م)
- ٢١- شعب الإيمان. تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار المطبوعة. ببومباي بالهند. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م
- الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م).
- ٢٢- سنن الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م.
- حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦ م).
- ٢٣- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. نسخة إلكترونية ضمن الموسوعة الشاملة الإصدار الثاني.
- حسين خوجه بن علي (ت بعد ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣ م).
- ٢٤- بشار أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان. مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة. رقم (٢١١٦)
- ( تاريخ طاعت. ميكرو فيلم رقم (١٣٤٨٩).
- الحميدي: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي (ت ٢٩٩هـ/ ٨٣٤ م).
- ٢٥- مسند الحميدي. تحقيق حسين سليم أسد الداراني. دار السقا، دمشق ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م.

- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ( ت ٥٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ).
- ٢٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عبد السلام التكمري. دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ( ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ).
- ٢٧- المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة. ونسخة إلكترونية ضمن المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ٢٨- المعجم الأوسط. تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الصبيني دار الحرمين القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعائي ( ت ٢١١هـ / ٨٢٦م )
- ٢٩- المصنف. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- عبد القادر العندروس : عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ ( ت ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م ).
- ٣٠- القور المسافر عن أخبار القرن العاشر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الفومسي المقرئ : أحمد بن محمد بن علي ( ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م ).
- ٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت
- القللشندي : شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد الخزازي ( ت ٨٢٦هـ / ١٤١٨م ).
- ٣٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٨م.
- كرستوفر كولومبس.
- ٣٣- رسالة إلى فرديناند وإيزابيلا لشن حملة صليبية للاستيلاء على القدس عام ١٥٠١م، ترجمة حاتم الطحاوي ضمن كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٣م.
- الكرومي : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد ( ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م ).
- ٣٤- تزهة التأخرين وأخبار الماضين في تاريخ من ولى مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العاديين. مخطوط بمكتبة الإسكندرية. ميكروفايم رقم ( ٥٢٩٨ ).
- ليوناردو الخويسمي.
- ٣٥- تقرير لهايا روما عن سقوط القسطنطينية. ضمن كتاب الحصار العثماني للقسطنطينية. ترجمة حاتم الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ( ٢٠٠٣م ).
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ( ت ٢٦٦هـ / ٨٧٤م ).
- ٣٦- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار التراث العربي، بيروت.
- المعري : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي ( ت بعد ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ).

- ٣٧- تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين. طبع تحت رعاية الحكيم السيد شمس الله القادر، مدير مجلة التاريخ، حيدر آباد دكن ١٩٣٩م.
- المقريري: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر العبردي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).
- ٣٨- السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- ٣٩- المواعظ والأعتبار بنكر الخطط والأثر. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الشمسلي: أحمد بن شعوب بن علي بن سنان بن بهر للشمسلي (ت ٣٠٣هـ/٩١٥م).
- ٤٠- لسنن الكبرى. تحقيق حسن عبد المنعم شلبي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- النهرائي: قطب الدين محمد بن أحمد المكي (ت ٩٨٨هـ/١٥٨٠م).
- ٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. لبيب، أماليا ١٨٥٧م.
- نقولاو باربارو.
- ٤٢- يوميات الحصار العثماني ترجمة حاتم الطحاوي، ضمن كتاب الفتح الإسلامي للقسطنطينية. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م.
- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).
- ٤٣- معجم البلدان. دار صادر، بيروت. ١٩٩٥م

ARCHIVE

## قائمة المراجع

- ١- أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك  
الدولة العثمانية المجهولة. وقف البحوث العثمانية، اسطنبول ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
- أحمد قواد متولى.
- ٢- الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٥م.
- برنارد لويس.
- ٣- الإسلام والغرب. دار الرشيد، دمشق - بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- بشرى خير بك.
- ٤- الدخول العثماني لشمال إفريقيا، ضمن الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية. المجلد الخامس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- ج. ج. ثوريير.
- ٥- دليل الخليج. القسم التاريخي مكتب صاحب السمو امير دولة قطر
- سيد محمد السيد.
- ٦- مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر مكتبة مدهولى، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- شارل فورو.
- ٧- الحواريات اللبية منذ الفتح العربى حتى الفزو الإيظاني ترجمة محمد عبد الكريم الوافى. بنى غازى ١٩٩٤م.
- د. عبد العزيز محمد الشناوى.
- ٨- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤م.
- كارل بروكلمان.
- ٩- تاريخ الشعوب الإسلامية. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي. دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥م.
- محمد أسامة زيد.
- ١٠- منهل النظام لإتصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب. القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- مصمد حرب.
- ١١- العثمانيون في التاريخ والحضارة. المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- محمد ناصر لدين بن الحاج نوح بن تجلى بن آدم الأتقورى الألبانى (ت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- ١٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته المكتب الإسلامى، بيروت.
- يلماز أوزتونا.
- ١٣- تاريخ الدولة العثمانية. ترجمة عثمان محمود سليمان. مؤسسة الفيصل للتمويل اسطنبول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrut.com>

## نتائج الاستعمار البريطاني علي جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني(\*)

### أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق المواصلات البحرية في العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب، في العصور السابقة والحالية، وأصبح الآن من أهم الممرات البحرية في العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما تحول أيضاً، من مجرد بحر داخلي، إلى أهم شريان مائي، ينقل البترول من مناطق استخراجه - في الخليج العربي وإيران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا - إلى أوروبا الصناعية، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين وآسيا، وبقية دول العالم. ويفضل اكتشاف البترول في الخليج والجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، ويسبب الاحتياج النفطي المتزايد في أوروبا وأمريكا وآسيا، أصبح البحر الأحمر، بمميزاته وخصائصه الجيولوجية، أخطر محاور الصراع والتنافس الدولي، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقاً حيوياً لنقل البترول، ومعبراً للتجارة العالمية، وطريقاً مختصراً لتدفق القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلسي، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه الميزات، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقي جنوباً، كما ارتبط بقاء السويس، شمالاً، ارتباطاً عضوياً أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام واضعي القرار السياسي، ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتنافسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصارعة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر - من منخله الشمالي عند السويس إلى منخله الجنوبي عند باب المندب والقرن الأفريقي - ظل ولا زال ينبع دوراً مركزياً ومحورياً في الصراع في منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الأفريقي، ممراً وبوابة للبحر الأحمر وخليج عدن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(\*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

## ١ ) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن ١٧ بدأ الاهتمام البريطاني في جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة .

في عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها في ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة دول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البن.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج في الهبوط على مدى فترة ستين عاماً. بحيث انحصرت، في الأخير، بين الإنجليز في الجنوب العربي واليمن، والفرنسيين في اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية - الفرنسية من ميدان التجارة إلى ميدان الصيامة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية :

- ١- إرسال قوة بحرية بريطانية إلى الساحل الشرقي لمصر لمواجهة التوسع الفرنسي.
- ٢- التواجد العسكري في مدينة عدن والجنوب العربي، كموقع استراتيجي هام في البحر الأحمر على باب المندب وخليج عدن، لمراقبة السفن الفرنسية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

في عام 1802 عكفت بريطانيا أول معاهدة تجارية مع السلطان العبدلي، سلطان سلطنة لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، ويسيطر على مينائها الاستراتيجي، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تم تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمنت الاتفاقية توفير الحماية للرعايا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية في السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر - أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة لتموين السفن بال الفحم، خاصة وأن ميناء عدن يقع في منتصف الطريق بين مدينة بومباي في الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينس يرى بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية

هامة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلا: "إن المرفأ العظيم لمدينة عدن يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر في الجزيرة العربية. إن ازدهاره لاشك وأن يقضى على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجارياً ممتازاً لاشك أنه أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر و تموينها في كل فصول السنة".

ومن العوامل التي سرعت بالاستيلاء البريطاني على مدينة عدن، ودول الجنوب العربي، وجود جيش محمد علي باشا، حينها، في تهامة وأوساط اليمن، والذي دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان يطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية في الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وخاصة إذا ما استولى على مدينة عدن الواقعة وسط الطريق البحرية إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباي البريطاني إلى حكومته قائلاً: "إن مطامع محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها".

إن تجارة بريطانيا الخارجية في حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية بحسن اختيارها، ويقوم بحراستها الأسطول الملكي البريطاني الكبير. وفي 19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية، بقيادة القبطان هينس مدينة عدن عن طريق جزيرة صيرة، وكان ذلك بداية التواجد العسكري والسياسي البريطاني المباشر في مدينة عدن ودول الجنوب العربي، حيث تم بعد ذلك في 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلطنة لحج، وتوالت بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمرأ وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، والواقعين في كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالي لهم وأمناطهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، تتعاظم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية على المنطقة، فاستولى البريطانيون على جزيرة مؤون عام 1856، خوفاً من وقوعها بيد الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبوك على الساحل الصومالي المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بيد البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مرتبطة بمشروع حفر قناة السويس في مصر، في الأعوام 1868 - 1867. تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأتوبيون، مما زادها ازدهاراً وشهرة. في عام 1869 تم افتتاح قناة السويس في مصر وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزايد مرور السفن في ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالقمح والموز المختلفة، وازدهرت السياحة. وعقد الاتفاقيات التجارية والإتشالية، وتسهل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات وسلطنات

ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وبخاصة سلطنات باقع، وكذلك البين الآتي من اليمن. وكان ثلث موارد خزينة السلطنة العبدية، في لحج يأتي من معاملة سلطنة العبدية في لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدية في لحج، حينها، المتعاقد والمحتكر الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالخصراوات والفواكه ومياه الشرب، والحشائش، وأغلاف المواشي، والملح والألبان العامة. كما لعب السلطان العبدية في لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعمرة في عدن، ممثلة بالمعتمد السياسي البريطاني وبقية سلاطين وأمرأ ومشايخ الجنوب العربي؛ الذين كانوا بمثابة دويلات صغيرة مستقلة، فكانت تمر عبره إليهم المرتبات والمساعدات البريطانية.

كما كان لدى البريطانيين جهازان مختصين بشؤون الإمارات والسلطنات والمشيخات، في دويلات الجنوب العربي؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهازان هما :

١- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخيالة المجراد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة إلى إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.

٢- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرة للمعتمد السياسي البريطاني في عدن، وهذه الدائرة كانت المخططة والمنفذة للسياسة البريطانية؛ للتعامل مع القبائل داخل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي. وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة الملحقة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكري المباشر فيها، أو في بعضها؛ إلا لتقديم الحماية والدعم. إلا أن هذه السياسة اختلفت بعد انحياز الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك في ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشكلون خطراً مباشراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، وعلى دويلات الجنوب العربي.

#### ٣، الصراع البريطاني العثماني في الجنوب :

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تمد الخطوط الحديدية إلى كل من العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح لتركيا وجود فعلي على ساحل تهامة باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالي حالياً (في عام 1872 بشكل كامل). وهذا هو الاحتلال التركي الثاني لليمن الذي دام خلال الأعوام 1872-1918، كما كان الاحتلال الأول التركي لليمن خلال الأعوام 1635-1538، ورغم وجود الأتراك باليمن حتى عام 1870، وعلى النعاس المباشر مع البريطانيين الموجودين في الجنوب العربي وعدن، إلا أن

البريطانيين لم يكن يقلقهم الوجود التركي باليمن حينها، كون الوضع في اليمن والجنوب العربي لا يشكل خطراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، بالرغم من تواجد الأتراك في اليمن؛ فالجنوب العربي كان تحت الحكم البريطاني، وكان مقسماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطنات والمشيخات الصغيرة المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مقسماً حينها هو الآخر بين الأئمة في صنعاء، وأمراء آل عريش في المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواسط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأ إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها واخضاعها للحكم العثماني للأعوام 1872-1918، إلا أن الأوضاع الدولية والمحلية، في السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربي، وعاصمته مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تم فتح قناة السويس عام 1869، وبذلك زادت أهمية عدن الإستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، في البداية حينها، مرنة مع العثمانيين في اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتقتصر تلك السياسة أن ترفع بريطانيا مرتبات شهرية وسنوية؛ لسلاطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربي، وتوفير المتطلبات الضرورية لدولهم، مقابل الإشراف البريطاني الغير المباشر عليها، وإبقاء الطرق إلى مستعمرة عدن آمنة ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطنات والإمارات والمشيخات بيد أطراف خارجية.

أما بعد أن أصبح الأتراك، المحتلين لليمن، على مقربة من حدود الإمارات والسلطنات والمشيخات المكونة للجنوب العربي، وبدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي إلى المناطق التي يحكمها الأتراك في اليمن، في كل من قطيفة والحجرية وماوية، فقد اتبع البريطانيون سياسة جديدة ونظاماً جديداً - هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه. ويعني نظام الحماية هذا - أن سلاطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربي عليهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين نيابة عن أنفسهم وعن وريثتهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه في الثمانينات من القرن التاسع عشر كل سلطنات وإمارات ومشيخات ودويلات الجنوب العربي، من باب المنصب غرباً إلى المهرة. ومنذ عام 1869 ظلت حضرموت سلطنتين مستقلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة

الكثيرون، إلى جانب سلطنة المهرة، وسلطنة الواحدي، في شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في الـ 30 من نوفمبر 1967م.

أما في الجزء الغربي منه، فقد كانت للأتراك محاولات عديدة لفرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطنات، ومشيخات، ودويلات الجنوب العربي في تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالزحف لاحتلال مناطق السلطنات والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربي والتفوذ البريطاني، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام العثمانيين، وتعرض المصالح والتفوذ البريطاني وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات في الجنوب العربي، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندها شعر الإنجليز بجدية خطر الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة العثمانية المركزية، في الباب العالي، في القسطنطينية، وتقديم إنذار شديد اللهجة، وإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتتسحب من جميع المناطق التي احتلتها داخل الجنوب العربي. لكن في 24 أكتوبر 1873م قام المقيم السياسي البريطاني في مستمرة عدن بقيادة الهجوم البريطاني، وقاموا فوراً بالانسحاب من كل مناطق الجنوب العربي التي احتلوها في إمارات الضالع وسلطنة الحواشب ومشيجة الطوى، ثم بعد ذلك تم في أواخر عام 1873، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على ترسيم الحدود بين الجنوب العربي واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التي يسيطر عليها الأتراك والبريطانيون في كل من اليمن والجنوب العربي في عام 1873 هي الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربي واليمن، واعترف البريطانيون بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، وأن على الأتراك المسيطرين على اليمن ومنذ عام 1873 عدم التدخل في شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة بذاتها، وتقع تحت التفوذ البريطاني.

وفي عام 1905م اقترحت تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربي الواقع تحت التفوذ البريطاني، واليمن الواقع تحت التفوذ التركي، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأتراك بمحجب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التي احتلوها، وتم انسحابهم منها في نفس العام. وفي 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربي واليمن، وإعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.

خلال الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918م : احتكم الصراع بين الأتراك والإنجليز، لاحتياز كل منهما إلى الطرف التقويض والمعادي في الحرب، وكنا في خط التماس المباشر لتواجد الإنجليز في الجنوب العربي، وتواجد الأتراك في اليمن. في منتصف عام 1916 استغتمت لأول مرة الطائرات البريطانية في قصف مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة لحج المحتلة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنجليز نوعاً من الهدوء.

انسحب الأتراك من اليمن عام 1918م، وكنت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية الذي دام حكمها خمسمئة عام، وأخذ اليمن الشمالي حالياً استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحيى بن حمود الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حالياً وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعين نفسه ملكاً لها. وبخل اليمن، بعد عام 1918م، مرحلة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مرحلة الألفة الزيدية، الممتدة خلال الفترة ما بين ١٩٦٢- ١٩١٨م.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهزم الأتراك في الحرب، واتسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أن الإنجليز خرجوا من الحرب منتصرين، وأعادوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، لا بل وخرجوا من الحرب وهم يسيطرون على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة النحية، والحديدة الميناء الرئيسي لليمن، والذي سوف يكون السبب في توتر العلاقات بين دولة اليمن الجديدة ممثلة بإمامها، والإنجليز الموجودين في الحديدة باليمن، والحاكمين للجنوب العربي.

#### أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني :

بانتهاه الحرب العالمية الأولى انسحب الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحيى كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودويلات الجنوب العربي، بحيث سرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين، نتيجة لسيطرة الإنجليز على مدينة النحية ومدينة الحديدة الميناء الرئيسي لليمن، التي سيطرت عليهما بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحيى، ومطالبته بتسليمها إليه، إلا أنه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإيريسى، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة النحية من مناطق الإيريسى فقد سلمت بريطانيا مدينة النحية إلى الإيريسى، وأبقت مدينة وميناء الحديدة تحت سيطرتها. طيلة

سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها "قاعدة إمبراطورية"، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، والتزود بالوقود .

في عام 1929 عقد أمراء وسلاطين، ومشايخ دويلات الجنوب العربي، مؤتمراً عاماً لهم، برئاسة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغة تحالفية تمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفكروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوفقوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإنشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير 1934م التوقيع، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحيى إمام اليمن باتفاقية ترسيم الحدود الدولية، الموقعة في 1905م و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجنوب العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهند، عام 1937م وقسمت إلى قسمين من المحميات . المحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتم استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تقضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ، مستشار بريطاني نصحه في كل المسائل التي تخص إدارة سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتلقيها.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1945-1939م، كانت الحالة والموقف العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1944-1943م كادت أن تتأزم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة مؤين، بالقرب من حدود البلدين، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إنذار شديد اللهجة. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل اليمن، لانتصار الحلف البريطاني وهزيمة الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأمامي باليمن، خلال الأعوام 1962-1959 متهازماً تماماً ولم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشعبية ولحخت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم تتوسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتوزع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة تعم المدن وكانت القبائل تنضم إلى الانتفاضة ضد نظام الإمام. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن؛ بين الجمهوريين في الحكم والملكيين خارج الحكم.

في بداية الستينات من القرن العشرين أصبح لمدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وقتذاك، إلى نية بريطانيا في أن تبقى قواتها العسكرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:

الأول: يتعلق بالاستراتيجية الدولية: فقد أصبح لمدينة عدن أهمية إستراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمصير الغربي بأسره.

الثاني: يتعلق باستراتيجية البترول: فمعناه فعدن أصبح هو الذي يحمي آبار البترول في الخليج.

الثالث: بالاستراتيجية المحلية: لأن القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحيطين في المنطقة.

#### آثار الاستعمار البريطاني الدينية:

في الوقت الحالي تنص المادة الثانية من دستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، وتكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطنين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويحدد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعليه فإن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات يخضع لتفسيرات الشريعة، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن يكون مؤبدا للفرائض الدينية، بينما شرط الإسلام وأضح في شروط مرشح رئاسة الجمهورية. وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99%، أي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشيعة الزيدية. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي ٦٠-٧٠%، مقابل زيدية ٣٠-٤٠% وتوجد أقلية إسماعيلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليحية والملكة أروى بنت أحمد.

الأقليات: هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وهم الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلد الأصليين. ولليهود في اليمن شهرة بأنهم من أمهر الصاغة وصناع الخناجر التي تعد أبرز معالم الهوية اليمنية. وكانت الأعراف والتقاليد تمنع اليهودي، والمعلم غير القبلي من ارتداء الجناهي.

ووجدت أقلية هندوسية صغيرة جدا في عدن. ويوجد أربعة كتائن في عدن تمثل الوجود المسيحي والذين أغلبهم من الأجانب. وتعتبر الجزيرة العربية القلب النابض لميلار ومائتي مسلم، ويمتدون عبر الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم.

هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً، وبين ساكنيه من جهة أخرى، أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وحديثاً قالوا : « لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة! ». من أجل هذا كله ركز منصوروا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يحيط بها، وقد وجدوا بغتهم في جنوبها وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

### أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

- ١ - الدثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.
- ٢ - الجهل والأمية؛ حيث بلغت نسبة المثمنين بالقراءة والكتابة من البالغين 38% ، وهي من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي 50% من السكان.
- ٣ - التردّي في الجانب الاقتصادي ، وضغوط البنك الدولي حيث أشارت بيالته إلى أن أكثر من 19% من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.
- ٤ - النظام الديمقراطي المفتوح، والدعم المعنوي الذي تتلقاه المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.
- ٥ - عدم وجود أهداف ثابتة واستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي
- ٦ - الأوضاع الصحية التي تعد من أشد الأوضاع تدنياً في العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعي الصحي، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد حيث وصلت إلى 15، 9% لعام 1996 م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الغرور من الكبد يزداد على 3 ، 5 مليون مواطن.
- ٧ - ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراء، لدى فئات كثيرة في المجتمع.
- ٨ - حسن معاملة النصارى للبهتاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.
- ٩ - إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين : معاهد دراسية - فونيات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، وانتشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام 1972 م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام 1969 م إلى أوائل عام 1981 م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى : فريق البحر الأحمر الدولي (الذي أسسه المنصر) ليونيل فرني في عام 1951 م ، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو : **الخيامون** (وهم المنصرون القائمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتدريب... إلخ). وشعار هذه المنظمة : (الإسلام يجب أن يسمعنا، وهدفها نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية، ذات خلفية نصرانية، مركزها الرئيس في إنجلترا وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنمية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتونسيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة، على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي.

واستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلغم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

**أشكال التنصير وأماكنه وصوره داخل بنية المجتمع اليمني:**

**أولاً : الكنائس ودور العبادة:**

١- الكنيسة الكاثوليكية بالتواهي : تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية

الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكي في مدينة لارنكا بقرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام 1995 م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها، وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها، والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات، الذين يعملون في العبادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

## ٢ - الكنيسة المصعدانية بكريت - مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة مصعدانية في مدينة كريت عدن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قبل الكنيسة الأنجليكانية المصعدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

## ٣ - نور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، ويدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قداس يوم الأحد في المعهد الكندي - في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

## ٤ - نور العبادة النصرانية باب:

تقوم البعثة النصرانية المصعدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المصعداني بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتبشير، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد بالكنيسة المصعدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إسمائي - على حد زعمهم - وتقصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، وخلال سنوات عملها الطويل، إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 يعني.

### ثانياً : النشاط الصحي:

- المركز السعودي بمدينة تعز في شارع الداتري : له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يستمر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.
- جمعية من طفل إلى طفل : مركزها الرئيس بمدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئة لسهولة فهمهم في النصرانية، من دون أن يشعروا بذلك.
- منظمة أدرا في منطقته حيس نهامة : « وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل: سنغافورة والفلبين وباكوك: باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مديرتي العدين والفقر؛ حيث يخدم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!
- المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بنور رهيب في الاختلاط بالبطء، وتقديم العون والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة، وخاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.
- جمعية رسالات المحبة « بعثة الإحسان : « يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالضحية بأرصفة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات.
- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز، وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.
- جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة، ولها نشاط تنصيري.
- معسكر اللاجئين الصوماليين بالبحرين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث تسبهم إخوانهم المسلمون.
- منظمة ماري ستويس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

### ثالثاً : المنظمات الخاضعة:

منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.  
 منظمة اليونيسكو: وتدعم مشاريع البنية التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والتصارى.  
 منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتطرق بالطفولة.

#### رابعاً : النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة -كمثال- فى عددها رقم 12542 ، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر 3/1999م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة فى نجوالهم داخل اليمن ومنها:

١- توزيع الإنجيل فى المدن المختلفة ومنها الحديدة، حيث وزع الإنجيل فى السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS ، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية؛ فى صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات فى الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث فى منطقة الحسيينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفى ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والقرآن النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

#### خامساً : النشاط التعليمي الثقافي:

واتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويش حين قال : " التعليم فى مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم والتزاعه من قبضة الآلام " .

#### المعهد الكندي بصنعاء:

يتمسك هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلّة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة متهجته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تريد إغارة المدرس عن عام واحد فى اليمن، ويستمر المدرسون المقادرون بالتواصل مع طلابهم. ومن مناهجهم :

التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون في مواضيع خلافية مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطلقات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطاني - المعهد الأمريكي - المعهد الفرنسي. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشارك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتقولين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قُدمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، في عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، ويعدّها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكنائس المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يعانون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

أما دور المؤسسات نجاء عمليات التنصير، فهو نشاط حجول يحتاج إلى إنكاس كالجمهر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التي قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر في العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، في مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما مواقف الحكومة اليمنية: فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة في اليمن، للعام 1998م، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسي، بدائرة الشرق الأوسط في 30 مايو 1998م. " لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور في اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة؛ كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن ".

### وسائل التنصير:

- **الأولى :** الخدمات الإنسانية : هم يقولون التشهير، السلام، الديموقراطية، الإنسانية. فالخدمات الإنسانية مثل :الإغاثة، والطب، والمساعدات من أهم ما يتوصلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمم المتحدة بمنظوماتها، والبنك الدولي، مثلاً منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونيسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعملاته المفروسين في أنحاء العالم.

**الوسيلة الثانية :** التخريب الأخلاقي، فالكنسية تدار فيها الخمر، وتقام فيها الحفلات الماجنة للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى النصرانية، وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين . ويمسر لهم أسباب الفساد. يقولون : حاولنا أن نلقى دونه، لكن عبثاً نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملاهي، ولو بجوار المساجد، فقد يبنون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فانتشروا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم مبادئ المسيحية ولكن بطريقة غير مباشرة.

**الوسيلة الثالثة :** توزيع الكتب والكتيبات والمجلات، والدوريات، والصحف التي تخدم التنصير -المخصصة لهذا الغرض بشتى اللغات، ويشتمل الأساليب، وفي شتى الموضوعات، مع تعدد دس التشويه والكذب؛ في مثل هذه الدراسات والكتب والمقالات، هذا فضلاً عن التقاويم (الرزنامات) وفي كل يوم تجد التقويم مرصعاً بأية من الإنجيل مكتوبة بخط جميل وملونة وزهراء، وأشياء حقيقة تلفت الانتباه وتشد الذهن، وكذلك تطبع كروت التهاني مثلاً بالأعياد: أعياد الميلاد، الكريسمس، عيد رأس السنة، عيد القيامة، إلى غير ذلك من أعيادهم، ويخطوط جميلة وألوان، وصور يزعمون أنها لمريم أو لعيسى، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصلبن في كل مجال وفي كل ميدان، في الملابس، في السيارات، في الأواني، في الذهب، في كل شيء لو تأملت تكاد تجد صليباً موضوعاً على عمد، وأحياناً الملايين منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد لمن يريد، ويصلون عن طريق الإذاعات. وتبث هذه الإذاعات بأكثر من ثمانين لغة، ولها صناديق بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعها .

**سادساً : الرياضة :** هناك خطة أن يتولى التنصير العرب الاتصال والتنصير فربما هناك، وتوزيع التشرارات والأفلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية في العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها. سابعاً: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع :

فمن ذلك - مثلاً - منظمة فيليبينية لتصورية اسمها " منظمة شادي"، وكلمة شادي عندهم بلغةهم معناها : الرب، هذه المنظمة تهتم بشكل خاص بالمرضى والموقوفين وأصحاب المشكلات النفسية والذين يواجهون صعوبات في حياتهم، والخراب في الأمر: أن هذه المنظمة لها نشرة اسمها " شادي" ومجلس الكنائس العالمي - وهو ربما أعطى منظمة مسؤولة عن التنصير - حشد الآلاف من المربيين - كما يقول رئيس إرسالية التنصير في الشرق الأوسط: إن مجلس الكنائس العالمي أرسل الآلاف من المربيين والخانات والمرضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين. هم مصررون على أن يتحول المسلمون عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيين، والخانات، والمرضات، والأطباء، والمهندسين. ويقول هذا المسؤول: "إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي تمهد لهم التوغل في جزيرة العرب"

ثانياً : المراسلات: وهي من أخطر ما يكون، وأنجح الوسائل لسهولة وصولها في الغالب وإمكانية تداولها، وهي تعد الصدقات، وترسل الكتب، والأشرطة، والمجلات، مجاناً إلى من يريد.

#### أثار الاستعمار البريطاني السياسية والاجتماعية:

##### أولاً : الآثار السياسية :

تتعدد المحطات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن بينها تبرز المحطات والأدوار التالية:

##### أولاً دور القبيلة:

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق الساحلية وتهامة، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعة من القبائل الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضويًا. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى منظمة ومتطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الأمطار التي وفرت مصادر حلت من الصراعات والتمسك بالعصبية القبلية. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق والسلطة علاقة جبابة عن طريق المشايخ، وما رافق ذلك من تصف المشايخ بالرعية، والذي أدى بدوره إلى علاقة عدائية بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكك العلاقات القبلية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق

الوسط هم من كبار حلاك الأرض والذي تحولوا في ما بعد إلى طبقة برجوازية، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطبقة الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمتهم بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة السلطة المركزية. وتطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زالت من تفكك العامل القبلي، وعند ظهور التعددية الحزبية كانت تلك المناطق أكثر المناطق ميولا للحزب، كنظام بديل عن التنظيمات القبلية. وتنقسم هذه القبائل بالحفاظ على العصبية القبلية والتي لعبت دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإتباع المذهب الزيدي الذي يبيح الخروج على الوالي فقد ساعدت تلك العوامل على أن تظل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الرؤساء الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبا: حاشد ويكيل.

ويتضح أن المناطق المتعصبة قبليا تمكنت من الاستمرار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تمثل دولة داخل دولة ولهذا فإن النظام السياسي القائم على الجهورية، ومركزية الحكم في مناطق **قبلية محدودة**، بعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتماكك القومي، ومن مظاهر إخلال القبيلة بالاستقرار السياسي في اليمن:

1- الثأر القبلي: فكثيراً ما تقوم الحروب، والآثار القبلية في اليمن بحيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (407) حروب، وآثاراً قبلياً، وغالباً ما تكون تلك الحروب والآثار نتيجة انتشار ثقافة العنف المسلح، والمشروط بتوافر الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقوع 1979 حالة قتل في إطار الثأر القبلي خلال عام 2001 م في محافظات صنعاء، وعمران، وزمار والبضائع .

2- التفرقات الاجتماعية والتآكل المطرد للمعايير العرفية، وضعف الحكومة وانتشار السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتدام التنافس بين الزعماء الدينية، غذت الصراعات القبلية.

3- الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الآثار القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.

٤. الاختطافات القبلية :حيث تلجأ القبائل إلى عملية الاختطافات، كوسيلة متعارف عليها قبلًا وكانت هذه الظاهرة محصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يمثل اختطاف أحد أفراد القبيلة وسيلة ضغط على القبيلة الأخرى، في فضيه النزاع، وعند تطور دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختطاف في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختطاف الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات؛ كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت، لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالبًا ما تقدم القبائل على الاختطاف لعدة أسباب منها : الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وقيام بعض النافذين بالاستيلاء على أرض تعود ملكياتها لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على نمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع معروض أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تظن المناطق النفطية، أن يكون لهم نصيب في النفط الممنخرج من مناطقهم. وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التعددية الحزبية قد أعلنت عام 1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انبثق عنه مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني

#### ثانياً: التقسيم الطبقي:

بعد التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقة تؤدي إلى حتمية الصراع الاجتماعي، وتأتي المنافسة بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء تركيبة المجتمع الاقتصادي والسياسي، والصراع الطبقي نتيجة حتمية لانتعدام العدالة الاجتماعية، ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب :

الأولى : تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالبًا على أساس وريثة المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية : تشمل فئة السادة والقضاة والفقهاء.

والثالثة : وتحتوي ثلاث فئات متقاربة ومتداخلة هي: الاعيان العقال، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

والرابعة : تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفاً ومهناً وضبعة قبلياً تحرم الأعراف القبيلة على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزارون، الحلاقون، الدواشين. والخامسة : وتضم فئة الخدام واليهود.

والتقسيم الطبقي في اليمن يقوم على أساس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي الثبنة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها وداخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

إلا أن التقسيم الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه اتخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأغلبية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والحرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقية؛ إلا أن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التقسيم الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحلت فئة مشايخ القبائل محل السادة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتقسيم الطبقي في اليمن يطرأ عليه بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويذهب التقسيم الطبقي دوراً في حالة عدم الاستقرار السياسي، فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلالية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية لعبت دور في خفض وطأة التقسيم الاجتماعي، عن طريق منح العضوية. والمقاصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالباً استرضاء مشايخ القبائل، واستمالتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تندرج في الطبقات الدنيا في سلم التقسيم الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقية، والتقسيم الاجتماعي تتخرب في جسد المجتمع اليمني، فوفقاً للتقسيم الطبقي القائم على أساس قبلي، مثلاً يحرم التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لأحد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أعلى منها وإن أقدم على ذلك فإنه يتعرض للقتل أو النفي. وقد كشفت عن وجود حالات رقي، وعبودية في محافظات يمنية ويقف وراء استمرار حالة الرقي والعبودية: محاباة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتأييد في الانتخابات العامة. وتقدر بعض المصادر عدد المهتمين من طبقة الإخدام في اليمن بما يقارب 800 ألف نسمة وأسست هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع فإنها تمثل فتيلة موقوتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليوم أمام الدول، والمنظمات الأخرى. إن التغييرات التي طرأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية

والخاصة، كان لها تأثير في التركيب الطبقي في الجمهورية اليمنية، حيث اتجهت بعض الطبقات مثل طبقة المشايخ، والقادة العسكريين إلى مزاوله النشاط التجاري، والذي كان محصورا في طبقة التجار، ونتيجة سيطرة هذه الطبقة على الثروة، إلى جانب السلطة السياسية، حدث فرز جديد في المجتمع اليمني على أساس طبقي اقتصادي، ونتيجة لاحتكام تلك الطبقة للمجالات التي كانت مقصورة على الطبقة الوسطى؛ تلاشت الطبقة الوسطى التي كانت تعزل بين الطبقتين الدنيا والعليا، فانتسعت شريحة الطبقة الدنيا مدعومة بتلاشي الطبقة الوسطى حيث أصبح 50% من عدد السكان تحت خط الفقر.

### الخاصة:

وهكذا رأينا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة وباب المندب، إذن بجانب التنافس السياسي الذي شهدته هذه المنطقة، شهدت أيضا تنافسا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلية من جهة أخرى. ورأينا كيف كانت الغلبة البريطانية أولا ثم أعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق، لكن لم يقف المسلمون مكتوفي الأيدي أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التي استهدفت تدمير المعبد وإراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وهيئات الإغاثة، والجمعيات الخيرية - جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هي ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود يذكر بأي وسيلة.

## المراجع

- بشرى الغيلي، حجة محافظة الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، موقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- التفجرات القبلية وتحرير الاقتصاد أضعضا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ 26/3/2011م).
- جابر بن يحيى البواب، اليمن وظاهرة الإرهاب الدولي 2007-1990م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م
- جاد طه، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969 م .
- جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العبيكان، 1421 هـ.
- حسن خضير أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط 11996
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقلا ، بيروت ، ط 1987 م.
- خديجة الهيصمي، سياسة اليمن في البحر الأحمر - القاهرة ، مكتبة مدبولي ط 2002 م
- دستور الجمهورية اليمنية/المواد 64/107 ، إنت
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية، 15 Feb 2004 /
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة. مكتبة مدبولي ط 2008 1.
- عبد العزيز قائد المسعودي - اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006 م.
- عبداللطيف الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط 1، الرياض، 1415هـ.
- عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط 2، 1366هـ.
- عبدالواسع اليماني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط 2، 1402هـ.

- علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار للوحدة، ط1، لندن، 1992م.
- فاروق أباطة، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2، 1979م.
- مجلة الأسرة، العدد ( 83)، العدد (155) رجب 1421، أكتوبر ٢٠٠٠.
- محاضرة تسجيلية للشيخ سلمان بن فهد العودة. مما شاهد وسمع وقرا.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2، الرياض، 1402.
- محمد عمر الحيشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ عام 1937م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت، 1970م.
- محمد محسن الظاهري، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية الجمهورية اليمنية نموذجا القاهرة، مكتبة مدبولي ط1 2004م
- محمد محسن الظاهري، الدور السياسي للقبيلة في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة، مكتبة مدبولي ط1 1996م.
- المركز الوطني للمعلومات. نبذة تعريفية عن محافظة الضالع 2011.
- المركز الوطني للمعلومات. نبذة تعريفية عن محافظة عدن 2011.
- مسح آثار ي لمدينة عدن الكبرى، مديرية صورة - كريتر - المومع الأول 2004 م - اعداد الهيئة العامة للآثار عدن. منشور في : صحيفة/ 26 سبتمبر/ رقم العدد 1230 : السبت 09 مارس - آذار 2013
- ناصر محمد الطويل - الحركات الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التناقص، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله ووزير خارجية واشنطن وتقسيم الحكومة الطائفية بثفت انتباه دبلوماسي أمريكي
- [http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article=section=12&news\\_id=9943](http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article=section=12&news_id=9943)
- مدرسة الصراع الطبقي <http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/06.html>
- مجلة البيان، قضية عربية : الاختطاف في اليمن. المشكلة الآثار الحلول <http://www.albayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731>

- عمر الصقلي، النظام ويتقاضى عن مشكلة العبودية خوفاً من خسارة حلفاءه، المصدر أون لاين 6/2/2010 [http://www.almazdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news\\_id=9303](http://www.almazdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303)
- عبده عايش، حروب الثارات في اليمن تؤدي بحياة المئات وتكثف الأمن والمسلم، مقال ممثل من مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 ابريل 2011 م
- <http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867>
- <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- <http://forums.ibb7.com/ibb28072.html>
- <http://h-almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049>
- <http://sh.rewayat2.com/public/Web/6417/003.htm>
- <http://wikimapia.or>
- <http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024>
- <http://www.oxfam.org/en/>
- <http://www.sudanile.com>
- <http://Archivebeta.Sakhril>
- Muslim Population by Country'. The Future of the Global Muslim Population. Pew Research Center. Library of Congress – Federal Research Division
- U.S state Department
- <http://www.al-tagheer.com/news28099.html>
- 2001 <http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-Arabic.pdf>